الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 1/أحمد بن بلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

موسومة بـ :

ابن مرزوق الحفيد التلمساني وآثاره

(766-842 هـ/ 1364-1438م)

تقديم الطالبة :

طيب بوجمعة نعيمة

بإشراف الأستاذ الدكتور :

بن معمر محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الأسماء	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد المجيد بن نعمية	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	رئيسا
بن معمر محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
بحري أحمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران	مناقشا
حساني مختار	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	مناقشا
حمدي أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقشا
بلعربي خالد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا

السنة الجامعية: 1438/1437هـ الموافق لـ 2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلِيَعْلَمَ الّذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوْبُهُمْ وَإِنَّ الله لَهادٍ الذينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

صدق الله العظيم

سورة الحج : الآية رقم (54)

«وينبغي لمن ألّف أن يعرّف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه، ليكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره ويَسْلم من الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزمان وكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشأن».

عبد الرحمن الثعالبي

الإهداء

إلى ...

روح الشيخ العالم الفقيه المحدث ابن مرزوق الحفيد (رحمه الله) ...

وطني الجزائر... آمالنا وأملنا وبيتنا الكبير اللهم أحفظه من كل شر.

والدي ووالدتي(حفظهما الله ورعاهما)...

برا وإحسانا واعترافا بالجميل .

زوجي العزيز ورفيق دربي أ.د علي عبد القادر العبيدي ...

فلولاه لما عرف هذا العمل النور.

ابنتي سيرين... حبا ومودة

أخواتي العزيزات وأزواجهن وأولادهن.

الأساتذة: سعدو تالية، بقبق الزهرة وبن نحي زكريا

(رحمهم الله تعالى)

زميلاتي وزملائي الأساتذة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة ابن خلدون -تيارت-

إليكم جميعا أهدي هذا العمل

شكر وعرفان

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم ﴾

سورة: إبراهيم، الآية: 07

الحمد لمن يسر من الأمر عسيره، فأبلج من نور علمه لطالبي العلم نوره، وأعان كل طالب علم لشد أزره وإنجاز عمله، ذلل كل مركب صعب ومهبط وعر وفجوة مظلمة.

أبدأ بأقواهم لي سندا ودعما أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد بن معمر الذي كان نعم الأستاذ المعلم والأب الموجه، صغّر ما عظم من أمور بسداد رأيه وسهولة إرشاده ويسر توضيحه، فثبت عندي جد الاجتهاد والإصرار على المحاولة والمثابرة للولوج في كل مسلك يوصل إلى الهدف قصر أم طال، وعر أم يسر مما أجلى عن نفسي الوهن وفرج عن قلبي الظلمة، فجزاه الله عني كل خير.

كما يطيب لي، وبقلب صادق وروح ملؤها الامتنان أتوجه بالشكر إلى كل أساتذتي إذ فتح كلهم لنا القلب قبل العقل، وقدموا لنا، من فيض أدبهم وغزير علمهم الكثير الكثير، ولا أجد ثناء عليهم وإليهم إلا رجاءً لمن لا تنفذ خزائنه ولا يرد طالبه سبحانه بأن يبقيهم لكل طالب علم، وعليهم وأخص بالذكر: الأستاذ الدكتور بن نعمية عبد المجيد، الأستاذ الدكتور بوباية عبد القادر، الأستاذ الدكتور بوركبة محمد والأستاذ العباسي محمد، الأستاذ ذويب عبد الرحمن، الأستاذ والي نور الدين، د.ماحي قندوز، د.رمضاني حسين وعرقوب سفيان وغيرهم كثر.

والشكر موصول للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بقراءة ومناقشة هذه الأطروحة، وهم كل من: أد. عبد المجيد بن نعمية، أد.حساني مختار، أد. الحمدي أحمد وأد. بلعربي خالد، والدكتور بحري أحمد.

وبعد سنين عديدة من عمل دون طائل على موضوع الدراسة أحسست كما لو أنني وصلت إلى طريق مسدود، وفقدت الأمل بكل شيء إلا رحمة ربي الذي يسر لي نخبة خيرة تدفقت كالحياة بينابيعها لتقاتل الجدب وأعادوا الأمل في نفسي، وأعانوني وأمدوني بما جادت به أياديهم الكريمة، وكان أقربهن: دة. دوبالي خديجة، أة. شرقي نوارة، أة. فتيحة تريكي، دة. حباش فاطمة ودة. لزغم فوزية، اللواتي أظهرن كرما وتعاونا جميلا وعبرن عن حب كبير للمساعدة مما أغراني في طلب العون أكثر من مرة فلم تخذلن أبدا.

وفي ظروف البحث وجمع المخطوطات أشد على أيدي العاملين في مكتباتنا، وأُكبر فيهم حرصهم على تقديم خدماتهم على أفضل ما يمكن، بدءا بالمكتبة الوطنية الحامة قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية في المغرب، ولاسيما كل من: أ.بوعزة خلفوني وأ.محمد شفيق، والسيد مدير المكتبة العامة لخزانة المحفوظات بتطوان أ.يعيش ميمون، ومسؤول المخطوطات بالخزانة الحسنية بالقصر الملكي(الرباط)، والسيد مسؤول قسم الأطاريح والمذكرات بدار الحديث الحسنية بالرباط...لجميعهم أتقدم بعظيم الشكر ووافر الامتنان.

ومن الله التوفيق

المختصرات

هـ = هجري		تـ = توفي أو متوفى
ط = الطبعة		تح= تحقيق
د.ت.ن = دون تاريخ نشر		تع = تعليق
د.م.ن = دون مكان نشر		تص = تصحيح
د = دراسة		تر = ترجمة
تق = تقديم		ص = صفحة
ق = قسم		و = ورقة
مر = مراجعة		P : page
ص ص = صفحات		Ed: édition الناشر
ض = ضبط		A: année السنة
ع= عدد		Ibid:المرجع نفسه
ج = جزء		Op.cit: المرجع السابق

مقدمة

لقد شغلت مسألة تطور الحياة العلمية تفكير الحكام المسلمين في مختلف البلدان الإسلامية ما ساهم في ازدهار الحضارة الإسلامية، واتساع قاعدتها لتشمل شتى المجالات، والصورة هذه نجدها في منطقة المغرب الإسلامي، رغم ضعف الذي عرفته دوله في بعض الأحيان لكنه لم يحل أمام نمو العلوم وازدهارها، فاستمرت مواهب العلماء وجهودهم تثري عالم الثقافة والمعرفة في شتى العلوم المعرفية نقلية كانت أم عقلية، فظلت دورة الثقافة سائرة دون توقف رغم ما أصابها من وهن وضعف وركود. وهذا أمر لابد منه، في مسألة ديمومة الازدهار الحضاري لأي أمة من الأمم.

فلولا جهود العلماء والفقهاء والأدباء لما استمرت عجلة الحضارة في الدوران، ولما تقدمت الأمم وازدهرت، فهؤلاء هم المحرك الأساسي لعجلة الحياة الثقافية والفكرية في مختلف الأزمنة والأمكنة خاصة في فترة التاريخ الإسلامي الوسيط أين عرفت الحضارة الإسلامية أوج ازدهارها بالأخص في بلاد المغرب الأوسط. ولذا علينا أن نتذكر أن الدراسة التاريخية للأعلام تفرض علينا معرفة نتاجهم، والكشف عن مناهجهم الفكرية، وبيان قدراتهم وإمكانياتهم التي تعكسها مواهبهم وتظهر أسرار عبقريتهم في إطار الحقل العلمي الذي نشطوا فيه، مع بيان الأحداث التي أحاطت بهم والظروف والمتغيرات التي رافقت حياتهم مع إظهار الأثر الذي تركوه في زمانهم ومن بعدهم.

وبما أن صرح الحضارة الإسلامية قام على أكتاف هؤلاء العلماء –في شتى ميادين العلم والمعرفة– باتت الأمة الإسلامية مدينة لهم ولإسهاماتهم الفكرية والعلمية. وإن نظرة على مصنفات كتب التراجم والسير تدل على الجهد الكبير الذي بذلوه في مختلف مناطق المغرب الإسلامي، خاصة المغرب الأوسط وتحديدا تلمسان حاضرة الدولة الزيانية، التي أنجبت العديد من البيوتات العلمية التي أسهمت بجهدها الواسع في حقول المعرفة، وزودت الثقافة الإسلامية بنتاج عقول أبنائها، فخرجت العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء والقضاة والمعلمين الذين أثروا الحياة الفكرية فنقلوا علوم معلميهم لطلبتهم، ويعد بيت المرازقة واحدا من أبرز البيوتات العلمية في تلمسان الزيانية.

ومن بين أفاضل علماء هذا البيت الكبير ورجالاته اخترت أبرزهم علماً، وأكثرهم تصنيفاً، ليكون موضوع دراستنا، وهو ابن مرزوق الحفيد أحد أكابر علماء العصر الوسيط في المغرب الإسلامي ككل، وقد لا نبالغ إذا قلنا أنه فاق بمصنفاته وعلمه أكثر مصنفي عصره، وكان

ذا طبع موهوب وأدب مكسوب لم تتوفر مزاياه لغيره، رغم الانحسار السياسي والفوضى التي ضربت أغلب المؤسسات العامة للدولة الزيانية في عصره.

ولقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة بروز العديد من العلماء في شتى المجالات المعرفية، فما الفرق بينهم وبين عالمنا ابن مرزوق الحفيد التلمساني؟ وما أثر المؤهلات العلمية والفكرية التي تمتع بها على الحياة الثقافية والعلمية في منطقة المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة، وما مدى مساهمته في ديمومة حالة الازدهار الحضاري خلال فترة حياته ؟

وهل نبوغه وإبداعه راجع لكونه سليل بيت علمي مرموق أم راجع لفطنته وعلمه وتواضعه ؟ وما أهمية إنتاجه الفكري والمعرفي في منطقة المغرب الإسلامي؟ وما مميزات عصره السياسية والاجتماعية والثقافية ؟ وهل تأثر بها أو أثر عليها ؟ وما مدى مساهمته في الإشعاع الحضاري الذي شهدته منطقة المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين من خلال مؤلفاته التي وضعها، والجديد الذي قدمه لنا ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة جاءت فكرة هذا العمل، الموسوم بـ: "**ابن مرزوق الحفيد التلمساني وآثاره (766–842هـ/1364–1438م)**"، وهي محاولة للإحاطة بمسيرته الذاتية والعلمية، ولم المتفرق من الروايات التاريخية والأخبار عن شخصه، وجمع القدر الأكبر من كتبه المحقق منها وغير المحقق، وذلك لكي نتمكن من استكمال الصورة العلمية لواحد من كبار علماء المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط الإسلامي في الحاضرة تلمسان.

أما عن الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع، فهي متعددة، ولعل من أهمها عدم وجود دراسة مستقلة عن ابن مرزوق الحفيد، فالغالب على الدراسات الأكاديمية التي أنجزت حوله تتحدث عنه مع بقية علماء المرازقة، رغم وجود كتاب للحسن الصويني "ابن مرزوق الحفيد حياته وفكره" والذي صدر سنة 2008م بالمملكة المغربية، من خلال عنوانه يظهر وكأنه يتناول سيرة عالمنا الذاتية ودراسة لآثاره العلمية، ولكن في الحقيقة الكتاب ما هو إلا كتيب تحدث فيه صاحبه عن عصر وسيرة الحفيد في القسم الأول من الكتاب، أما القسم الثاني خصصه للحديث عن الفتوى تعريفها، شروطها وخصائصها عامة ثم خصص بقية القسم الثاني من مؤلفه للحديث عن منهج ابن مرزوق الحفيد في الفتوى ومنهجه في الاستنباط، وتناول نموذجا عن بعض نوازله لتوضيح

ذلك ولم يتناول قط آثاره بل أشار إليها فقط، وكتابه في الأصل هو جزء من رسالة قدمها سنة 1994/1993م لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية تخصص فقه وأصول.

والسبب الثاني لاختيار الموضوع يرتبط بالمناخ السياسي الذي عاصره ابن مرزوق الحفيد، فعلى الرغم مما شهده عصره من اضطراب وفوضى سياسية، ولكننا نجد أن حالة الإبداع والرقي كانت قائمة ومستمرة، وهذا بحد ذاته مسألة تحتاج الوقوف عندها، فالمتعارف عليه أن الدول تتراجع حضاريا في ظل الفوضى وعدم الاستقرار السياسي وهذا ما لم نشهده مع الدولة الزيانية. وهنا –حسب رأينا– تكمن عظمة الجهد الذي قدمه عالمنا وبقية علماء عصره، في ديمومة المسيرة العلمية للحاضرة تلمسان على الرغم من حالة الضعف الذي كانت عليها. وبالتالي كان ابن مرزوق الحفيد يشكل رمزية كبيرة في أهمية الدور الذي كان لتلمسان في مسيرة الحضارة الإسلامية، فالموسوعية التي كان عليها تعكس تنوع المنابع العلمية، وهذا يعني أن تلمسان كانت مدينة عالمية إذ غدت قبلة للعلماء والطلبة.

وأخيرا كان اختيارنا للموضوع هو استكمال ما تم البدء به في مرحلة الماجستير، إذ اخترنا في تلك المرحلة دراسة مخطوط نسب زغبة ومنتهى أصلهم لأبي الحسن على بن محمد القرشي التلمساني، وهذا المخطوط دفع بنا للاهتمام بعلماء المغرب الأوسط ولاسيما علماء تلمسان، فهي مدينة ولادة للعلماء، ومن هنا جاءت فكرة اختيار واحد من علمائها، وجعله محور دراستنا، فلم أجد أفضل من ابن مرزوق الحفيد التلمساني ليكون محور أطروحتنا.

وقبل أن يخرج العمل على الصورة التي هو عليها الآن، واجهتنا جملة من الصعوبات من أهمها:

صعوبة جمع مؤلفات ابن مرزوق الحفيد المخطوطة والتي تناثرت هنا وهناك، فكان لزاما علينا السفر لأجل تصويرها، ولسنوات عديدة قمنا بجولات نحو العديد من المكتبات في الجزائر شملت العديد من ولاياته، وكذا زيارة المملكة المغربية بتنوع مكتباتها وخزاناتها –أين توجد جل مخطوطاته–، من أجل نسخ هذا المخطوط أو ذاك، ودائما ما كنا نصطدم ببعض الإجراءات التي كانت تحبط من عزيمتنا.

عدم تمكننا من الحصول على البعض من مخطوطاته كشرحه لحاشية التفتزاني إذ كان في قسم الترميم، وكذا وجود بعض مخطوطاته في المكتبات ولكن للأسف الشديد أرقام فهرستها وهمية، فعند طلبها نتفاجئ بمخطوط آخر.

موسوعية ابن مرزوق الحفيد، فهو يذكر في كل مجال من مجالات العلم النقلي والعقلي، فقد كان عالما متشعب العلوم والمعارف، وهذا ما تطلب منا الإلمام بالعديد من العلوم النقلية والعقلية، وجل مؤلفاته هي في العلوم النقلية، أما ما ألفه في التاريخ والمناقب فهو مفقود، ككتابيه "مناقب شيخه المصمودي" و"النور البدري في التعريف بالمقري" وهو ترجمة للجد المقري.

أما المنهج المتبع فهو المنهج السردي التحليلي القائم على دراسة وتحليل ومقارنة ما جاء في أمهات الكتب التي تخص الموضوع ومناقشتها، كما حاولنا الخروج ببعض الاستنتاجات والملاحظات.

ولانجاز هذا العمل كان لزاماً علينا الوقوف على مصادره المخطوطة والمطبوعة التي تتعلق بموضوع البحث من كتب السير، الطبقات، التراجم، التاريخ والرحلات وغيرها، فضلا على الدراسات الحديثة التي حاول أصحابها دراسة مؤلفاته وقراءة شخصيته وتبيان دوره العلمي والمعرفي وفق ما توفر لديهم من معطيات، ومن أهم المصادر المخطوطة إفادة لبحثنا:

تأتي على رأسها مؤلفات ابن مرزوق الحفيد المخطوطة، فقد اعتمدت عليها لانجاز البحث لأنها جزء من موضوع الدراسة، وفي الوقت ذاته فهي مصدره أيضاً. ومن خلال هذه الأهمية المزدوجة فرضت علينا أن نعمل جهد الإمكان للوصول إلى أكبر عدد منها من أجل الاستفادة منها، وتوظيفها بالشكل الذي يمكننا من تقديم عمل مقبول، ومن بين المؤلفات التي وجدت طريقها إلى صفحات الدراسة، نذكر منها:

1- كتاب "**المُقْنعُ الشافي**" ونسخته الثانية بالمغرب بعنوان "**قصائد في علم الفلما**"، والكتاب عبارة عن أرجوزة في علم المقيات، الذي يعتبر واحدا من العلوم المهمة في حياة المجتمعات لأنها مرتبطة بالحياة اليومية وبالعبادات، وبرز في التقليد العلمي الإسلامي في عهد حكم دولة المماليك في مصر والشام في القرن السادس الهجري (ق 13م). وهو من العلوم الجديدة في الساحة العلمية العربية الإسلامية، يرتبط بما تتطلبه ممارسة الشعائر الدينية من معارف فلكية، وبالأخص

حساب رؤية الهلال ووسائل مراقبته بالمشاهدة والرصد، وتمييز أوقات الصلاة ومعرفة اتجاه القبلة. ومن هنا تظهر أهمية هذا الكتاب الذي وضعه الحفيد، كما أنه تحدث فيه عن الأشهر وخصائصها وطبيعة مناخها، ونوع الأشجار والزروع التي تغرس فيها وعن تساقط الأمطار وموعدها، مثلا ذكر بأن شهر يناير يعرف تساقطا كثيفا للأنواء –الأمطار– وأنه أنسب شهر لغراسة شجر اللوز والزيتون والرمان، والأمطار التي تسقط في شهر فبراير هي الأنفع للزرع، والزيتون يجمع في شهر أكتوبر. إذن فالمخطوط تناول علم النبات أيضا، وهذا العلم لم يلق الاهتمام إلا على يد العلماء العرب المسلمين وجعلوا منه علما مخصوصا لذاته مع القرنيين السادس والسابع الهجريين، وابن مرزوق الحفيد لم يشذ عن هذه القاعدة.

2- كتاب "**نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل**" وهو كتاب شرح فيه كتاب الفوائد في المنطق لأبي عبد الله محمد بن يامون الخُونجي، وفرغ الحفيد من تأليفه بتلمسان سنة 804هـ/1401م، واختصره فيما بعد في أرجوزة سماها "**كنز الأماني والأمل في نظم ما للخُونجي من جمل**"، وحاول ابن مرزوق الحفيد من خلال هذين الكتابين تبيان أهمية علم المنطق معتمدا في ذلك على شرح شيخيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني وأبي عثمان سعيد بن محمد العقباني، وحاول الجمع بينهما باختصار، وهذا لا يعني أنه لم يبد رأيه بل العكس علق وشرح وأضاف بعض الفوائد والتقريرات أيضا.

3- كتاب "**حديقة العلوم الفاخرة**"، وهو أرجوزة في علم الحديث اختصر فيها أرجوزته الكبرى "**روضة الإعلام بأنواع الحديث السامِ**" التي ألفها في تلمسان سنة 821هـ/1418م، فالمنظومتان في أنواع علم الحديث الذي يعتبر واحدا من أجل العلوم الشرعية، فهو يحقق نسبة الأقوال والأفعال إلى أصحابها، ويدرس أحوال الرواة ورواياتهم للحديث، كما يختص بدراسة أنواع الحديث من صحيح وحسن وضعيف، وهو ما حاول ابن مرزوق الحفيد شرحه وتوضيحه في كتابيه.

كما اعتمدت على مخطوطات أخرى تخدم البحث، منها:

1- **إجازة ابن مرزوق لابن غازي المكناسي** لابن مرزوق الكفيف(ت: 901هـ/1495م)، أهمية هذا المخطوط ترجع لكونه كتب من قبل ابن عالمنا وهو ابنه ابن مرزوق الكفيف، فقد تحدث

فيه عن العلوم التي أخذها عن والده ابن مرزوق الحفيد، وعن بعض الإجازات التي تحصل عليها والده والأسانيد التي أخذها عنه.

2- مخطوط "**طبقات المالكية**" لمؤلف مجهول، تحدث فيه صاحبه عن أشهر علماء المالكية فذكر بإيجاز نبذة عن حياتهم وأهم مؤلفاتهم في المذهب، كأبي إسحاق الغرناطي والقباب وابن سحنون وزيد عبد الرحمن الوغليسي وعلماء أسرة المرازقة الخطيب والحفيد والكفيف.

ومن بين أهم المصادر المطبوعة التي اعتمدت عليها:

1- كتاب "**المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح**"، وهو من الكتب المهمة التي ألفها ابن مرزوق الحفيد، ويعد مصدرا ثريا له قيمته العلمية الكبيرة والمتمثلة في مدى اهتمام المغاربة بصحيح البخاري، ودراستهم له رواية ودراية، شرحا وحفظا وتحفيظا وتدريسا. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب المزدوجة من كونه شرحا لأحد أهم مصادر الحديث الشريف وهو صحيح البخاري، وقد قامت حفيظة بلميهوب بدراسته وتحقيقه ونشر من قبل دار التنوير سنة 2011م، وهو عمل جاد.

2- كتاب "**إظهار صدق المودة في شرح البردة**" من المؤلفات التي تركت أثرا إبداعيا في ميدان اللغة وعلومها، وهو كتاب وضعه ليشارح من خلاله بردة البوصيري، وهي القصيدة التي حظيت بقسط وافر من الشروحات والتقريظات، إذ ألهمت الكثير. ولكن شرح ابن مرزوق فرض نفسه، من حيث الأهمية والقيمة الإبداعية على الساحة العلمية والثقافية في منطقة المغرب الإسلامي لما احتواه من مادة علمية قيمة وكاملة، رسمت معيارا واضحا في هذا المجال خلال القرن التاسع الهجري (15م). ومن هنا، جاء هذا الشرح ليأخذ بعدا موسوعيا ضخما لا يوازيه شرح آخر حسبما أرى ويرى جمع من الباحثين، فقد جمع ابن مرزوق الحفيد من خلاله بين الموروث الثقافي والحضاري والجديد الذي وصل إليه العلم في تلك الفترة. ونظرا لأهمية هذا المصنف، حظي باهتمام المحققين، فحقق مرتين الأولى من قبل محمد فلاق أطروحة دكتوراه بجامعة تيزي وز، والثانية من قبل الطاهر بن علي تقدم بها كأطروحة دكتوراه في الأدب في جامعة تلمسان عام 2014م.

3- كتاب "**المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**"، وهو كتاب يمثل إضافة إلى التراث اللغوي العربي عموما والمغاربي تحديدا، فهو ملم ومستوعب لأبواب علم

العروض والقافية، وغني بأقوال العلماء وآرائهم، كثير الشواهد، شرح من خلاله ابن مرزوق الحفيد أهم دقائق العلمين بأسلوب علمي سهل، قوي العبارة، قريب الدلالة، كثير الإفادة. وقامت بتحقيقه ودراسته صباح مجاهدي، وهو أطروحة دكتوراه علوم مقدمة بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة أحمد بن بلة في وهران عام 2015م، وهي واحدة من التحقيقات الجيدة للكتاب.

4- كتاب "**المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل**"، وهو كتاب كبير عكف على تحقيقه عدد من الباحثين، وهم جيلالي عشير، محمد بوزيان ومالك كرشوش. والكتاب واحد من أهم مصادر الفقه المالكي، إذ يعد ابن مرزوق الحفيد في مقدمة شراح مختصر الخليل من حيث الأهمية، فقد نجح في تصحيح نسبة أقوال خليل ومسائله إلى أئمة المذهب المعتمدين. وتم نشر الكتاب من قبل مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث بالجزائر عام 1433هـ/2012م.

كما تم الاعتماد على عدد من كتب التراجم التي وثقت لكل من ابن مرزوق الحفيد وبقية الشخصيات التي ذكرت في الدراسة، ومن بين الكتب التي جرى الاعتماد عليها -هي مرتبة حسب أول من ترجم له-، أذكر:

1- كتاب "**المجمع المؤسس للمعجم المفهرس**" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852هـ/1448م)، يعتبر أول من ترجم لعالمنا، فهو قرينه لقيه سنة 819هـ وتدبج معه وأخذا عن بعضهما البعض، ورغم أن الترجمة التي وضعها لعالمنا كانت قصيرة لكنها مهمة فقد انفرد فيها بذكر بعض شيوخه، كما أنه ترجم له عرضا في كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" عندما ترجم لجده ابن مرزوق الخطيب.

2- كتاب "**الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع**" للحافظ شمس الدين السخاوي (ت:902هـ/1496م)، وهو تلميذ ابن حجر العسقلاني، استدرك في كتابه على شيخه ابن حجر العسقلاني ما فاته في كتابه الدرر الكامنة، وترجم فيه للعلماء والقضاة والفقهاء والأدباء والشعراء والخلفاء رجالا ونساء.ويمتاز كتابه بقوة فائقة في التصوير ليس لها نظير في كتب التراجم الإسلامية، ويمتاز بالأخص بروحه النقدية اللاذعة والتي أعابه الكثيرين عليها من كتاب زمانه ومن بعده ويعد

واحدا من بين أهم كتب التراجم التي ترجمت لابن مرزوق الحفيد،إذ كانت ترجمته وافية مطولة، ذكر فيها الكثير من شيوخه وتآليفه.

3- "**ثبت البلوي**" للبلوي أحمد بن جعفر الوادي آشي (ت: 938هـ/1531م)، يعتبر كتابه أيضا مهما إذ ترجم فيه لابن مرزوق الحفيد وذكر الكثير عن رواياته ومؤلفاته، وأهمية معلومات البلوي ترجع لكونه تلميذ ابنه ابن مرزوق الكفيف.

4- كتاب "**توشيح الديباج وحلية الابتهاج**" لبدر الدين القرافي المالكي المصري (ت:1008هـ/1599م)، وهذا الكتاب هو ذيل لكتاب الديباج المذهب فى طبقات المالكية لابن فرحون، ومن ثم فهو مشارك "للديباج" فى جوانبه الثقافية والفكرية التى ساقها صاحب الديباج فى ثنايا تراجمه، ويختلف عنه فى الجوانب التى أضيفت هنا من حيث استيفاء المادة وإضافة من جاء بعد ابن فرحون من أعيان المذهب حتى عصر المؤلف. أما فيما يخص ترجمته للحفيد فقد نقل ما جاء في الضوء اللامع للسخاوي.

5- كتابي أبي العباس أحمد بابا التنبكتي (ت:1036هـ/1627م): الكتاب الأول "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**"، وهذا الكتاب عبارة عن تراجم لعلماء المالكية وفقائها، وقد صنفه المؤلف ذيلا على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لصاحبه ابن فرحون اليعمري، والكتاب تضمن تراجم متنوعة لعلماء المالكية وفقائها، والتي تجاوزت الثمانمائة شخص، ممن لم يأت على ذكرهم ابن فرحون. وعلى الرغم من الاعتماد عليه بشكل كبير في البحث عبر التعريف بشخصية ابن مرزوق ونتاجاته، والعديد من الشخصيات التي ورد ذكرها في البحث، وممن ساهموا في إثراء الحياة الفكرية والثقافية في المغرب الاسلامي. والكتاب عبارة عن نقول حرفية من دون أن نجد للمؤلف تعليق على ما ينقله من معلومات، فضلا عن ضبابية ذكر مصدر المعلومات التي يكتبها. وفيما يخص ترجمته للحفيد فقد نقل ما ذكره السخاوي وأضاف عليه بعض ما ذكره تلاميذ الحفيد كأبي الفرج الشريف وأبي زيد الثعالبي. أما كتابه الثاني "**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**" الذي تضمن تراجم للعديد من علماء المالكية في مختلف البلاد الإسلامية مغربها ومشرقها ووصولا إلى الأندلس. وهو اختصار وتهذيب لكتابه السابق نيل الابتهاج الذي لم يضمّنه سوى 630 ترجمة، وقد تم الاعتماد على الكتابين معا في العمل.

6- كتاب "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب**" لأبي العباس أحمد بن محمد المغربي التلمساني (ت:1041هـ/1631م) من كتب التراجم التي اعتمدنا عليها في البحث، إن كان ترجمته لابن مرزوق أو بقية العلماء والفقهاء، فقد تضمن تراجم عدة لأدباء وفقهاء وعلماء من المغرب والأندلس.

7- كتاب "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لابن مريم أبي عبد الله محمد المليتي التلمساني (توفي قبل 1028هـ/1618م)، والكتاب هو عبارة عن تراجم لعلماء وصالحين ولدوا أو عاشوا في مدينة تلمسان بلغ عددهم 182 عالما. وهذا الكتاب مهم جدا لمن يريد التوثيق في تاريخ تلمسان الحضاري والثقافي في الفترة الزيانية، فهو عمل على التعريف بالعلماء والأدباء الذين عاشوا في الفترة المذكورة مع بيان جوانب مهمة من سيرهم عبر ذكر أسماء شيوخهم وتلاميذهم ونتاجاتهم المتنوعة. ومن خلال ذكر ذلك يمكننا التعرف على العديد من معالم مدينة تلمسان وضواحيها مثل: المساجد، المدارس، والأحياء والأبواب وغيرها من المعالم. ومن هنا يمكننا القول من أن هذا الكتاب مهم جدا.

1- كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، عبد الرحمن ابن خلدون (ت:808هـ/1406م)، ومن خلاله تعرفنا على الأوضاع التي كانت سائدة في الفترة التي عاشها ابن مرزوق الحفيد، لاسيما وأن صاحب الكتاب الذي طغت شهرته الآفاق، كان ملما وعارفا بخبايا الأمور في منطقة المغرب الإسلامي.

2- كتاب "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ليحيى بن خلدون (ت:780هـ/1378م)، والذي يعتبر من بين الكتب الهامة التي وثقت تاريخ الأسرة الزيانية، ومن خلال ذلك أشار إلى العديد من الأمور التي تتعلق في الجانب الثقافي والعلمي الذي شهدته مدينة تلمسان في ذلك التاريخ. ولكننا نلاحظ ان يحي ابن خلدون كثيرا ما كان يحابي السلاطين الزيانيين في الكثير من الأمور، وهو لأمر طبيعي كونه شغل مناصب إدارية.

3- كتاب "**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان من كتاب نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" للتنسي محمد بن عبد الله (ت:889هـ/1484م)، ويشتمل الكتاب على

معلومات تخص ملك الزيانيين، واهتمامات هؤلاء الملوك في العناية بامور الدولة والرعية، وتم الاعتماد عليه فيما يخص الفصل الأول من الدراسة، والذي يتعلق بعصر شيخنا ابن مرزوق الحفيد.

واستكمالا لما استخدمناه من مصادر متنوعة، تمت الاستعانة بمجموعة من المراجع، هي عديدة وكثيرة وتنوعت في تخصصها، ولعل من أهمها:

1- كتاب "**تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي وهو في جزأين، اختص الأول في دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، في حين ركز الثاني على دراسة الأوضاع الثقافية للدولة الزيانية، وهو من الدراسات التاريخية المهمة التي لا يمكن تجاهلها عند دراسة تاريخ المغرب الأوسط، ولاسيما الفترة الزيانية وتحديدا مدينة تلمسان، إذ يقدم المؤلف كما من المعلومات الجيدة التي استقاها من مصادر ومراجع متنوعة، مما يجعل كل باحث في تاريخ مدينة تلمسان يعتمد عليه لفهم العديد من الأمور.

2- كتاب "**الحياة الثقافية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**"، لنصر الدين بن داود الذي استفدنا منه في تغطية بعض المجالات التي تتعلق بتاريخ أسرة المرازقة التي ينتمي إليها شيخنا ابن مرزوق الحفيد.

3- كتاب "**النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/12-15م)**"، لمحمد فتحة في معالجة القضايا التي تتعلق بالجانب الفقهي حسب ما كان من اهتمام لابن مرزوق الحفيد في هذا المجال.

ومن الدراسات الأكاديمية التي اعتمدنا عليها في الدراسة نذكر:

1- بحث دبلوم الدراسات المعمقة "**فهرسة ابن هلال السجلماسي**"، وهي الفهرسة التي وضعها ابن هلال إبراهيم بن أحمد السجلماسي، وقام بتحقيقه وتقديمه محمد بن الأزرق، وهو البحث الذي تقدم به إلى مؤسسة دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا في الرباط. وأهمية هذه الدراسة تكمن في أنها تحقيق لواحد من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في الدراسة،

وذلك كون ابن هلال السجلماسي كان أحد طلبة ابن مرزوق الكفيف، فصل لنا كثيرا من الأمور التي تخص برنامج تدريس ابن مرزوق الحفيد ومصادره المتنوعة.

2- رسالة الماجستير "**المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)**" التي تقدمت بها عمارة فاطمة الزهراء، قدمت لنا معلومات مفصلة عن نظام التعليم الذي كان سائد في الحاضرة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، فأفادتنا كثيرا في الجانب التعليمي.

3- أطروحة الدكتوراه "**الحياة الثقافية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**" لبن داود نصر الدين، والتي قدمها إلى قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية في جامعة تلمسان، وهذه الدراسة مهمة جدا لأنها تغطى الإطار الزماني الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد، خاصة ما يتعلق بالحياة الثقافية.

وتم إنزال العمل في مقدمة ومدخل وبابين، وتضمنا البابان معا ستة فصول، تم تخصيص كل واحد منها لجانب معين فضلا عن الخاتمة.

المدخل هو تقديم صورة مختصره عن البيئة التي كانت سائدة في الفترة التي كانت تسبق، وتتداخل مع فترة البحث بشكل مختصر ومركز. ومن هنا، جاء الاختيار أن يكون عنوانه "**مدينة تلمسان حاضرة دولة ومدينة علم**"، وهذا الاختيار جاء من منطلق أن المدينة كان لها دور فاعل في الحياة السياسية في منطقة المغرب الأوسط، وأهميتها جاءت من تنافس دول المنطقة في السيطرة عليها، وفي ذات الوقت كانت تلمسان مدينة علم وعلماء، وهذا جعلها لفترات طويلة قبلة للعلماء والطلبة ومنارا يضيء درب من ابتغى طريق العلم.

الباب الأول والذي حمل عنوان: "**عصر ابن مروق الحفيد وحياته**"، والذي تضمن ثلاث فصول، خصص كل واحد منها لدراسة جزئية معينة. ففي الفصل الأول المعنون بـ "**عصر ابن مرزوق الحفيد**" تم من خلاله تسليط الضوء على العصر الذي عاش فيه ابن مرزوق الحفيد، والذي كان في كنف الدولة الزيانية، وفي مدينة تلمسان تحديدا. حيث قضى أغلب سنوات حياته فيها، وعايش الكثير من التقلبات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المنطقة بعمومها، وبلاد المغرب الأوسط تحديدا. وبناء عليه، كان من الضروري أن ندرس عصره لكي تتكامل أمامنا صورة الظروف التي أثرت في حياته من بعيد أو من قريب.

خصص المبحث الأول للحديث عن "**الحياة السياسية**"، ومن خلاله جرى التركيز على الظروف السياسية التي سادت منطقة المغرب الأوسط والتقلبات والمتغيرات التي كانت تتسارع في بعض الأحيان، فاستعرضنا جوانب من سير السلاطين الزيانيين الذين عاصرهم ابن مرزوق الحفيد.

وفي المبحث الثاني من الفصل تناولنا "**الحياة الاجتماعية**" وكيف أنها تأثرت بما كان يحدث من متغيرات سياسية، وهذا ما ساهم في تحديد ملامح البنية الاجتماعية في منطقة المغرب الأوسط عموما، ومدينة تلمسان على وجه التحديد. كما حاولنا تسليط الضوء على الدور الذي لعبته القبائل العربية والبربرية في الحياة السياسية وتغيير وجه الحياة الاجتماعية في العديد من مناطق المغرب الأوسط، فضلا عن بيان دور المهاجرين من أهل الأندلس والإضافات التي قدموها، إلى جانب بيان العلاقة بين المجتمع والسلطة التي كانت سائدة.

أما المبحث الثالث فقد ركز على تتبع "**الحياة الثقافية والعلمية**"، ولما كانت الثقافة والعلم من الركائز التي تحدد قيمة أي مجتمع ومدى قدرته على الارتقاء، حاولت تسليط الضوء على الحياة الثقافية والعلمية التي شهدها عصر ابن مرزوق الحفيد، لاسيما وأن الحاضرة تلمسان شهدت خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين نهضة علمية كبيرة، كان من حسن حظ عالمنا أنه كان شاهدا عليها ومعايشا لها ومشاركا فيها، كما بينا مدى اهتمام الملوك الزيانيين بالعلم والعلماء، وحاولنا مناقشة إشكالية الارتقاء والجنوح ما بين النهوض الحضاري والتراجع السياسي الذي تزامن مع عصر ابن مرزوق الحفيد. ولا يمكن تجاهل دور التعليم بطبيعة الحال ونحن نتكلم عن الحياة الثقافية والعلمية، فحاولنا بيان الدور الذي ساهم فيه التعليم بأنواعه في الارتقاء الحضاري الذي شهدته الحاضرة تلمسان وبيان أثره.

أما **الفصل الثاني** من الباب الأول عنون بـ: "**سيرة ابن مرزوق الحفيد الذاتية**"، الهدف منه دراسة جوانب من حياته الشخصية، التي اتصفت بالغموض لقلة المادة العلمية حول هذه الفترة من حياته، ولا ندري هل نعتبر هذا قصورا من عالمنا أم هو تواضع حال دون اهتمامه في توثيق مثل هذه الجوانب من حياته الشخصية.

روكز المبحث الأول من الفصل الثاني: "**المولد والنشأة**" على تتبع مختلف جوانب حياته الشخصية في ضوء ما توفر لنا من المعلومات في ثنايا المصادر التي ترجمت له. فتناولنا ونشأته اسمه وميلاده وعائلته، وحاولنا إبراز أهم صفاته وأخلاقه وصولا إلى وفاته –رحمه الله تعالى–.

بينما تناول المبحث الثاني المعنون بـ: "**أسرته وأعلامها**" بعض الجوانب من تاريخ الأسرة المرزوقية من حيث أصولها واستقرارها في تلمسان وتأسيسها لواحد من أهم البيوتات العلمية في تلمسان والمغرب الأوسط في العصر الوسيط. كما جرت الإشارة الى أهم أعلامه وبيان مساهماتهم العلمية والثقافية.

وحاولنا من خلال المبحث الثالث المعنون بـ: "**وظائفه**" بيان الوظائف التي شغلها، وهذه المسألة كانت واحدة من أهم الأمور التي شكلت غموضا ولغزا لنا، فكل من كتب عن شيخنا، وعليه اجتهدنا بقدر ما نستطيع، ومن خلال بعض الإشارات في تحديد الوظائف التي شغلها خلال فترة حياته، إن كانت في تلمسان وهي في غالبها، وإن كانت خارجها وهي في أقصرها. كما حاولنا باجتهاد أيضا مناقشة مسألة ابتعاده عن الوظائف الرسمية التي شكلت ميزة خالف بها الكثير من علماء عصره.

في حين درست في المبحث الرابع: "**مكانته العلمية**"، وما لقب به من ألقاب تدل على مكانته العلمية وعلو مكانته في عيون معاصريه والمترجمين لحياته، كما جرى استعراض لبعض من آراء العلماء المعاصرين له التي وصفوه فيها بالعلم والتفوق، إلى جانب عرض بعض مما كتبه طلبته فيه معترفين بفضل علمه ورفعة أخلاقه، كما استعرضنا بعضا مما وصفه به المترجمين لحياته من خلال كتاب التراجم المعاصرة له وآراء معاصرينا من الكتاب.

أما **الفصل الثالث** من الباب الأول عنوناه بـ: "**المسيرة العلمية لابن مرزوق الحفيد**" فقد ركزنا من خلاله على دراسة البعض من جوانب الحياة العلمية لابن مرزوق الحفيد، حيث تطرقنا إلى نظرته لطلب العلم ومغزى ذلك في حياته، فضلا عن إبراز التنوع والتعدد في ميادين العلم، وهو يعني في ذات الوقت تنوعا بمصادره من العلماء والمشايخ، كما حاولنا بيان تأثيره على طلبته.

ففي المبحث الأول: "**مصادر ثقافته**" تحدثنا فيه عن أهمية طلب العلم والرحلة ليس في حياة ابن مرزوق الحفيد، وإنما في حياة كل إنسان، فالعلم هو البوابة التي تمكن أي إنسان من اختراق الآفاق بنظرة ثاقبة قادرة على فهم واستيعاب الغاية التي خلق من أجلها، فضلا عن الحديث عن أهمية الرحلة العلمية في اكتمال شخصية ابن مرزوق الحفيد، إذ تمكن من خلالها من استكمال شروط الدراية والإلمام بما أراد وسعى إليه من العلوم.

بينما ركز المبحث الثاني: "**شيوخه**" على تتبع البعض من المشايخ والعلماء الذين تتلمذ على يدهم، ومن خلال استعراضنا لهؤلاء نجد التنوع الكمي والنوعي، فهم يمثلون قمما علمية سعى عالمنا إلى الوصول إليها والأخذ عنها.

بينما تطرقنا في المبحث الثالث إلى: "**برنامج تدريسه وأبرز تلاميذته**"، إلى إبراز الشخصية العلمية لابن مرزوق الحفيد، والمقدرة الفكرية والطريق المثلى في إيصال الغايات المرجوة من الدراسة إلى طلبته، وهذا الأمر جعل إقبالهم عليه كبير وتفضيلهم إياه على غيره من الشيوخ.

أما الباب الثاني من الأطروحة فعنوناه بـ: "**دراسة في آثار ابن مرزوق الحفيد المخطوطة والمطبوعة**"، والذي تضمن ثلاث فصول، تناولنا في الفصل الرابع "**مجالات التأليف لدى ابن مرزوق الحفيد**" حاولنا من خلاله الحديث عن شخصية ابن مرزوق العلمية من خلال تفكيكها إلى محاور عدة، بغية فهم الآلية التي تمكن من خلالها من البروز والتميز في مجاله عبر كتابات ذات مستوى عال من الإتقان.

ففي المبحث الأول: "**مجالات التأليف عند ابن مرزوق الحفيد**" حولنا بيان الاتجاهات العلمية والأدبية التي ألف، فيها وبيان أهميتها وتأثيرها في المحيط العلمي والأدبي، من خلال اختيار بعض النماذج العلمية الخاصة به.

أما المبحث الثاني: "**منهجه في الكتابة**"، إذ لا يختلف اثنان على أهمية المنهج في شخصية أي كاتب، ولم يشذ ابن مرزوق عن هذا المسار، إذ كان له منهج تمكن من خلاله من أن يطرق أبواب علوم كثيرة.

في حين ركزنا في المبحث الثالث: **"الأسلوب والبناء اللغوي لابن مرزوق"**، حيث أبرز الخصائص التي يتمتع بها ابن مرزوق في التحكم باللغة التي يكتب بها، فهو يتمتع بمقدرة أدبية ولغوية كبيرة فضلا عن حس علمي عال، واطلاع واسع على مناهج من سبقوه وعاصروه في مضمار التأليف، ومن خلال تجربة السنين تمكن من اختطاط منهج علمي ثابت غدا علامة مسجلة باسمه ميزت كتاباته عن غيره.

أما المبحث الرابع المعنون بـ: **"مصادره في التأليف"** تتبع مصادر المعلومات التي اعتمد عليها في وضع مؤلفاته، إذ يعلم الجميع أن المصادر الجيدة والرصينة واحدة من ركائز الكتابة الناجحة، وسنلاحظ من خلال هذا المبحث، كيف تمكن من استحضار أمهات المؤلفات وهو يكتب في أي مجال من المجالات العلمية التي أتقنها.

في حين ركزنا الفصل الخامس على **"آثار ابن مرزوق الحفيد المخطوطة"**، حاولنا من خلال هذا الفصل تتبع ما قدمه من إنتاج علمي، وتحديدا المخطوط منه، وهو الذي امتاز بتنوع وتشعب مجالات اهتمامه. فحاولنا من خلاله تقديم قراءات نقدية، قدر الإمكان، لهذه الكتب – التي تمكنا من الحصول عليها- من حيث: أهميتها في مجالات تأليفها، وعن دوافع التأليف والمنهجية المتبعة في كتابتها، وأسلوب كتابته، والمصادر المستخدمة في انجازها، والجديد الذي قدمه الكتاب والقيمة العلمية له.

ففي المبحث الأول **"كتابات ابن مرزوق الحفيد في العلوم النقلية"** قمنا فيه بدراسة ثلاث مخطوطات له في هذا المجال أولها **"أرجوزة المقنع الشافي"**، وهي من الأعمال المخطوطة ذات الطابع العلمي التي تصب في علم الميقات، الذي يوظف في صالح العبادات، ومن هنا يعتبر هذا الكتاب مهما وذو قيمة علمية وفائدة في إطار تسهيل عملية ضبط المواقيت في العبادات، وكما أنه وظفه في مجال الزراعة والفلاحة وذكر النباتات وتاريخ زرعها حسب أشهر السنة. أما المخطوطين الآخرين فهما في "علم المنطق"، فالجهد العلمي الذي قدمه ابن مرزوق في هذا المجال يستحق الإشادة والتوقف عنده كثيرا، إذ يعلم الجميع أن هذا العلم أسال حبر الكثيرين، وشهد من السجالات والجدال بين العلماء المسلمين في المشرق والمغرب الإسلاميين الكثير من الوقت. ومن هنا، كان خوض ابن مرزوق الحفيد في العلم يعتبر من الدلائل الواضحة على بلوغه مرحلة متقدمة من النبوغ والكمال واستقلال الشخصية العلمية التي بقت خارج سياقات الجمود

والتخوف والمحظور، فقدم لنا عملين في المنطق هما نهاية الأمل في شرح الجمل ومختصره أرجوزة كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل.

وتناول المبحث الثاني "**كتاب الفرائض في شرح لفرائض خليل**" لواحد من أهم الأعمال التي أنجزها ابن مرزوق الحفيد، والشرح الذي قدمه في علم الفرائض يعتبر مهما، والأهمية تأتي من أهمية الكتاب المشروح، وهو مختصر كتاب خليل في الفرائض، وقيمة الشرح الذي قدمه الحفيد، يصب في قيمة التجربة التي تشير إلى الثقة التي كان يتمتع بها شيخنا الجليل في الولوج في المجالات الصعبة والهامة، ولاسيما وأن كتاب مختصر خليل يعتبر عماد من أعمدة الفقه المالكي، وشرح ابن مرزوق له دلالة على القدرات الفقهية التي كان يتمتع بها، وهو ما جعل شرحه يحظى بالاهتمام والتقدير من جانب العلماء الآخرين لاسيما وأن علم الفرائض يدخل في صميم الحياة اليومية للمسلمين من أتباع المذهب المالكي.

بينما تناول المبحث الثالث "**مؤلفاته في علم الحديث**" دراسة لمخطوطتين في هذا المجال الأولى وهي "**كتاب الحديقة**" وهو هي منظومة اختصر فيها أرجوزته "روضة الإعلام في علم أنواع الحديث السام" والتي اختصر فيها منظومة ابن صلاح وأضاف لها شرح ألفيتي العراقي وابن ليون. أما المخطوط الثاني في هذا العلم فهو "**نور اليقين في شرح حديث أولياء الله الصالحين**"، ولا يخرج هذا الكتاب عن هذا المسار الذي اختطه لنفسه عالمنا في الاهتمام بعلوم الحديث، وتكريس كل إمكانياته من أجل المساهمة في نشره وتوعية المسلمين به. ومن خلال هذا المبحث سنحاول تقديم قراءة للمخطوط، وبيان أهم ما فيه من مكامن البيان وشمائل ومحاسن العلم، وسنحاول إبراز السلوك المنهجي الذي اختطه لنفسه في شرح هذا الحديث المهم. وأخيراً تناول المبحث الرابع كتاب "**مؤلفاته في علم العقيدة**" درسنا فيه كتابه "**عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد**"، والكتاب من عنوانه يظهر اهتمام ابن مرزوق الحفيد بموضوعات العقيدة ومخرجاتها، وأهمية هذا الكتاب تتضح في تأثر علماء آخرين بأسلوبه، وهذا التميز في ظل الاهتمام الذي أبداه العلماء بهذا العلم.

أما الفصل السادس "**نماذج من كتابات ابن مرزوق الحفيد المطبوعة**"، جمعنا فيها ما تمكنا من الحصول عليه من مخطوطاته التي حققت سواء نشرت أم لا، وقسمناه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول "**تآليف ابن مرزوق الفقهية**"، تطرقت فيه إلى مؤلفاته الفقهية، ومؤلفاته

هذه تنوعت ما بين شروح لفقهاء سبقوه، أو إجابات على بعض الأسئلة الفقهية التي وردت إليه وغيرها من الأعمال، وهي كتاب "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل"، كتاب "اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"، كتاب "إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم"، كتاب "الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي"، والكتابين الأخيرين هما عبارة عن نازلتين وردتا إليه فأجاب عنهما في شرح مطول فاق العشرين ورقة لذا يصنفان ضمن الكتب أيضا.

خصص المبحث الثاني لـ **"مؤلفاته اللغوية"** قدم لنا ابن مرزوق الحفيد العديد من المؤلفات اللغوية المهمة، فترك لنا مجال علمي العروض والقافية، وذلك من خلال كتابه "المفاتيح المرزوقية في حل واستخراج خبايا الخزرجية" الذي شرح فيه نظم "الرامزة الشافية في علم العروض والقافية". كما ترك لنا شروحا للبردة أكبرها "إظهار صدق المودة في شرح البردة" والأصغر "تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة".

المبحث الثالث **"إسهامات ابن مرزوق في علم الحديث"** وهو من أكثر العلوم التي قدم لنا ابن مرزوق الحفيد فيها نتاجا علميا يستحق الاهتمام والمتابعة والثناء، ومنها ما هو محقق وإنما ما لم يحقق، والمحقق منها هو وكتاب "المتجر الربيح والمسعى الرجيح، والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح"، و"روضة الإعلام بعلم أنواع الحديث السام".

وفي الأخير أنهيت العمل بخاتمة ضمنتها أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها، كما ذيلت العمل بمجموعة من الملاحق.

وفي الختام، وبتوفيق من الله تعالى تم إنجاز الأطروحة مع الاعتراف التام أن فيها ما يحتاج إلى التصويب، ونسأل الله تعالى أن نوفق إلى تصويبه، وإني ألتمس من أساتذتي الكرام النقد والتوجيه الهادف، فإن تكرموا بذلك يستقيم ما اعوج منه ويصلح شأنه، وتكون توجيهاتهم وانتقاداتهم هادية لي في مستقبل أيامي في مجال البحث العلمي، وأختم حديثي بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ سورة البقرة، الآية 286.

مدخل

مدينة تلمسان

حاضرة دولة ومدينة علم

مدينة تلمسان[1] منذ أن غدت حاضرة للدولة الزيانية أخذت تنمو وتزدهر لترقى إلى مصاف أهم حواضر المغرب الإسلامي، أبهرت كل من زارها من الرحالة وطلبة العلم، مدينة تشرف السفراء والرسل بالحلول فيها، واستأنس اللاجئون بأهلها وسلطانها. تغذت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوحات الإسلامية، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي، ونما في أهلها التشبث بالإسلام وتعاليمه واحترام العلماء وتبجيلهم[2].

وعن عراقتها وامتدادها العميق في التاريخ الذي يعود إلى فترات قديمة، كتب بن معمر محمد واصفا عراقتها: "مدينة تلمسان تعود إلى العهد القديم حيث شملها تيار الفتح الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، على يد أبي المهاجر دينار (55-62هـ/674-681م) الذي يعود إليه الفضل في فتح المغرب الأوسط، فهو أول من وطئت خيله أرض هذا الإقليم، فتحولت منذ ذلك التاريخ إلى مدينة إسلامية واصطبغت فيها الحياة الثقافية بالصبغة الإسلامية أيضا"[3]. وما ذهب إليه بن معمر محمد، يقدم دلالة واضحة على البعد والصبغة الاسلامية التي حملتهما تلمسان منذ ذلك التاريخ والى وقتنا هذا.

ولقد أطنب الجغرافيون والكتاب في وصف تلمسان وبيان سحرها، وذكر روائعها، وتسابقوا في إبراز خصائصها الجمالية والعمرانية، فهذا العبدري في مصنفه الرحلة المغربية، يقول عنها: "مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها أسواق وأهلها ذوو ليانة ولا بأس بأخلاقهم"[4]. وأشار اليعقوبي بأنها كانت آهلة بالسكان، حين قال: "وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة"[5]. أما لسان الدين بن الخطيب

---

[1]- عن معنى تسمية تلمسان وبقية الأسماء التي أطلقت عليها، ينظر: المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**. تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، ج: 7، ص: 134. بلقراد محمد، "تلمسان". الجزائر، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، ص ص: 299-301.

[2]- حاجيات عبد الحميد، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان". الجزائر، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، ص: 136.

[3]- "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارات المرابطية". الجزائر، مجلة حولية المؤرخ، ع: 3-4، 2005، ص: 101.

[4]- العبدري محمد البلنسي، **الرحلة المغربية**. تق: سعد بوفلاقة، بونة، بونة للبحوث والدراسات، 2007، ص ص: 27-28.

[5]- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، **كتاب البلدان**. ليدن، مطبعة بريل، 1890، ص: 139.

فقد أشار إليها بوصف بديع يعكس مدى تأثيرها على شخصه، حين قال: "تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه، عبادها يدها وكهفها كفها وزنتها زيانها وعينها أعيانها، هواها المقصور بها فريد وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب فلا نحول فيها ولا شحوب، خزانة زرع ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع، ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رقاق رفاع إلا أنها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك، ومن أجل جمعها الصيد في جوف الفرا مغلوبة للأمرا، أهلها ليست عندهم الراحة إلا فيما قبضت عليه الراحة ولا فلاحة إلا لمن أقام رسم الفلاحة، ليس بها لسع العقارب إلا فيما بين الأقارب، ولا شطارة إلا فيمن ارتكب الخطارة"[1]. ومثل هذه الاشارات تقدم الدليل المادي على ان هذه المدينة لها في محيطها مكانه لايمكن تجاهله مهما حدث ويحدث لها

ونظرا لما كانت تتمتع به المدينة نالت صيتا كبيرا في بلاد المشرق الإسلامي، فأصبحت قبلة للنظار وأمنية الزوار، فوصفها القلقشندي قائلا: "وهي مدينة على سفح الجبل، ولها ثلاثة عشر بابا، وماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها، وفي خارجها أنهار وأشجار، ويستدير بقبليها وشرقها نهر يصب في بركة عظيمة من آثار الأول، ويسمع لوقعه فيها خرير على مسافة ثم يصب في نهر آخر بعد ما يمر على البساتين، ثم يصب في البحر، وعليه أرحاء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر، وبقعتها شريفة كثيرة المرافق، ولها حصون كثيرة وفرض عديدة"[2].

والمدينة ضاربة في القدم، وهو ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون في مصنفاتهم، حيث وصفها الإدريسي وغيره بأنها "مدينة أزلية"[3] –ما يجعل معرفة تاريخ تأسيسها صعبا– وأكد الحميري أيضا على قدمها، فقال: "ومدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت مملكة للأمم السالفة"[4]. ورجح حاجيات عبد الحميد أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى عهود

---

[1]– المقري، المصدر السابق، ج: 7، ص: 135.

[2]– القلقشندي أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915، ج: 5، ص: 150.

[3]– الإدريسي أو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.ن، مج: 1، ص: 248.

[4]– الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تح: إحسان حقي، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص: 135.

ما قبل التاريخ، وقدمها يتجلى في تعدد الأسماء التي أطلقت عليها عبر العصور، مما يطرح إشكالية تحديد موقعها، ويدعو إلى التساؤل عن احتمال تعدد المواقع خلال العصر القديم، ولاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار تعدد الفئات السكانية بربر، فينيقيين، رومان، وندال، بيزنطيين وأفارقة، وتعدد الديانات من وثنية ومسيحية وغير ذلك[1].

وحاول بعض الرحالة العرب المسلمين إعطائها صبغة دينية تاريخية، حين أشار القزويني إلى أنها المدينة[2] التي ذكرها الله تعالى في قصة الخضر وموسى، وكتب يقول: "فانطلقا حتى آتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا جدارا فيها يريد أن ينقض فأقامه. وقيل: أنه كان جداراً عاليا عريضا مائلا، فمسحه الخضر عليه السلام بيده فاستقام"[3]. وشكك ابن خلدون في هذه الرواية، حين كتب يقول: "فأمر بعيد عن التحصيل لأن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب، وبنو إسرائيل لم يبلغ ملكهم لإفريقية فضلا عما ورائها"[4]. وفي عهد المرابطين أصبحت تلمسان، لأول مرة في تاريخها جزءا من دولة مترامية الأطراف شملت الأندلس والمغربين الأقصى والأوسط، فانعقدت بين هذه الأقطار علاقات حضارية وثيقة، وتأثرت تلمسان بفنون الأندلس وثقافته، ورسخت منزلة المذهب المالكي بها، وهاجر إليها بعض من علماء الأندلس والمغرب الأقصى[5]. أما في عهد الموحدين فقد استمر نمو النشاط المعماري، وظلت تلمسان تحتل مكانة مرموقة كمقر للمغرب الأوسط وكمركز عام للتجارة والحياة الدينية والعلمية، وفي أيامهم تم تحصين تاجرارت، حيث شيدت أسوارها بدءا من سنة 566هـ/1171م وانتهى سنة

---

[1]- حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**. الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2011، ج: 2، ص ص: 200-201..

[2]- وردت القصة في الآية القرآنية: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. سورة الكهف، الآية: 77.

[3]- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت، دار صادر، د.ت.ن، ص: 172.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ض: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ج: 7، ص: 102.

[5]- من أبرز المعالم الحضارية التي تعكس التلاقح الحضاري والتأثير المزدوج بين مناطق المغرب الإسلامي والأندلس الطراز الذي جرى بناء جامع تلمسان في تاجرارت في عهد المرابطين الذي يظهر التشابه بين تصميم الجامع وجامع قرطبة. وتم إنجازه عام 530هـ/ 1136م في عهد الأمير علي بن يوسف بعد سنوات من البناء انطلاقا من عهد يوسف بن تاشفين سنة 475هـ/1082م. ينظر: السيد سالم عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص ص: 663-669.

581هـ/1185م عندما قامت ثورة بني غانية[1]، فكان لذلك الانجاز أثره الكبير في الحفاظ على أمن المدينة وصمودها في وجه الحصار المفروض عليها. وليس هذا فحسب، وانما وفر شروط استمرارية مسيرتها الحضارية[2].

ولكن العصر الذهبي لمدينة تلمسان، بدأ مع تأسيس الدولة الزيانية سنة 633هـ/1236م، ويعلق ابن خلدون على هذه المسألة بالقول: "نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب"[3]. وهكذا اهتم السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)[4] منذ اختيارها عاصمة لحكمه في جعلها مركزاً حضارياً يستقطب العلماء والفقهاء بما يعزز من مكانة دولته الناشئة، ولم تتوقف الحركة العلمية والفكرية فيها طيلة فترة حكمه التي شابتها الكثير من الحروب والصراعات مع دول الجوار، ويرجع سر ذلك إلى النزعة الفكرية والعلمية التي تميز بها السلطان يغمراسن في حياته[5]. وهذا ما رسخ أسس ومفاهيم سار عليها سلاطين الدولة الزيانية فيما بعد، والذي جعل من تلمسان عاصمة دولة بني زيان ومركز إشعاعهم الحضاري والفكري.

---

[1]- ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة البربرية، كان مستقرها الصحراء ما بين سجلماسة وأودغشت، وهي من بطون صنهاجة، وكان لها دور كبير في نشوء الدولة المرابطية. ودخل هؤلاء في صراع مع الموحدين وتمكنوا من التوسع في المغرب الأوسط انطلاقا من عام 580هـ/1184م عام سيطرتهم على بجاية ، إذ اجتاحوا مدن المغرب الأوسط ولم تتمكن من مقاومتها إلا مدينتي تلمسان وقسنطينة، لمتانة تحصيناتهما. ينظر: واعظ نويوة، **أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580-633هـ/1184-1235م**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والجغرافية، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2007/2006، ص: 35.

[2]- حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص ص: 204-205.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 105.

[4]- **يغمراسن بن زيان (603-681هـ/ 1206-1283م)**: هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولد سنة 603هـ/1206م، عرف عنه دهائه السياسي وشجاعته وهيبته في قومه، وبمكارم أخلاقه وإيثاره لذوي الفضل والعلم. اتخذ من تلمسان مركزا لحكمه، وجرت البيعة له في يوم 17 جمادي الآخرة سنة 637هـ/1239م ومات سنة 681هـ/1283م، وحكم لمدة 50 سنة و5 أشهر. ينظر: التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح وتع: محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم، 2001، ص ص:111-112. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**. الرباط، المطبعة الملكية، 1962، ص: 45.

[5]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**. الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2000، ج: 2: ، ص: 321.

من هنا، غدت تلمسان عاصمة دولة، ومقر سلاطين المغرب الأوسط، فاتسعت مساحتها، وكثر الوافدون إليها من حرفيين وتجار وكتاب وعلماء وأدباء وغيرهم، وفدوا إليها من مختلف مناطق المغرب الإسلامي والأندلس، واستمر نمو نشاطها التجاري والصناعي والمعماري، مما رسخ علاقاتها مع دول غرب أوروبا وبلاد السودان، وذلك بفضل ما تم عقده مع تلك الدول من اتفاقيات ومعاهدات[1]. وهو ما جعلها واحدة من أغنى وأرقى مدن المغرب الإسلامي حسب قول الحميري: "ولم يكن في بلاد المغرب بعد أغمات وفاس أكثر أهلها أموالا ولا أرقه حالا"[2].

ويعلق ابن خلدون على تنامي أهمية تلمسان، بالقول: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع الصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية، والله وارث الأرض ومن عليها"[3].

ولم تقتصر أهمية مدينة تلمسان على الجانب السياسي أو العلمي فحسب، وإنما كانت تلمسان تحتل أهمية اقتصادية كبيرة في منطقة المغرب الأوسط خاصة، والمغرب الإسلامي عامة. إذ يعتبر الاقتصاد عصب الحياة لأي مجتمع، وعامل أساسي لاستمراريته وتطوره ورقيه، لأنه يمثل تحدياً يومياً للإنسان، وهو يشمل في معناه تدبير المعاش وإنماء الثروة بكل أنواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الألوان واختلفت المظاهر من جميع أنواع المهن والصناعات، وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس من تباين المتاجر والأسواق، والدافع في ذلك هو رد الإعسار وجلب الرفاهية[4].

وكتب الحميري معلقا على أهميتها الاقتصادية تحديدا في الجانب التجاري، فيقول: "قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأقصى من واد يسمى المجمع وهو نصف الطريق من مدينة مليانة

---

[1]- حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص ص: 205-206.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص: 135.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 105.

[4]- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ الجزائر**. بيروت، دار مكتبة الحياة، ط2، 1965، ج: 2، ص: 231. حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية**. الجزائر، منشورات الحضارة، 2009، ج: 2، ص: 11.

إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرهما إلى مدينة سول، وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة واركلان (اورجلان) وغيرهما من بلاد الصحراء"[1]. وهذا الموقع جعل من تلمسان سوقا تجاريا كبيرا حسب قول جورج مارسيه (Goerges MARCAIS)، حين قال: "كان الطريق شمال – جنوب دائم الإرتياد لأن المواد الثمينة لبلاد السودان كانت تغذي الأسواق الواقعة عليه، خصوصا الذهب والعبيد وكذلك المصنوعات التي تأتي من أوروبا، عن طريق مؤاني وهران وهنين...إنه يكفي يومان من الإبحار للوصول من هنين إلى ألمرية الإسبانية التي تصنع الأقمشة الحريرية والخزف"[2].

ووقوعها عند ملتقى المسالك التجارية من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها، هو ما دفع بمارمول كاربخال (MARMOL Carvajal) للتأكيد على أهميتها الاقتصادية، حين قال: "إن مدينة تلمسان أصبحت في عهد أبي تاشفين من العظمة بمكان، حتى كانت تضم ستة عشر ألف دار مسكونة وتقام فيها أغنى تجارة إفريقيا"[3]. ولم يقتصر التميز الاقتصادي على الجانب التجاري، وإنما عرفت تلمسان أيضا بغناها الفلاحي[4]، والذي كان يعتبر مصدر اكتفائها الذاتي وجودة منتجاتها الفلاحية، وأشار الحسن الوزان إلى سهل تسالة القريب من تلمسان الذي اعتبره من أخصب أراضي المغرب الأوسط، وعد مردوده الإنتاجي على مستوى عال، فكتب قائلا: "سهل كبير يمتد على مسافة نحو عشرين ميلا، وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب، يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب"[5].

ومن الناحية الحضارية أصبح للمغرب الأوسط عامة وتلمسان تحديداً، دور فعال في بناء صرح التمدن الإسلامي في منطقة المغرب الإسلامي، وظهرت آيات هذه الحضارة في مجالات

---

[1]– الحميري، المصدر السابق، ص: 135.

[2]– مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى**. تر: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991، ص: 329.

[3]– مارمول كاربخال، **إفريقيا**. تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، دار نشر المعرفة، 1989م، ج: 2، ص: 302.

[4]– عن الأثر الاقتصادي للنشاط الفلاحي في الدولة الزيانية عموما وتلمسان تحديدا، ينظر: بشاري لطيفة، "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد". مجلة عصور الجديدة، ع: 7–8، خريف– شتاء 2013/2012، وهران، ص ص: 50–60.

[5]– الوزان الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**. تر: محمد حجي ومحمد الأخضري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج: 2، ص: 25.

مختلفة، مثل: الفنون الجميلة كالموسيقى التي بلغت درجة ممتازة بفضل التفاعل الواقع بتأثير الموسيقى الأندلسية، حيث كانت تلمسان نقطة انطلاقها إلى سائر مناطق المغرب الأوسط، كما شهد الفن المعماري تطورا هو الآخر، إذ أبدى السلاطين الزيانيين اهتماما كبيرا ببناء القصور ومختلف المعالم المعمارية كالجوامع والمدارس والأسوار وغيرها، وما قصر المشور مقر الحكم الزياني، إلا دليل واضح على هذا التطور، كما اهتموا أيضا بتشيد مراكز الترفيه والتنزه كالخزان الكبير الذي تم إنشائه في بستان بديع كان من أجمل منتزهات تلمسان، والملعب الكبير الذي كان يشهد سباقات الخيول[1].

ومن أبرز المنجزات المعمارية الزيانية –التي تندرج في إطار توسعة المدينة– اختطاط قصر المشور بالجهة الجنوبية منها في عهد يغمراسن بن زيان، بهدف جعله مقرا لسلاطين الدولة الزيانية وأمرائها، ويستقبلون فيه الحفلات الدينية وغيرها. وإلى جانب ذلك تشييد باب كشوطة في الجهة الغربية لأجل إحكام تحصين المدينة[2]، كان لها خمس أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهيب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة[3]. أما أسارها وصفها العبدري بقوله: "سورها أوثق الأسوار وأصحها"[4]، أما اليعقوبي فقال: "وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة"[5]، فيما وصفه الحميري "لها سور متقن الوثاق"[6]، وكل هذه الأوصاف الأوصاف تدل على متانة أسوار المدينة ودقة صنعها، وتشير بعض المصادر إلى أن عددها بلغ سبعة متوجة كأسنان المنجل[7]. وعرفت المدينة خلال الثلث الأول من القرن الثامن الهجري (14م) نهضة كبرى في شتى المجالات الحضارية، حيث تم تشييد العديد من القصور والمدارس

---

[1]– زكريا مفدي، "النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، الجزائر، ص ص: 163-194.

[2]– حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص ص: 205-206.

[3]– الحميري، المصدر السابق، ص: 135.

[4]– العبدري، المصدر السابق، ص: 28.

[5]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 139.

[6]– الحميري، المصدر السابق، ص: 135.

[7]– حميش عبد الحق، **سير أعلام تلمسان**. المسيلة، دار التوفيقية، ط1، 2011، ص: 36.

والمساجد وغيرها من المشاريع العمرانية مختلفة، وقد بلغت مساحتها آنذاك اتساعا كبيرا لم تعرفه من قبل، وكانت تلك الفترة أزهى عهد لتطورها العمراني[1].

أما الجانب الثقافي فقد عرف وثبة حاسمة، وعلى ما يبدو أن تلمسان أخذت دورها المتميز منذ بداية اختيارها حاضرة للدولة الزيانية على عهد يغمراسن بن زيان، وعلى ما يبدو أن النزعة العلمية والثقافية التي تميز بها يغمراسن الذي جرى على سياسة حرية البحث والتفكير، بحيث نجده يحب العلم ويقرب العلماء إلى مجالسه، ويكرم وفادتهم، ويغدق عليهم الأموال والهدايا[2]. وسار خلفاؤه على نهجه فعملوا على استقدام العلماء وتقريبهم، فقد كانوا على دراية بأهمية العلم للسلطان والدولة، فعملوا على تشجيع العلم والعلماء وهي ميزة عرف بها غالبية سلاطين الدولة وأمرائها[3].

هذا الاهتمام المتزايد من طرف أمراء بني زيان ساهم في جلب العلماء من مختلف مدن المغرب الأوسط ومن خارجه أيضا، ومن هؤلاء نذكر: أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي وأخوه أبو عبد الله محمد وهما من كبار علماء عصريهما[4]، والأخوين ابني الإمام[5]، اللذان قدما إلى تلمسان إثر الحصار الكبير، فعينهما السلطان أبو حمو موسى الأول (707-

---

[1]- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص: 207.

[2]- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681هـ/ 1235-1282م**. قسنطينة، الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011م، ص: 311.

[3]- قربان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**. الجزائر، جسور للنشر والتوزيع ، ط1، 2011م، ص: 72.

[4]- ابن خلدون أبو زكرياء يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**. الجزائر، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، ط1، 1903م، مج: 1، ص: 48.

[5]- ابني الامام لقب أطلق على كل من: أبي زيد عبد الرحمن (ت:741هـ/1340م) وأبي موسى عيسى (ت:749هـ/1348م) (ت:749هـ/1348م) اللذين اشتهرا بالإمامة، ونشئا في مدينة برشك بالساحل الغربي للمغرب الأوسط ما بين مدينتي شرشال وتنس، ثم ارتحلا بعد مقتل أبيهما نحو تونس أواخر القرن السابع الهجري، وطافا بمجامع العلم ونهلا عن كبار شيوخها ثم عادا إلى موطنهما، ثم حلا بتلمسان بضيافة أبي حمو موسى الأول، وأقام لهما مدرسة للتدريس اشتهرت باسميهما. وأخذ عنهما العديد من طلبة العلم من مختلف أصقاع المغرب الاسلامي. ينظر: الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص ص: 231-232.

718هـ/1307-1318م) للتدريس في المدرسة التي بناها في حي المطمر[1].كما توافد عليها أيضا الكثير من الأدباء والعلماء الأندلسيين كأبي بكر بن خطاب المرسي[2].

كما تدفق عليها علماء كثر من بجاية ساهموا بدورهم في نهضتها العلمية بشكل كبير، كأبي العباس أحمد بن موسى البجائي، صالح بن محمد بن موسى بن الشيخ محي الدين الحسني الزواوي ومنصور بن علي بن عبد الله الزواوي[3] وغيرهم من علماء بجاية[4]. وأخذ على هذه النخبة جماعة من رجال العلم، نبغوا في مختلف العلوم، ورحلوا لطلب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغربا، وذاع صيتهم في مختلف الأنحاء. ومن أشهرهم أبو عبد الله الآبلي التلمساني، والشاعر ابن خميس، وابن مرزوق الخطيب، وأبو عبد الله الشريف وسعيد العقباني وغيرهم[5]. وكان الآبلي من الذين أولوا عناية خاصة بعلوم الحكمة من منطق وفلسفة ورياضيات وفلك وتاريخ وغير ذلك، فساهم مساهمة كبرى في نشرها بتلمسان وفاس وتونس، فتكون على يده العديد من مشاهير العلماء، وقاموا بتطبيق ما تلقوه عنه من نظريات في شتى العلوم، فألف تلميذه ابن خلدون مقدمته الشهيرة، وسار على منوال تلك النظريات أبو عبد الله الشريف في التفسير والأصول، وسعيد العقباني في الاعتقاد، وقام غيرهم من العلماء بتأليف كتب هامة في الرياضيات وعلم الفلك، مما جعل الحياة العلمية بتلمسان ترقى إلى مستوى رفيع، يضاهي مستوى كبار أمصار المغرب الإسلامي، فبلغت خلال القرن الثامن الهجري (14م) أوج ازدهارها[6].

---

[1]- حاجيات عبد الحميد، **الحياة الفكرية بتلمسان**، ص: 138.

[2]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 2، ص: 324.

[3]- **منصور بن علي بن عبد الله الزواوي**: ولد في بجاية سنة 710هـ/1310م، وأخذ عن علمائها مثل المشدالي، وقال ابن مريم يصف قيمته العلمية: "له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية واطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام"، ينظر: ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد أبي احمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**. مر: محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ط1، 1908م، ص ص: 291-292.

[4]- بوباية عبد القادر، "الروابط العلمية بين بجاية وتلمسان من خلال كتاب البستان لابن مريم المديوني". مجلة عصور الجديدة، ع: 7-8، خريف– شتاء 2013/2012، وهران، ص ص: 96-99.

[5]- حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص: 207-208. فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 112-119.

[6]- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ج: 1، ص: 209.

وتجلت أهمية تلمسان أيضا في عيون زوارها من العلماء والأدباء في ما قالوا فيها من شعر يمتدحون فيها مكانتها وقيمتها الحضارية والعلمية، فهذا لسان الدين الخطيب، يقول فيها[1]:

حَيّــا تِلِمْسَـــانَ الحيـا فَرُبُوعُــهَا صدف يَجُــودُ بَــدْرُهُ المكنــونِ
مَا شِئتَ مِن فَضْلٍ عَمِيمٍ إِن سَقَى أَرْوَى وَمَــن لَيْــسَ بِالمَنُــــونِ
أَوْ شَئْتَ مَن دَيْــن إِذَا قدحَ الهوَى أورى وَدُنْيَــا لم تَكُــن بَالدونِ
ورد النسيـــم لهَا بِنَشْــرِ حَدِيقَــةٍ قَدْ أَزْهَــرتْ أَفْنَانُهَــا بفنــونِ
وَإِذَا حَبِيبَـــة أم يَحـــي أَنجَبَــتْ فَلَهَا الشُفُوفُ عَلَى عُيُونِ العيـنِ

إن الدور الحضاري الذي عرفته تلمسان لم يتوقف في كل الظروف، وإنما على العكس وقفت هذه المدينة تتحدى كل المخاطر التي أحاطت بها عبر إصرارها على لعب ذات الدور الذي اعتادت عليه منذ اختيارها حاضرة للزيانيين وعلى سبيل المثال، لم يتوقف هذا الدور الحضاري حتى في الوقت الذي استولى عليها بني مرين قرابة ربع قرن من الزمان، وكتب إبراهيم حركات معلقا على هذه الميزة بالقول: "غير أن استيلاء بني مرين على تلمسان لفترة تناهز ربع قرن خلال أيام أبي الحسن[2] وأبي عنان[3] لم تكن لتوقف ركب التقدم الفكري في هذا المركز الثقافي ذي الإشعاع النافذ، فقد استمر النشاط الديني والتعليمي حافلا مثلما كان في عهد بني عبد الواد، علما بأن التقهقر الفكري لا يرتبط حتما بالتدهور السياسي"[4].

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج: 6، ص: 427. ج: 7، ص: 129.

[2]- **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (731-752هـ/1330-1351م): ولد في صفر 697هـ/1296م، وبويع بالحكم في الدولة المرينية بعد أبيه في 25 ذي العقدة 731هـ/1330م، حكم لمدة 20 سنة ثم انقلب عليه ابنه أبو عنان وبويع بالحكم بدلا منه. مات في 27 ربيع الاول 752هـ/1351م وعمره 60سنة. ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص: 25-26.

[3]- **المتوكل على الله فارس بن علي عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (749-759هـ/1348-1357م): ويكنى أبا عنان، ولد في المدينة البيضاء في 12 ربيع الأول 729هـ/1328م، كان فارسا حسن الثقافة، وفقيها يناظر العلماء، وله معرفة بالفقه والمنطق وأصول الدين، ودراية باللغة العربية والخط والحساب، حافظ للقرآن. وبويع الحكم سنة 749هـ/1348م، ومات سنة 759هـ/1357م. ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 27-29.

[4]- حركات إبراهيم، "الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، الجزائر، ص: ص: 185.

وهكذا، كانت تلمسان بفضل جهود سلاطين بني زيان مركزا ثقافيا هاما، وبلد إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الإسلامي الثقافية، إذ نبغ بها أجيال من العلماء حملوا مشعل العلم من جيل لآخر، ويعلق عبدلي لخضر على هذه المسألة بالقول: "اهتم الزيانيون منذ أن استقر سلطانهم في المغرب الأوسط على نشر العلم والثقافة، وكان عهدهم الذي دام أكثر من ثلاثة قرون من أعظم عصور تاريخ المغرب الأوسط فازدهرت الحياة الثقافية في عهدهم"[1]. وفي بيان أهمية تلمسان الثقافية كتب المقري يقول: "وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط، ويكفيها افتخاراً دفن ولي الله سيدي أبي مدين بها"[2]. كما تميزت مدينة تلمسان بظاهرة البيوتات[3] العلمية التي ذاع صيتها في بلاد المغرب الأوسط وخارجه أيضا، وعرف رجالاتها بالعلم والثقافة والتأثير الروحي أيضا، ومنها: أسرة ابني الإمام، وأسرة المقري والعقباني[4] والمرازقة. ومن الطبيعي أن يأثر ذلك على باقي مدن المغرب الأوسط التي شهدت هي الأخرى ظهور بيوتات علمية ذاع صيتها، منها: أسرة آل قنفذ وآل باديس في قسنطينة، وأسرة المشدالي وأسرة المنجلاتي في بجاية[5]، وغيرها من الأسر العلمية التي تركت أثرها على الحياة العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد.

---

[1]- عبدلي لخضر، **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (633–962هـ/ 1236–1554م)**. د.م.ن، دار الأوطان، ط: 1، 2011، ص: 452.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج: 7، ص: 136.

[3]- عرف ابن خلدون البيوتات من أنها: "أن يعد الرجل في أبائه أشرافا مذكورين يتكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة وشرفهم بخلالهم". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**. ض: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص: 137.

[4]- من أشعر علمائها سعيد العقباني وقاسم العقباني (ت:845هـ/1445م)، ومحمد بن أحمد بن قاسم العقباني (ت:871هـ/1466م). ينظر: بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995، ج: 2، ص: 11.

[5]- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**. بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1998، ج: 1، ص: 45.

ومن هنا غدت مدينة تلمسان حاضرة دولة ومدينة علم، وهي التي أنشد فيها أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثَّغرِي[1] متغنيا بما وصلت إليه من رقي وتطور، حين قال[2]:

تَـاهَتْ تِلِــمْسَانُ بِدَوْلَتِــهِ عَلَى ... كُلِّ البِـلاَدِ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الجَـلِي
رَاقَتْ مَحَاسِنُـــهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَــا ... فَحَـلاَ بِهَا شِــعْرِي وَطَــابَ تَغَـزُّلِي
عَــرِّجْ بِمُنْعَرَجَاتِ بَابِ جِيَادِهَــا ... وَافْـتَحْ بِهِ بَــابَ الرَّجَــاءِ المُقْفَـلِ
وَاغْــدُ إِلَى العُبَّــادِ مِنْــهَا غُدْوَةٌ ... تُصْبِحُ هُمُومُ النَّفْـسِ عَنْكَ بِمَعْزَلِ
وَضَرِيــحُ تَاجِ العَارِفِينَ شُعَيْبِهــا ... زُرْهُ هُنَــاكَ فَحَبَّــذَا ذَاكَ الــوَلِي
فَمَــــزَارُهُ لِلدِّيـنِ وَالدُّنْيَا مَعــــاً ... تُمْحَى ذُنُوبُكَ أَوْ كُرُوبُكَ تَنْجَـلِي
وَبِكَهْفِهَا الضَّحَّاكِ قِفْ مُتَنَزِّهاً ... تَسْـرَحْ جُفُونُكَ فِي الجَمَالِ الأَجْمَلِ

وانطلاقا من هذه الأبيات الشعرية كانت تلمسان نابضة بالحياة رغم المحن التي تعرضت لها، والتي لم تحل بينها وبين حركيتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فرغم ما تعرضت له المدينة من مآسي وتخريب لم تفقد المدينة بريقها أو تستسلم لواقعها المحزن وإنما على العكس استعادت نشاطها، وفي هذا كتب الحسن الوزان يقول: "ولما ضعفت شوكة بني مرين، تكاثر سكان تلمسان من جديد حتى بلغ عدد دورها المسكونة ثلاثة عشر ألف دار"[3]. ومن خلال هذا القول، تتضح لنا الأهمية التي كانت تتمتع بها المدينة في العصر الوسيط الإسلامي.

خلاصة القول، أن مدينة تلمسان التي كانت حاضرة دولة ومدينة علم في العهد الزياني، فكانت مركزا للعلم والمعارف، وخزانا للعلماء والفقهاء، وهذا ما جعلها مزارا لطلبة العلم يرتحلون إليها من كل مكان، مما ساهم في نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية بالمنطقة، فغدت منارة للعلم، وقبلة لمن يريد الاستزادة والتعمق فيه. وهذا ما يجعلنا نستنتج من أن المكانة الرائدة التي

---

[1]- **أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني (ت:791هـ/1389م)**: الشهير بـ"الثغري"، وهو الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الأديب الأريب. تتلمذ على يد عدد من العلماء كالشريف التلمساني. كما كان شاعرا وأديبا وكاتبا ومن أشهر شعراء وبلغاء تلمسان المقدمين لدى سلاطينها، فكان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني، وله قصائد كثيرة نقل بعضها يحي بن خلدون في البغية والمقري في أزهار الرياض وابن عمار في رحلته نحلة الحبيب. توفي سنة 791هـ/1389م. ينظر: التبكتي أحمد بابا، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**. تح: محمد مطيع، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2000م، ص: 120. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**. بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م، ص: 92.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج: 7، ص: 126.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 19.

كانت تحتلها تلمسان تعود إلى النزعة العلمية والثقافية، التي تميز بها حكامها وأهلها، ورعايتهم للعلم والعلماء. وهذه الأجواء من الرقي والتطور الحضاري التي شهدتها المدينة، شكلت البيئة التي نشأ فيها ابن مرزوق الحفيد، والتي ساهمت بشكل كبير في البروز والتألق. وهي المدينة التي قال عنها البكري: "ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله"[1]. وبالرغم مما واجهت مدينة تلمسان من تحديات خارجية، إلا أن ذلك لم يقتلها نهائيا، وإنما على العكس أعطى لها دافعا من أجل النهوض من جديد للمساهمة في الرقي الحضاري لمنطقة المغرب الإسلامي. وهنا نستعين ببعض من أجمل ما وصف حال تلمسان وقدرتها على الصمود والتحدي، بالقول: "ازدهرت الحياة في تلمسان ولو قدر أن تجد برد الاستقرار، لكان الوضع بها غير ما هي عليه، فإنها كانت في مكان من الشمال الإفريقي جنى عليها، وهو وجودها في الوسط بين دولتين كان كل منهما يخشاها ويطمع فيها، وهما الدولة المرينية والدولة الحفصية، فكان التآمر من الجانبين حتى أدى الأمر في أوقات إلى الاشتداد على هذه الدولة وزوال سلطانها، وكلما خفت الوطأة من جانب اشتدت من آخر ولربما اجتمعت جيوش الدولتين عليها، وهذا الوضع المضطرب سلبها بعض فحولها مثل ابن مرزوق"[2].

[1]- البكري أبو عبيد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ب.ت.ن، ص: 77.

[2]- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، **الفارسية في تاريخ الدولة الحفصية**. تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص: 37.

الباب الأول

عصر ابن مرزوق الحفيد وحياته

الفصل الأول

عصر ابن مرزوق الحفيد

المبحث الأول: الحياة السياسية

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث: الحياة الفكرية والعلمية

تمهيد:

مثلما هو معروف أن الإنسان ينشأ ابن بيئته وبها يتأثر، فهي كانت ولا تزال تحدد الجماعة، ولكل بيئة جغرافيتها وخصائصها، والإنسان مضطر إلى نسج نمط الحياة الاجتماعية بما يتوافق وتلك البيئة، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون بقوله: "إن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع ولابد له من الاجتماع"[1]. وبناءا عليه البيئة، تطبع شخصية الإنسان وطريقة تفكيره، كما تؤثر في منهج حياته ونظرته للأمور ومتغيراتها. وهذا الأمر ينطبق على شخصية ابن مرزوق الحفيد، إذ أن العصر الذي عاش فيه والبيئة التي أقام فيها كان لهما التأثير الواضح في منهجه وكتاباته، ومعالجته للقضايا والأفكار التي كانت مطروحة في زمانه.

والعصر الذي عاش فيه عالمنا ابن مرزوق الحفيد التلمساني يدخل في عهد الدولة الزيانية التي حكمت قرابة ثلاثة قرون (639–962هـ/1242–1555م)، وتداول على حكمها خمسة وثلاثون حاكما، منهم من دامت فترة حكمه لأيام قصيرة[2]، ومنهم من امتد حكمهم لسنوات طوال[3]. ولقد تأثرت الدولة الزيانية[4] بطبيعة الصراع السياسي القائم بينها وبين الدول المجاورة لها، فمن الغرب كانت جارتها الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، ومن الشرق كانت جارتها الدولة الحفصية بإفريقية والمغرب الأدنى، فكثيرا ما كانت تقع تحت سيطرة إحداهما. ورغم هذا عرف عن بعض سلاطينها حبهم للعلم، فمنهم من كان أديباً، عالماً، حكيماً ومؤلفاً، وهذا الحال جعلهم أكثر حرصاً على تنمية وتطوير قدرات الدولة والارتقاء بها من خلال احتضان العلماء وتقديم كل المحفزات التي تبقيهم في تلمسان حاضرة الدولة. ومن هنا لا يمكننا نكران الدور الحضاري الذي قامت به الدولة الزيانية، والدور المحوري لحاضرتهم تلمسان في استقطاب علماء من المغرب

---

[1]– ابن خلدون، **المقدمة**، ض: خليل شحادة، مر:سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص:54.

[2]– لم يحكم أبو ثابت بن تاشفين إلا أربعين يوما وذلك سنة 795هـ/1393م.

[3]– تعتبر فترة حكم أبي حمو موسى الثاني واحدة من أطول فترات الحكم بين الملوك الزيانين وقد عاصره ابن مرزوق الحفيد.

[4]– عرفت الدولة الزيانية في مراحلها الأولى باسم "دولة بني عبد الواد" حتى سيطرة المرينيين على تلمسان سنة 737هـ/1337م، وبعدما استعادتها في عهد أبي حمو موسى الثاني عام 760هـ/1359م، عرفت باسم "الدولة الزيانية" نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن أول حكامها. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج:7، ص ص: 97-101.

الإسلامي ومن خارجه، وقدم هؤلاء كل ما حملوا من معارف وعلوم ساهمت في أن تكون حاضرة الدولة الزيانية نجماً يسطع في سماء حواضر العلم والمعرفة آنذاك.

ومن الطبيعي أن تنعكس مميزات العصر الذي نشأ فيه ابن مرزوق الحفيد عليه وعلى باقي معاصريه من العلماء، وقد عاصر مرحلة ازدهار وتقدم الدولة الزيانية عموما، وتلمسان تحديدا، وبداية مرحلة ضعفها وتراجع دورها السياسي وعليه، سيكون حديثنا عن عصره أكثر تركيزا على هذه الفترة من حياة الدولة وما شهدته من تطورات في مختلف المجالات، لاسيما السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والتي لها علاقة مباشرة بشخصية ابن مرزوق الحفيد العلمية. والتي قسمناها على ثلاث محاور، وهي:

أولاً: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الاجتماعية.

ثالثا: الحياة الثقافية والفكرية

المبحث الأول: الحياة السياسية

لقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة تحولات سياسية عميقة، والتي لا يمكننا تجاهلها لأهميتها وتأثيرها الفاعل. ويكفي أن نقول أن المنطقة شهدت انهيار دول وظهور أخرى، وهو ما يفرض علينا ضرورة دراسة الحياة السياسية وفهم وبيان تأثيرها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وبناءا عليه، كان لابد من دراسة عصر ابن مرزوق الحفيد سياسيا، والتي نعني به المؤثرات السياسية التي شهدتها الدولة الزيانية خلال الفترة التي عاشها، لذا سنقوم بتسليط الضوء على الظروف التي عرفها المغرب الأوسط والتي قد يكون لها تأثير مباشر أو غير مباشر على حياته.

زامن عصر ابن مرزوق الحفيد حكم ثلاثة عشر سلطانا زيانياً ابتداءاً بحكم السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م)[1] وانتهاءاً بحكم السلطان أبي العباس أحمد

[1] - **أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م)**: هو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان، ولد سنة 724هـ بغرناطة ونشأ فيها ثم عاد إلى تلمسان، ولجأ إلى تونس بعد احتلال السلطان أبي عنان المريني لمدينة تلمسان، وبعد الانسحاب المريني عن تلمسان تمكن أبو حمو من إعادة إحياء الدولة الزيانية من جديد سنة

العاقل (843-866هـ/1431-1462م)[1]، والذي تزامن ووفاة ابن مرزوق الحفيد مع نهاية حكمه عام 866هـ/1462م. وسنحاول من خلال هذا المبحث عرض أهم ما تميز به الوضع السياسي على عهد السلاطين الذين عاصروا ابن مرزوق الحفيد.

أولاً: معالم الصراع والتنافس بين دول المغرب الإسلامي:

تميز الأوضاع السياسية في منطقة المغرب الأوسط على عصر ابن مرزوق الحفيد المحصور ما بين النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري (ق 14-15م)، بأحداث جسام في بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خاصة، إذ عانت المنطقة من حالة عدم استقرار نتيجة استمرار تدخلات الدولتين المجاورتين -المرينية والحفصية- في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية، الأمر الذي أدى إلى حدوث حالة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار وفقدان الأمن بالمنطقة.

وحاول العديد من حكام الزيانيين الوقوف في وجه هذه التحديات الخارجية للدفاع عن دولتهم، ولكن الأحداث أظهرت أن لا حول ولا قوة لهم للحيلولة دون وقوع ذلك، فبقيت دولتهم غير قادرة على الوقوف في وجه المرينيين والحفصيين إلا في مناسبات قليلة، ويعلق فيلالي عبد العزيز على هذه المسألة بالقول: "كانت كل من الجارة الشرقية -يقصد الحفصيين- والجارة الغربية -يقصد المرينين- قد قامتا باجتياح الأراضي الزيانية عدة مرات واستطاعتا أن تحاصرا مدينة

760هـ/1359م، وعرف عنه إلى جانب كونه ملكا كان مهتما بالشعر والأدب، قتل سنة 791هـ/1388م وكان عمره 67 سنة. ينظر: يحي بن خلدون، **بغية الرواد**، ج: 2، ص: 40-94. ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص ص: 54-55. حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**. الجزائر، موفم للنشر، 2011، ص: 35.

[1]- **أبو العباس أحمد العاقل (843-866هـ/1431-1462م)**: هو أحمد بن أبي حمو موسى بن يوسف الزياني، المكنى بـ"العاقل"، اتصف بالصفات الحميدة والخصال الطيبة وشجع العلم والعلماء وقربهم إليه، ومنهم الولي الصالح أبو علي الحسن بن مخلوف. وضع على العرش الزياني من قبل السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز، حكم من 843-866هـ/1431-1462م، واتسم عهده بالهدوء النسبي والرخاء فازدهرت الحياة العلمية. وحاول استعادة هيبة الحكم الزياني والقضاء على الفوضى التي كانت سائدة،وفانتهى حكمه بنفيه إلى الأندلس بعد أن ثار عليه أبو ثابت محمد الزياني. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص ص: 227-254. الزركشي، المصدر السابق، ص: 257. عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**. وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص ص: 126-128.

تلمسان واحتلالها، ولاسيما من قبل بني مرين وتطيحا بعرش بني زيان في فترات زمنية محدودة ومتعاقبة"[1].

وشكل استمرار التهديدات الخارجية عائقا أمام استقرار الدولة الزيانية خاصة التدخل من جانب المرينيين. وقد أشار جورج مارسيه (Goerges MARCAIS) إلى الأهمية الجيوسياسية التي تتمتع بها منطقة المغرب الأوسط لا سيما ممتلكات الدولة الزيانية، هو الذي حفزهم دائما على احتلالها أحياناً أو إخضاعها حينا آخر، حيث يقول: "لأن مقاطعة بني عبد الواد كانت أهم موقع لانتشار القبائل المرينية في بلاد البربر -يقصد المغرب الإسلامي-، كانت الرغبة في الانتشار بالنسبة للمرينيين تراثا قديما طوال تاريخهم"[2].

لقد أشار ابن الأحمر إلى التراجع الذي أصاب الدولة الزيانية، واعتبر الفترة الممتدة من حكم أبي حمو موسى الثاني وحتى نهاية الحكم الزياني الدور الأخير لهذه الدولة، ومن ضمن هذا الدور عاش ابن مرزوق الحفيد، حيث كتب ابن الأحمر يقول: "هنا يدخل بنو زيان في الدور الأخير لأن قوتهم الأصلية كان أمرها قد وهن، وأصبح عمادهم من الآن فصاعدا على من يستطيعون الاعتماد عليهم من العرب الضاربين في نواحيهم أو من بني مرين، وأصبحت بلادهم نهبا موزعاً بين بني حفص حيناً وبني مرين في معظم الأحوال"[3].

ومن خلال رأي ابن الأحمر بخصوص الأدوار التي مر بها الحكم الزياني، نجد فيها تناقضا مع الرؤية السياسية التي طرحها ابن خلدون في خصوص أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار، حين يقول: "اعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الأخير، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار"[4]. وهنا يعلق محمد فاروق النبهان على ما ذهب إليه ابن خلدون، فكتب يقول:

---

[1]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 44.

[2]- مارسيه جورج، المرجع السابق، ص: 319.

[3]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 34.

[4]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص ص: 219-221.

"يرى ابن خلدون أن للدولة أعمارا كما للأشخاص، وأن المجد والحسب إنما هو في أربعة أباء من أربعة أجيال متلاحقة"[1].

ولكن ما يستدعي التوقف هنا، هل التقسيم الذي أشار إليه ابن الأحمر، والرأي الذي ذكره ابن خلدون بخصوص أطوار الدولة، يمكن أن ينطبق على الحالة التي مرت بها الدولة الزيانية. فالسؤال المطروح هنا: هل كانت الدولة الزيانية بالآلية أو التطور الذي يجعلنا نأخذ بمراحل هذا الأطوار؟. ووفق ما ذكرنا من قبل، فإننا إذا أخذنا بما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته من أن الفساد سيؤدي في النهاية إلى ضعف الملك وانهياره[2]، ولكننا حينما نقرأ في الحياة السياسية للدولة الزيانية لم نجد حسب ظننا أن حالات الضعف والصراع على السلطة مرتبط بفساد مؤسساتها بقدر ما هو مرتبط بتأثير العامل الخارجي[3]، ونعني هنا تدخل الدول المجاورة في شؤونها إما اعتداءاً أو تحريضاً.

والأغرب من هذا، أن ازدهار الدولة الزيانية –وإن لم يرتق إلى مصاف تغيير الخارطة السياسية بشكل جذري في منطقة المغرب الإسلامي ونمو قوتها– كان انعكاسا لحالة الضعف والتراجع الذي أصاب دول الجوار أيضاً. وتلخص هذا الوضع سهام بوعنيني، بالقول: "لقد كانت هذه التدخلات تشكل الشغل الشاغل لملوك بني زيان منذ عهد يغمراسن مؤسس دولتهم، فكانوا يبذلون معظم الجهود لرد عادية جيرانهم والدفاع عن حوزة بلادهم والاستعانة بالقبائل المجاورة لهم أو المتمركزة في منطقتهم للحد من الاعتداءات المتكررة. ولعل قلة الأنصار وضعف الدولة ساهما في

---

[1]– النبهان محمد فاروق، **الفكر الخلدوني من خلال المقدمة**. بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص: 201.

[2]– المرجع نفسه، ص: 202.

[3]– في بعض الأحيان نجد مبالغات في إظهار الصراع بين دول المغرب الإسلامي في الفترة التي نحن بصدد دراستها، لدرجة أن بعضهم يحاول إظهار حالة من توازن القوى بين الزيانيين والمرينيين على سبيل المثال. والذهاب إلى أن الدولة الزيانية كانت قادرة على الوقوف في وجه المد المريني. ولكن حقيقة الحال هو المصادفة وظروف الدولة المرينية والعناية الإلهية التي كانت تحول دون انهيار الحكم الزياني. ينظر: بكاي هوارية، **العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا**. مذكرة ماجستير غير منشورة في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص ص: 190-215.

اختفائها من خريطة المغرب الإسلامي عدة مرات"[1]. ومن خلال حديثنا عن حكام الدولة الزيانية في عصر ابن مرزوق ستتجلى ملامح هذه الرؤية التي طرحناها بخصوص تأثير العامل الخارجي في موت وإحياء الدولة الزيانية في المغرب الأوسط.

على العموم، حاول السلطان المريني أبو الحسن إعادة إحياء الدولة الموحدية التي حكمت المغرب الإسلامي والأندلس من قبل، إذ اتجه بأنظاره إلى الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، فقام بتجهيز حملة عسكرية لغزو تلمسان بحجة مضايقة أبي تاشفين بن حمو لأصهاره الحفصيين[2] في أرضهم، وفرض على تلمسان الحصار في 11 شوال 735هـ/جوان 1335م، وتمكن من دخولها في 28 رمضان 737هـ/2 ماي 1337م بعد حصار دام ثلاث سنوات، وقتل السلطان الزياني أبي تاشفين بن حمو وأبنائه عثمان ومسعود وأنهى حكمهم. واجتهد في التوسع في ممتلكات الدولة في المنطقة قدر الإمكان[3]. وحينما أمن حدوده مع المغرب الأوسط اتجه بأنظاره نحو بلاد الأندلس، ولكن مخططه هذا فشل على إثر الهزيمة التي تعرض لها في معركة طريف سنة 741هـ/1340م[4]. حينها اتجه بأنظاره نحو ما تبقى من منطقتي المغرب الأوسط وإفريقية والمغرب الأدنى، فجاء القرار بالزحف نحوهما سنة 748هـ/1347م، وتمكن من دخول مدن: بجاية، قسنطينة وعنابة، حتى دخل العاصمة تونس في 8 جمادي الآخرة 748هـ/1347م بعد مقتل أبي حفص عمر. ولكن سرعان ما انقلبت الأمور في غير صالحه بعد أن ثارت ضده قبائل بني سليم[5] بإفريقية وهزمته[6]. وعلق

---

[1]- بوعنيني سهام، **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009/2008، ص: 2.

[2]- حدثت حالة تصاهر بين الأسرة المرينية والأسرة الحفصية خلال هذه الفترة.

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص ص:145 -146. الناصري أبو العباس أحمد، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى – الدولة المرينية–**. تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج: 3، ص ص: 123-124.

[4]- **معركة طريف**: وقعت في الأول من جمادى الأولى سنة 741هـ/1340م، أين التقى الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن بجيش قشتالة بقيادة ألفونسو الحادي عشر، انتهت بهزيمة للمرينين، وكانت أولى علامات سقوط الأندلس. ينظر: الفيلالي عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**. القاهرة، شركة ناس للطباعة، ط1، 2006، ج: 3، ص ص: 157-161.

[5]- **بنو سليم**: قبيلة عربية بطن متسع من أوسع بطون مضر، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، من بطونها عصية وذكوان، كانت منازلهم قبل الهجرة الهلالية بنجد ثم ساروا إلى أفريقية، ومن بطونها التي بإفريقية قبائل زغب وذياب وهيب وعوف. **ينظر**: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص:141- 142.

[6]- الناصري، المرجع السابق، ج: 3، ص ص: 158-162.

جورج مارسيه على قصر نظر أبي الحسن في تعامله مع قبائل بني سليم، بالقول: "بعد غزو تونس -يقصد إفريقية- وجلاء بني حفص عنها، وجد أبو الحسن نفسه أمام عرب سليم الذين احتلوا الأرض واستقروا بها منذ ثلاثة قرون، واعتبروا أنفسهم أسيادا لها فأراد القضاء على مكانتهم ومعاملتهم كما يعامل العرب في مملكته، ولكنه اصطدم بتحالفهم وتعثر بأذيال الخيبة، وكانت هزيمة أبو الحسن في القيروان أول ضربة أصابت سلطان مملكة فاس -يقصد الدولة المرينية-"[1].

إن ما كان يقصده جورج مارسيه هو حالة الاختلال الذي أصاب الدولة المرينية، حينما تقاتل الأب والابن على الحكم فيها، إذ حينما وصلت الأخبار إلى أبي عنان تشير إلى موت أبيه أبو الحسن، أعلن نفسه سلطان على الدولة المرينية في سنة 749هـ/1348م. واستغل أمراء الأسرة الزيانية اضطراب الأوضاع فانتخبوا أبا سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان لإعادة إحياء الدولة من جديد[2].

وبعد أن استقرت الأوضاع لأبي عنان المريني في الدولة المرينية (749-759هـ/1348-1357م)، عمل على إعادة إحياء فكرة والده في إنشاء دولة جامعة لمنطقة المغرب الإسلامي، فكانت الخطوة الأولى هي استرجاع السيطرة على مدينة تلمسان وإنهاء الحكم الزياني فيها، ونتيجة تباين القوى بين الطرفين لم يجد أبو عنان صعوبة في إنهاء الحكم الزياني في تلمسان، لاسيما بعد الفشل العسكري الذي أصاب الجيش الزياني بقيادة أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن في ربيع الثاني سنة 753هـ/1352م لمنع المرينيين من الوصول إلى تلمسان، ومع مقتل أبي سعيد لم يبق أمام أبي ثابت شقيق أبي سعيد وشريكه في الحكم إلا الانسحاب نحو تلمسان، ونظرا لانعدام توازن القوى بين الطرفين قرر الانسحاب منها ومقاومة المرينيين انطلاق من مدينة الجزائر، ولكنه فشل، وقرر اللجوء[3] للسلطان الحفصي مع أفراد العائلة الزيانية[4].

---

[1]- مارسيه جورج، المرجع السابق، ص ص: 326-327.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص ص: 146-176. عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي**، ص ص: 95-96.

[3]- وفر شريكه في الحكم أخو السلطان أبو ثابت بمعية ابن أخيه أبي حمو الثاني باتجاه تونس، ولكن أثناء انتقالهما تمكن والي بجاية الذي كان مواليا للسلطان المريني من إلقاء القبض عليهما وأرسل أبا ثابت إلى أبي عنان، فيما أطلق سراح أبي حمو الذي واصل سيره حتى وصل تونس. ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص: 100-101.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص ص: 153-154. الناصري، المرجع السابق، ج: 3 ، ص: 182.

وعلى إثر هذا النجاح قرر أبو عنان القضاء على الدولة الحفصية التي تنافسه على النفوذ في منطقة المغرب الأوسط، وحينما انطلق في عمله العسكري تمكن من تحقيق نجاحات سريعة مكنته فيما بعد من دخول مدينة تونس سنة 758هـ/1356م، إلا أن مشروعه لم يتحقق في ضم كامل بلاد المغرب الإسلامي نتيجة اعتراض قادة جيشه على استمرارية الحملة، وذلك خوفا من أن تعاد مأساة تجربة حملة أبيه وما رافقها من خسائر بشرية ومادية كبيرة، وحينما شعر بخطر تآمر قادته العسكريين عليه قرر العودة إلى فاس وهناك قتل من قبل وزيره، مما أدخل الدولة المرينية في حالة من الاختلال مما ساعد في تهيئة الظروف والأسباب لإحياء الدولة الزيانية[1].

ثانياً: أبو حمو الثاني وإعادة إحياء الدولة الزيانية:

لقد أدى فشل مشروع السلطان المريني أبي عنان في توحيد المغرب الإسلامي[2]، مثلما فشل أبوه من قبل[3]، في تهيئة الظروف من جديد، لبعث ملك بني زيان بعد أن كاد يندثر، لاسيما وأن الأنباء وردت عن وفاة السلطان أبي عنان فارس وما شهدته الدولة المرينية من حالة اختلال، وتمكن أبو حمو موسى الثاني من أن يغتنم الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية ليحقق مبتغاه[4]. واستجمع قواه من جديد وعمل على استعادة دولة أجداده وآبائه وتمكن من استعادة مدينة تلمسان مركز حكم الزيانيين[5]، وبويع بالخلافة في غرة شهر ربيع الأول سنة 760هـ/1358م، وذلك بعد وفاة أبي عنان بقرابة الشهرين[6]، ليعيد إحياء الدولة الزيانية من

---

[1]- ابن خلدون، **بغية الرواد**، ج: 2، ص: 24. الناصري، المرجع السابق، ج: 3، ص ص: 202-203.

[2]- في إطار التنافس القائم بين دول المغرب الإسلامي كانت مسألة القضاء على الآخر ماثلة أمام أعين الحكام، ومن هنا لا يخرج مشروع السلطان المريني أبي الحسن ومن بعده ابنه أبي عنان عن هذا التوجه. ولكننا نلاحظ بالمحصلة أنها مشاريع فاشلة لا يمكنها تحقيق أهدافها، إذ مثلما فشل الأب كان مصير الابن الفشل أيضا، وفشلهما كان نكبة لدولتهما بما للكلمة من معنى. ينظر: بوزياني الدراجي، **أدباء وشعراء من تلمسان**. الجزائر، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2011، ج: 1، ص ص: 223-224.

[3]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 52.

[4]- حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية**، ج:1، ص: 15.

[5]- للتفاصيل حول جهوده في استعادة الحكم الزياني. ينظر: عبدلي لخضر، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، ص ص: 107-109.

[6]- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد**، ج: 2، ص: 24. ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر**، ص: 161.

جديد، ولم يترك[1] هذا الانجاز العظيم يمر من دون أن يخلده بقصيدة تدل على علو كعبه في ميدان الشعر، ومن بين ما جادت به قريحته:

فَلاَ صُلْحَ حَتَى تُضْرِمَ الحَرْبُ نَارَهَا وَتسَاقَط الأَبْـدَانُ تَحْـتَ الجَمَاجِمِ
وَتخلَــى مِنَ الأَعْدَاءِ دَارُ عُهدتِــهِ مَـعَ الآنِسَاتِ النَاعَمَـاتِ الكَرَائِمِ
دَخَلتُ تِلمسَـانَ التِي كُنتُ أَرتجِي كَمَا ذَكَرُوا فِي الجِفـرِ أَهلُ المِلاَحِمِ
فَخلصَت مَن غِصـانهَا دَارُ مُلكنَا وطَهَّرتُهَـــا مِن كُل بَـاغٍ وَجَازِمِ

وقد كان أبو حمو الثاني قبل تسلمه مقاليد الحكم في تلمسان لاجئاً في تونس في كنف السلطان أبي إسحاق إبراهيم أبي يحي الحفصي (751-770هـ/1350-1368م) ووزيره محمد بن تافراكين، وعلى الرغم من مراسلة السلطان أبي عنان للحفصين بطرد أبي حمو ومن تبعه، إلا أن الوزير أبى تسليمهم وجاهر بإجارتهم[2].

عرف أبو حمو موسى الثاني بخصاله الحميدة، والتي مكنته من إعادة إرساء قواعد الحكم وتثبيت أركان الدولة الزيانية، وأضاء نجوم سمائها بعد الانكدار[3]، ومن أجل إعادة هيبة الدولة عمل على محاربة القبائل المتمردة واستعادت السيطرة على مناطقها، وهذا ما جعل فترة حكمه تشهد الكثير من الأعمال العسكرية لتحقيق ذلك[4]. وبفضل ذكائه وحنكته تمكن من إدارة شؤون دولته، وحاول إبقاء علاقاته ودية مع الحفصيين من أجل مواجهة التهديد المريني المستمر له، وإلى جانب ذلك عمل جاهداً للمحافظة على حالة الاستقرار والهدوء في بلاده، إلا أن ذلك لم يتحقق بشكل دائم، وارتبط بسببين، أحدهما: ظهور منافس جديد وهو أبو زيان بن عثمان بن

---

[1]- يشير لخضر عبدلي إلى مكانة السلطان أبي حمو موسى الثاني بالقول: "يحتل مكانة خاصة في تاريخ دولة بني عبد الواد، لأنه أول من تولى السلطنة بعد زوالها من قبل السلطان أبي عنان المريني سنة 753هـ/1352م من بيت أبيه، ولم تخرج السلطة من بيته حتى سقطت دولة بني عبد الواد، فكان مؤسس الفرع الثاني الذي استمر بالحكم زهاء قرنين من الزمن". ينظر: **التاريخ السياسي**، ص: 105.

[2]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 180. حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص: 111-112.

[3]- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد**، ج: 2، ص: 38.

[4]- حساني مختار، المرجع السابق، ص: 14، 18.

أبي تاشفين الأول، وثانيهما: تذبذب ولاء القبائل العربية في المغرب الأوسط بين الولاء له والرفض، وقد ساهم هذين السببين في تعكير فترة حكمه حتى مقتله[1].

ولكن وعلى الرغم من انشغالاته السياسية والعسكرية، فقد عرف عنه اهتمامه بالعلوم النقلية والعقلية، وكتب الحافظ التنسي بهذا الخصوص قائلا: "وله من النثر الرائق والشعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك، ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الحلوك"[2]. ويشهد على ذلك ما تضمنته المصادر الموثقة للدولة الزيانية للكثير من أشعاره[3]، كما صنف كتابا في أدب السياسة لابنه ولي العهد أبي تاشفين سماه "نظم السلوك في سياسة الملوك"[4]، ويعتبر هذا المؤلف من بين أهم ما كتب[5]، وكتب الحافظ التنسي يصفه بالقول: "آتى فيه بالعجب العجاب وضمنه من رائق نظمه ما أزرى بالسحر الحلال"[6].

وقد احتفى أبو حمو موسى الثاني بالعلم ورجاله، وبنى مدرسته واستقدم للتدريس فيها أشهر علماء عصره وأعلمهم، ويعد أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت:771هـ/1369م) أول من درس فيها، ومن ثم توالى على التدريس بها علماء كثر[7]. ومن هذا، يظهر لنا أن أبا حمو بذل خلال فترة حكمه جهود جبارة لكي يصل بدولته إلى مصاف الدول القوية، بل وحاول أن يجعل منها منارة للعلم والأدب والفن، يسطع شعاعها على منطقة المغرب الإسلامي كله. ولا يختلف اثنان على أن فترة حكمه كانت بمثابة الذروة التي وصلتها الدولة الزيانية من جميع النواحي السياسية، الاجتماعية، الدينية والثقافية[8].

---

[1]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي**، ص ص: 112-115.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص ص: 160-161.

[3]- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد**، ج: 2، ص ص: 77-94. التنسي، المصدر السابق، ص ص: 164-168.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص: 161. ويذكره يحي بن خلدون بعنوان "نظم السلوك"، مج: 2، ص: 32.

[5]- حاول من خلال كتاب هذا وضع عصارة تجربته السياسية والعسكرية التي مر بها خلال صراعه مع المرينيين والحفصيين، والتي أكسبته خبره كبيرة قدمها لابنه، كاشفا له صور الكر والفر، واجتماع الحكمة والفطنة مع الشجاعة في الحرب، وضمه آرائه وأفكاره في السياسة والمجتمع والإدارة والحرب. ينظر: موساوي أحمد، "الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني: رحلة السلطان رحلة الشعر". مجلة الآداب واللغات، ع: 7، ماي 2008، ورقلة، ص ص: 88-89.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 161.

[7]- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 161.

[8]- بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص: 229-230.

ومن المفارقات العجيبة أن يحدث ما لم يكن يخطر على بال أبي حمو موسى وهو تمرد الابن على الأب من أجل الحكم[1]، حينما نشب خلافاً حاداً بينه وبين ابنه أبي تاشفين حول حكم بني زيان وذلك بتحريض وتشجيع من قبل المرينيين، وهو ما أوصل الأمور إلى حد استخدام السيف بين الاثنين من أجل الإنفراد بالحكم فاقتتل الطرفان، وأثناء المعركة سقط أبو حمو من على صهوة فرسه[2]، فتم أسره من قبل قوات أبي تاشفين والذي أمر بقطع رأس أبيه وإرساله إلى السلطان المريني في فاس سنة 791هـ/1388م تعبيرا عن ولائه لهم بعدما قدموا له الدعم والمساندة في مواجهة أبيه[3].

ونتيجة لذلك انقضت أزهى فترة من تاريخ الحكم الزياني، والتي تجسدت فيها استقلاليتها وسيادتها على ذاتها بعيدا عن أي تأثير أجنبي، مما ساعدها في إحداث نهضة علمية وثقافية نتيجة رغبة السلطان أبي حمو في ذلك، ولقد عانت الدولة الزيانية بعد موته من تدخلات الحفصيين تارة والمرينيين تارة أخرى.

ثالثا: أبو تاشفين وعودة الهيمنة المرينية[4]

لقد شكلت نهاية حكم أبي حمو موسى الثاني بداية لمرحلة جديدة من العلاقات الغير متوازنة بين الزيانيين والدولة المرينية[5]. وكان لدعمهم إياه ضد أبيه بداية إستراتيجية جديدة للمرينيين، على ما يبدو، تجاه تلمسان وما يحدث فيها من صراع على السلطة، إذ توقفوا عن

---

[1]- ومن الملفت للنظر في تاريخ الحكم الزياني تشابه واقعتين تمرد فيهما الإبن على الأب الأولى هي تلك التي شهدت تآمر أبي تاشفين عبد الرحمن على أبيه أبي حمو الأول وتدبير موامرة لقتله سنة 718هـ/1318م، وأعلن نفسه سلطانا على العرش الزياني باسم "أبي تاشفين الأول". أما الحادثة الثانية فسيرد ذكرها في المتن. ينظر: التنسي، المصدر التاريخ، ص ص: 180-181. دهينة عطاء الله، **التاريخ السياسي لدولة بني زيان في كتاب: الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج: 3، ص: 386.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 195-196. التنسي، المصدر السابق، ص: 181.

[3]- الناصري، المرجع السابق، ج:3، ص: 76.

[4]- يعتبر بوزياني الدراجي الفترة التي أعقبت حكم أبي حمو موسى الثاني والتي دامت 171 سنة بمثابة دور الضعف والانحدار، والانحدار، وعلى ما يبدو من خلال سير الأحداث أن ما ذهب إليه في هذا الرأي قريب للصحة إلى حد بعيد، لا سيما الفترة التي تتعلق بعصر ابن مرزوق الحفيد، إذ أننا نجد حالة من التفكك والانحلال كانت تنخر الدولة الزيانية. ينظر: المرجع السابق، ص: 307.

[5]- عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص ص: 114-115.

التدخل المباشر واستخدام القوة المسلحة لحسم خلافاتهم مع السلطان الزياني، وإنما اكتفوا بتأييد الطامعين بالعرش الزياني من أبناء الأسرة الحاكمة ومدهم بالمال والعتاد وإشعال نار الفتن ودفعهم للخروج على الحكم القائم، وذلك مقابل ضمان ولائهم للمرينيين والدعوة لهم على المنابر[1].

تولى أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني بن أبي حمو موسى (790-795هـ/1388-1392م) الحكم بحماية المرينيين له، ونتيجة لذلك أقر بالدعوة للسلطان المريني والخطبة له على المنابر الزيانية، وأن يبعث له بإتاوة سنوية كما اشترطها هو على نفسه[2]. ونتيجة هذا فقدت الدولة الزيانية سيادتها التي أرادها لها السلطان أبو حمو موسى الثاني فوقعت تحت تأثير وتبعية الدولة المرينية، والتي أخذت تتلاعب بالأسرة الزيانية وفق ما ترى وتهوى، فاشتدت الضغائن بين أبنائها وكثرت الدسائس والمؤامرات لتولي زمام الأمور فيها.

وهذا الحال الذي آلت إليه الدولة الزيانية في ظل الهيمنة المرينية خلط الأوراق في فهم تداعياته على منطقة المغرب الإسلامي. وليس هذا فحسب، وإنما ترك غشاوة على أعين بعض من كتب عن هذه المرحلة، وفي هذا الخصوص كتب محمد بوشقيف وهو يتحدث عن التأثير المريني في الحكم الزياني بشيء من التناقض، حين قال: "واستبد أبو تاشفين بالحكم لكنه كان خاضعا لبني مرين يخطب لهم على منابر مساجد المغرب الأوسط ويؤدي الإتاوات السنوية لهم، هذا الوضع أثار حفيظة البيت الزياني الذي لم يرض بالتبعية المرينية، حيث ثار أخ السلطان عليه وهو أبو زيان بن أبي حمو حاكم مدينة الجزائر الذي حاول الهجوم على تلمسان، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل، ما دفعه للجوء إلى المرينيين لمساعدته، كما ساعدوا أخاه بالأمس ضد أبيه"[3]. وغرابة القول هنا، ذلك التناقض ما بين رفضه التدخل المريني سبب ثورته واستعانته بهم لمواجهة أخيه ؟.

التدخل المريني واشتداد الصراع الداخلي على الحكم

كان المرينيون يترقبون أحداث الصراع القائم على السلطة في تلمسان بين الأمراء الزيانيين، والتأهب للتحرك في دعم الطرف الأقوى في الصراع. وحينما بدأت موازين القوى تميل في صالح أبا

---

[1]- بوعياد محمود، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط**. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص: 16.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 196. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 66.

[3]- بوشقيف محمد، **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011/2010، ص: 6.

زيان انقلبوا على حليفهم أبي تاشفين، وساندوا الأول، حينما قدموا إليه الدعم العسكري عبر الزحف عسكريا نحو مدينة تلمسان [1].

وفي هذه الأثناء توفي أبو تاشفين في ربيع الآخرة سنة 795هـ/1392م على إثر مرض أصيب به، فقام وزيره أحمد بن العز بمبايعة أحد أبنائه بالحكم، ويدعى أبا ثابت بن أبي تاشفين الثاني وهو صغير السن، وأعلن نفسه وصياً عليه في إدارة شؤون الحكم. ولم يحكم أبو ثابت إلا أربعين يوما فقط. إذ أثار هذا الأمر حفيظة وطمع عمه والي مدينة الجزائر يوسف بن أبي حمو الشهير بـ"ابن الزابية"، فتحرك نحو تلمسان واستولى على الحكم بعد أن قتل الوزير والأمير الصغير معا، وهو الأمر الذي أثار بلبلة كبيرة في تلمسان[2].

ولم تنل الخطوة التي قام بها أب الحجاج يوسف[3] رضا السلطان المريني أبي العباس أحمد[4]، فأجبر المرينيين على تغير موقفهم إزاء تطورات الأحداث في الدولة الزيانية، حينما أمر السلطان أبا العباس أحمد باعتقال الأمير أبي زيان محمد وسجنه في فاس، وإرسال ولده أبي فارس عبد العزيز على رأس حملة عسكرية من فاس لإنهاء حكمه، وتمكنت القوات المرينية من الاستيلاء على كامل أراضي الدولة الزيانية، وخلع أبي الحجاج بعد عشرة أشهر من توليه الحكم (ما بين 795-796هـ/ 1393-1394م) الذي فر إلى قبيلة بني عامر، ومات هناك مسموما سنة 797هـ/1394م[5].

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 196-197.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 197. التنسي، المصدر السابق، ص ص: 181، 206، 208.

[3]- ومن أغرب ما قرأنا عن فترة حكم أبي الحجاج يوسف ما كتبه التنسي عنه واصفا إياه "بدرا في سماء الخلافة"، وهو الذي بدء حكمه بسفك للدماء، ولا ندري ما الذي أجبره على مدحه بهذا الشكل، حين كتب يقول: "فبرز بدرا في سماء الخلافة وملكها، وحل منها حسنا وإحساناً محل واسطة سلكها، فجند الجنود، وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فائتمرت، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت إلى بيان جبل عليه وفصاحة، ورحب جناب للوافدين وساحة في أيام كأنها في حسنها جمع، وليال كان فيها على الإنس مقر ومجتمع". ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص: 209.

[4]- **المستنصر بالله أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن**: ويكنى بأبا العباس حكم الدولة المرينية مرتين، الأولى ما بين (776-786هـ/1374-1384م) وحكم فيها عشرة سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما، والثانية ما بين (789-796هـ/1387-1393م) وحكم فيها ست سنين وأربعة اشهر، وتوفي بتازا ودفن بفاس. ينظر: ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص ص: 34-35. الناصري، المرجع السابق، ج: 4، ص ص: 69، 73-74، 78.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص: 209-210. عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص: 121.

ومن خلال نظرة فاحصة لمجريات الأحداث، نجد أن الدولة الزيانية خلال هذه الفترة كانت غير قادرة سياسيا على مواجهة التحديات والضغوط المرينية بالمطلق، وذلك راجع أولا إلى موقعها الجغرافي الوسط الذي جعلها عرضة للتدخلات المرينية تارة والحفصية تارة أخرى، وثانيا مواجهتها للقبائل العربية وعلى رأسها زغبة وبني سليم التي كانت تثور ضدها من أجل عدم دفع الضرائب مما يجعل الحكام الزيانيين منشغلين في إخماد هذه التمردات، وهو ما كانت تستغله الجارتين من أجل التدخل في شؤونها والاستيلاء على أجزاء من أراضيها، حتى أن الحكام المرينيين كانوا يغيرون من مساندتهم ودعمهم من أمير زياني إلى آخر وفق ما تمليه عليهم مصالحهم. والدليل على ذلك، هو مساندتهم للأمير أبي زيان بن أبي حمو ضد أخيه السلطان أبي تاشفين[1]، لكون الأخير خرج عن إرادتها وسيطرتها، وسرعان ما اعتقلت أبا زيان حينما قفز إلى سدة الحكم أبو الحجاج يوسف. وحسبما أرى أن المرينيين كانوا مقتنعين بأن بقاء الصراع داخل البيت الزياني يصب في مصلحتهم ويضعف الدولة الزيانية أكثر فأكثر.

رابعا: أبو زيان محمد الثاني (796–801هـ/1394–1398م)

بعد احتلال الجيش المريني لمدينة تلمسان وإنهاء حكم أبي الحجاج فيها، رأى السلطان أبو العباس أحمد إلحاق تلمسان بالحكم المريني المباشر. وفي طريق العودة إلى فاس، مرض السلطان ومات في مدينة تازا، وبويع ولده أبو فارس عبد العزيز سلطاناً جديداً للدولة المرينية في يوم 10 محرم 796هـ/1393م. ونتيجة ذلك، أعاد السلطان الجديد النظر في قرار والده، فقرر إطلاق سراح الأمير أبي زيان بن أبي حمو الذي كان معتقلا في فأس، وعينه أميرا على تلمسان[2].

وبعد أن استقر الحكم لأبي زيان محمد الثاني (796-801هـ/1394-1398م) بدعم وحماية المرينيين، شهدت تلمسان بعض الاستقرار فسكنت أحوالها. وهذا ما جعل أبا زيان يتجه بأنظاره نحو الاهتمام بشؤون العلم والعلماء، حينما أخذ يهتم بأمور الأدب والشعر والاعتناء بالكتب ونسخها واقتنائها ووقفها على المسجد الأعظم، فصنف كتابا في التصوف "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الإمارة"، فعرفت بالتالي فترة حكمه نشاطا علميا كبيرا في ميدان التأليف من قبل علماء تلمسان ومن حل بالمدينة من علماء المغرب

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 196-197. بوشقيف محمد ، المرجع السابق، ص: 6.

[2]- الناصري، المرجع السابق، ج: 4، ص: 89.

الإسلامي[1]، وكتب الجيلالي عبد الرحمن معلقا على هذا، بالقول: "يمتاز عصر أبي زيان بنشاط العلماء والتأليف ورواج سوق العلم والأدب العربي فيه ووضع المصنفات الكثيرة التي ترى أسماءها مثبوتة في الفهارس وكتب التراجم والطبقات"[2].

وسرعان ما تنكر السلطان المريني لوعوده له فسعى إلى تقويض حكمه، ويشير فيلالي عبد العزيز إلى المسألة بالقول: "ومن البديهي أن لا يرضى صاحب فأس أن تكون دولة تلمسان بهذه المكانة والرقي الحضاري والقوة العسكرية، فأخذ يدس له الدسائس ويوعز لمن يطيح بعرش أبي زيان فاستعمل من أجل ذلك شتى الوسائل، حتى لا تكون هناك دولة في المغرب الأوسط تضاهي دولته وتنافسها في المجال العسكري والنفوذ في المنطقة"[3]. فشكل ذلك حافزا لأخيه أبي محمد عبد الله للعمل من أجل الاستيلاء على الحكم في تلمسان، وهو ما تحقق بالفعل، حينما زحف نحو مدينة تلمسان ودخلها في سنة 801هـ/1398م، وفر أبو زيان منها نحو شرق مملكته لجمع الأنصار من أجل إستعادة حكمه، وظل يتنقل بين القبائل العربية إلى أن قتل من قبل محمد بن مسعود الوعزاني سنة 805هـ/1402م[4].

خامسا: أبو محمد عبد الله الأول (801–804هـ/1398–1402م):

لقد غدت الأوضاع السياسية في الدولة الزيانية تحت رحمة الدولة المرينية، وأصبحت هذه الأخيرة تتدخل وقت ما تشاء وكيف ما تريد في شؤون البيت الزياني، وتطيح بهذا وتولي هذا، فأخذت بذلك الدولة الزيانية تفقد بريقها، وكتب فيلالي عبد العزيز بهذا الخصوص قائلا: "لأن حكامها نصبوا بسيوف مرينية من جهة، وأن الفوضى السياسية والفتن الداخلية، وفقدت كثيرا من الأقاليم والمناطق، خرجت عن نفوذها وصارت تتحكم فيها بعض القبائل، وتدخل بني مرين في شؤون المغرب الأوسط أصبح مستمرا"[5].

---

[1]– التنسي، المصدر السابق، ص: 210، 211، 227.

[2]– الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 186.

[3]– فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج:1، ص: 68.

[4]– التنسي، المصدر السابق، ص: 228.

[5]– فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 1، ص: 68.

ويعتبر أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو موسى الثاني (801-804هـ/1398-1402م) من سلاطين الزيانيين الذين عرفوا بالحزم والصرامة في الحق والعدل بين رعايا دولته، وهذا السلوك لم يكن يرضي الكل عنه مما أثار عليه الضغائن[1]. ولم تكد تستقر الأمور له، والعمل على استرجاع بعض من هيبة الدولة المفقودة حتى أخاف السلطان المريني من نشاطه[2]، والذي قرر مهاجمة مدينة تلمسان سنة 804هـ/1401م، واحتلالها واعتقال أبي محمد عبد الله ونصب بدلا عنه أخاه أبا عبد الله محمد[3].

سادسا: أبو عبد الله محمد الثالث (804-813هـ/1402-1411م)

لم يأت أبو عبد الله محمد بن أبي حمو موسى الثاني (804-813هـ/1402-1411م) إلا بإرادة مرينية كما لاحظنا من قبل، عرف بشغفه بالعلم والفنون وتشجيعه العلماء، مما جعل عهده يعرف رخاءا واستقرارا، وكتب الحافظ التنسي عنه، قائلا: "جزل العطاء حليم عن الدماء، فطافت به الآمال، واتسع في الثناء عليه المقال، وملأت قلوب الرعية من حبه، ونزل من كل إنسان منزلة ناظره وقلبه...فهو عندهم العلق الثمين"، وتوفي عام 813هـ/1411م، وخلفه ابنه عبد الرحمن الثالث[4]. وهذا الاستقرار لم يمنع قيام ثورات ومشاكل السياسية فضلا عن تدخل الدولة المرينية في شؤون الحكم الزياني مرة أخرى وبشكل سافر.

الدولة الزيانية في ظل فوضى التغيير

كانت نهاية حكم أبي عبد الله محمد بداية لموجة من الفوضى السياسية في الدولة الزيانية، وهي نتاج الصراع على السلطة من قبل أمراء الأسرة الزيانية ورغبتهم بالحكم، ومما زاد الطين بله، هو الدور الذي قام به السلطان المريني في تأجيج حالة التصارع بين الأمراء عبر دعم أطراف على حساب غيرها، وكانت النتيجة تناوب الحكام على العرش الزياني لفترات قصيرة، حتى أن بعضهم لم يستمر إلا أشهرا معدودات مثلما حدث للسلطان عبد الرحمن الثالث (813-814هـ/1411م)، والذي لم يدم حكمه أكثر من شهرين وأيام معدودة، إذ تولى الحكم بعد وفاة

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص: 228.

[2]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 1، ص: 96.

[3]- التنسي، المصدر السابق ، ص: 229.

[4]- المصدر نفسه، ص ص: 230-231.

والده أبي عبد الله محمد، لكن سرعان ما قام عمه السعيد بإجباره على التنازل عن العرش في سنة 814هـ/1411م[1]. وتكرر الحال نفسه مع السعيد بن أبي حمو موسى الثاني (814هـ/1411م) الذي انقلب عليه أخوه أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني (814-827هـ/1411-1424م) بتحريض من قبل السلطان المريني، فتمكن من احتلال مدينة تلمسان في رجب من سنة 814هـ/1411م وتولى زمام الأمور في تلمسان[2].

سابعا: أبو مالك عبد الواحد (814-827هـ/1411-1424م):

جاء اعتلاء السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو موسى الثاني (814-827هـ/1411-1424م) للعرش الزياني بمساعدة مرينية، كما أشرنا من قبل. ولكن، الذي حدث أن هذا السلطان حاول استعادت هيبة الدولة عل الصعيد الخارجي والداخلي، لاسيما وأنه يمتلك من الصفات ما يجعله بمستوى تحديات المرحلة، إذ بالشجاعة والحزم والسجايا الكريمة ونشر العلم والمعرفة وإصلاح شؤون الرعية. وكان هدفه الأول هو إيقاف تهديدات دول الجوار ومنعها من التدخل في شؤون بلاده، واقتنع من أن تحقيق ذلك لا يتم إلا من خلال بناء جيش قوي ومتماسك. واتجهت أنظاره صوب حدود بلاده الشرقية، فعمل على دفع الحفصيين عن ممتلكات دولته، ونجح في العديد من المناسبات من استعادت ما سيطروا عليه. ولكن الأمور لم تستمر في صالحه، فقد تمكن السلطان الحفصي من دخول مدينة تلمسان سنة 827هـ/1424م، وأزاح أبا مالك عبد الواحد عن الحكم ووضع مكانه أبا عبد الله محمد الرابع (827-831هـ/1424-1428م)[3].

ثامنا: أبو عبد الله محمد الرابع

على الرغم من تنصيبه من قبل السلطان الحفصي ملكا للدولة الزيانية، إلا أنه سرعان ما انقلب عليه، ورفض الدعوة لهم، وحاول جاهدا العمل على استقرار وتهدئة الجبهة الداخلية

[1]- التنسي، المصدر السابق ، ص: 234. الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 19.
[2]- المصدر نفسه، ص ص: 234-235.
[3]- التنسي، المصدر السابق، ص: 236.

استعدادا لمواجهة أي تحديات خارجية وعلى ما يبدو نجح في ذلك، حيث كتب الحافظ التنسي يقول: "فقابل الدهر أيامه بالإسعاد، حتى سارت من حسنها كالمواسم والأعياد، وعم الخصب في دولته البلاد، وارتفعت عن الرعية الأنكاد، فالتحقت قلوبهم على محبته فلا يخرج لهم من بال، ويودون أن يفدوه بالنفس والولد والمال، فذكره عندهم أحلى من الماء العذب الزلال"[1]. وعلى الرغم من هذه الجهود، لم تكن مؤسسات الدولة الزيانية قادرة على استعادت إمكانياتها وقدراتها، وذلك نتيجة تفاقم الصراع على السلطة، وتدخل الدول المجاورة داعمة لهذا الطرف أو ذاك.

لقد تميزت الفترة التي حكم خلالها أبو عبد الله محمد الرابع باستفحال التدخل الحفصي في شؤون الحكم الزياني، ولم تجد نفعا محاولاته للتخلص من ذلك التأثير الحفصي، ولاسيما وأن أمراء الأسرة الزيانية اعتادوا على استرضاء حكام دول الجوار (مرينيين وحفصيين) لمساعدتهم بالتغلب على منافسيهم ووضعهم على رأس الدولة الزيانية. وعلى سبيل المثال، حينما حاول أبو عبد الله محمد التخلص من التدخل الحفصي في شؤون بلاده، وجد أبو مالك عبد الواحد الذي لم يهضم بعد إزاحته عن الحكم، الفرصة مواتية للعودة، فعمل ما بوسعه لاسترضاء الحفصيين وطلب مساعدتهم وهو ما تحقق بالفعل، حينما نجح في إزاحة أبي عبد الله محمد عن العرش الزياني بدعم منهم إلا أن أبا عبد الله محمد سرعان ما جمع أنصاره وعاد إلى تلمسان التي دخلها في ذي القعدة 833هـ/1430م، وقتل أبا مالك عبد الواحد واستعاد العرش الزياني من جديد[2]. وهكذا دخل الصراع على العرش الزياني مرحلة جديد لم تحسم إلا بتدخل السلطان الحفصي واحتلاله لمدينة تلمسان والقبض على أبي عبد الله محمد، وتنصيب عمه أبي العباس أحمد سنة 834هـ/1440م مكانه، وأخذه أسيرا إلى تونس التي مات فيها سنة 840هـ/1436م[3].

تاسعا: أبو العباس أحمد العاقل (834–866هـ/1430–1452م)

يعتبر أبو العباس أحمد المعتصم من أكثر الحكام الزيانيين الذين عاصرهم ابن مرزوق الحفيد، وكانت نهايته في ذات العام التي توفي فيه الحفيد. ولكن ما يلاحظ على فترة حكمه أنها

---

[1]– التنسي، المصدر السابق، ص: 242.

[2]– المصدر نفسه، ص: 245.

[3]– المازوني أبو يحي بن موسى التلمساني، **الدرر المكنونة المكنونة في نوازل مازونة**. در وتح: قندوز ماحي، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، 2012، ج: 1، ص: 58.

شهدت تمزقاً لكيان الدولة، حيث أخذ حكام المناطق ينسلخون عن السلطة المركزية، فضلا عن الثورات التي شهدتها الدولة ضد الحكم المركزي. وعلى الرغم من ذلك واظب على ذات السنة الحميدة التي اتبعها الحكام الزيانيون، وهي الاهتمام بالعلم والعلماء، فكان من جملة ما قام به من أعمال: محاولته نشر العدل بين الرعية، والسعي في نشر العلم بترميم ما تلاشى من المدرسة التاشفينية، وبتشييد مسجد الحسن بن مخلوف الراشدي ومدرسته المعروفة باسم "أبركان"، وقام بإنشاء مسجد الشيخ السنوسي وجدد بناء أسوار المشور[1].

وعلى الرغم من امتداد حكم أحمد العاقل لأكثر من اثنين وثلاثين عاما، وتلاشي مسألة الصراع على السلطة، إلا أن هذه الأخيرة واجهت تحديا من نوع آخر، تمثل هذه المرة في تمرد حكام المناطق على السلطة المركزية، فضلا عن كثرت الثورات التي قامت بها القبائل ضد السلطة الزيانية. وهذا الأمر لم يعط العاقل القدرة على إعادة بناء الدولة وتماسكها على الرغم من طول فترة حكمه، مما جعلها غير قادرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية معا، مما جعلها في حالة تراجع وضعف.

خلاصة القول، أن الحياة السياسية التي عاصرها ابن مرزوق الحفيد في تلمسان لم تكن بالاستقرار والهدوء التام طوال فترة حياته، إذ شهد من أحوال الدولة المتقلبة الشيء الكثير، فقد رأى بأم عينه كيف كانت الدولة الزيانية تترامى ما بين أحضان الحفصيين تارة والمرينيين تارة أخرى، وهي خاضعة مستسلمة ولا حول ولا قوة لها. وربما لاحظنا أن البعض من الحكام الزيانيين أراد إثبات استقلاليته وابتعاده عن التأثيرات المرينية أو الحفصية، ولكن تلك المحاولات كانت تجد الرفض والمواجهة العنيفة التي وصلت للغزو والاستباحة وقتل الحاكم. ويتوافق هذا الحال مع الرأي الذي ذهبت إليه سهام بوعنيني، وهي تعلق على التدخل السافر للمرينيين في الحكم الزياني، حين تقول: "إلا أنه لم يهنأ بما حصل عليه، ليعاود بنو مرين كرتها في تنصيب من يرتضونه، فكلما سئمت من حاكم ورأت فيه تهديدا لمصالحها أزاحته وجعلته محل منافسة مع أحد أفراد أسرته"[2].

وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد استمرارية الدولة الزيانية وبقائها، وهنا نستعين بما قاله ابن الأحمر حول استمرارية الدولة الزيانية رغم هذه الانقسامات والصراع الداخلي، حين قال: "كان

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص: 247.

[2]- بوعنيني سهام، المرجع السابق، ص: 15.

بقاءها مضطربا مزعزعا توالى فيه الأمراء واحدا بعد واحد دون مجد أو فخر، وفي الغالب كان الأمراء يقومون ويختفون بتأييد من العرب ومن بني مرين أو الحفصين"[1].

إذا ورغم الظروف السياسية التي كانت تحيط بالدولة الزيانية، إلا أننا نجد حاضرة الدولة تلمسان، لم تتأثر بتلك الفوضى، حينما كانت سفينتها العلمية والحضارية تشق عباب بحر العلوم والمعارف، ولم تسجل حالات فتور أو تراجع في هذه المجالات إلا لأوقات قصيرة جدا، وهذا هو ديدن المدن التي تشع الحضارة من بين ثناياها، وبلا أدنى شك كانت تلمسان حاضرة من حواضر العلم في المغرب الإسلامي. وهنا أقتبس ما قاله السيد عبد العزيز سالم وهو يصفها ويبين أهميتها في المنطقة، بالقول: "وازدهرت مدينة تلمسان في عهدهم (الدولة الزيانية) رغم هذه العواصف والأنواء، وكانت تحضى بموقع ممتاز، وكان لمياهها الجارية فضل كبير في إحاطتها بالجنان والبساتين، فاستعادت بذلك مجدها القديم، وكانت مركزا تجاريا هاما يقصده تجار المسلمين والمسيحيين على السواء"[2].

ومن معالم الاختلال في مفهوم الدولة عند الزيانيين، هو أن حدود هذه الدولة لم تكن ثابتة ومستقرة، بل كانت ما بين مد وجزر تبعا للظروف السياسية والأخطار الخارجية، وحدودها لم تتجاوز حدودها أسوار مدينة تلمسان في بعض عهودها، وذلك مثلما حدث أيام الحصار المريني لها سنة 699-706هـ/1299-1307م، بل اختفت معالمها نهائيا عندما هاجمها أبو الحسن المريني سنة 737هـ/1337م إلى غاية إحيائها من جديد على يد أبي حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1359م[3].

وهكذا يمكن القول أن الفترة التي قضاها ابن مرزوق الحفيد في كنف الدولة الزيانية أثرت وحددت معالم انهيار الدولة فيما بعد، لأن الخلافات والصراع على السلطة نخر جسد البيت الزياني من الداخل، وهو ما سيضعفها حتما في مواجهة التحديات الخارجية. وعلينا أن نتذكر هنا، أن سلطة حكام الدولة الزيانية كثيرا ما انحصرت في مدينة تلمسان فقط، وهذا يعني انحصار تأثير

---

[1]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 36.

[2]- السيد سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 788.

[3]- بالأعرج عبد الرحمن، **العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك**. أطروحة ماجستير غير منشورة تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص: 11.

السلطة على أفرادها، وعوض ذلك تنامي واتساع القيم القبلية خارج حدودها –أي مدينة تلمسان–، وهذا الحال ساهم في إضعاف بنية المجتمع في منطقة المغرب الأوسط. ولكن ما يثير الانتباه هو أن هذه الفوضى السياسية، التي شهدها المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، لم يكن لها أي تأثير في تراجع عجلة الرقي العلمي والثقافي. ويبدو لنا، أن الصراع لم يكن إلا بين النظم الحاكمة في حين أن بقية أبناء المنطقة كانوا على حالة من التواصل والتعاون.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية

تركت المتغيرات السياسية التي عانى منها المغرب الأوسط خلال الفترة التي حكمت فيها الدولة الزيانية، تأثيرها على المجتمع الزياني عموما، وكلنا يعلم الترابط الوثيق بين المتغيرات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية. وأن البحث في الحياة الاجتماعية يفرض علينا البحث في العادات والتقاليد والعلاقات التي تنظم حياة ذلك المجتمع، وهذه العلاقات ما هي إلا إفرازات طبيعية للثقافة السائدة في أوساطه. ومن هنا، سنجد أن المجتمع الزياني تأثرت بنيته الاجتماعية بالمتغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدها، ولكنه لم يتأثر بالشكل السلبي فقط، وإنما كانت هناك مؤشرات إيجابية، جعلت منه مجتمعا منتجا قادر على الإبداع والتواصل مع التطور الحضاري الذي كان سائد آنذاك.

أولا: التركيبة الاجتماعية لسكان المغرب الأوسط:

لقد ضم مجتمع المغرب الأوسط مجموعة من العناصر المختلفة المستقرة والوافدة أملتها عليهم الظروف السياسية والجغرافية، وعلى العموم تعددت الأعراق في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، وهذا التنوع لم يكن مقتصرا على المدن فقط، وإنما شمل حتى الأرياف والبوادي، وتعايشت هذه الأجناس المختلفة في أكثر الفترات، ولكن هذا لا يعني عدم حدوث اضطرابات بسبب الاختلافات العرقية[1]. ولكننا، على العموم نجد حالة من التجانس موجودة داخل المجتمع، ويعلق عبدلي لخضر على هذا المسألة، بالقول: "لا شك أن الغالبية العظمى من المجتمع العبد

[1]– بكاي عبد المالك، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7–10هـ/13–16م**. أطروحة دكتوراه غير منشورة في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2014/2013م، ص: 102.

الوادي تتكون من البربر والعرب، والذين وحد بينهم: الدين الإسلامي واللغة العربية وانتسابهم إلى بلاد المغرب الإسلامي وامتزجوا بالمصاهرة وجميعهم سنيون مالكيون"[1].

1. البربر:

البربر أجناس كثيرة سكنوا المغرب منذ أقدم العصور فهم السكان الأصليون للمنطقة[2]، وكتب ابن خلدون عنهم، يقول: "هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملؤوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويطعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس. ومكاسبهم أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة"[3]. وهذا يعني أنهم شكلوا السواد الأعظم في منطقة المغرب الأوسط بحكم إقامتهم في المنطقة من فترات سابقة، وهو أمر طبيعي أن يكون لهم تأثير على الحياة السياسية والاجتماعية في المنطقة.

وينقسمون إلى قسمين حسب أسلوب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهم: البتر وينتشر هؤلاء في السهول، وتمتاز حياتهم بعدم الاستقرار والتنقل الدائم حسب ظروف المعيشة. أما القسم الثاني، فهم البرانس وهم سكان المغرب الأوسط المستقرين في الحضر. ومن بين القبائل البربرية التي كان لها دور في أحداث المنطقة، تبرز من قبائل البرانس صنهاجة ومصمودة وكتامة وأوربة، ومن قبائل البتر فتتصدرها قبائل زناتة، لواتة، نفوسة ومكناسة[4]. وتشكل قبائل زناتة في المغرب الأوسط الغالبية العظمى للبربر هناك، وبحكم احتكاكهم بالقبائل العربية التي استقرت في المنطقة تأثروا بها فأخذوا عنهم. ويشير ابن خلدون بهذا الخصوص قائلا: "هذا الجيل في المغرب قديم العهد معروف العين والأثر، وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران والإباية عن

---

[1]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي**، ص: 197.

[2]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي**، ص: 197.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 6، ص 116.

[4]- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**. تع تح: عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط5، د.ت.ن، ص: 495.

الانقياد...وشعائرهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر، وموطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب...والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف فيقال وطن زناتة"[1].

وامتدت مواطنهم من طرابلس إلى جبل الأوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية، وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الإسلام لجراورة ثم لمغراوة وبني يفرن. وحاليا تمتد مواطنهم على شاطئ الجزائر بين بلاد القبائل وشلف وفي بقاع متوازية على حدود الهضبة من طرابلس إلى جبل عمور ثم ينتشرون تدريجيا ناحية المغربين الأوسط والأقصى[2]. أما قبائل زناتة التي سكنت بلاد المغرب الأوسط فهي متعددة، خاصة في محيط مدينة تلمسان، ويذكرها ابن خلدون بالشكل الآتي: "ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة[3] وبني يفرن[4]، وجراوة، وبني يرنيان، ووجديجن، وغمرة، وبني ويجفش، وواسين، وبني تيغرست، وبني مرين، وتوجين[5]، وبني عبد الواد، وبني راشد، وبني برزال، وبني ورنيد وبني زنداك وغيرهم"[6]، وهذه القبائل تتفرع بدورها إلى بطون عدة.

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 3.

[2]- إيقر، "البربر". دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما وآخرون، تر: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، القاهرة، كتاب الشعب، د.ت.ن، مج: 6، ص: 70.

[3]- **مغراوة**: من أوسع بطون زناتة ونسبهم هو مغراوة بن يصليتن بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يرنيان، بطونهم كثيرة منها: بنو يلنت، بنو زنداك، بنو وراق، بنو أبو سعيد، بنو ورسيفان، لغواط، بنو ريغة ورتزمير وغيرهم. أما مواطنهم كانت بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة وما إليها، ووجدت فرقة منهم بأرض متيجة وأخرى سكنت وطن حمزة وتنزل قلعة بني حماد، ومع القرن 10هـ/16م كانت مواطنها بجبال مليانة وتنس إلى مصب نهر الشلف. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 233. المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1984م، ص: 95.

HAMET Ismaël, **Histoire du Maghreb**. Paris, France, Ed: Ernest Perroux, 1923, P: 09.

[4]- **بنو يفرن**: هم أبناء يفرن بن يصلتين، وإخوانهم هم مغراوة وبنو يرينان وبنو واسين. ينظر: الدراجي بوزيان، **القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها**. الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007، ج:1، ص:164.

[5]- **بنو توجين**: حي من بني بادين من زناتة، من أشهر بطونهم: بنو يدللتن، بني مادن، بني زنداك، بني وسيل، بني قاضي وبني مامت وهؤلاء يجمعهم بنو يرناتن. كانت مواطنهم على ضفاف نهر واصل قبلة جبل وانشريس ثم تقدموا إلى التل فغلبوا بني منديل على جبل وانشريس وضواحي المدية شرقا، وسعيدة وجبل راشد غربا، ثم غلبهم بنو وجديجن ومطماطة ثم رجعت إليهم مرة أخرى وصارت مواطنهم بعدها ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة. وعلى عهد السلطان سعيد بن عثمان الزياني أصبحوا هم ومغراوة في عداد القبائل الغارمة، وخلال القرن 10هـ/16م كانت مواطنهم بجبال وانشريس مجتمعين فيها مع بقايا لواتة وهوارة. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 134، 318، 320. الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، **القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط**. تح وتق: سعيدوني ناصر الدين. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م، ص: 74. المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص: 95.

[6]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 11.

وكان من الطبيعي مع توافد العرب إلى المنطقة عبر مراحل متعددة، أن يحتك البربر بهم ويتأثروا فيهم، ولاسيما بعد الهجرة الهلالية التي وصلت إلى المغرب الأوسط، إذ ترك هؤلاء أثرهم في قبائل زناتة مما جعلها تستعرب وتأخذ من عاداتهم وتقاليدهم الكثير. وقد أشار ابن خلدون إلى هذه المسألة بوضوح، حين قال: "وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والإبانة عن الانقياد..."[1]. وأشارت كتب الجغرافيين إلى التواجد الكثيف لقبائل زناتة في منطقة المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة، فعلى سبيل المثال أشار الحميري في كتابه إليهم، حين تكلم عن مدينة تلمسان، بالقول: "وكانت تلمسان دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة، وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر"[2]. على العموم كان للبربر في العهد الزياني دورا في الأحداث التي شهدتها المنطقة، فهم وبمعية القبائل العربية ساهموا في رفع شأن هذا الحاكم أو إذلاله، وذلك وفق ما تتطلب منه مصالحهم.

2. العرب:

قدم العرب إلى بلاد المغرب مع الفتوحات الإسلامية، وكتب مبارك الميلي بهذا الخصوص قائلا: "جاء العرب أولاً إلى المغرب فاتحين منظمين معمرين مقتصرين على سكن المدن غير مزاحمين للبربر في أراضيهم"[3]. ثم أعقب ذلك مجيء هجرات عربية عديدة، وكان أكبرها الهجرة الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجري (11م)[4]، وكثرتهم هي التي جعلت اسمهم يغلب على جميع القبائل العربية التي دخلت المنطقة، حتى ظن الظان أنه لم يدخل من العرب غيرهم، والحقيقة أن قبائل عربية أخرى دخلت مع بني هلال[5] وبعدهم، فكانت معهم قبائل وبطون كثيرة انضمت

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج: 7، ص: 11.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص: 135.

[3]- الميلي محمد بن مبارك، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**. تق وتص: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.ن، ج: 2، ص: 178.

[4]- بن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**. المطبعة الملكية، الرباط، ط1، 1968، ج: 1، ص ص: 412-421. الميلي محمد بن مبارك، المرجع السابق، ص ص: 192-202.

[5]- **هلال**: هم هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر من العدنانية. من بطونهم: ذياب، عوف، زغب، الأثبج، بنو قرة، بنو حرب وبنو رياح. مواطنهم: كانت بجبل غزوان عند الطائف وبعدها انتقلوا مع القرامطة بالبحرين وعمان، ثم نقلهم العزيز الفاطمي هم وبنو سليم إلى الصعيد بالعدوة الشرقية للنيل، وبعدها أجازوهم بأمر من المستنصر الفاطمي إلى إفريقية فنزلوا برقة سنة 443هـ/1051م وبعدها تقدموا لسائر بلاد المغرب. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 27-31. أبو الفوز البغدادي محمد أمين السويدي، **سبائك**

انضمت إليهم وهي لا تجتمع معهم في نسب. وتنقسم القبائل العربية التي دخلت المنطقة إلى ثلاث مجاميع، وهي[1]:

- بنو هلال.
- المعقل[2].
- بنو سليم

ومن خلال سياق الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي نلحظ الأثر الكبير الذي تركته هذه قبائل على تاريخ المنطقة، فقد ساهمت نتيجة لكثرة أعدادها في التأثير اجتماعياً على منطقة المغرب الأوسط، إذ ساهم وجودهم في تعريب المنطقة أواسط القرن الخامس الهجري (11م)[3]. رغم ما كان لهذه الهجرة الهلالية من آثار سلبية، إذ استولت تلك القبائل على الكثير من الأراضي بالقوة، وتعاملت مع الدول الموجودة في منطقة المغرب الإسلامي بشكل مصلحي بحت، فهي تتعاون أحيانا وتتمرد أحياناً أخرى[4]. وأهم القبائل التي استقرت في منطقة المغرب الأوسط هي قبائل زغبة الهلالية، وبطونها هي[5]:

أ- **بنو يزيد بن زغبة:**

هم يزيد بن عيسى بن زغبة، ونسبهم بعضهم إلى سلول وهم بنو مرة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة إلا أن ابن خلدون نفى هذا النسب. وكان لهم بطون كثيرة منها: حميان بن

الذهب في معرفة قبائل العرب. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1409هـ/1989م، ص: 160. العمري، المصدر السابق، ص: 157. كحالة رضا عمر، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. لبنان، دار العلم للملايين، ط1، 1968، ج: 3، ص: 1221.

[1]- بن منصور عبد الوهاب، المرجع السابق، ج: 1، ص: 412.

[2]- **المَعْقِل**: قبيلة عربية وهي بطن من بني الحارث، وهم المعقل بن الحارث بن كعب بن جلد بن مذحج، ونسبهم عند الجمهور خفي ومجهول، فهناك من عدهم ضمن بطون هلال في أهل البيت فنسبوهم لجعفر بن أبي طالب، وابن خلدون رجح بأنهم من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن حلة بن جلد بن مطحج بطن من عرب اليمن، وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة كعب بن الحرث، وعده الإخباريون في بطون هلال الداخلة إلى إفريقية إذ كانت مواطنهم قريبة من البحرين. أما بطونهم فهي: ذوي عبيد الله، ذوي منصور وذوي حسان. دخل المعقل المغرب مع بني هلال في أعداد قليلة يقال أنهم لم يبلغوا المائتين، فاعترضهم بنو سليم فنزلوا مما يلي ملوية ورمال تافيلالت، وجاوروا زناتة في قفار المغرب الأقصى، وبقي عدد قليل منهم بإفريقية اندرجوا تحت كعب بن سليم. وبعد امتلاك زناتة لبلاد المغرب مَلك المعقل قصور الصحراء (تامنطيت، تيكورارين، تاسبيت، توات، بودة، البسوس). أما حاليا فمراكزهم بسهول المتيجة. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 118-122. كحالة عمر رضا، **معجم قبائل العرب**. ج: 3، ص: 1123.

[3]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي**، ص: 198.

[4]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 20.

[5]- بن فريحة عبد المالك، **القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015/2014، ص: 30-35.

عقبة بن زغبة، جواب، بنو كرز، بنو موسى، والمرابعة والخشنة وغيرهم آخرون. وإخوانهم عكرمة بن عبس من الظواعن، كما كان منهم حي ينتجعون بضواحي تونس في أواخر القرن الثامن الهجري (14م)[1]. والرئاسة في بني يزيد كانت لأولاد لاحق ثم لأولاد معافى ثم صارت في بيت سعد بن مالك بن مهدي بن عيسى بن زغبة. ونظرا لكثرتهم ومكانتهم الشريفة من زغبة أقطعهم الموحدون بلاد حمزة من ضواحي بجاية مما يلي أوطان رياح والأثبج غربا، وهم أول من أقطعتهم الدولة بالتلول والضواحي، وما إن ضعفت دولة بني عبد الواد حتى استبد بنو يزيد ببلادهم وحصلوا جبايتها لأنفسهم[2].

وبحكم مجاورتهم لقبيلة رياح فقد سلبتهم أرض الدهوس[3] عنوة، فاستنجد بنو يزيد بأحلافهم بني عامر كي يساعدوهم على استرجاع أرضهم، ومقابل هذه الخدمة يدفعون لهم ضريبة من الزرع تسمى "القرارة" وتقدر بألف غرارة من الزرع وتم لهم ذلك فاسترجعوا الدهوس. وبعد سيطرة بني عبد الواد على المغرب الأوسط وانتقالهم إلى أمصاره، زحفت إليها عرب المعقل وكثر بها فسادهم وعبثهم فاضطر يغمراسن بن زيان إلى نقل بني عامر من جوار بني يزيد إلى صحراء تلمسان لمواجهة المعقل، فانتقلت معهم قبائل حميان بن يزيد وصاروا في عدادهم، واستقر بنو يزيد ببلاد الريف الخصبة واستوطنوا فيها وهم مقيمون لا يظعن إلا قليل منهم[4].

ب- بنو حصين بن زغبة:

هم حصين بن زغبة من بني هلال بن عامر من العدنانية، ولهم بطنان عظيمان هما جندل وخراش[5]. وجعلهم مرسييه إرنست (MERCIER Ernest) فرعا من ذوي منصور بن زغبة، الذين

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 88. سليمان الطيب، **موسوعة القبائل العربية**. مصر، دار الفكر العربي، ط2، 1418هـ/1997م مج: 1، ج: 2، ص: 30. مصطفى أبو ضيف، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1471م)**. الدار البيضاء، ط1، 1982، ص: 213.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج: 11، ص: 89. مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص: 213.

[3]- **الدهوس**: إسم لإقليم يسقي معظمه بوادي بجاية. ينظر: المشرفي عبد القادر الجزائري. **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**. تح وتق: محمد بن عبد الكريم، د.ت.ن، ص: 26، هـ: 8.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 78-89. سليمان الطيب المرجع السابق، مج: 1، ج: 2، ص: 30.

[5]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 36، 91.

سكنوا ما بين تافيلالت وتيكورارين[1] ابتداء من أعالي ملوية لغاية مقاطعة درعة مع المنبات وعمران وأولاد بو الحصين سنة 1400م[2].

كان حصين بن زغبة في بداية أمرهم إلى جهة الغرب مع إخوانهم يزيد بن زغبة في هضاب التيطري ونواحي المدية[3]، وبعد ذهاب سلطان بني توجين من أرض المرية إثر سيطرة بني عبد الواد على المغرب الأوسط أساؤوا معاملة عرب حصين، كما ذكره ابن خلدون: "ساموا حصينا خطة الخسف والذل وألزموهم الوضائع والمغارم وجعلوهم في عداد القبائل الغارمة"[4]، وعند فشل ريح زناتة وهبوب ريح العز للعرب على عهد أبي موسى بن يوسف، نزلت حصين بتيطري (جبل أشير) وضواحي المدية فملكته وتحصنت به، وأقطعتهم دولة بني عبد الواد في شخص أبي زيان ابن عم السلطان أبي حمو الثاني ملك ما وراء نواحي المرية وبلاد صنهاجة، أما جندل بن حصين فسكنوا جنوب خميس مليانة[5].

ت- بنو مالك بن زغبة:

هم مالك بن زغبة بن ربيعة من بني هلال من العدنانية، وأشهر بطونهم ثلاثة وهي: الحرث بن مالك، عامر بن مالك وسويد بن عامر بن مالك[6]، ولكل بطن منهم عمائر وأفخاذ[1]. ولقد

---

[1]- **تيكورارين:** تعني بالأمازيغية "المعسكرات". منطقة مأهولة في نوميديا بعيدة بنحو 120 ميل عن شرق تسابيت، بها ما يقرب من خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخل. وسكانها أغنياء يتاجرون مع بلاد السودان، إذ تعتبر مجمعا للقوافل التجارية، وكان يقيم بالإقليم بعض اليهود، وكان السكان يؤدون إتاوة صغيرة للأعراب وهم يخضعون لسيطرتهم. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 134.

[2]- Mercier Ernest, **L'Établissement des Arabes dans L'Afrique Septentrionales selon les Documents fournis par Les Auteurs Arabes**. Constantine, L.Marle Libraire- Éditeur. Paris, Challamel Libraire- Éditeur, P: 32.

[3]- Mercier Ernest, Op.cit., P: 324.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 11، ص: 98.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، مج:11، ص: 92. الميلي مبارك، المرجع السابق، ج: 2، ص: 200. أبو ضيف مصطفى، المرجع السابق، ص: 214.

[6]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 24. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 20.

سُويد بن مَالك بن زُغبة: هم سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، من بطونهم: فليتة، جوثة، أولاد ميمون، شبانة، مجاهر وصبيح وهي من ضواعنها، ومخيس بن عمار أخو سويد، أما أحلافهم فهم: محيا من العمور والعطاف والديالم وبنو يقظان وعبيد الله من زغبة. وتعتبر سويد من أقوى بطون زغبة، فلما ملك بنو عبد الواد تلمسان كانت أخص بحلفهم وولايتهم من سائر قبائل زغبة الأخرى، وكانت رئاستها على عهد يغمراسن وما قبله في أولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان، وكانوا ثلاثة وهم: عمر بن مهدي وعطية وطراد. أما بالنسبة لأوطانهم فتعتبر من أغنى وأخصب

ولقد كان لبني مالك إتاوات على بلد سيرات والبطحاء وهوارة، وكانت مواطنهم جنوب مواطن بني توجين المستولين على ما بين سعيدة ولمدية، ثم استولت قبيلة سويد على بلاد بني توجين ما عدا جبل وانشريس، وتعتبر قبيلة سويد من أقوى بطون مالك بن زغبة فقد كانت حليفة لبني بادين قبل ظهور دولة بني عبد الواد، ولما ملك هؤلاء تلمسان خصوها بحلفهم[2].

ث- بنو عروة بن زغبة:

هم بطن من زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال من العدنانية، ولها بطنان عظيمان، وهما: النضر بن عروة وخميس بن عروة، فأما النضر فهم منتبذون بالقفر ينتجعون في رماله ويصعدون إلى أطراف التلول في إيالة الديالم والعطاف وحصين، أما خميس فهم بجبل راشد[3]. وأما فروعها فهي: عبيد الله وأولاد خليفة سكنوا النواحي الصحراوية الشرقية لجبل العمور، أما باقي فروعهم نايل ويقظان وحمكانة وشريفة وصحاري وذوي زيان وقدارة وأولاد سليمان، فكانت مساكنهم بالنواحي الصحراوية والجبلية للمنشتل على امتداد الزاب لغاية جبل العمور[4]. وتعتبر عروة من أضعف بطون زغبة ليس لهم ملك ولا إقطاع إلا ما تغلبوا عليه في أذناب الوطن بجبل المستند مما يلي وطن رياح حيث يسكن قوم من غمرة وزناتة، فتغلبوا عليهم ووضعوا عليهم الإتاوة وصيرتهم خولا، كما منعتهم بطون زغبة من تملك الأراضي لذا عجزت عن دخول التلول[5].

المواطن، وموطنها ابتداء من ق7هـ/13م كان ما بين العطاف شرقا إلى مستغانم غربا، ووفي عهد بني عبد الواد كانت مواطنهم ممتدة ما بين وادي مينة وشلف الأوسط، وقاعدتهم قلعة ابن سلامة، وفي بدايتهم كانوا أحلافا لهم، ولما اختلفوا مع بني عمهم بني عامر بن زغبة تقربوا من بني مرين وعلى رأسهم شيخهم عريف بن يحي خلال ق8هـ/14م. فكان موطنهم ما بين وانشريس وتلمسان عرضا وخليج أرزيو والشط الشرقي طولا، وفي فصل الشتاء كانوا ينحدرون إلى مزاب فيمرون بآفلو وتاجموت، وفي ق 10هـ/16م كانوا بهضاب السرسو إلى وادي مينة، ومع ق12هـ/18م نزلت قبيلة سويد الجنوب الشرقي من زمورة وضواحي وهران، ومع بداية العهد العثماني كانت لهم إمارة بتنس تمتد من قبر الرومية شرقا إلى مصب نهر الشلف غربا، ومع أواخر القرن 11هـ/17م أصبح جزء من قبيلة سويد يعرف بـ"أولاد قصير" في الناحية الشرقية، وبالناحية الغربية من الجزائر فقد عرف باسم "المحال" لغاية اليوم. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 95-96. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 1، ص: 52. المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص: 94.

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 95.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 95. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 1، ص: 52.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 7، ص: 116.

[4]- MERCIER Ernest, Op.Cit, P: 324.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 7، ص ص:116 -117. الطيب سليمان، المرجع السابق، مج: 1، ج: 2، ص: 30. أبو ضيف مصطفى، المرجع السابق، ص: 216.

وتوزعت قبائل زغبة في مختلف مناطق المغرب الأوسط، ولاسيما مدينة تلمسان ومحيطها كما هو الحال مع قبائل بني عامر، والتي تواجدت في محيط مدينة وهران أيضا[1]، وشكل بنو عامر غالبية القبائل العربية في منطقة المغرب الأوسط انطلاقا من القرن السابع الهجري (13م)[2]. وتواجدت قبائل الجعاونة، المطارفة، العثامنة والغسل شمال تلمسان فيما انتشرت قبيلة ذوي عبيد الله في تلمسان ومحيطها[3]، وقبائل الثعالبة والنوايل في منطقة الجلفة[4].

اجتهد ملوك الدولة الزيانية في كسب ود القبائل العربية والتحالف معها والاستفادة من خدماتهم في حماية دولتهم ومواجهة أعدائهم من الدول المجاورة، وبالفعل وقف هؤلاء إلى جانب حكام الدولة الزيانية وساهموا في توطيد أركانها في منطقة المغرب الأوسط، ومن أبرز تلك القبائل: بني عامر، بني يزيد، بني مالك، المعقل وذوي منصور. بالمقابل كانت هناك قبائل عربية تناصب العداء للدولة الزيانية، وتساند أعداءهم الزاحفين إليها سواء كان ذلك الزحف آتياً من الشرق أو من الغرب، لاسيما منها قبائل حصين، ذوي عبيد الله، الثعالبة وسويد، إذ كانت قبيلة بني سويد على سبيل المثال عصب القوة العسكرية للملك يغمراسن بن زيان فأقطعهم الأراضي الواسعة[5] .

ومن هنا، نجد أن القبائل العربية بالمغرب الأوسط كان لها دور فاعل في الحراك السياسي والعسكري الذي شهدته المنطقة، وهذه الأهمية التي تمتعت بها تلك القبائل فرضت على الحكام الزيانيين أخذها بعين الاعتبار والاعتماد عليها في مواجهة الأعداء فضلا عن عدم إثارتهم وكسب عداوتهم. وليس هذا فحسب، وإنما كان للعرب الهلاليين دور تجاري مهم انعكس إيجابا على تلمسان والحكم الزياني، حيث نجحوا في الربط بين الشمال والجنوب وخلق ديناميكية تجارية متميزة حسب ما ذهب إليه جورج مارسيه، حين قال: "يرجع إليهم الفضل في ظهور حركة الاتصال السهل والمستمر بين بلاد البربر الغربية وواحات إفريقيا السوداء، لأن التنقلات الدورية للبدو الهلالية خلقت اتصالات وسهلت تبادل المواد الغذائية، إنهم يستغلون بدون شك سكان القصور الصحراوية، ولكنهم يزودونهم بالقمح الذي ينقلونه من التل، وفي أسواق الشمال يبيعون البلح

---

[1]- للتفاصيل عن جوانب من دور هذه القبيلة، ينظر: حاجيات عبد الحميد، "دور بني عامر في تاريخ الغرب الجزائري أيام الدولة الزيانية". مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 3-4، سنة 2001، تلمسان، ص ص: 157-162.

[2]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 20.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 6، ص ص: 30-114.

[4]- بن منصور عبد الوهاب، المرجع السابق، ص: 423.

[5]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 24.

وإنتاج قطيعهم"[1]. هذا النشاط التجاري المميز من قبل القبائل العربية في منطقة المغرب الإسلامي، ساهم في انتقال الأهمية الاقتصادية التي تمتعت بها مدينة تاهرت في القرن الثالث الهجري (9هـ) كأحد المفاصل المهمة في طرق التجارة ما بين الشمال والجنوب إلى مدينة تلمسان في القرن الثامن الهجري (14م)، وليس هذا فحسب وإنما على نطاق أوسع مثلما أشار إليه جورج مارسيه[2].

وعليه فإن الصورة التي رسمها العرب لأنفسهم في منطقة المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، لم تكن بالسوء الذي يحاول البعض إظهاره، لأنهم قدموا حسبما توفرت لهم الظروف، وهي الإضافات التي جعلت الدولة الزيانية على سبيل المثال تساهم في التراكم الحضاري في منطقة المغرب الإسلامي، إن كان ذلك بالجهدين العسكري أو الاقتصادي.

3. أهل الأندلس:

جاء تأثير هؤلاء في بنية المجتمع في المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط تحديد، على إثر المتغيرات السياسية التي شهدتها بلاد الأندلس نتيجة التراجع الذي أصاب الكيانات السياسية، والعمل العسكري من جانب مملكتي قشتالة وأراغون في العمل على القضاء على الحكم الإسلامي هناك. فالتجأوا إلى المغرب الأسلامي فرارا بدينهم واستقروا بالمدن الكبيرة، علما أن الكفاءات الأندلسية التي هاجرت بلادها استقطبت اهتمام الدول في منطقة المغرب الإسلامي، ومرد هذا التنافس كان واضحا في رغبتها لبعث نسيم الحضارة في مفاصل دولها. ولم يكن حكام الدولة الزيانية بعيدين عن هذا الأمر، إذ نجحوا في استقطاب العلماء والساسة والأدباء الأندلسيين الذين حضروا إلى تلمسان، وكان لهذا الأمر أثره البليغ في تطور منظومة الحياة في مختلف مناحيها، لاسيما الفكري والثقافي وحتى السياسي[3].

---

[1]- مارسيه جورج، المرجع السابق، ص: 328.

[2]- المرجع نفسه، ص: 328.

[3]- عمارة سيدي محمد، **هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012، ص: 7.

ومما شجع الأندلسيين على النزول إلى منطقة المغرب الأوسط تميز مدنه بالحركية الاقتصادية كمدينة تلمسان[1]، والتي كانت تجتذبهم لحالة التشابه بينها وبين مدن الأندلس[2]. ويعلق عبد العزيز الصغير دخان على مسألة إقبال الأندلسيين على المغرب الأوسط عموما وتلمسان تحديدا، بالقول: "فإن أهل المغرب الأوسط كان لهم في تلك الأيام العصيبة دور إنساني كبير فقد احتضنت أهل الأندلس الذين فروا بدينهم، وفتحت لهم ذراعيها، فأضحوا جزءا من نسيجها الاجتماعي، وأسهموا بدور كبير- بعد ذلك- في الحركة العلمية التي عاشتها تلمسان في تلك الفترة"[3]. وأما موقف السلاطين الزيانيين نحو المهاجرين الأندلسيين في مجمله حسن، فقد أسدى أغلبهم لهم كثيرا من الأعمال الطيبة، وأسقطوا عنهم في كثير من الأحيان الضرائب، وأنشئوا لفائدتهم الكثير من المشاريع الخيرية التي جلبت لهم وعلى البلاد الرفاهية، وعادت عليهم بالنفع العظيم وازدهر بها العمران[4].

وقد ساهم الموقف الرسمي وموقف الأهالي المساند لهم، وتنوع فئات التي حضرت إلى المغرب الأوسط من حيث الجاه والعلم والمال، إذ لم يقتصر الحضور على فئة معينة وإنما نجد العلماء والتجار والزراع وعامة الناس أيضا، وكان للترحاب الذي أظهرته الدولة والمجتمع تجاههم أثره الكبير في سرعة اندماجهم في المجتمع الزياني، فساهموا بدور فعال في الإنتاج الثقافي، واحتكر الكثير منهم مجالات مهمة في الدولة، كالتعليم[5] والسياسة[6] والجيش. وليس هذا فحسب، وإنما نجد العديد من البيوتات الأندلسية التي حطت رحالها في منطقة المغرب الأوسط، كان لها دورها الهام والمؤثر على الحياة الاجتماعية والعلمية، نذكر منها: بيت بني الملاح الذين جاءوا من قرطبة

---

[1]- كانت مدينة تلمسان على سبيل المثال تتمتع بموقع تجاري مهم خلال القرن 7هـ/13م، فهي إحدى المحطات التجارية التي يجري فيها تبادل السلع الأوربية وبلاد السودان الغربي، وكانت الدولة الزيانية تشجع هذا النشاط مما شكل إغراءا للعديد من التجار للقدوم والعمل هناك. ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص: 16-17.

[2]- حاجيات عبد الحميد، "تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط". مجلة عصور الجديدة، ع: 2، سنة 2011، وهران، ص ص: 38-40.

[3]- دخان عبد العزيز الصغير، **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان وإمامها وبركتها (ت:895هـ) وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف**. دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، ط1، 2011، ص: 69.

[4]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي** ، ص ص: 198-199.

[5]- حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية**، ج: 2، ص ص: 288-290.

[6]- من الآثار التي تركها التواجد الأندلسي في إطاره السياسي ضمن الدولة الزيانية ما طرأ على البلاط الزياني في تلمسان من تغيير، حينما تحول من طابعه البدوي إلى معالم الأبهة والفخامة بفضل التأثير الأندلسي، إذ كان السلطان يحيط نفسه بأربعة وزراء وشاعر أندلسيين. ينظر: رزوق محمد، **دراسات في تاريخ المغرب**. الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ط1، 1991، ص: 54.

واستقروا في مدينة تلمسان، وبيت بني سيد الناس الذي حضر من إشبيلية وبيت الآبلي وغيرهم[1].

وكان لهذه الهجرات أثرها في مختلف نواحي الحياة ببلاد المغرب خصوصا وأنهم قدموا من بيئة حضارية أرقى من تلك التي بالمغرب، وقد بدأت بوادر التأثير الأندلسي المتسرب إلى المغرب الأوسط تظهر من خلال فقدان الطابع البدوي نتيجة ذلك[2]. وليس هذا فحسب، وإنما تميز هؤلاء الأندلسيين في مختلف المجالات المهنية، قد عاد بالنفع والفائدة على الحياة الاقتصادية في المنطقة. ويعلق حاجيات عبد الحميد على التأثير الذي تركه الأندلسيين في المغرب الأوسط بالقول: "كما أن الترابط الذي ميز العلاقات بين غرناطة وتلمسان قد ترك بصماته في عاصمة بني زيان بأشكال متنوعة، وتتمثل في تقاليد أهلها وعاداتهم ولهجتهم وحرفهم وتراثهم الثقافي والمعماري والفني، وليس أدل على ذلك من ازدهار الموسيقى الأندلسية والصناعات التقليدية بتلمسان إلى عصرنا هذا وحرص أهلها على الحفاظ على هذا التراث"[3].

وعلى الرغم من ذلك لم تكن الهجرات الأندلسية نحو بلاد المغرب الأوسط بالأعداد التي يمكننا وصفها بالكثيفة، إذ ما قورنت بالأعداد التي هاجرت إلى المغربين الأقصى والأدنى، وقد ارتبط هذا الأمر بحالة عدم الاستقرار السياسي والحروب التي كانت تشهدها المنطقة، وتدخلات دول الجوار في شؤون الدولة الزيانية، ويلخص عبد المالك بكاي أسباب محدودية الهجرات الأندلسية نحو بلاد المغرب الأوسط بقوله: "أن الدولة الزيانية لم تكن قادرة على أن توفر لنفسها المجال الجغرافي الضروري وتحميه، وهو ما يختلف مع طموح الأندلسيين الذين سعوا إلى البحث عن مكان يستطيعون فيه فرض طموحاتهم السياسية والعلمية والاقتصادية"[4].

وبناءاً عليه كان لوجودهم –أي الأندلسيين– أثره الايجابي في المجتمع الزياني، إذ أقبلوا على العمل، ونتيجة لذلك نمت الثروة، وارتفع مستوى المعيشة، وأينعت الحضارة في حاضرة الدولة

---

[1]– عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص ص: 73-83.

[2]– بلفرح عبد الرحمان، **ابن قنفذ القسنطيني حياته وآثاره (740–810هـ/1339–1407م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007/2006، ص: 2.

[3]– حاجيات عبد الحميد، "تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة"، ص ص: 38-44.

[4]– بكاي عبد المالك، المرجع السابق، ص: 106.

الزيانية تلمسان وغالبية المدن المغرب الأوسط، وتعددت مظاهر الرقي والتطور[1]. ومما لاشك فيه أن مدن المغرب ازدادت عمقا واتساعا بدخول أفواج اللاجئين إليها من الأندلس، فقد ترك هؤلاء النازحين آثارا كبيرة في البلاد التي دخلوها[2]، ويعلق محمد سعيد الدغلي على هذه المسألة بالقول: "فالنازحون العائدون من الفردوس إلى المغرب قد أعادوا إليه جزء من مدنية الأندلس وبنوا فيه قوة من عزائم الأندلسيين ثم زينوا بآثارهم في المهارة والإتقان"[3].

خلاصة القول، أن للمهاجرين الأندلسيين أثر واضح على الدولة الزيانية ومجتمع المغرب الأوسط، إذ ساهموا في إبراز وترسيخ صور النهضة العلمية والثقافية التي شهدتها المنطقة، وذلك من خلال إسهامات العلماء منهم ودورهم الفاعل في تنشيط هذا المجال، ولم يتوقفوا عند هذا الحد وإنما شاركوا في التدريس والتأليف. ولم يقتصر تميزهم على العلم والثقافة فقط إنما اشتغلوا بالسياسة أيضا ودخلوا الجيش ونشطوا في الزراعة. ومن هنا، لا يمكن تجاهل ما قدموه للمجتمع الزياني.

4. أهل الذمة[4]:

لم تكن أرض الإسلام في يوم من الأيام أرض طرد للأقليات الدينية، وإنما كانت الأبواب كلها مشرعة لهم للعيش بأمن وأمان في حدود الشريعة الإسلامية، التي حافظت على حقوقهم إن كانوا من أهل البلاد الأصليين أو ممن قدم إليها من الخارج. وقد وردت آيات في القرآن الكريم تحدد وتنظم العلاقة بين هؤلاء الذميين والمجتمع المسلم، وقواعدها، ومنها قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ

---

[1]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي** ، ص: 199.

[2]- للمزيد من المعلومات عن التأثير الحضاري للأندلس على تلمسان ينظر: بن سهلة ثاني سيدي محمد، **المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر: تلمسان أنموذجا**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص: 55.

[3]- الدغلي محمد سعيد، **الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب المغربي والأندلسي**. بيروت، دار أسامة، ط1، 1984، ص: 74.

[4]- **أهل الذمة**: هم الذين رضوا بالعيش والاستقرار في بلاد المسلمين، ورضوا بالشريعة والإسلام حاكما وسيادة، ومِن ثم دانوا لحكمه، ولا يتحقق لهم ذلك كما أشار ابن القيم وغيره من العلماء، في كتابه "أحكام أهل الذمة" إلا أن يدفعوا الجزية كاملة عن يد، ويرضوا بسيادةِ الدولة المسلمة الحاكمة، ولا يتعرضوا لأحد من أهل الإسلام بسوءٍ أو إيذاء أو قتل، أو التطاول ببناء الكنائس والمعابد في بلاد الإسلام، وإلا بطلت ذِمتهم، وهؤلاء هم من النصارى واليهود، وفي صدر الإسلام كانت تؤخذ من المجوس أيضا. ينظر: ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، **أحكام أهل الذمة**. تح وتع: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، الدمام، رمادي للنشر، ط1، 1997، ص: 35.

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)﴾[1].

لم تكن بلاد المغرب الإسلامي بعمومها والمغرب الأوسط تحديدا، بعيدة عن استقطاب أهل الذمة والإقامة فيه وفي مقدمتهم اليهود، ويرجع تاريخ الطائفة اليهودية في بلاد المغرب إلى زمن بعيد[2]، وأشار عبدلي لخضر إلى أن تضاعف أعدادهم أثناء عهد الدولة الزيانية كان نتيجة الاضطهاد الذي تعرضوا له في الأندلس على يد الدويلات المسيحية هناك، حين قال: "تضاعفت هذه الجالية أثناء العهد العبد الوادي بعد نزوح عدد كبير من يهود الأندلس وأوروبا الفارين من الاضطهاد المسيحي، فاستقبلهم على ما يروى السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى وأنزلهم بالربط من أجادير"[3].

ومن أهم المدن التي استقر بها اليهود في بلاد المغرب الأوسط مدينة تنس[4]، لكونها تتمتع بموقع تجاري هام، وسكنوها مقابل جزية يدفعونها، كما استقر عدد منهم في مدن أخرى كقلعة بني حماد، وارجلان، أشير وتاهرت، كما سكنوا تلمسان، وأصبحوا حلقة وصل مع يهود المغرب الأقصى[5]. وامتاز يهود مدينة تلمسان كونهم من فئة العلماء والأغنياء الميسورين، وبلغ عدد البيوت اليهودية في المدينة الـ (500) بيت[6]. ونظرا للحرية التي تمتع بها اليهود في مجتمع المغرب

---

[1]- سورة الممتحنة، الآياتان: 8-9.

[2]- يرجع تاريخ قدوم اليهود إلى المنطقة في أعقاب هدم الهيكل الأول في 586 ق.م، وذلك على قوارب الفينيقيين إلى قرطاج المستعمرة التي أسسوها في شمال إفريقيا، وبعدها توالى قدومهم إلى المنطقة، وأخذوا بالانتشار في كامل منطقة شمال إفريقيا. للتفاصيل ينظر: عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/ 642-1070م)**. الجيزة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001، ص ص: 53-67.

[3]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي** ، ص: 200.

[4]- ساهم الأندلسيون بشكل فاعل في إنشاء العديد من المدن أو إعادة إحياء ما اندثر منها على ساحل المغرب الأوسط، والتي غدت مراكز تجارية هامة في منطقة البحر الأبيض المتوسط، مثل مدينة تنس والتي شيدها أهل الأندلس سنة 262هـ/875م، وهران وتدلس وغيرها. ينظر: بورملة خديجة، النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط (دراسة نماذج بعض المدن من خلال كتابات الجغرافيين). مجلة عصور الجديدة، ع: 23، أوت 2016، وهران، ص ص: 133-140.

[5]- نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7-10هـ/13-16م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص ص: 41-42.

[6]- بشير عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 47.

الأوسط، والتي كفلها لهم الدين الإسلامي[1]، علق علي أحمد على هذه المسألة، أي حرية المعتقد والعيش لليهود في البلاد الإسلامية، حين كتب يقول: "وفي المغرب الإسلامي وجد اليهود تشجيعا قويا من قبل الحكام، حتى ما قبل نهاية القرن الخامس الهجري بسنين قليلة، وذلك لأن عرب المغرب كانوا كإخوانهم في الأندلس خلال عهود القوة العربية الإسلامية، ولاسيما خلال عهد الإمارة والخلافة الأموية، كانوا يعاملون اليهود معاملة طيبة وذلك انطلاقا من نظرتهم الإنسانية الرائعة، هذه النظرة التي لا تفرق بين الناس طالما هم ملتزمون بمسيرة الحكم العامة"[2].

ومن هذا المنطلق، فإنهم حافظوا على الروابط الأسرية والاجتماعية، ومارسوا عاداتهم وتقاليدهم التي ينص عليها الدين اليهودي مثل: الزواج والعبادات وغيرها من الأمور الأخرى. كما كان ليهود تلمسان دور الوسيط بين اليهود الأهالي واليهود الوافدين من الأندلس على بلاد المغرب الأوسط، مثلما حدث في سنة 803هـ/1400م بعد النزاع الذي نشب بين الطرفين نتيجة الاختلاف في اللغة والعادات والتقاليد الاجتماعية فضلا عن المنافسة الاقتصادية[3]. علما بأن اليهود كانوا يؤدون شعائرهم الدينية فيها بحرية تامة، دون مضايقة من المسلمين، لاسيما وأن مراكز العبادة الخاصة بهم موجودة منذ عهود قديمة، فضلا عن كون الفقهاء في المغرب الإسلامي أفتوا بأن الوفاء لأهل الذمة واجب، وأباحوا لكل طائفة منهم بناء كنيس واحد لإقامة شعائرهم[4].

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا أن اليهود وجدوا حياة أفضل مما كانوا عليه من قبل، لاسيما اليهود الذين كانوا في الأندلس، إذ ذاقوا في ظل الاضطهاد المسيحي من جانب حكام الممالك المسيحية الكثير من المعاناة، فكان الملاذ الآمن والفضاء الذي توفر في ظل المجتمع الزياني بداية جديدة في النجاح والاستقرار. ولم يتميز اليهود في التجارة وهي مهنتهم الأساسية، وإنما برزوا

---

[1]- وردت في كتاب المعيار إشارة إلى أهمية أن يحترم اليهود حقوقهم وحقوق المسلمين، ففي باب نوازل الضرر والبنيان، وردت نازلة تسأل عن سكنى يهودي في درب مسلمين. للتفاصيل ينظر: الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**. تخ: جماعة من الفقهاء، إش: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ج: 8، ص: 437.

[2]- علي أحمد، "اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى". مجلة دراسات تاريخية، ع: 57-58، السنة 17، سبتمبر– ديسمبر 1996، دمشق، ص: 175.

[3]- نميش سميرة، المرجع السابق، ص ص: 47-48.

[4]- كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**. الإسكندرية، مؤسسة شباب شباب الجامعة، ط1، 1997، ص: 37.

أيضا في مجالات أخرى، فكان منهم العلماء والأطباء، ومن أشهرهم نذكر: أسرة آل دوران التي استقرت في مدينة الجزائر، ومن أبرز أفرادها في الفلسفة: شمعون بن سماح دوران الشهير بـ"براشياخ" وابنه[1]، وكذلك اشتهر العالم الطبيب موشي بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي[2] الشهير بـ"ابن الاشقر"[3].

وهناك أيضاً **النصارى** الذين يعود تواجدهم في بلاد المغرب الإسلامي إلى ما قبل الفتح الإسلامي، ولكن أعدادهم أخذت بالانحسار تدريجيا إذ لم يبق منهم إلا القليل[4]. استقروا في المغرب الأوسط، فسكنوا العديد من مدنه، من بينها مدينة قسنطينة التي عاهدوا أهلها على دفع الجزية مقابل البقاء، واستقروا كذلك بمدينة طبنة ببلاد الزاب ومدينة بونة التي كانت مركز إشعاع ديني، كيف لا وهي المدينة التي تواجد فيها القديس أوغستين الذي كان يشكل مركز استقطاب للطائفة المسيحية، ومدينة باغاية التي استقر بها الجند والعجم من أهالي خراسان والعجم من بقايا الروم، وجزائر بني مزغنة التي وجدت بها كنيسة لهم[5].

وفيما يخص مدينة تلمسان تشير المصادر التاريخية إلى وجود طائفة من النصارى في القرن الخامس الهجري الحادي (11م)، وكانت لهم كنائس يقيمون فيها شعائرهم الدينية ويعود هذا للحرية التي كانوا يتمتعون بها في هذه المنطقة[6]. ويشير فيلالي عبد العزيز إلى أن النصارى الذين سكنوا المدينة أيام الحكم الزياني كانوا من التجار الذين قدموا إليها من الخارج[7]. وقد اعتبرت

---

[1]- بوعمامة فاطمة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ14-15 ميلادي**، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص ص: 173-174.

[2]- **موشي بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي**: عرف واشتهر بـ"ابن الاشقر"، وهو ينتسب إلى أسرة يهودية عريقة في الأندلس، عرف عن أفرادها شغل المناصب الروحية والاشتغال في الطب. ولد في مدينة ملقا سنة 820هـ/1417م، تتلمذ على يد والده وبعض علماء المدينة وتبحر في الطب. وبعد انتقال أسرته إلى المغرب الأوسط وتحديدا إلى مدينة تلمسان برز في الطب وفنونه، وأصبح مرجعا فيه فتقرب إليه طلبة العلم للاستفادة منه. وأشاد به الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل فتحدث عن براعته فيه، وتقرب منه مصادقة لفترة وتعلم منه وأعطاه الإجازة في الطب. ولشهرته قربه السلطان الزياني إليه وعينه رئيسا للأطباء. ينظر: بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص: 189.

[3]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 193.

[4]- المرجع نفسه، ج: 1، ص: 187.

[5]- نميش سميرة، المرجع السابق، ص ص: 37-38.

[6]- الحميري، المصدر السابق، ص: 135.

[7]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص:187.

تلمسان منطقة استقطاب وجذب للنصارى نظرا لموقعها الجغرافي الذي يسمح بتنوع الأنشطة وممارسة التجارة ومختلف الحرف، كما جذبت مدينة تاهرت عددا كبيرا من النصارى، كما تواجدوا في مدينة مليانة وأرزيو[1].

وشكل غالبية النصارى في عهد الدولة الزيانية من غير أبناء المنطقة، إذ كانوا يمثلون فئات تواجدت بحكم ظروف ومتغيرات فرضتها الأوضاع السياسية والاقتصادية في المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصا. وهذه الفئات، هي: الجند، الأسرى والتجار فضلا عن عمليات الترحيل الإجباري من الأندلس إلى المغرب الإسلامي[2]، إذ استخدم الجند منذ عصر المرابطين القرن الخامس الهجري (11م) كجند مرتزقة ثم استخدموا خلال القرن السادس الهجري (12م) للقيام بمهام الحراسة والدفاع عن السلطان والدولة[3]. ومثلما كان التعامل مع اليهود، كان التعامل مع النصارى، إذ تمتعوا بحرية دينية وفق ما ينص عليه الشرع الإسلامي.

خاتمة القول، وجد أهل الذمة في ظل المجتمع الزياني الأجواء المثالية التي تمكنهم من العمل وتحقيق غاياتهم المادية والمعنوية، لكون أبناء المنطقة لم تكن لهم تلك النظرة الضيقة التي تحول بين هؤلاء والغايات التي ينشدونها، شرط أن لا يخرجوا عن سياق التقاليد والقيم التي يؤمن بها المجتمع وخصوصيته الإسلامية.

ثانيا: المجتمع الزياني وعلاقته بالسلطة

من المعلوم أن السلطة السياسية في المغرب الإسلامي قد استحكمت بقوة العصبية من جهة، وبأرضية إصلاحية تستمد عناصرها من الإسلام من جهة أخرى. إن الدولة لا تستكمل مشروعيتها إلا في إطار الانتماء إلى الإسلام وتطبيق شرائعه ونظمه، ومن هنا الموقع المميز داخل الدولة الإسلامية للفئات التي تمثل طاقات دينية، سواء بالعلم أو بالنسب أو بالسلوك، لهذا عملت الدولة على تقريبها ورعايتها، وتكييف ممارستها للسلطة وفق الضوابط الدينية التي يعتبر الفقهاء قيمين على ممارستها واحترامها، كما عملت في كثير من الأحيان على تجاوز صرامتها ورقابتها

[1]- نميش سميرة، المرجع السابق، ص 38.

[2]- بوتشيش إبراهيم القادري، **تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1994، ص ص: 89-92.

[3]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 187-190.

لسلوكها في الحكم، باصطناع الفقهاء والشرفاء وغيرهم من الفئات المذكورة، حتى تتمكن من الاستفادة من موالاتهم أو على الأقل ضمان حيادهم[1].

ولم تختلف بنية المجتمع الزياني عما هو سائد في منطقة المغرب الإسلامي، إذ جرى تأسيسه على أساس العصبية القبلية، فقد كان النسب في المجتمعات العربية في عمومها هو القبيلة، التي تعتبر المحرك الأساس للعصبية التي لا تعني سوى التحالف بشكل من الأشكال مع الأسرة البارزة بنسبها في محيط جغرافي معين. وخير من عالج هذه الإشكالية هو ابن خلدون ضمن نظرية العصبية عن الترابط بين النسب والعصبية، حيث كتب يقول: "إن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنعرة والتناصر، فحيث تكون العصبية مرهوبة والمنبت فيها زكي محمي، تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى، وتعديد الأشراف من الآباء زائد في أفئدتها فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها"[2]. وعليه، فقد اعتبر ابن خلدون مسألة الشرف هي الحالة التي يشكل كل من النسب والعصبية إطارها الاجتماعي.

وكانت العلاقة بين المجتمع والسلطة تعكس طبيعة المراحل السياسية التي مرت بها السلطة الزيانية وطبيعة المؤثرات الخارجية، والتي أثرت بشكل كبير وفاعل في مسيرتها، ومن أجل بناء وخلق أواصر العلاقة الهادئة بين السلطة والمجتمع، في هذه المرحلة نجد أن السلطة الزيانية أخذت تبحث عن جميع السبل التي توطدت هذه العلاقة، ومن هذا المنطلق كانت فئة الأشراف من الفئات الاجتماعية الفاعلة في المجتمع الزياني حالها حال مناطق المغرب الإسلامي ولها دور ثقافي وسياسي واجتماعي .

لقد اعتبر الزيانيون أنفسهم من الأشراف إذ ينتسبون حسب قولهم إلى البيت العلوي حتى أننا لم نعد نسمع فقط عن النسب من الأب، وإنما النسب من الأم، والتي أدخلت الفقهاء في خلاف حول أحقية هذا النسب من عدمه، فتجادل فقهاء بجاية وتونس حول هذه المسألة، لاسيما وأن فقهاء تونس أفتوا بعد جواز ذلك في حين أفتى فقهاء بجاية وعلى رأسهم الفقيه علي

---

[1]- فتحه محمد، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/ 12-15م)**. الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني، ط1، 1999، ص: 27.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 167.

المشدالي (ت: 693هـ/1293م) بثبوت الشرف من جهة الأم، وسرعان ما أضيف لهم فريق ثالث من فقهاء تلمسان في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (14م) وعلى رأسهم عالمنا ابن مرزوق الحفيد، الذي اعتمد على مجموعة من القياسات الفقهية في ثبوت الشرف من الأم، كلها تدور في فلك القرابة النبوية[1].

ومن هنا، كانت مسألة النسب الشريف، ومكانة الأشراف في المجتمع الزياني لها تأثيرها في علاقة المجتمع بالسلطة، وكان لهذا تأثيره في أن يتظاهر سلاطين الأسرة الزيانية بهذا الانتماء، وعمل بعض الكتاب على إثبات هذا النسب الشريف للزيانيين، كما هو الحال محمد بن عبد الله التنسي حيث اجتهد من أجل إثبات صحة النسب الشريف لهم، فعلى سبيل المثال أشار إلى الميزة التي امتاز بها السلطان محمد المتوكل وهو النسب الشريف من جهتي الأب والأم، حين كتب يقول: "فقد خص أعلاه الله منارة بأمور لم تكن في غيره، منها حصول الشرف له من أبويه جميعا، فإن والده المولى محمد بن أبي ثابت بن أبي تاشفين بن أبي حمو بن أبي يعقوب بن أبي زيد بن أبي زكريا بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان، وأمه أمة العزيز ابنة محمد بن أبي الحسن بن أبي تاشفين بن أبي حمو بن أبي سعيد بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان، وهذا المعنى من الخلفاء عزيز، فقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه لم ينل الخلافة من أبواه هاشميان إلا علي بن أبي طالب والأمين ابن الرشيد، فمولانا المتوكل ثالثهما في هذه الخاصية الشريفة"[2].

وإن كان ابن خلدون يورد على لسان يغمراسن بن زيان ما يناقض ذلك، حين كتب يقول: "وقد قال يغمراسن بن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه إلى إدريس كما يذكرون فقال برطانتهم ما معناه: إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[3]. وإن صدق هذا القول، لكن الزيانيين، مثل بقية أنظمة الحكم،كانوا في بعض مراحل حكمهم بحاجة إلى السند الديني الذي يكرس حكمهم وبقائهم. فقد كان سلاطين الدولة الزيانية يقيمون

---

[1]- عمراني محمد، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغاربي بين النصف الثاني من القرن 9-13هـ/ ونهاية 15-19م**. دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2015، ص ص: 60-61.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص: 256.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 97.

الاحتفالات الكبيرة في ليلة المولد النبوي كما يفعل ملوك المغرب الأقصى، دلالة على تأكيد نسبهم الشريف بطريقة أو أخرى، مثلما كان يفعل أبو حمو موسى بن يوسف[1].

وبناء عليه، كانت فئة الأشراف من الفئات المقربة للسلطة الزيانية على اعتبار أنها تنتمي إليها، وتقريبها يعطيها نوعاً من الشرعية وحب الرعية لهم، نظرا لتأثير هذه الفئة من المجتمع الزياني. وكان هؤلاء يحظون بكامل الرعاية والاحترام. إن هذا الاحترام وما ترتب عنه من معاملة جعل الشرفاء يمثلون فئة اجتماعية نبيلة بنسبها، تضاهي من حيث الأهمية نسب الأسرة الحاكمة نفسها، وهو الذي جعل الأسرة الحاكمة تدعي النسب الشريف، وأصبح الشرفاء يمثلون عمليا سلطة معنوية فعلية[2]. وبالنظر لأهمية هذه الفئة نجد أن كتب النوازل تضمنت الكثير من الإشارات إلى القضايا من الموضوعات التي لها علاقة بإثبات النسب الشريف، وذلك لما لهذه الصفة من مكانة مقربة عند السلطة الحاكمة وما تحققه من امتيازات[3].

ومن الفئات التي كان لها مكانة مميزة في المجتمع الزياني ومقربة إلى السلطة فئة العلماء والفقهاء، إذ كان لهم مكانة متميزة في المغرب الأوسط لتعدد مجالات اختصاصها في المجتمع، ولارتباطها بشؤون السياسة والحكم، وكانت الوظائف المسندة لفئة العلماء والفقهاء كثيرة ومتعددة منها: القضاء، الفتوى، الشهادة، التوثيق، الخطابة، الحسبة والنظر على الأوقاف وأموال اليتامى وغيرها من المراتب. وربما مال أكثر الفقهاء إلى تولي الرتب الشرعية، ولهذا فرق ابن خلدون بين الوظائف الدينية والمدنية، فسمى الأولى الخطط الدينية، وهي كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى، وسمى الثانية الخطط السلطانية والرتب الملوكية كالوزارة والكتابة والحجابة، وبحكم الوظائف المتعددة لهذه الفئة، كانوا مستشارين للسلاطين وكانوا في أغلب الأحيان موظفين في الدولة ككتاب وقضاة وأصحاب حسبة[4].

---

[1]- المقري شهاب الدين بن محمد التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**. ض تح تع: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة، د.ت.ن، ج: 1، ص ص: 243-244.

[2]- فتحة محمد، المرجع السابق، ص: 225.

[3]- الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص ص: 199- 231.

[4]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 87.

ونالت فئة العلماء والفقهاء حيزا من وصايا السلطان أبي حمو موسى الثاني (760 791هـ/1359 1388م) لولده أبي تاشفين الثاني (791-795هـ/1388-1393م)، حيث أمره باتخاذ فقيه يخص نفسه به ويستشيره في أمور الدين والسياسة، فحثه بقوله: "فلتتخير لنفسك فقيها عالما موسوما بالصلاح، سالكا طرق الرشاد والفلاح، يرشد إلى الهدي ويهدي إلى الرشاد، ويسدد الأمور ويأمر بالسداد، ليبين لك ما أشكل عليك من الأحكام، وما تأتيه من الحلال وتدعه من الحرام، وما تقف عنده من الأمور الشرعية التي هي قوام الملك والرعية، وما يصلح لك من الأمور الدنيوية والأخروية، ويخولك للموعظة ويذكرك أحوال الآخرة"[1]. وفي مناسبة أخرى يقول: "وأما جلساؤك فلتجالس العلماء والفقهاء والأشراف ذوي الأذهان الثاقبة الحاضرة، فصحاء اللسان، نصحاء في السر والإعلان"[2].

خلاصة القول، بمرور الوقت أخذت أركان هذا المجتمع تتطور وتأخذ أبعاد الرقي والتطور الحضاري لينتقل من حالة البداوة إلى حالة المدنية، وقد ساهم في ذلك عدة روافد إن كانت أندلسية أو مشرقية، مما جعل المجتمع ينظر إلى هذه المتغيرات بعين الاهتمام والرغبة في الاندماج والتطور. وهذا الأمر، هو الذي جعل حراكية المجتمع خارج إطار المستوى السياسي المضطرب والمتدهور. وفي هذا يعلق أبو القاسم سعد الله، قائلا: "ووسط الصورة المضطربة للحياة السياسية كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتشع بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا، ومن هذه المدن نذكر: تلمسان وقسنطينة ومازونة ووهران والجزائر"[3].

---

[1]- أبو حمو موسى، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**. د.م.ن، د.ت.ن، ص : 107.

[2]- المصدر نفسه، ص: 109.

[3]- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج: 1، ص ص: 44-45.

المبحث الثالث: الحياة الثقافية والعلمية

إن الثقافة والعلم من الأسس والركائز التي لا يمكن تجاهلها إذا ما أريد بناء مجتمع متحضر ومتطور. ومما لاشك فيه أن نمو العلوم وازدهارهما في أي مجتمع يتحقق في ظل حالة من الأمن والاستقرار بما يسمح باستمرارية النشاط الفكري والإبداعي. ومن الصعب جدا أن يتحقق ما أشرنا إليه في حال فقدان الأمن والأمان والاستقرار السياسي، ويقدم لنا ابن خلدون توصيفا رائعا لهذه المسألة، حين يقول: "في العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة والسبب في ذلك أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش"[1].

ومن هنا اشتهرت مدينة تلمسان حيث نشأ ابن مرزوق الحفيد فيها، من أنها الحاضرة السياسية والثقافية والعلمية التي احتضنت عددا من المراكز الدينية والعلمية، واستوطنها كثير من العلماء والأدباء، وازدهرت فيها الثقافة والحرف والصنائع والفنون فبلغت درجة كبيرة من التطور الفكري والثقافي، مما جعلها تتبوأ مكانة نافست بها أكبر المراكز الفكرية والعلمية في منطقة المغرب الإسلامي، مثل القيروان، فاس وقرطبة[2]. فلا بد من تتبع الحياة الثقافية والعلمية التي كانت سائدة خلال العصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد، وذلك لكي نتمكن من فهم طبيعة الأثر الذي تركته في مسيرته، فهو بطبيعة الحال، نتاج تلك البيئة الثقافية والعلمية. لاسيما وأنها شهدت ظهور عدد كبير من العلماء الذين تركوا تراثا علميا ضخما توارثته الأجيال، وقد احتفظ التاريخ بمصنفاتهم التي بقي تأثيرها على الحركة العلمية ليومنا[3].

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 548.

[2]- بن قربة صالح وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**. الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط1، 2007، ص: 135.

[3]- ابن مرزوق الحفيد التلمساني، **المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح**. در وتح: حفيظة بلميهوب، د.م، دار التنوير، ط1، 2010، ج: 1، ص: 66.

أولاً: اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء

لا يختلف اثنان من أن بعض ملوك الدولة الزيانية أبدوا اهتماما كبيراً بالعمل على ترسيخ المفاهيم ووضع الأسس نحو غرس قيم العلم والمعرفة في مجتمعهم، ولكن هذا النهج كان يتلاشى في ظل الفوضى السياسية والتهديدات الخارجية التي كانت تحيط بالدولة، وهو أمر طبيعي، وأشار ابن خلدون إلى هذه المسألة حين قال: "إن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها، وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر فالدولة دون عمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان"[1]. ويعلق عبد المجيد الصغير على هذا بالقول: "إشكالية العلاقة المفترضة بين الازدهار المعرفي والتقدم العلمي وبين الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي"[2].

لقد عاشت الدولة الزيانية، وهي التي أزيلت في بعض الأحيان، من تراجع رغبة الحاكم في إيجاد الفضاءات الملائمة لتحليق بالعلم والارتقاء به، وذلك نتيجة انسداد الأفق والانشغال بما يساعده في منع المخاطر والمحافظة على كرسي الحكم، وعند ذاك ستكون مسألة رعاية العلم والمعرفة من الأمور الثانوية. ومن خلال ما سبق، أن الفرضية التي تقول من أن الملوك الزيانيين هم أصحاب الفضل في استمرارية الارتقاء الحضاري لمدينة تلمسان وبقية مدن الدولة الزيانية، غير دقيق إلى حد بعيد، إذ أن غالبية الملوك الزيانيين كانوا إما في حالة صراع داخلي مع أحد الأمراء الزيانيين أو مع دولة من دول الجوار هذا من جهة، أو في حالة تبعية، ضعفاً، غير قادر على ضمان بقائه من جهة أخرى[3].

إن الدلائل التي تؤكد على الرغبة والاهتمام في العلم والعلماء من جانب الملوك الزيانيين كانت مرتبطة بحاجة ذاتية والمتغيرات السياسية الداخلي منها والخارجي، التي تحيط بالدول الزيانية،

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 471.

[2]- الصغير عبد المجيد، "تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي". مجلة العلم والفكر العلمي بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001، ص: 163.

[3]- ينظر على سبيل المثال الرأي الذي ذهبت إليه هوارية بكاي حين قالت: "وإذا تأملنا تاريخ الدولة الزيانية نجد أن نمو الحركة العلمية فيها كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بسلاطينها الذين كانت لهم الرعاية مستمرة للعلم، والأدب ومختلف العلوم". ينظر: بكاي هوارية، **العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633-962هـ/1233-1554م)**. أطروحة دكتوراه غير منشورة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص: 141.

تتمثل في أحسن أوجهها في عصر ابن مرزوق الحفيد، الذي تزامن مع 13 ملكا زيانيا[1]، إلا أننا لم نجد منهم إلا القليل من التفت إلى رعاية العلم والعلماء والإغداق على المؤسسات التعليمية والثقافية، إذ تشير المصادر إلى الجهد الكبير الذي بذله أبو حمو الثاني ثم تراجع هذا الاهتمام حتى عاد محتشما في عهد أبي زيان محمد بن أبي حمو (796-801هـ/ 1394-1399م) لينقطع أثره إلى فترة حكم أبي العباس أحمد العاقل(834-866هـ/1430-1452م)، والذي لم تقدم لنا المصادر الصورة المثالية في الاهتمام إلا بقدر محدود[2]. ولكن من منا يخالف الرأي الذي يقول أن تلمسان كانت خلال ذات الفترة قبلة لطلبة العلم والعلماء للاستزادة من علمائها والاستفادة منهم؟

ومن خلال ما سبق نجد أن العامل الذي جعل تلمسان تتميز في حركتها العلمية والثقافية كان مرتبطا بالحركة العلمية التي شهدها المغرب الإسلامي ولاسيما حواضره، بمعنى أن الموقع الوسط الذي كانت عليه تلمسان، جعلها محطة توقف للعلماء وطلبة العلم، وهذا ما ساعدها في الحفاظ على استمرارية رقيها الفكري والثقافي الذي عرفت به، وقد يكون للمنافسة السياسية أيضا بين دول المنطقة أثرها في تفعيل ذلك[3].

بالمقابل ما يؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه بخصوص ديمومة الحراك العلمي والثقافي مرتبط بحراكية عامة في بلاد المغرب الإسلامي، ما يتجسد في مدينة تلمسان حاضرة الدولة الزيانية، التي لم تشهد تراجعا أو توقفا عن انتهاج طريق الارتقاء العلمي والثقافي الذي كان قد أخذ خطا بيانيا تصاعديا يقابله خط بياني تنازلي في دورها السياسي، وهذه المؤشرات تتناقض مع الرأي الذي يقول أن الرقي الفكري والحضاري مرتبط بحالة الاستقرار السياسي. وتدعيما لما نذهب إليه، نشير إلى ما ذكره محمد رزوق بخصوص الرحلة التي قام بها خالد بن عيسى البلوي[4] سنة

---

[1]- للاطلاع على قائمة الحكام الذين عاصرهم ابن مرزوق الحفيد، ينظر الملحق رقم: (1)، ص: 443.

[2]- للمقارنة ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص ص: 157-249.

[3]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 437. ويضيف يحي بوعزيز عوامل أخرى إلى جانب موقعها الاستراتيجي، وهي: كونها منبتا ومحطا لأنظار العلماء وطلاب العلم، وأيضا كانت محطة عبور لقوافل الحجاج. ينظر: "المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية 1975، الجزائر، ص: 4.

[4]- **خالد بن عيسى البلوي**: هو أبو البقاء علم الدين خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي القتوري إمام وقاض في غرناطة، كان من أهل الفضل كثير التواضع والخلق الحسن وجميل المعشر، محل للعلم، حج وقيد رحلته في سفره ووصف فيها البلاد التي زارها ومن لقي بها. من شيوخه: عبد العزيز القروي، أبو العباس بن شعيب الجزنائي، أبو موسى ابن الإمام

736هـ/1335م والتي زار خلالها مدينة تلمسان، والرحلة التي قام بها إبراهيم بن الحاج النميري[1] إلى بلاد المغرب الإسلامي سنة 745هـ/1344م زار خلالها مدينة تلمسان[2]. ولو أمعنا النظر في التاريخين الذين تمت خلالهما الزيارتين، نجد أنهما كانتا في فترات اضطراب وفوضى شهدها بلاد المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة. وتتمة لهذا القول، نستعين هنا بالرأي الذي ذكره فيلالي عبد العزيز، حين قال: "لا شك أن الحياة السياسية القلقة التي عاشتها مدينة تلمسان في بعض الفترات من تاريخها الزياني التي سببتها الفتن الداخلية أو الحملات المرينية والحفصية المتكررة على العاصمة الزيانية، لم تؤثر على الحياة العقلية السائدة في المدينة أو تعرقل نموها المطرد، بل ظلت تلمسان تحافظ على مكانتها العلمية حتى في أحلك ظروفها السياسية، ويعود ذلك إلى جملة من العوامل من البيئة التلمسانية ومن واقعها المادي والبشري، ومن معطياتها الاجتماعية والفكرية"[3].

وهو نفس الرأي الذي ذهبت إليه بلميهوب حفيظة حين قالت: "لقد ميز القرن التاسع التدهور في الأوضاع السياسية وكثرة الفتن والحروب الداخلية في المغرب والمشرق إلا أن الحركة العلمية بالمغرب الأوسط كانت نشطة جدا". ثم تضيف قائلة: "وظهور عدد هائل من العلماء الذين تركوا تراثا علميا ضخما توارثته الأجيال، وقد احتفظ التاريخ بمصنفاتهم التي بقي تأثيرها على الحركة العلمية إلى اليوم بالإضافة إلى الزيارات المتواصلة التي كان يقوم بها العلماء لتلمسان من المغرب ومن الأندلس والمشرق طلبا للعلم والتفقه على علماء تلمسان"[4].

ووغيرهم. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**. مر وتق وتع: بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الأمل للدراسات، 2009، ق: 2، ص ص: 82-86. التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ج: 1، ص ص: 173-174.

[1]- **ابن الحاج الغرناطي**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج، ولد في غرناطة سنة 713هـ/1313م، شاعر ومحدث وفقيه وقاض، رحل في طالب العلم فزار بجاية وتلمسان، ومصر والحجاز وبلاد الشام. من شيوخه: أبو بكر بن عاصم والمزي. وله عدد من المؤلفات، منها: اللباس والصحبة، كتاب في الفرائض، رجز بالجدل، الفصول المقضية في الأحكام المنتخبة. ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ق: 1، ص ص: 681-721. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 46-47.

[2]- رزوق محمد، المصدر السابق، ص ص: 55-56.

[3]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 319.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 66.

على العموم، كان لاهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم وتشجيعهم للعلماء دور مهم في وضع دولتهم في مصاف الدول الأكثر اهتماما بالعلم والعلماء في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وذلك لما أبدوه من اهتمام كبير ببناء المؤسسات التعليمية ورعاية خاصة للطلبة والعلماء إذ عملوا على تأسيس عدد من المدارس وأشرفوا على سير التعليم بها، ومنحوا الطلبة والعلماء العديد من الامتيازات التي تديم استمرارية رقي التعليم والتحصيل العلمي وارتقاء الحركة الفكرية. كما أكثروا من العطايا الوقفية التي رصدت مداخليها لتشجيع الجميع على طلب العلم[1]. وعملوا على جذب من هم خارج تلمسان عبر بذل العطاء لهم، ومثال ذلك الاهتمام الكبير الذي أبداه أبو حمو موسى الأول حين دعا ابني الإمام إلى تلمسان، وأنشأ لهما مدرسة للتدريس فيها والتي حققت شهرة كبيرة، وأخذ عنهما العديد من طلبة العلم من مختلف أصقاع المغرب الإسلامي[2].

وفي خضم هذا الإبداع والتميز الذي كانت تشهده تلمسان في المجال الثقافي والعلمي، نجده لم يقتصر على ما تقوم به مراكز العلم ويقدمه العلماء فحسب، وإنما ما تميز به عصر ابن مرزوق الحفيد ليس فقط جهود بعض السلاطين الزيانيين في ترسيخ المعارف والعلوم وتشجيع ذلك فحسب وإنما كانوا فاعلين فيه أيضا، ويتجلى ذلك في شخص السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي عرف إلى جانب تميزه في السياسية، اهتماماته الأدبية إذ ذاع صيته في مجال الأدب ونال بجدارة لقب "السلطان الأديب"، فترك لنا آثارا قيمة تعكس الثقافة السائدة في عصره[3]. وكان لهذا أثره في أن يرتقي بمستوى الثقافة والحضارة في تلمسان إلى المستوى الذي جعلها تنير بضيائها سماء المغرب الإسلامي بعمومه[4].

فكان لمساهمة أبناء الأسرة الزيانية ملوكا وأمراء أثر واضح في ارتقاء مستوى العطاء الفكري والثقافي في تلمسان، وكتب فيلالي عبد العزيز عن هذه المسألة بالقول: "كان ولاء الأمراء والسلاطين وغيرهم يشجعون العلماء على الاجتهاد في الدرس، وتحرير الأفكار من الركود وتنشيط

---

[1]- حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني**، ص: 159.

[2]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 232.

[3]- بوزيدي سليم، "جماليات التوازي في التراكيب الشعرية عند أبي حمو موسى الزياني". مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع: 9، سنة 2013، بسكرة، ص ص: 207-209.

[4]- للتفاصيل عن تطور الحياة الثقافية والعلمية في عهد أبي حمو موسى الثاني، ينظر: حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني**، ص ص: 157-181.

الحركة الفكرية بالعاصمة الزيانية، وكانوا يشرفون في بعض الأحيان على المجالس والمنابر التي فيها الدروس العلمية، التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى، كما كان في عهد أسلافهم الموحدين"[1]. بمعنى أن اهتمامهم ورعايتهم للعلم والثقافة كان ضرورة تخدم متطلبات وصورة الحاكم، ومن هنا عملوا على استقدام أهل العلم والأدب خاصة الشعراء منهم، وأحاطوا أنفسهم بالفقهاء على مثال ما كان يفعله جيرانهم ومنافسوهم بنو مرين وبنو حفص.

إن الرقي الحضاري الذي شهدته الدولة الزيانية يلخصه لنا، كل من محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي في تقديهما لكتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، بالقول: "كانت الحياة العلمية بها يانعة، فكانت ثالثة الحواضر الكبرى بالمغرب وهي تونس وفاس وتلمسان، وظهر من أبنائها من ملأ صيتهم الكثير من أصقاع العالم الإسلامي، وشهد لكثير من رجالها بالتقدم لا في المملكة الزيانية بل فيما هو أوسع من ذلك،حتى أن شهرة بعضهم في المشرق لن تدانيها شهرة"[2].

ومن هنا يمكن القول أن أهمية العلم للحاكم كانت تدفعه نحو الاهتمام به ودعمه، إذ اقتنع حكام الأسرة الزيانية من أن المكانة العلمية الرائدة التي كانت تتمتع بها حاضرة تلمسان تعود بالأساس إلى نزعتها العلمية والثقافية، فأرادوا تكريس ذلك في صالح مسيرتهم، ومن هذا المنطلق تميز بعض السلاطين والأمراء بدعم العلم والعلماء. وفي هذا ترى سكاكو مريم اختباء بعض مرام سعى إليها السلاطين الزيانيين من وراء الاهتمام بالعلم والعلماء، حين تقول: "ورغم مظاهر الاحترام والتبجيل التي أظهرها السلاطين اتجاه فئة العلماء فإن هذا لا ينفي وجود مرام سعوا لتحقيقها، فهناك من اعتبر هذا الصنيع من قبيل محاولة الإمارة الزيانية الظهور بمظهر المؤسسة الشرعية من أجل كسب رضا عامة الناس، بالنظر إلى الاحترام الكبير الذي كانوا يتمتعون به من قبلها"[3].

---

[1]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 320.

[2]- ابن قنفذ، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، ص ص: 37-38.

[3]- سكاكو مريم، **مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع (14-15م)**. مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2012/2011، ص: 40.

ثانيا: عصر ابن مرزوق بين القوة والضعف

على الرغم من أن عصره شهد أحداث سياسية جسام[1] أثرت على استقرار بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إلا أننا نجد أن هناك إجماعاً على أن عصره كان من بين أهم أزهى العصور الزيانية، ولاسيما القرن الثامن الهجري (14م)، إذ اعتبر من أزهى الفترات التي استنارت فيها ألوان المعارف والعلوم في منطقة المغرب الإسلامي، ونبغ في هذه الفنون رجال أغنوا بكتاباتهم التراث الثقافي الإسلامي. ويؤكد أبو القاسم سعد الله على هذه الظاهر الغريبة التي تميزت بها منطقة المغرب الأوسط، حين كتب يقول: "وسط هذه الصورة المضطربة للحياة السياسية كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتشع بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا"[2]. ولم تحد مدينة تلمسان عن المساهمة في هذا التميز الحضاري، وهي المدينة التي تعتبر من مراكز الإشعاع الحضاري في منطقة المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط تحديدا، وهنا نستعين بما كتبه حاجيات عبد الحميد حين قال: "أن القرن الثامن الهجري شهد تقدما سريعا في سائر المجالات الحضارية بتلمسان، وأن الملوك الزيانيين ضاعفوا الجهود لتوفير شروط النمو، وأصبحوا يولون عناية خاصة للنشاط الثقافي والفني وللإنجازات المعمارية"[3].

أما القرن التاسع الهجري (15م) والذي عاش ابن مرزوق الحفيد خلال نصفه الأول، فقد تميز بتدهور الأوضاع السياسية وكثرة الفتن والحروب الداخلية، إلا أن الحركة العلمية بالمغرب الأوسط كانت نشطة جدا. وظهر عدد كبير من العلماء الذين تركوا تراثا علميا ضخما توارثته الأجيال، وقد احتفظ التاريخ بمصنفاتهم التي بقي تأثيرها قائما ومستمرا حتى يومنا هذا، فضلا على أن تلمسان نالت اهتماما منقطع النظير من قبل العلماء فأصبحت مزار لهم من مختلف أرجاء المغرب والمشرق الإسلاميين والأندلس طلبا للعلم والتفقه على علماءها[4].

---

[1]- على سبيل المثال لم يكد ابن مرزوق الحفيد يبلغ السادسة من عمره حتى تعرضت مدينة تلمسان للاحتلال من قبل السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز الذي دخلها في عاشوراء 772هـ/ أوت 1370م، وأجبر سلطانها الزياني على الهروب منها، ونتيجة لذلك عمت الفتنة أرجاء المغرب الأوسط. ينظر: الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص :177.

[2]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج: 1، ص: 44.

[3]- حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي**، ص: 14.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 66.

وامتازت هذه الفترة بتبادل ثقافي واسع بين مختلف نواحي بلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما جعل علماء ذلك العصر يجوبون هذه الأقطار في طلب العلم رغم تشتت الوحدة السياسية. ونتيجة ذلك، شد أهل المغرب الأوسط علماء وطلبة كغيرهم من طلاب الأمصار الأخرى الرحال لطلب العلم إلى الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى آنذاك سواء منها المغربية مثل: فاس وتونس أو المشرقية مثل القاهرة والمدينة المنورة ومكة المكرمة، بهدف توسيع معارفهم وتنقيحها ولقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر، هذا وعدت الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ إثراء و كمال في التعليم[1]، وكان ابن مرزوق واحد من هؤلاء العلماء الذين ارتحلوا من أجل طلب العمل.

كما ساهم توافد النخب الأندلسية ضمن أفواج المهاجرين إلى بلاد المغرب الأوسط في حدوث حركية علمية نوعية ونشاط فكري كبير، وما زاد هذه الحركة العلمية استعجالا تفاعل أهل المغرب الأوسط الإيجابي معها، فقد تهافت الطلبة عليهم وعلى دروسهم ومؤلفاتهم القيمة. ومن الطبيعي، أن اختيار هذه النخب من الأندلسيين لمدن كتلمسان وبجاية للاستقرار بها لكونهما تتوفران على الأجواء الملائمة التي تمكنهم من تفجير طاقاتهم وإبراز إمكانياتهم، فضلا عن حالة التنافس بين هؤلاء وعلماء المغرب الأوسط عادت بالنفع على الحركة العلمية وطلابها وروادها على أرض المغرب الأوسط[2].

ونتيجة لذلك غدت تلمسان واحدة من أهم الحواضر العلمية آنذاك، وهذا التميز انعكس إيجابا على شخص ابن مرزوق الحفيد. ومن هنا جاءت هجرة رجال العلم والمعرفة إلى تلمسان لتصب في صالحه، وفي هذا يعلق عبد القادر بوباية، قائلا: "إن هجرة هؤلاء العلماء سيكون لها الأثر البالغ في وضع نواة لمركز علمي جديد سيضاهي بعد زمن يسير المراكز العلمية المتواجدة ببلاد المغرب الإسلامي، وبخاصة منها جامع القرويين المتواجد في مدينة فاس وجامع القيروان الموجود في إفريقية، كما أن استقرار هؤلاء العلماء في تلمسان سيضع البذور الأولى لحركة علمية ستتجسد من خلال بروز عديد العلماء التلمسانيين"[3].

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 605.

[2]- عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص ص: 118-119.

[3]- بوباية عبد القادر، "إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م)". مجلة عصور الجديدة، ع: 2، سنة 2011، وهران، ص ص: 159-169.

وساهمت هجرة العلماء إلى تلمسان في المساهمة في تسارع رقيها الحضاري، وتميزها في نتاج أعلامها في مختلف ميادين العلوم النقلية والعقلية، ومما زاد من ديمومة هذا التميز الذي أخذت تتمتع به المدينة كخاصية من نواصي العلم في المغرب الإسلامي، هو الإقبال الذي أخذت تشهده مجالسها العلمية من جانب طلبة العلم في مدن المغرب الإسلامي والأندلس، وحتى من أهل المشرق الإسلامي. وهذا التناوب في توافد طلبة العلم نحو تلمسان ساهم في تطور آليات التعليم فيها، فأخذت مدارسها تشهد تطورا ونموا نظرا لقيمة من واظبوا على التعليم فيها[1].

مما سبق، يمكننا القول أنه وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي سادت عصر ابن مرزوق الحفيد، إلا أن ذلك لم يمنع من استمرار الحركة العلمية في تلمسان حيث يقيم عالمنا، وهذه المكانة المرموقة التي تبوأتها تلمسان هي التي جعلت أحد أعلام تلك المرحلة، ونعني به علي القلصادي الأندلسي الذي زارها سنة 840هـ/1436م، يصف حالتها العلمية: "وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية"[2]. فبرز العديد من العلماء ممن كان لهم الأثر الكبير في النهضة العلمية التي شهدتها تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط، ومن بين هؤلاء نذكر: الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:771هـ/1369م) وأبو عثمان سعيد العقباني (ت:811هـ/1408م) والشيخ محمد بن العباس العبادي التلمساني (ت:871هـ/1466م) وعبد الرحمن الثعالبي وغيرهم كثر[3].

ثالثا: دور التعليم في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية

كان التعليم وما يزال، القاعدة الأساسية لأي نهضة ثقافية وفكرية في أي مجتمع مهما كان، وفي العهد الزياني نهضت الحياة الثقافية والفكرية بشكل لم يشهدها المغرب الأوسط من

---

[1]- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد**، ص: 92.

[2]- القلصادي أبو الحسن علي، **رحلة القلصادي**. در وتح: محمد أبو الأجفان، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2011، ص: 100.

[3]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2 ، ص ص: 163-164.

قبل، فقد انتشر التعليم بالمدن والقرى بواسطة الكتاتيب والزوايا والمدارس والمساجد[1]، وكان المسجد هو الأساس في العملية التعليمية أولاً وأخيرا، وذلك قبل ظهور المدارس والمراكز التعليمية.

1. تنامي مطلب التعليم ومستوعبات المسجد له:

حينما نتكلم عن التعليم في الدولة الإسلامية منذ نشأتها، لا يمكننا الحديث عنه دون بيان دور المسجد وأهميته في ذلك، إذ تطورت مهام المسجد حتى أخذت أبعادا تربوية وعلمية بما يتوافق مع مبادئ الدين الحنيف، وهذا ما يدفعنا إلى القول من أن المساجد في المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط لم يقتصر دورها على رسالتها الدينية، بل وزاد عليها دورا ثقافيا، فغدت مراكز للدراسات الدينية والأدبية، ومن هنا كانت تمثل مركز الارتكاز ومصدر الإشعاع الحضاري الإسلامي[2].

وهذه الصورة لم تتغير في تلمسان إذ كانت المساجد[3] هي المنطلق الأول لنشر العلم والمعرفة بين ثنايا المجتمع. وزد على ذلك، كان الاهتمام الكبير من جانب الملوك الزيانيين في الارتقاء بالمنظومة التعليمية، والتي عادت بالفائدة على الحياة الثقافية والعلمية، وساهمت في خلق الأرضية الفكرية والعلمية في بروز علماء ومشايخ كانت لهم المساهمة الفاعلة في استمرارية عجلة الحضارة الإسلامية[4].

ومن منطلق الأهمية والاهتمام، كانت المساجد الجامعة أحد المرتكزات التي يقوم عليها رسوخ وارتقاء التعليم العالي. ومن هنا، جاء الاهتمام الرسمي الزياني منذ البداية يوازي هذه الأهمية عبر تجديد العمران الديني والتعليمي الموروث. ولم تتوقف عملية الاهتمام عند حدود الهياكل

---

[1]- عبدلي لخضر، **تاريخ مملكة تلمسان**، ص ص: 454-455.

[2]- بن معمر محمد، المرجع السابق، ص ص: 102-103.

[3]- اشتهرت تلمسان بكثرة مساجدها، التي كان لها دور مهم في بعث وإحياء الحركة الثقافية والعلمية فيها، ومنها نذكر: المسجد الجامع في أغادير، المسجد الأعظم في تاكرارت، جامع سيدي أبي الحسن التنسي بالقرب من المسجد الأعظم الذي تم انجازه في سنة 696هـ/1296م، مسجد أولاد الإمام أنجز سنة 710هـ/1310م، مسجد إبراهيم المصمودي، مسجد أبو مدين شعيب في العباد، مسجد سيدي الحلوي أنجز سنة 754هـ/1353م. ينظر: خالدي رشيد، **دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م**. مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011/2010، ص ص: 28-31.

[4]- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص ص: 71-72.

التعليمية فحسب، وإنما اجتهدوا في إحضار كبار الفقهاء والعلماء ومنحهم سلطة التعليم في تلك المؤسسات[1]، ولم يتردد على سبيل المثال يغمراسن بن زيان في الذهاب بنفسه إلى الفقيه أبي إسحاق بن يخلف التنسي[2] حينما حضر إلى تلمسان والطلب منه البقاء والتدريس فيها، حين خاطبه قائلا: "ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج"[3]. هذا السلوك من جانب يغمراسن الأول، وهي سنة سار عليها من استطاع من الحكام الزيانيين[4]، تظهر مصلحية الحاكم في استثمار التعليم وأهميته وتوظيفه لأغراض سياسية قبل أن تكون الغاية الأسمى له هي المطلب. وتعلق على هذه المسألة عمارة فاطمة الزهراء بالقول: "إن دعم السلطة للمدارس كمراكز تعليمية يدرج ضمن إنجازاتها لبناء هيكل ثقافي للدولة، وتحديد معالمه عن طريق تسييس التعليم، فتبنت السلطة الزيانية والمرينية فكرة بناء المدارس الست شكلا ومضمونا، من مشروع البناء ومصاريفه إلى تعيين المدرسين وتوفير المصدر المالي للمدرسة"[5].

وهذا يعني، أن تنامي طلب العلم والمعرفة لدى الناس، ومحدودية الدور التي تقوم به المؤسسات التعليمية التقليدية ولاسيما المسجد، فرض رؤية جديدة تستدعي أهمية العمل من أجل عصرنة التعليم، إن صح التعبير، بما يتوافق مع حالة النمو والرقي الحضاري بعمومه. وهنا حدث التزاوج ما بين التوظيف السياسي ورغبة الحاكم في البروز والإبراز، أي بروزه راعي للعلم والمعرفة

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص: 125-126. عمارة فاطمة الزهراء، **المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8-9هـ/14-15م**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010/2009، ص ص: 17-18.

[2]- **أبو إسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام المطماطي التنسي** (ت: **680هـ/1281م**): ينتمي لعائلة عرفت بالعلم والصلاح، ولد بتنس ونشأ فيها وأخذ عن مشايخها، وتنقل بعد ذلك طلبا للعلم بين مدن المغرب الأوسط مثل الجزائر وبجاية، وسافر بعدها إلى تونس والمشرق الإسلامي حيث زار مصر والحجاز وبلاد الشام. ومن شيوخه: ابن كحيلة، ناصر الدين المشدالي والشمس الأصبهاني. استقر في تلمسان وعمل في التدريس حتى وفاته سنة 680هـ/1281م. وقال فيه ابن مريم: "انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها". من مؤلفاته: شرح على كتاب اليقين وتقييد على كتاب الإرشاد. ومن تلاميذه ابن الحاج العبدري. ينظر: ابن مريم ، المصدر السابق، ص: 66-68. نويهض عادل، المرجع السابق، ص ص: 84-85.

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص: 126.

[4]- كررها ولده أبو تاشفين عبد الرحمن بن يغمراسن (718هـ/1318م-737هـ/1337م)، حين بعث إلى أبي موسى عمران المشدالي حينما لجأ إلى مدينة الجزائر من بجاية فقربه إليه وأكرمه وولاه التدريس في مدرسته التي أنشئها في تلمسان. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص ص: 140-141. المقري، **أزهار الرياض**، ص: 30.

[5]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص: 19.

وإبراز أهمية الدولة في عملية الارتقاء، مع حاجة الناس والرغبة المتعطشة إلى العلوم والمعارف في توسيع قاعدة التعليم.

2. اتساع قاعدة التعليم في العهد الزياني:

لقد شكل تطورت العلوم واتساع المعارف وتعددت وظائفها منعطفا جديدا في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية، ونتيجة لذلك لم يعد المسجد يفي بالدور العلمي الذي يقوم به، وهذا دفع الحكام المسلمين إلى الاجتهاد في إنشاء مؤسسات علمية تتوفر على الأجواء المثالية التي تساهم في ترسيخ أسس وقواعد العلم والمعرفة بشكل أكبر وأوسع.

فكانت الحاجة إلى المدارس في منطقة المغرب الأوسط عموما وتلمسان على وجه التحديد، ضرورة تستدعي تدخل الحاكم لمساندتها لما كانت تعنيه حاضرة تلمسان من بعد فكري وحضاري وسياسي. ويعلق بن قربة صالح على مسألة ضرورة وجود المدارس في بعديها السياسي والثقافي، بالقول: "وفي تلمسان ظهرت المدارس لأول مرة في مسيرتها التاريخية كمؤسسات تطور الحركة العلمية، والتي كانت تؤطرها الحلقات الدراسية بجامع تلمسان الأعظم، والمساجد المحيطة به، وتخرج منها عدد كبير من العلماء الأعلام والفقهاء والأدباء المبرزين، حتى غدت مساجدها ومدارسها معيارا يقاس به نمو الحركة العلمية، ومؤشرا على مدى ازدهار الثقافة والعلوم والفنون والآداب"[1].

على العموم، ساهمت سياسة دعم الثقافة والعلوم، التي اتبعها غالبية سلاطين بني زيان في تطور المنظومة التعليمية في المغرب الأوسط عموما وتلمسان خصوصا، وجعل المدارس ومجالس العلم التي كانت تعقد على مستوى عال من الرقي والتطور بشكل تدريجي بدءا من القرن السابع الهجري حتى أصابها الفتور والاضمحلال في نهاية الحكم الزياني. وبهذا الصدد كتب حاجيات عبد الحميد معلقا بالقول: "إن تطور الحياة الثقافية بتلمسان في مرحلة ازدهارها له علاقة وثيقة بالنهضة الثقافية، التي عمت سائر أقطار المغرب الإسلامي. لقد كان انطلاقها خلال القرن السابع الهجري وازدهرت في القرن الثامن الهجري، ثم اتجهت في القرن التاسع الهجري نحو استقرار نسبي، ثم تلا ذلك فترة اتسمت بطابع النقل والتقليد، لعوامل مختلفة أدت إلى تناقص تدريجي شمل أغلب

[1]- بن قربة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص: 135.

المجالات الثقافية في سائر أقطار المغرب"[1]. وبناءا عليه، عد الاهتمام بالتعليم ومؤسساته من قبل الحكام الزيانيين من الأمور التي توارثوها عن بعض[2]، ولم يقتصر هذا الاهتمام على تطوير البنى التحتية للمؤسسات التعليمية فحسب، وإنما عكفوا وبكل جهد على إحضار وانتقاء كبار العلماء في بلاد المغرب الإسلامي ومنحهم المناصب الهامة للتدريس في تلمسان[3].

لقد شكل أبو حمو موسى الثاني علامة مضيئة في تاريخ الأسرة الزيانية ليس على الصعيد السياسي، وإنما في حبه واحتفائه بالعلم والعلماء. وفي هذا كتب الحافظ التنسي يصف اهتمامه بالعلم والعلماء، قائلا: "وأما اعتناؤه بالعلم وأهله فأمر يقصر اللسان عن الإجابة عنه، وفي دولته كان الإمام العالم المتفنن البحر الحبر، شريف العلماء وعالم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن محمد بن القاسم بن حمود من سبط إدريس بن إدريس...فكان له محبا ومعظما، وبه حفيا ومكرما، إذ كان واحد عصره دينا وعلما نقلا وعقلا، انتفع به الناس حيا، وبتصانيفه ميتا، فكان يوجهه في الرسائل للأمور المهمة، ويلتمس بركة بيته الشريف في كشف الخطوب المدلهمة، وله بنى مدرسته الكريمة"[4].

وكان من البديهي أن تندفع شخصية تفاعلية مثل شخصية أبي حمو موسى الثاني إلى إنشاء المدرسة اليعقوبية والتي تعد الثالثة في تاريخ البيت الزياني، حيث كان يرى بأهمية إنشاء المدارس لشد معالم العلم، فقد كرس[5] سلطته لرعاية التعليم من خلال ما أنجزه للمدرسة التي أنشاها، فجعل يوم افتتاحها يوما عظيما احتفل به وعين فيه أبا عبد الله الشريف مدرسا بها، كما حضر بنفسه أول درس بها لتفسير القرآن الكريم[6]. وكتب قريان عبد الجليل يصف مكانة أبي حمو موسى الثاني وعلمه وتأثير ذلك على تطور المنظومة التعليمية، قائلا: "والظاهر أن أبا حمو الثاني قد جمع بين علوم النقل وعلوم العقل إلى جانب ما امتاز به من النثر والنظم...ويشهد لاحتفائه

---

[1]- حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان**، ص: 20.

[2]. بوسلاح فايزة، "المدارس العلمية بتلمسان على عهد بني زيان: إشعاع فكري وحضاري". مجلة عصور الجديدة، ع: 2، سنة 2011، وهران، ص ص: 181- 191.

[3]- حول دوافع اهتمام الزيانيين بالتعليم ومؤسساته. ينظر: عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص ص: 17-21.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص: 179.

[5]- لقد ساهمت التربية العلمية التي حاز عليها أبو حمو في صغره أن يصبح في كبره ملكا أديبا شاعرا، ينظر إلى العلم بعين السمو والتقدير، وهذا ما جعله يبذل جهودا مميزة في تكريس مفاهيم وقيم العلم والثقافة في المجتمع الزياني. ينظر: حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو الزياني**، ص ص: 72-73.

[6]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص: 21.

بالعلم وتقديره لأهله، أنه لما بنى مدرسته قدم للتدريس فيها الشريف أبا عبد الله، وحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له"[1].

وقد تزامنت فترة شباب ابن مرزوق الحفيد مع فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، ومن الطبيعي أن يكون لمثل تلك الأجواء التي تشع بالعلم والمعرفة تأثيرها في إيجاد المناخ الملائم للإبداع، خصوصا وهو سليل عائلة عرفت بالعلم والصلاح. ولم يواصل من خلفاء أبي حمو الثاني في مسعاه في الارتقاء في العلم والثقافة، إذ انقطع هذا الاهتمام حتى وصل في عهد أبي زيان بن أبي حمو (790-801هـ/1394-1399م)، والذي أبدى اهتماما في المؤسسات العلمية والثقافية وشجع التعليم. وعلق الحافظ التنسي على جهوده تلك، قائلا: "كلف بالعلم حتى صار منهج لسانه وروضة أجفانه، فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضر، فلاحت للعلم في أيامه شموس"[2].

وحدث ذات الانقطاع مرة أخرى ولم يتصل إلا في عهد حكم أبي العباس أحمد العاقل (834-866هـ/1430-1452م)، وجاء الاهتمام بالعلم والثقافة بحكم العلاقة الشخصية الذي ربطته بأحد علماء تلمسان الكبار وهو العلامة أبو علي الحسن بن مخلوف، حينما بنى مدرسة جديدة جوار زاويته وأوقف عليها أوقافاً عديدة. كما عمل على إعادة إعمار الأوقاف التي أوقفت للصرف على المؤسسات العلمية في تلمسان، والتي تعرضت للاندثار، والتي تجاوز عددها أكثر من الربع، كما زاد من المستفيدين من تلك الأوقاف[3]. ومن هذا الكلام يتجلى لنا أن الإهمال الرسمي في الفترة السابقة أضاف بعدا جديدا يظهر ضعف دور الدولة في رعاية العلم والثقافة.

ومن أجل ديمومة التعليم ومؤسساته واظب الحكام الزيانيون[4] على تقديم المنح والعطايا والأرزاق للأساتذة والطلبة والموظفين العاملين في تلك المؤسسات التعليمية، وساعد نظام الأحباس على إيجاد مصدر تمويل ثابت ومستقر للمدارس، وما هم أي سلطان زياني لافتتاح مدرسة إلا

---

[1]- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 75.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص ص: 210-211.

[3]- المصدر نفسه، ص: 248-249.

[4]- قويدر عباس، **الحياة الثقافية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي**. رسالة ماجستير غير منشور، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010/2009، ص ص: 46-51 و ص ص: 150-158.

وحبس لها الأحباس وسخر مواردها لصالح المدرسة بما يجعلها قادرة على القيام بعملها على أحسن وجه. ومن الأبواب المعروفة في صرف الأحباس في المغرب الإسلامي، كانت الحياة العلمية بشكل عام والمدارس على وجه الخصوص. ومما لاشك فيه فقد عنى الملوك والأمراء الزيانيين عناية كبيرة بهذا الأمر[1]. وهذا الاهتمام والعناية هي التي مكنت المؤسسات التعليمية من الاستمرار والعمل والنجاح في تقديم الخدمة التي أنشئت من أجلها، لأنها كانت مدارس رسمية تابعة للدولة، وهي التي تشرف عليها بواسطة التمويل، وتعيين الأساتذة والمدرسين، وتتكفل بدفع مرتباتهم وبقية العمال القائمين على تسير نشاطها[2].

3. مراحل التعليم ومناهجه:

ينقسم التعليم في أغلب الدول في العصر الحاضر إلى مراحل ثلاث، وهي: التعليم الابتدائي والثانوي والعالي، وهي ذاتها التي كانت في العصر الوسيط عند المسلمين. ففي المرحلة الأولى، كان يتلقى الأطفال تعليما بسيطا يعتمد على حفظ القرآن وتعلم قراءاته المختلفة والكتابة فضلا عن المبادئ الأساسية في اللغة العربية[3]، ويمتدح ابن خلدون هذه الطريقة في تعليم الأطفال في بداية حياتهم التعليمية بالقول: "وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات"[4]. وحسب رأيه فإن القرآن يجب أن يسبق كل شيء إلى قلوب التلاميذ ليرسخ في نفوسهم الإيمان وعقائده.

أما المرحلة الثانية وهي التي ينتقل إليها الطالب بعد إنهاء المرحلة الأولى، يتلقى فيها علوما مختلفة، مثل: الحديث، الفقه، اللغة، النحو، الحساب والأدب. والتعليم في هذه المرحلة كان بسيطا يتولاه عادة شيوخ من درجة وسطى[5]. ويعلق ابن خلدون على هذه الآلية في التعليم، فيقول:

---

[1]- بن قربة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص ص: 157-158

[2]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 326.

[3]- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي والحضاري**، ص: 219. قويدر عباس، المرجع السابق، ص: 183.

[4]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 740.

[5]- عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص :220.

"اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب"[1].

والمرحلة الثالثة والأخيرة، فيها يتلقى الطالب دروسا أكثر عمقا من أساتذة متخصصين في علم من العلوم النقلية أو العقلية[2]. كانت مدة الدراسة فيها طويلة، وقد تأخذ عمر الإنسان كله دارسا ومدرسا. والدراسة في هذه المرحلة تتسم بالحرية في اختيار المواد الدراسية التي يميل إليها الطالب، وذلك حسب طاقته وإمكانياته الفكرية، ويتتلمذ على من اختار من أساتذة. أما عن المنهج التعليمي للمدارس في المغرب الأوسط عموما، وتلمسان تحديدا، فقد امتاز بإتباع عدة طرق في مناهج التعليم، وهي[3]:

- الأولى: طريقة الإلقاء والإملاء والحفظ.
- الثانية: طريقة الإلقاء والشرح.
- الثالثة: الحوار والمناظرة.

وبمرور الوقت أخذت طريقة الحوار والمناظرة، تأخذ مكانتها كالطريقة الأفضل في التعليم، وهي الطريقة التي تساهم في بناء الملكة العلمية واكتسابها للطلبة، من خلال مناقشاتهم للأساتذة في المسائل العلمية والوقوف على تحقيقها، وحل ما يعرض فيها من إشكال وعرض أقوال العلماء حولها، لأن فتح باب المناقشة بين الطالب ومدرسه يعينه على إظهار قدراته ودرجة استيعابه للمسائل وفهمها وتحليلها، فتظهر براعة الطلبة وينمو إبداعهم الفكري، ولقيت هذه الطريقة رواجا في بلاد المغرب الأوسط ولاسيما بتلمسان، بعد أن نقلها كل من: ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى وعمران المشدالي[4] من تونس[1].

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 734.

[2]- عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص ص: 219-221.

[3]- قويدر عباس، المرجع السابق، ص ص: 186-189.

[4]- **أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي** البجائي (ت:**745هـ/1344م**): نزيل تلمسان، كان فقيها حافظا علامة محققا كبيرا. ولد في بجاية عام 670هـ/1271م. وقال فيه المقري الجد: "فر من حصار بجاية فنزل الجزائر فبعث إليه أبو تاشفين، وأنزله من التقريب والإحسان بالمحل المكين، فدرس في تلمسان الحديث والفقه والأصلين والفرائض والمنطق والجدل وكان كثير الأتساع في الفقه والجدل مديد الباع فيما سواهما مما ذكر". أخذ عنه جملة من المشايخ، منهم المقري الجد. له عدد

وترتكز طريقة الحوار والمناظرة على التحليل والتعليل والمحاورة وابتعادها عن أساليب الحفظ والاستظهار[2]، وبفضلها كانت مشيخة تلمسان تعتمد على البحث وإعمال الفكر في القضايا العلمية، خاصة في العلوم العقلية كالحساب والهندسة والمنطق، وشكل الطالب في هذه الطريقة النواة المحورية التي يعول عليها في الوصول إلى حل هذه القضايا في حين يكتفي الشيخ بتوجيه المناظرة وإدارتها[3]. وهذه الطريقة كانت متبعة في جميع مدارس تلمسان مع بعض الاجتهادات التي يقوم بها العلماء الكبار، مثلما فعل أبو عبد الله الشريف على سبيل المثال، والذي أضاف إلى طريقة البحث والمناظرة أسلوب البحث المعمق في المسائل والذي كان يراه الأنفع لطلبته[4].

ونعتقد بأنها ساهمت في الارتقاء بالذهنية العلمية للطلبة والعلماء، مما أعطى ثماراً يانعة في تطور وارتقاء الحياة العلمية والثقافية في الدولة الزيانية، ولاسيما في العصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد، إذ يمكننا القول من أنه كان نتاج هذه الآلية الراقية في التلقي والاطلاع.

4. إنشاء المدارس في تلمسان:

أخذت فكرة إنشاء المدارس في بلاد المغرب الإسلامي تجد رواجا عند الحكام، فاجتهدوا في افتتاح المدارس لأغراض ومدارك خاصة بهم قبل أن تكون الرغبة في ترويج العلم والمعرفة في مجتمعاتهم. ولم تكن تلمسان كحاضرة للدولة الزيانية[5] بعيدة عن هذه الفكرة والرغبة لدى حكامها إن كانوا زيانيين أو مرينيين. ونتيجة لذلك شهدت افتتاح أول مدرسة فيها، فهي: مدرسة أولاد الإمام والتي تعرف أيضا باسم "المدرسة القديمة"، واستمر البناء فيها قرابة ثلاث سنوات ما

من المؤلفات منها: مفيدة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة، وله عدد من الفتاوي في كتاب المعيار.توفي سنة 745هـ/1344م. ينظر: المقري، **أزهار الرياض**، ج: 5، ص: 30. نويهض عادل، المرجع السابق، ص ص: 300-301.

[1]- قويدر عباس، المرجع السابق، ص: 189.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 450.

[3]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 353.

[4]- للتفاصيل حول المنهج التعليمي في مدارس تلمسان، وآليات العمل. ينظر: عمارة فاطمة، المرجع السابق، ص ص: 82-102.

[5]- تعلق فاطمة عمارة على دوافع اهتمام الملوك الزيانيين بالمدارس وإنشائها، بالقول: "يعد اهتمام السلطة الزيانية بالتعليم ومؤسساته من أهم الأمور التي توارثها سلاطين البيت الزياني، لذلك جاء ظهور المدرسة بتلمسان ضمن جملة اهتمامات السلطة السابقة على الحكم بشكل عام في الميدان الثقافي قبل القرن الثامن الهجري، فلا يمكننا التطرق للدوافع التي كانت وراء إنشاء السلطة للمدارس بمعزل عن محاولاتها لاحتواء التعليم". ينظر: عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص: 17.

بين (707-710هـ/1307-1310م)، وتم افتتاحها من قبل السلطان أبي حمو موسى الأول[1]، وتضمنت منشآت متنوعة لإيواء الطلبة والأساتذة وغيرها من المستلزمات[2]. أما المدرسة التاشفينية أو كما كان يطلق عليها اسم "المدرسة القديمة" لتفريقها عن مدرسة أبي حمو موسى الأول، وهي ثاني المدارس التي يجري افتتاحها في تلمسان، وذلك من قبل السلطان الزياني أبي تاشفين الأول[3] (718-737هـ/1318-1336م)، وكان سبب افتتاحها هو تزايد أعداد الطلبة وعدم قدرة المدرسة القديمة على استيعابهم، وتقع المدرسة في وسط المدينة قريبة من الجهة الجنوبية للجامع الأعظم[4].

أما مدرسة أبو بومدين والتي تعرف أيضاً باسم "مدرسة العباد"[5] أسست سنة 747هـ/1347م من قبل أبي الحسن المريني في منطقة العباد جوار ضريح الشيخ بومدين[6] وتعتبر من أضخم الانجازات العمرانية والتعليمية للمرينيين في تلمسان[7]. وهي أول مدرسة يتم تأسيسها جوار مسجد في تلمسان، وفي هذا يقول بن قربة صالح: "كانت مدرسة سيدي بومدين هي أول مدرسة تعليمية جامعية أسست ملاصقة للجامع"، في حين افتتح السلطان أبو عنان فارس سنة 754هـ/1353م مدرسة أخرى بجوار ضريح المتصوف أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الشهير

---

[1]- **أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان:** رابع ملوك الدولة الزيانية، ولد في سنة 665هـ/1266م، بويع بعد وفاة أخيه محمد في سنة 707هـ/1307م، حكم الدولة الزيانية لمدة 10 سنوات، عرفت عنه الصرامة واليقظة والحزم والدهاء وقوة الشكيمة، اهتم كثيرا في تقوية جيشه وتحصين مدينة تلمسان. انقلب عليه ابنه ابو تاشفين وقتله، وتولى الحكم بدلا منه. ينظر: نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 125.

[2]- عمارة فاطمة، المرجع السابق، ص ص: 34-36. سكاكو مريم، المرجع السابق، ص: 33-34.

[3]- أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، وهو خامس ملوك الدولة الزيانية وآخرهم في الدور الأول منها. ولد سنة 692هـ/ 1293م، عرف عنه حب للفنون وبناء المنشآت العمرانية، والاستعانة بالخبرات الأجنبية لتنفيذ العديد من المشاريع العمرانية في تلمسان. دخل في صراعات مسلحة مع دول الجوار، حيث هاجم الحفصيين سنة 720هـ/1320م، حتى انتصر عليهم في سنة 729هـ/1328م. وتعرضت الدولة الزيانية وعاصمتها في عهده لهجوم السلطان المريني أبي الحسن الذي احتل تلمسان وقتله في 27 رمضان 737هـ/1336م. ينظر: نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 56.

[4]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص ص: 37-40. سكاكو مريم، المرجع السابق، ص: 34.

[5]- **العباد:** شبه ربض يقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان. وهي كثيرة الازدهار كثيرة السكان والصناع، وفيها دفن الشيخ أبو بومدين شعيب. ينظر: الوزان حسن، المصدر السابق، ج: 1، ص: 24.

[6]- بن قربة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص ص: 170-172.

[7]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص: 41.

بـ"سيدي الحلوي" وحملت المدرسة اسم هذا المتصوف، ولم تكن مجرد مدرسة وإنما ضمت عدد من المنشآت العمرانية، وهي: المسجد، المدرسة، الزاوية والضريح[1]. في حين أن عصر ابن مرزوق الحفيد شهد إنشاء مدرستين فقط من جانب الحكام الزيانيين، وقد ساهمتا بطبيعة الحال، في رفد الحياة الثقافية والعلمية بالمزيد من العلماء والمشايخ، بما انعكس بالإيجاب على مكانة المدينة العلمية والفكرية، وهما:

أ- المدرسة اليعقوبية: والتي بناها السلطان أبو حمو موسى الثاني تخليدا لوالده أبي يعقوب حاكم مدينة الجزائر المتوفي سنة 763هـ/1362م، واستغرق بناءها أكثر من سنة ونصف حيث انتهى من إنجازها سنة 765هـ/1364م[2]، وأوكل للعالم الشيخ الشريف أبي عبد الله الشريف التدريس بها. ووصفها صاحب زهر البستان وصفا دقيقا يدل على أهميتها وعمرانها وسعة فنائها وزخرفتها فقال: "وأنشأ مدرسة القرآن والعلوم، وأنفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم، وبساط أرضها بالزليج مرسوم، غرس بإزائها بستانا يكتنفها وضع فيها صهريجا مستطيلا وعلى ظرفيه من الرخام...فيا لها من بنية ما أبهجها"[3].

ب- مدرسة الحسن بن مخلوف: تم إنشاءها من قبل السلطان أبي العباس أحمد العاقل، وذلك تكريما للعلامة الزاهد أبي علي الحسن بن مخلوف، ولم تشر المصادر إلى التاريخ الدقيق لافتتاحها[4].

5. الأثر الايجابي للتعليم على الحياة الثقافية والفكرية:

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن رعاية السلاطين الزيانيين للعلم والعلماء وإغداقهم على المؤسسات التعليمية قد ساهم في خلق الأرضية المناسبة في أن تكون حاضرة الدولة تلمسان، مركزا علميا يجتذب إليه العلماء وطلبة العلم وكل ساع للمعرفة. ونتيجو ذلك غدت تلمسان مركزا

---

[1]- بن قربة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص ص: 177-178.

[2]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 1، ص: 144. عمارة فاطمة، المرجع السابق، ص: 47-49.

[3]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 1، ص: 144.

[4]- عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص: 47-49.

من مراكز الإبداع الفكري والثقافي، والإقبال فيها على المؤلفات العلمية لم يكن يضاهيه مكان آخر في المغرب الإسلامي، وشاعت المناظرات بها التي يحضرها العلماء والطلبة من كل مكان[1].

وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا الرقي الثقافي والفكري على مجمل الحياة في المغرب الأوسط، وكتب هاني سلامة عن هذا الرقي الحضاري، وهو يقدم لكتاب ابن الأحمر، يقول: "وفي أيام بني زيان ازدهرت كل مدن الإمارة وخاصة تلمسان التي أصبحت في أيامهم أزهر مدن المغرب بعد القيروان وتونس وفاس ومراكش، واتسعت رقعتها حتى أصبحت تضاهي فاس من حيث السعة ووفرة المباني السامقة وكثرة المساجد وتعدد الأسواق". وفي مكان آخر كتب يقول: "ولكن الحقيقة أن هذه الإمارة أحيت المغرب الأوسط وأتاحت الفرصة لتعريبه تعريبا كاملا"[2].

وعلينا التذكر هنا أن المكتسبات العلمية والفكرية التي حققها المجتمع الزياني عامة، ومجتمع مدينة تلمسان خاصة، قد غيرت من مستوى الحياة وطريقة صناعتها، إذ انتقل من حالة البداوة إلى طور الحضارة. ولولا التعليم وتطور مفاهيمه وما أفرزه من نتائج ايجابية، لما حدث ذلك. ويعلق فيلالي عبد العزيز على هذه المسألة بالقول: "اكتسب المجتمع التلمساني ثقافة واسعة ورقيا حضاريا أخرجه من طور البداوة إلى طور الحضارة، فأعطى بمختلف عناصره أهمية كبيرة للحياة الاجتماعية ومظاهرها، وللحركة الفكرية والثقافية، ونشر المعرفة وتعميقها بواسطة التعليم، وبفضل الرحلة والاحتكاك بالعلماء الوافدين، تقدمت الحركة الفكرية بتلمسان برافدين هامين رافد الأندلس ورافد المشرق، فضلا عن الجهاز العلمي والتربوي التلمساني المحلي، فتضاعف التحصيل وتعمق الاقتباس، وتوسعت التيارات الفكرية المتعددة في عقول النخب من أهل تلمسان"[3].

ويتجلى أثر التعليم الذي كرست مفاهيمه المدارس التي نشطت في تلمسان، ذلك الإقبال الواسع من جانب أهل العلم من أبنائها وغيرهم، للاستفادة من ينابيع الثقافة والعلم فيها، والأخذ من علمائها المقيمين والزائرين، حتى صار لهم الحصول على الملكات عن طريق المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها.

---

[1]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 319.

[2]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص: 47-51.

[3]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 2، ص ص: 320-321.

كان للزخم العلمي الذي شهده العهد الزياني في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م) أثره الايجابي في نبوغ كوكبة من العلماء في مختلف الاختصاصات، إذ أنجبت تلمسان فطاحل العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، الذين شاركوا في بناء صرح الحضارة الإسلامية وإثراء تلك الحضارة التي كانت أهم رافد للنهضة الأوربية. وخرجت العدد الكبير من العلماء الأعلام المتميزين الذين ملؤوا الدنيا علما وثقافة، ومن هذه المدينة الضاربة جذورها في التاريخ العميق انطلقت جحافل العلماء إلى مختلف أنحاء العالم شرقا وغربا، فنجد العالم التلمساني في مصر وبلاد الشام والحجاز ومدن الأندلس المختلفة فضلا عن تواجدهم في كبريات مدن المغرب الإسلامي الأخرى مثل: فاس وتونس وغيرهما. بل وذاع صيتهم في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فتولى بعضهم القضاء والتدريس في مدن كانت تصدر العلماء والمشايخ مثل: القاهرة والإسكندرية ودمشق، كما نجدهم درسوا ونشروا علوما مختلفة بين أهالي تلك البلاد، وأحيانا زاحموا العلماء المحليين وتفوقوا عليهم بما حباهم الله به من علم ومعرفة من أمثال شيخنا ابن مرزوق الحفيد، أحمد بن زاغو[1]، أبو عبد الله محمد الحباك[2]، أبو عبد الله محمد عبد الكريم المغيلي ومحمد بن يوسف السنوسي وغيرهم من العلماء الذين تركوا آثارا شاخصة في ذاكرة العلم والمعارف.

ولم تتوقف حراكية الثقافة والعلم والفكر عند حدا النبوغ والتميز من قبل علماء تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط، وإنما تصدر علماء المرحلة، التي شكلت عصر ابن مرزوق الحفيد، للعديد من القضايا التي سالت من المداد والجدل حولها. منها: تضاد الآراء بخصوص التصوف وشيوعه في المنطقة. إذ شهدت مدينة تلمسان معركة دامت ما يزيد على القرنين بين

---

[1]- **ابن زاغو (782-845هـ/1380-1441م)**: هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، منطقي، حسابي، صوفي. ولد سنة 782هـ/1380م في تلمسان ودرس على مشايخها كأبي عثمان سعيد العقباني وأبي يحي الشريف، ودرس في المدرسة التاشفينية، ومن طلبته: ابن زكري ويحي بن إدريس المازوني. ومن مؤلفاته: تفسير الفاتحة، شرح التلمسانية، منتهى التوشيح في عمل الفرائض، كما له الكثير من من الفتاوى ورد ذكرها في كتابي المعيار ونوازل مازونة. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 41-43. نويهض عادل، المرجع السابق، ص ص: 156-157.

[2]- **الحباك (ت:867هـ/1463م)**: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي يحي التلمساني الشهير بالحباك، فقيه عالم علامة فرضي حسابي، وهو من علماء المالكية. ولم تقف المصادر على تاريخ ولادته، اشتهر كثيرا في العلوم العقلية، وله من المؤلفات الكثير في هذا الميدان، ومنها: بغية الطلاب في علم الإسطرلاب، تحفة الحساب في عدد السنين والحساب، شرح تلخيص ابن البنا. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 219-220. ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، **درة الرجال في أسماء الرجال**. تح: محمد الأحمد أبو النور، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط1، 1971، ج: 2، ص: 316. نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 119-120.

السلفيين والمتصوفة، وكانت بدايتها أوائل القرن الثامن الهجري (14م)، وتجاوزت الأوساط العلمية وإنما شملت جميع فئات المجتمع، وهذا الانتشار والاتساع لم يكن ليتحقق لولا حالة الرقي الثقافي والعلمي الذي ساد آنذاك، وكان لابن مرزوق الحفيد زعامة التيار السلفي في مواجهة أحد علماء تلمسان الكبار وهو القاضي قاسم العقباني الذي كان على رأس التيار الصوفي[1].

كذلك من القضايا التي أثارت جدلا بين الفقهاء والعلماء، وهزت الأوساط العلمية في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي في بلاد المغرب الإسلامي، ما أفتى به عبد الكريم المغيلي بهدم بيوت العبادة اليهودية في توات، بعد أن استغلت طائفتهم الغنية في المدينة قوتها الاقتصادية في توجيه القضايا السياسية بالمنطقة، ونتيجة هذه الفتوى انقسم الفقهاء والعلماء المعاصرون له في مدينة تلمسان وفاس وتوات بين مؤيد ومعارض له، وممن أيده في عمله نجد: محمد بن يوسف السنوسي وأبي عبد الله الجليل التنسي. في هناك من عارضه واتهموه بأن طموحه الشخصي والسياسي دفعه أكثر من القضايا الشرعية. ونتيجة ذلك عقدت مناظرة فكرية بين معارضيه وطلبته[2]. ومن القضايا التي أثيرت في هذه الفترة النزاع الفكري بين ابن زكري التلمساني[3] ومحمد بن يوسف السنوسي في مسائل فقهية عديدة ورد ذكرها في كتاب المعيار[4].

ويظهر مما ذكر، أن حراكية النخب العلمية وتفاعلها مع بقية فئات المجتمع، وهو الذي خالف ما كان سائد في العصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد، وذلك على الرغم من التقلبات والفوضى السياسية التي كان تشهدها منطقة المغرب الأوسط، وحالة عدم الاستقرار. ومن خلال دراستنا للحياة الثقافية والعلمية للعصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد، نجد أنها أخذت منحى يخالف الواقع السياسي، إذ يتبادر إلى الازدهار أن الحالة العلمية والثقافية والفكرية تأخذ منحى سلبي في حال فقدان الأمن والأمان، لأنها تسمو وتتألق في الاستقرار والرفاهية. ولكن من

---

[1]- المازوني، المصدر السابق، ص ص: 78-79.

[2]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص ص: 413-414.

[3]- **ابن زكري (830-900هـ/1426-1494م)**: هو أحمد بن محمد بن زكري المانوي أبو العباس المغراوي التلمساني عالم تلمسان ومفتيها في زمانه، وعرف بكونه العالم الحافظ المتفنن الإمام الأصولي الفروعي المفسر الأبرع المؤلف الناظم الناثر. توفي والده وهو صغير فكفلته أمه وأشرفت على تربيته، حفظ القرآن الكريم وتعلم بعض مبادئ اللغة والكتابة. ومن شيوخه: ابن زاغو، محمد بن العباس. شغل وظائف عدة، منها: التدريس في الجامع الكبير. ومن أبرز تلاميذه أحمد رزوق ومحمد ابن مرزوق حفيد الحفيد. ومن مؤلفاته: شرح أصول العقيدة للإمام أبي المعالي الجويني، أرجوزة في حساب المنازل والبروج، كما له فتاوي كثيرة منقولة في المعيار. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 38-41.

[4]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 2، ص: 412.

المفارقات إن مجريات الأحداث كانت على العكس من ذلك تماما، بل إننا نجد أن بلاد المغرب الإسلامي بعمومها، والمغرب الأوسط خاصة، شهد ازدهار ثقافي وفكري وعلمي، إذ كان القرنين الثامن والتاسع الهجريين مرحلة ازدهار ورقي، ونتج عن ذلك نبوغ وبروز عدد كبير من رجال العلم والفكر والأدب، وغدا الإنتاج الفكري والثقافي وفيرا يغطي مختلف المجالات. وهنا يحضرني ما كتبه أبو القاسم سعد الله، حين قال: "ويعتبر إنتاج القرن التاسع رغم ذلك، من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين –أو العلماء– والمؤلفات، وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وجدت أن عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية متفرقة، ولاسيما القرن العاشر الذي عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفات"[1].

وفي الختام نستطيع القول أن عصر ابن مرزوق الحفيد كان عصرا مضطربا من الناحية السياسية، إذ لم يشهد المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة، استقرارا سياسيا طويل المدى. وكان مدينة تلمسان تتعرض للعديد من المآسي والكوارث نتيجة الصراع الداخلي على السلطة بتحريض خارجي، فضلا عن تعدد الهجمات الخارجية التي تعرضت لها من قبل المرينيين والحفصيين طمعا في السيطرة عليها وامتلاكها لأهميتها الإستراتيجية من مختلف المجالات، وعلى الرغم من هذه الصورة السوداوية التي شهدتها الدولة الزيانية، إلا أن ذلك لم ينل من الدور الحضاري الذي كانت عليه تلمسان، وبقيت منارة من منارات العلم والمعرفة التي ينشدها الجميع، كما أظهرت لنا الحياة السياسية في عصر ابن مرزوق الحفيد الجهود التي بذلها الملوك والسلاطين المسلمين في توظيف العلم والعلماء لغايات هي أقرب إلى الواجهة السياسية منها إلى الواجهات الثقافية والاجتماعية. أما الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في عصر ابن مرزوق، فقد شهدت منطقة المغرب الأوسط تنوعاً سكانيا نتيجة عوامل اقتصادية وسياسية. وحقق هذا التنوع السكاني إضافات لصالح المجتمع، إذ ساهم الاندماج والتزاوج بين مختلف الفئات السكانية في خلق الأرضية التي سمحت للتطور والارتقاء، واكتسب المجتمع ثقافة واسعة ورقيا حضاريا أخرجته من طور البداوة إلى طور الحضارة.

[1]– سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج: 1، ص: 39.

ومن خلال دراستنا للعصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد، تبينت لنا الفائدة التي عكستها ظاهرة التنافس الثقافي بين الدول الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي، وهو الذي ساعد في إبراز صورة حضارية خاصة تمتعت بها منطقة المغرب الأوسط عموما، وتلمسان تحديدا، بالرغم من الظروف السياسية الصعبة التي كانت تحيط بالمنطقة. وهذا ساعد على رقي الثقافة والحضارة في منطقة المغرب الإسلامي وازدهارها. وشهدت تلمسان تميزا فكريا وثقافيا خلال القرن الثامن الهجري (14م)، والذي استمر حتى القرن التاسع الهجري (15م)، والتي يتفق الكثير على أن هذا القرن من أخصب فترات الدولة الزيانية من حيث الرقي والسمو الثقافي، كيف لا، ومدينة تلمسان غدت قبلة العلماء والأدباء. وفي ظل هذه الأجواء التي جعلت للعلم والثقافة والفكر مكانة وأهمية في حياة المجتمع، كان من الطبيعي أن يتفاعل ابن مرزوق الحفيد معها، ويستجيب للتحديات ويحقق ما سعى إليه في الارتقاء والتطور الفكري والعلمي، وكان عالمنا في حالة إبداع وتميز مستمر، كما سنلاحظه من خلال الفصول القادمة.

الفصل الثاني

السيرة الذاتية

لابن مرزوق الحفيد

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: أسرته وأعلامها

المبحث الثالث: وظائفه

المبحث الرابع: مكانته العلمية

تمهيد:

إن الإنسان كما هو معروف هو ابن عصره أي ابن بيئته، والتي بالتأكيد لها دور كبير على حياته تأثراً وتأثيراً، وعليه فإنه عند دراسة أي شخصية علمية وحتى غيرها، نجد بصمات هذه البيئة بارزة فيها، إذ لها تأثير كبير في بناء الشخصية وتكوينها، ومن هنا كان لزاما علينا أن نقوم بدراسة حياة ابن مرزوق الحفيد من حيث بيئتها الاجتماعية والعلمية. إذ يعد ابن عالمنا واحد من أبرز وأشهر أعلام القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، وهما القرنان اللذان شهدا حركة علمية وحضارية نشطة في المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة، حيث كثر العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء بها، وكثرت المؤسسات العلمية وامتلأت المكتبات بمؤلفات عدة في مختلف المجالات والاختصاصات، وابن مرزوق واحد من هؤلاء العلماء الذين ساهموا في إثراء الحركة العلمية.

وتتطلب دراسة شخصية هامة مثل ابن مرزوق الحفيد، والذي اغترف من مختلف العلوم والنقلية والعقلية ضرورة تتبع سيرته، لاسيما وأنه سليل أسرة علمية ذاع صيتها وهي "أسرة المرازقة"، التي توارث أفرادها العلم كابرا عن كابر ابتداء من جدهم الكبير مرزوق العجيسي التلمساني الذي كان أول من استقر في تلمسان أواخر القرن الخامس الهجري (11م) ووصولا إلى حفيد الحفيد. لذا يجب علينا دراسة حياته من مختلف الأوجه فضلا عن تتبع أسرته وتأثيرها عليه إلى جانب بيان معتقده ومذهبه.

لقد ترجمت العديد من المصادر لحياته، ولكننا لم نجد فيها ما يشفي غليل الباحث، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى أنها لم تأت بالكثير الذي يظهر هذه الشخصية على ما كانت عليه، فغالبيتها كانت تتناقل المعلومات وتكرر ما ذكره الآخرون، وهذا فرض علينا في بعض الأحيان البحث ما بين الأسطر من أجل إيجاد معلومة هنا وهناك، لاسيما ما يخص حياته الأولى، إذ أننا عجزنا عن الوصول إلى ما هو جديد، ورغم ذلك اجتهدنا من أجل مناقشة ما وقع تحت أيدينا من معلومات بالشكل الذي يمكننا من الوصول إلى قراءات جديدة مغايرة لبعض ما ذكر عنه.

المبحث الأول: المولد والنشأة

عرفت شخصية ابن مرزوق الحفيد من قبل كتب التراجم والمصادر التاريخية المعاصرة له واللاحقة عليه، بكونه واحد من أبرز الشخصيات التي أنجبتها بلاد المغرب الإسلامي ديناً وعلماً وخلقاً، ومثل هكذا شخصية لا يمكننا فهم طبيعة دورها من حيث التأثير والتأثر في محيطها من دون تتبع سيرتها الأولى والظروف التي عاشتها. وعلى الرغم من المكانة والسمعة الكبيرة التي حظي بهما، إلا أننا لم نجد له ترجمة وافية خاصة فيما تعلق بنشأته الأولى وعلاقته بالسلطة الحاكمة، فجل ما ذكر هو ترجمة موجزة له أشارت إلى البعض من صفاته ومكانته العلمية ومؤلفاته. ومن خلال هذا المبحث سنتناول سيرته الذاتية من حيث اسمه وكنيته ونسبه ومولده وأهم صفاته ووفاته مع ذكر لأفراد أسرته.

أولا: اسمه وكنيته ونسبه وشهرته:

1- اسمه: لم يختلف غالبية المترجمين[1] لحياته حول اسمه ولقبه وكنيته ونسبه، واتفقوا على أن اسمه، هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني[2]، المعروف بـ"الحفيد" تمييزا له عن جده ابن مرزوق الخطيب. وكان أول المترجمين له قرينه ابن حجر العسقلاني الذي لقيه أواخر سنة 819هـ/1416م أو أوائل سنة

---

[1]- مجهول، **مخ طبقات المالكية**. المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: د 3928، و: 443. ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس**. تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1994، مج: 3، ص: 263. المقريزي تقي الدين محمد بن علي، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**. تح وتع: محمود الجليلي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2002، مج: 3، ص ص: 227-228. السخاوي، **الضوء اللامع**، ص: 50. القرافي بدر الدين، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**. تح: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص: 154. التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج**، ص: 499. المقري أحمد التلمساني، **نفح الطيب**، ج: 5، ص ص: 421-422. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 202.. المجاري أبو عبد الله محمد الأندلسي، **برنامج المُجاري**. تح: محمد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982، ص: 134. الشوكاني محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، د.ت.ن، ج: 2، ص: 119. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. تح: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ج: 1، ص: 524.

[2]- ذكر المقريزي في كتابه "درة العقود الفريدة" ذات السلسلة التي ذكرت في المتن، إلا أنه افترق عنها حينما ذكر المغربي بدلا عن العجيسي وزاد عليها المالكي للدلالة على مذهبه، وابن حجر العسقلاني مثلما ذكره المقريزي مستثنيا "المغربي". ينظر: المقريزي، المصدر السابق، مج: 3، ص ص: 227-228.

820هـ/1417م وتدبجا، ثم ترجم له المقريزي، فتلامذته القلصادي وعبد الرحمن الثعالبي، وبعدها تلميذ ابن حجر الحافظ السخاوي، وبعده ابنه ابن مرزوق الكفيف، وتلميذي ابنه ابن غازي المكناسي في فهرسه والبلوي في ثبته، ثم ابن فرحون، فالقرافي والتنبكتي اللذان نقلا ما جاء في كتاب السخاوي، ويأتي بعدهم أحمد المقري فابن مريم التلمساني.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن عالمنا لم يكن يحمل اسم محمد منذ ولادته، إذ كان اسمه هو "أبو الفضل"، ولأسباب صحية تمت تسميته باسم "محمد" وذلك بأمر من جده لوالدته القاضي أبو العباس أحمد بن الحسن المديوني (ت:768هـ/1366م)[1]. وهو ما ذكره ابن مرزوق الحفيد حول سبب تسميته بمحمد، حين قال: "وحدثتني أمي عائشة بنت العالم القاضي أحمد بن الحسن المديوني، وكانت من الصالحات ألفت مجموعاً في أدعية اختارتها، وكانت لها قوة في تفسير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن، أنه أصابني مرض شديد فأشرفت منه على الهلاك، ومن شأنها وأبي أنه لا يعيش لهما ولد إلا نادرا وكانوا سموني أبا الفضل أول الأمر فدخل عليها أبوها أحمد المذكور، فلما رأى مرضي وما بلغ بي، غضب وقال: ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل، ما الذي رأيتموه له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل سموه محمداً، لا أسمع أحدا يناديه بغيره إلا فعلت به وفعلت، يتوعد بالأدب، قالت أمي: سميناك محمدا ففرج الله عنك"[2].

---

[1]- **القاضي أحمد بن الحسن المديوني (ت:768هـ/1366م)**: الفقيه أبو العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني من بني عبد العزيز من أحواز تلمسان التي نشأ بها، كان فقيها محدثا صالحا قاضيا عادلا وكان من المعمرين. أجازه أبو جعفر بن الزبير الأندلسي، وأخذ عن الشيخان الأخوان: أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيس ابني الإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام، والتقى في حجه بالشيخ أثير الدين أبو حيان والقاضي جلال الدين القزويني. تولى أمر الشكايات في عهد أبي الحسن علي المريني (731-749هـ/1441-1448م)، والقضاء في تلمسان على عهد ابنه السلطان أبي عنان حتى وفاته، ويذكر يحي بن خلدون أنه تولى القضاء أيضا على عهد أبي حمو موسى الزياني عام 760هـ/1358م. ينظر: مجهول، **مخ طبقات المالكية**، و: 443. التنبكتي أحمد بابا، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**. د وتح: محمد مطيع، مراكش، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2000، ج: 1، ص: 95. ابن مرزوق الخطيب التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**. د وتح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص ص: 265-269.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 212؛ المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص ص: 430-431 التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ج: 2، ص: 171. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 155-156.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن التشابه في الاسم والكنية بينه وبين جده ابن مرزوق الخطيب، أوقع العديد من المترجمين لهما أو من تناول تاريخ أسرة المرازقة في الخلط بينهما، حينما نجد أحيانا الاشارة للخطيب والكلام يخص الحفيد والعكس صحيح، مثلا نجد أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) يذكر في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" معلومات متناقضة عن الرجلين، فهو أحياناً ينسب ما لابن مرزوق الخطيب للحفيد والعكس صحيح[1]، فعلى سبيل المثال يقول: "أسهم بوضوح في حركة التأليف التي تدل على علمه وتكوينه الواسع، وللسائل أن يقول كيف يمكن لشخص مثل ابن مرزوق الحفيد الذي كان على وصف ابن الخطيب من التنقل والخوف الدائم من السلاطين أن يؤلف وأن يكون له عقل علمي مركز"[2]. وذات الحالة تكررت عند عبد العزيز فيلالي في المقال الموسوم: بـ"الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة" إذ نجد خلطاً في سرد المعلومات عن كلا الرجلين[3]، وهذا كله راجع إلى التشابه والتطابق في الاسم والكنية واسم الأب كما ذكرناه من قبل.

2- كنيته: يكنى ابن مرزوق الحفيد بـ"أبي عبد الله"، ويبدو أنه كان يحب هذه الكنية؛ لأنها كنية إمام مذهبه الإمام مالك بن أنس، وأحيانا تذكره بعض المصادر بكنية "أبي الفضل"، وهذا راجع كما أشرنا من قبل إلى كون اسمه في صغره كان "أبا الفضل". وأعقب من الأولاد اثنان، وهما: محمد الكفيف وحفصة.

3- **نسبه:** أما عن نسبة فهو ينتمي إلى قبيلة عجيسة[4].

4- **شهرته:** اشتهر عالمنا ابن مرزوق بلقب "الحفيد"، فيقال له ابن مرزوق الحفيد، وذلك تمييزاً له عن جده شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب نظرا لتشابه اسميهما وكنيتيهما.

ثانيا: مولده

---

[1]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج: 2، ص ص: 465-469.

[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 468.

[3]- فيلالي عبد العزيز، "الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة". مجلة أفكار وآفاق، ع: 3، سنة 2012، الجزائر، ص ص: 6-7.

[4]- عن قبيلة عجيسة، ينظر: المبحث الثاني من هذا لفصل.

1. **مولده:** ذكر السخاوي أنه ولد في ثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين وسبعمائة (13 ربيع الأول 766هـ/1364م)[1]، وهو ذات التاريخ الذي ذكره الشوكاني، حين قال: "المالكي المعروف بابن مرزوق ولد في ثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين وسبعمائة"[2]، ولكن ابن مرزوق نفسه أكد تاريخ ميلاده في كتابه "صدق المودة في شرح البردة" وهو ليلة الاثنين 14 ربيع الأول 766هـ (الموافق لـ 8 ديسمبر 1364م بتلمسان)[3] وهو التاريخ الذي نقله غالبية المترجمين لحياته.

2. **والده:** هو أبو العباس أحمد (الثاني) بن محمد (الخطيب) بن أحمد (الأول) بن محمد (الثاني) بن محمد (الأول) أبو بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني.

3. **أمه:** عائشة بنت الفقيه العالم القاضي أبو العباس أحمد بن الحسن المديوني كانت من الصالحات، ذكرها ولدها محمد بن مرزوق الحفيد، وقال: "أنه كان لها قوة في تفسير الرؤيا من كثرة مطالعتها لكتب الفن، وأنها ألفت مجموعا في أدعية اختارتها، وهي ابنة الفقيه العالم قاضي الجماعة بتلمسان أبو العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني، نقل عنها ولدها خبرا يتعلق بميلاده واسمه وأنه كان يسمى أبا الفضل، وكان كثير المرض فأشرف على الهلاك ثم سماه جده لأمه بمحمد. نرى أن هذه الصالحة عرف بها ابنها ونقل عنه الخبر ابن مريم لكنه لم يضف معلومة أخرى تتعلق بها[4]. لاسيما وأنها من بيت علم وصلاح وأنها ممن يؤلف، وهذه فريدة من الفرائد فنادرا ما نجد ذكرا لكتاب ألفته امرأة. إذن يعسر علينا استكمال صورة حياة هذه المرأة الصالحة في ظل ما توفر لنا من مصادر عنها، ولعل الزمان يسمح بالعثور على ما يجلي خبرها ويقرب سيرتها وأحوالها ضمن مناقب النساء الصالحات العالمات.

4. **أولاده:** على الرغم من شهرة ومكانة ابن مرزوق الحفيد إلا أننا لم نجد سبيلا للمعلومات التي تخص حياته الأسرية إلا ما نذر، فلم نجد مثلا شيئا بخصوص زواجه ؟ ومن هي زوجته ؟، ومن أي أسرة من أسر تلمسان تنتمي. وبالنسبة لأولاده فلم يرزق ابن مرزوق الحفيد إلا بولدين

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50. مجهول، **مخ طبقات المالكية**، و: 441.

[2]- الشوكاني، **البدر الطالع**، ص: 119.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**. تح: محمد فلاق، الجزائر، موفم للنشر، ط1، 2011، ج: 1، ص: 23.

[4]- مجهول، **مخ طبقات المالكية**، و: 442. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 212.

اثنين[1]، هما أيضا سارا على نفس نهجه في خط العلم والورع والدين، وهما: الولد ويدعى أبو عبد الله محمد بن مرزوق الكفيف (ت:901هـ/1495م)[2] –وهو من تلاميذ والده– وكان من أبرز علماء عصره، وأما البنت فهي حفصة المرأة الصالحة التقية الورعة التي ورثت علم أبيها وحضرت مجالسه، وقد وُلد لها محمد الثامن، الذي ورث هو الآخر علم وأخلاق آبائها فاشتهر بالعلم، وعُرف بابن مرزوق الخطيب (كان حيا سنة 918هـ/1512م).

ثالثا: نشأته

لا تتوفر معلومات كثيرة عن نشأته الأولى خاصة، وحاولنا مع مختلف كتب التراجم والسير التي وقعت بين أيدينا أن نجد ما يلبي ضالتنا، ولكننا لم نجد إلا نزرا قليلاً، وهذا راجع إلى كون أغلب تلك المصادر كانت منشغلة بعلمه ومعارفه التي طغت على نشأته الأولى. لقد نشأ ابن مرزوق الحفيد وترعرع في مدينة تلمسان في بلاد المغرب الأوسط، فعرفته جوامعها وحلقات العلم فيها، كما فتح عينيه في أسرة منكبه على تلقي العلوم والاستزادة من المعرفة، بداية بوالده الذي كان له الأثر الكبير في حياة ابن مرزوق العلمية، والذي كان حريصا على تنشئة ابنه تنشئة صالحة، وهو ديدن العائلة الدائم. فكان كل من الأب والجد بالنسبة له بمثابة الشيخ والمعلم والمربي اللذان عكفا على تلقينه المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف. وفي المقابل لا يمكننا تجاهل عامل مهم آخر ساهم في تميزه، وهو الأجواء المزدهرة للحياة العلمية والفكرية التي كانت تعيشها تلمسان في عصره والتي أشرنا إليها من قبل.

ومن هنا، علينا أن نتذكر من أن ابن مرزوق نشأ في بيت علم ومعرفة وصلاح ودين، وما كان سائد آنذاك، فالأب العالم هو ألصق بابنه وأول أساتذته احتكاكا به. ولكننا نجد أن ابن مرزوق كان أكثر حظا من غيره، إذ لم يكن الأب وحده عالما، وإنما الأسرة بأكملها فالجد من أعلم أعلام تلمسان والمغرب الإسلامي والعم كذلك فضلا عن الأب، وهذا ساهم على ما يبدو لي في نبوغه منذ صغره، وهنا نستعين بما قاله البلوي بهذا الخصوص: "وهو يروي عن جده لأبيه

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، ص: 230.

[2]– سنقدم له ترجمة وافية في المبحث القادم من هذا الفصل.

السيد الخطيب نفع الله به جميع مروياته بالإجازة العامة له من صغره، ويروي عنه أيضا بوساطة أبيه وعمه"[1].

على العموم أخذ ابن مرزوق الحفيد علومه الأولى عن عائلته إذ حفظ القرآن الكريم ودرسه على يد أبيه وجده محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني الخطيب الأكبر المشهور بالجد والرئيس (ت:781هـ/1479م). كما تتلمذ أيضا على يد عمه محمد وعلى يد بعض شيوخ تلمسان[2]، ثم تلا القرآن الكريم بقراءة نافع على يد شيخه عثمان الزرواليّ[3]، فكان كما وصفه المقري: "آية في تحقيق العلوم والإطلاع المفرط على النقول والقيام التام على الفنون بأسرها"[4].

وعلى ما يبدو لنا من خلال بعض الإشارات التي تخص شيخنا في شبابه، أنه كان شديد التعلق بجده ابن مرزوق الخطيب، ويتجلى هذا في ملازمته له وتنقله معه في العديد من المناسبات، وخير دليل على ذلك هو الكم الكبير مما حفظه وأجازه له من مصنفات[5]. ويعلق الجيلالي عبد الرحمن على ذلك بالقول: "اشتهر ابن مرزوق الحفيد بما اشتهر به جده الخطيب من الرسوخ في العلم والاطلاع الواسع والتحقيق المدقق في الدرس والذكاء وحسن البيان والخطابة والتوسع في الرواية، والاحاطة بمذاهب الفقه الإسلامي وحل مقفلات المسائل العلمية والمشكلات"[6].

---

[1]- البلوي أبو جعفر محمد بن علي الوادي آشي، **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي**. د وتح: عبد الله العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، ص: 294.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل**. در وتح: جيلالي عشير وآخرين، الجزائر، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، ط1، 2012، ج: 1، ص: 58.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

[4]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 421.

[5]- للتفاصل ينظر الفصل الرابع من الدراسة.

[6]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 211.

رابعا: صفاته وأخلاقه[1]:

لقد عرف العلماء الأخلاق الفاضلة بعبارة عن المواهب والقوى والسجايا المدركة بالبصيرة لا بالبصر، وأيضاً بالملكة النفسية التي يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة[2]. والعلماء هم مصابيح تهتدي بهم الأمة، بفكرهم وعلمهم وبسيرتهم، فهم ورثة الأنبياء، وهم الأئمة الحكماء، هذا إذا أحسنوا الوراثة عن نبينا (ﷺ)، كما لا تخلو الأمة في جيل من أجيالها من الراشدين من العلماء الذين تجري سيرتهم العطرة بين الناس في حياتهم وبعد رحيلهم عن الدنيا، وذلك من فضل الله تعالى على هذه الأمة.

ومما يشهد له الشرع وتؤيده العادة أن من نشأ في حجر نقي طاهر، وأرضع حب الدين والعمل من أجل الطاعات منذ الصغر، وتنقل في أطوار حياته يسلمه طور لطور وهو يعب من حياض العلم، لا يمكن له إلا أن يكون شخصا متخلقا حريصا على دينه، ويظهر ذلك في سلوكه، وابن مرزوق الحفيد وهو سليل الأصل الطيب علما ونسبا، ونتيجة ذلك ملأ قلبه حب العلم واتسع صدره على تحصيله، كيف لا وهو ابن عالم وعمه عالم وجده عالم، وعليه فقد فتح ابن مرزوق عينيه على أسرة علم وصلاح، فلم يكن حفظ القران وتجويده وأخذ العلوم الأخرى بالأمر الصعب عليه.

ولقد منح الله سبحانه وتعالى من الصفات والأخلاق ما تؤهله للمكانة التي وصل إليها في العلوم، والمنزلة الرفيعة في القلوب، فأحبه الجميع من الطلبة والعلماء وعامة الناس، وأقبلوا على دروسه وأفادوا منها، وأنزلوه منزلته اللائقة به، فذاع صيته في الآفاق فقصده الطلبة بالرحلة من كل الأمصار، ولهجت ألسنة العلماء بالثناء عليه، والاعتراف له بالفضل والإكرام، وفي هذا يقول ابن

[1]- على الرغم من شهرة ابن مرزوق الحفيد إلا أننا لم نجد لدى المترجمين لحياته أي اهتمام أو عناية تذكر لصفاته الخَلقية مثل اهتمامها بصفاته وأخلاقه وحتى نتاجه العلمي المتنوع، والتي من شأنها أن تطلعنا على بنيته الجسدية، ويجعلنا نقف على طول قامته أو قصرها وعلى أسارير وملامح وجهه، وعلى لون بشرته وعلى صحته ومناعة بدنه، أو ضعفه أو نحالة جسمه ومظهره الخارجي.

[2]- السنوسي أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني، تح: نزار حمادي، القاهرة، مكتبة المعارف، ط1، 2009، ص: 24.

مريم: "حتى صارت إليه الرحلة في رواياته ودرايته، وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته"[1].

واتفق المترجمون لحياته أنه كان يتوفر على صفات عالية ونادرة، وتدل على نبوغه وعبقريته وملكاته الفكرية الحادة وذهن ثاقب وعلو شأن، وأنه كان على قدر كبير من التواضع وحسن الخلق، وجمال الطبع وأنس المعاصرة وعلو الهمة حتى غدى ذكره في المجالس من المحاسن التي تتبارك بها، فقد قال تلميذه عبد الرحمن الثعالبي: "واشتهر فضله في البلاد فكان بذكره رحمه الله تعالى تطرز المجالس، وجعل الله تعالى حبه في قلوب العامة والخاصة فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس متشوقة إلى ما يحكى عنه"[2]. فلقد منحه الله العلي القدير من الصفات الخُلقية ما تؤهله للمكانة التي وصل إليها، والمنزلة الرفيعة التي بلغها في قلوب من عرفوه، ونتيجة لذلك أحبه الناس إن كانوا طلبة أو علماء أو عامتهم، وأقبلوا على أحاديثه وأفادوا منها، وأنزلوه المنزلة اللائقة به، فذاع صيته في الآفاق، وقصده الطلبة بالرحلة من مختلف الأقطار، ولهجت ألسنة العلماء بالثناء عليه والاعتراف له بالفضل والإكرام.

وفي مقدمة تلك الصفات التي عرف بها **خشية الله عز وجل**، ملامحها واضحة وبينة في شخصه، وهي من أولى الصفات التي أكد عليها الإسلام، فإن خشية الله هي التي تجعل العالم يؤدي ما يجب عليه، وكلما كانت خشيته أكمل صار إخلاصه أعظم، وصار أداؤه للأمانة أكمل، وهنا نقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3]، ويعلق أبو بكر محمد الآجري في كتابه "أخلاق العلماء" على مكانة العلماء في الدنيا والآخرة، بالقول: "والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع مجالسهم، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العباد وأعلى درجة من الزهاد، حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة"[4].

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 203.

[2]- الثعالبي عبد الرحمن، **رحلة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي**. تح: محمد شايب شريف، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والمعلومات، ط1، 2005، ص: 113.

[3]- سورة فاطر، الآية: 28.

[4]- الآجري أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله، **أخلاق العلماء**. مر وتص وتع: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض، دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1978، ص: 66.

ومن الصفات الأخرى التي اتصف بها هو **الذود عن الدين والمحافظة عليه**، فهو لم يتردد في يوم من الأيام من الوقوف في وجه البدع والضلالات التي تحاول أن تغير من وجه الدين الإسلامي الحنيف، وكان يعتبر مسؤولية علماء الدين كبيرة في تنقية المجتمع من شوائب البدع والجهالات، ويذكر ابن زيدان في كتابه "المنزع اللطيف" قولا لابن مرزوق الحفيد في هذا الخصوص، حين يقول: "قال الإمام أبو عبد الله بن مرزوق وإنما يدخل الفساد في الدين على العامة من تقليدهم الجهال من المنتمين للعلم التابعين لأغراض الدنيا، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من قلوب العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[1].

ومن خلال هذا القول يظهر لنا بأن عالمنا حريص على دينه متمسك به ومحافظ عليه ومحارب للبدع، وفي هذا يقول أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني[2]: "ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم، محيي السنة بالفعال والمقال والشيم، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل"[3]، ومن هنا جاءت شدته على أهل الأهواء والبدع حفاظا على قيم الدين الإسلامي الحنيف.

إن ما سبق من كلام، يذكرنا بصفات شيخنا التي أشاد بها القاصي والداني، وكانت أخلاقه مثالا يحتذى بها، وهنا نستذكر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4]، وكما ورد في قول الرسول محمد (ﷺ): (وَإِن فَضْلَ العالِمِ على العَابِدِ كَفضل القمر ليلة البدرِ على سائرِ الكَوَاكِب)[5]، وهنا أشير إلى ما ذكره المقري من دليل على

---

[1]- ابن زيدان عبد الرحمن، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**. تق وتح: عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة اديال، ط1، 1993، ص: 102.

[2]- من تلاميذ الشيخ ابن مرزوق الحفيد، للتفاصيل ينظر: الفصل الثالث المبحث الثالث من الدراسة.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 423.

[4]- سورة السجدة، الآية: 24.

[5]- نص الحديث: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يقول:﴿ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ﴾. ينظر: أبو داود، **سنن أبي داود**. باب العلم، حديث رقم: (3641).

أن ابن مرزوق الحفيد كان ورعا خاشعا محبا لذكر الباري عز وجل ورسوله محمد (ﷺ)، ما نصه: "وختمت عليه أربعينيات النووي قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع ثم يأخذ في البكاء، فلم أزل أقرأ وهو يبكي إلى أن ختمت الكتاب"[1]. ويعلق التنبكتي في كتابه الكفاية على تمسك ابن مرزوق الحفيد بدينه وحرصه عليه –وهو دلالة على خشية الباري عز وجل– حين يقول: "سيف الله على ذوي البدع ممن عظم نعمة الله به على خلقه"[2].

وهذا ما يؤكده الآجري كصفة من صفات العالم وأخلاقه، حين يقول: "فمن صفات العالم أن يكون لله شاكرا وله ذاكراً دائم الذكر بحلاوة حب المذكور منعهم قلبه بمناجاة الرحمن، يعد نفسه من شدة اجتهاده خاطئا مذنبا ومع الدؤوب على حسن العمل مقصرا [3]. وتتجلى **صفات الشكر وحسن العمل** في الصورة التي ذكرها القلصادي حين قال: "كان من رجال الدنيا والآخرة، وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف، وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهودة"[4].

ومن الصفات التي يجب توفرها في العالم **التواضع وعدم التكبر**، اقتداءا بنبينا محمد (ﷺ)، فالعلماء هم أكثر الناس تواضعا وهذا ما نجده يتمثل في شخص ابن مرزوق الحفيد، فهو يزداد تواضعا كلما سما في سماء العلم والمعرفة، فهو الذي يشهد له القاصي والداني بمكانته وعالمه، ولكنه كان يزداد تواضعا لقناعته من أن هذا العلم هو لمنفعة الناس وخدمتهم، وفي هذا الصدد كتب القلصادي يصف تواضع شيخه الحفيد، قائلا: "الشيخ الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي حل كنف العلم والعلاء...وسما في النفوس موضعه وموقعه، فلا عليك أن ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من لقائه"[5]، كما أشاد بتواضعه صديقه ابن حجر العسقلاني، حين قال: "وكان نزيهاً عفيفاً متواضعا"[6].

---

[1]– المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 452. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 1، ص: 139.

[2]– ابن غازي، المصدر السابق، ص: 113. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 136.

[3]– الآجري أبو بكر، المصدر السابق، ص: 66.

[4]– القلصادي، المصدر السابق، ص: 102. المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 426.

[5]– القلصادي، المصدر السابق، ص ص: 100–101. المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 426.

[6]– ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 3، ص: 264.

ومن بين الصفات الأخرى التي امتلكها **الصبر** وتحمل مشاق العمل، فقد ينال العالم بعض الأذى وقد تحصل له المشاق في دنياه وفي بدنه، لكن عليه أن يجتهد في حفظ دينه، وفي الحرص على القيام بحق الله عليه، وعليه أن يتذكر قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُون﴾[1]. فهو أي الحفيد "حجة الله على العلم والعالم، الجامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة، متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه"[2].

ومن صفات التي عرف بها أيضا **حب الناس بمجالسته والاستماع اليه**، وهذا دليل على ما يحمله من علوم ومعارف قلما نجدها مجتمعه في شخص واحد. وتشير المصادر إلى أن الناس كانت تسعى إليه لمجالسته ومؤانسته، وفي هذا يقول المقري: "وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية، واشتهر ذكره في البلاد، فكان بذكره تطرز المجالس، وجعل الله تعالى حبه في قلوب العامة والخاصة فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس مشوقة إلى ما يحكى عنه"[3]. ومن حسن الصفات التي عرف بها أيضا **الإنصاف وقول الحق** مهما كانت نتائجه، وفي هذا يقول عبد الرحمن الثعالبي: "كان التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية"[4]. وذكر ابن غازي تواضعه في التعامل مع طلبة العلم، حين قال: "وتواضعه لطلبة العلم"[5].

وقد ذكر الرصاع في فهرسه حادثة تدل على إنصافه وقوله للحق، حين قال: "وكذلك الشيخ سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق لما صلى خلف الشيخ جلس يسمع الأسئلة والأجوبة فلما قام الشيخ –يقصد به الشيخ أبو النور الأوجاري من علماء تونس المشهورين في الفقه والقراءات– قال الفقهاء من الناس لسيدي أبي عبد الله محمد: كيف رأيتم حال شيخنا ؟ فقال: هذا لا نفعله نحن بالمغرب ولا يفعل هذا إلا من كان المذهب نصب عينيه مثل هذا الشيخ وأما الغير فهو دائر بين أمرين إما أن يجيب عن كل ما يسأل عنه ولا يتوقف ولا يراقب الله تعالى فيقع فيما يقع فيه من التعدي، وإما أن يقول: حتى أنظر فلا يجيب عن أكثر ما يسأل عنه ولا يفعل

---

[1]– سورة الأحقاف، الآية: 35.

[2]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 502.

[3]– المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 425.

[4]– الثعالبي عبد الرحمن، المصدر السابق، ص: 114.

[5]– ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 113.

هذا إلا من عظم الله تعالى في قلبه، فلا يرى إلا الله وقليل ما هم، وكان الناس لهم محبة في العلم وتفقهوا عليه بالمسائل وربما يسألون غيره ويأتون إليه يصححون الجواب عنه وربما يصوب وربما يخطي المجيب، ويقول: ارجعوا وقولوا له لا تقل هذا وارجع عنه فإنه خلاف ما به العمل أو خلاف المشهور"[1].

ومن جميل صفاته أيضا والتي يجب أن يتحلى بها العالم، هي صفة **اعترافه بحق الآخرين في التميز والإبداع**، ولم يقف عند هذا الحد وإنما عمل على الترويج لهم والتعريف بهم، ومثال ذلك تلك الرسالة التي كتبها لأبي القاسم عبد العزيز بن موسى العبدوسي[2]، التي حملها معه حينما قدم إلى تونس عام 817هـ/1414م، ومن بين ما جاء فيها: "يرد عليكم حافظ المغرب الآن"[3]. ولم يكن ابن مرزوق يجامل في ذلك، إذ شكك من اطلع عليها من أهل تونس لمجاملة من قبله، ولكن العبدوسي أثبت لهم صحة تقييم ابن مرزوق له، حيث كتب أبو عبد الله الزنديوي[4] شيخ الفتوى في تونس، يقول: "فلما اجتمعنا به وأقام عندنا أزيد من عام رأينا منه العجب العجاب من حفظ لا نتوهم أن يكون لأحد لما رأينا في بلاد إفريقية ومجالس أشياخنا بتونس وبجاية، كان عندنا بتونس الشيخ أبو القاسم البرزلي سلم له أهل زماننا في حفظ الفقه وأشياخ المدونة دونه في ذلك وببجاية الشيخ الفقيه أبو القاسم المشدالي، حضرنا مجالسهم فما رأينا

---

[1]- الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، **فهرست الرصاع**. تح وتع: محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، ط1، 1967، ص: 62.

[2]- **أبو القاسم عبد العزيز بن أبي عمران موسى العبدوسي (ت:837هـ/1433م)**: إمام حافظ وصفه ابن مخلوف على أنه: "عالم جليل نادرة الزمان في الحفظ والاتقان". أخذ عن علماء كثر منهم: والده، وتتلمذ على يده العديد من المشايخ مثل الرصاع، توفي سنة 837هـ/1433م. ينظر: ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. اعتنى به وخرج آياته: عبد الغني متو وآخرون، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 2014، ج: 1، ص: 333.

[3]- الرصاع، المصدر السابق، ص: 64.

[4]- **محمد بن محمد بن عيسى العقوي الزنديوي المغربي المالكي (ت:882هـ/1477م)**: فقيه مالكي مفسر، أخذ عن مشايخ كثر منهم: ابن عرفة، ومن تلاميذه: أحمد بن يونس وإبراهيم بن قائد. عرف في علوم عدة مثل: العربية، الأصول، البيان، المنطق، الطب، الحديث. من مؤلفاتها: تفسير القرآن، شرح على مختصر خليل، رسالة في الفرائض. وله فتاوي مذكوره في كتابي نوازل مازونة والمعيار. وتولى عدة مناصب منها: قضاء الأنكحة وكذلك مفتي الحاضرة التونسية. عمّر طويلا وتوفي سنة 882هـ/1477م. ينظر: السخاوي، المصدر السابق، ج: 9، ص ص: 179-180. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 205-206. ابن مخلوف، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 341-342.

ولا سمعنا من يشبه العبدوسي في حفظه وعلمنا صدق ابن مرزوق فيما وصفه به وأن من ورعه أن لا يذكر وأن لا يكتب إلا بما تحقق"[1].

وهكذا يثبت لنا ابن مرزوق الحفيد أن الصدق لا يقف عند حدود المجاملة وقلب الحقائق، وإنما هو صفة في العالم لابد منها إن كان هذا في العمل أو إحقاق حق الغير في الإبداع والتميز، كما أنه لم يتردد في تقييم الآخرين التقييم العلمي المبني على الأسس الصحيحة، من دون مجاملة أو انتقاص، فهو لم يتردد على سبيل المثال في الاعتراف بالقيمة العلمية للإمام أبي إسحاق الشاطبي[2]، حين قال: "إنه الشيخ الأستاذ الفقيه الامام المحقق العلامة الصالح أبو إسحاق"[3]. ويعلق التنبكتي على هذا الوصف ويربطه بمكانة ابن مرزوق الحفيد ومدى أهمية قول مثل هذا الكلام بحق أحد العلماء، حين يقول: "وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الإمام –يقصد ابن مرزوق–، وإنما يعرف الفضل لأهله أهله"[4]. وهذا القول يؤكد على ما أردنا الذهاب إليه بخصوص الصفة التي تحلى بها ابن مرزوق الحفيد بالاعتراف بحق الآخرين في التميز وتقدير الإبداع.

ومن الصفات الكريمة التي تمتع بها كذلك والتي عكست قيمته الإنسانية ورغبة الناس فيه، وتقربهم منه أكثر فأكثر، هي **الحلم والاحتمال**، وهذين الأمرين من الأمور الضرورية التي يجب أن تتوفر في شخص العالم لأنها تجعل منه قادرا على استيعاب كل الضغوط التي يتعرض إليها، وفي هذا يقول تلميذه عبد الرحمن الثعالبي: "وكان فيه من الحلم والاحتمال رحمه الله ما ساد به على هل زمانه، وفاق من عاصره من أقرانه"[5].

---

[1]– الرصاع، المصدر السابق، ص: 64.

[2]– **الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي** (ت:**790هـ/1388م**): إمام علامة محقق حافظ مجتهد أصولي، ولد في غرناطة التي نشأ وترعرع فيها، لم يحدد تاريخ ميلاده بشكل دقيق ويقال 720هـ/1320م، تتلمذ على يد مشايخ أعلام من أمثال: محمد بن الفخار، أبو جعفر الشقوري، أبو عبد الله محمد المقري الجد وابن مرزوق الخطيب وغيرهم. ومن تلاميذه: أبو عبد الله محمد المجاري، يحي بن عاصم وأبو بكر بن عاصم وغيرهم. برز في علوم العربية والفقه والحديث وغيرها من المجالات، وله عدد من المؤلفات القيمة، منها: شرح جليل على الخلاصة في النحو، كتاب المجالس، شرح رجز ابن مالك وغيرها. توفي يوم الثلاثاء 8 شعبان 790هـ/1388م. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 47-52.

[3]– المصدر نفسه، ص: 48.

[4]– الرصاع، المصدر السابق، ص:48.

[5]– ابن هلال إبراهيم بن أحمد السجلماسي، **فهرسة ابن هلال السجلماسي**. تق وتح: محمد بن الأزرق، أطروحة لنيل دبلوم الراسات المعمقة، رسالة غير منشورة، الرباط، دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا، 2002/2001م، ص: 34.

ومن خلال ما سبق، يتبين لنا أن ابن مرزوق الحفيد لم يكن إلا نموذجا الصورة المثلى للعالم الحقيقي، الذي لا غرض له من العلم إلا التقرب به إلى الله عز وجل وخدمة الناس ليس أكثر، وهذا يظهر لنا بعد المسافة الفاصلة بين شيخنا ابن مرزوق الحفيد ومضمون حديث المصطفى (ﷺ): "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إليهِ فَهُوَ فِي النَّار"[1].

خامسا: مذهبه

كان ابن مرزوق الحفيد مالكي المذهب، وقد نسبه كل من ترجم له بطريقة أو أخرى إلى هذا المذهب، ولكن السخاوي في كتابه "الضوء اللامع" قالها واضحا حينما وصفه بـ: "المالكي"[2]، فيما ذكره الشوكاني في كتابه "البدر الطالع" بـ: "المالكي المعروف"[3]، ووصفه التنبكتي من أنه: "حامل لواء السنة"[4]، فيما وصفه ابن مريم من أنه: "السني الأسنى"[5].

كان عالمنا حريصا على دينه متمسكا به ومحافظا عليه ومحاربا للبدع، وفي هذا يقول أبو فرج بن أبي يحي الشريف التلمساني: "ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم، يحي السنة بالفعال والمقال والشيم، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل"[6]. كما ورد ذكر ابن مرزوق الحفيد في كتب طبقات المالكية، منها ما ذكره ابن مخلوف في كتابه "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" ضمن الطبقة السابعة عشر/ فرع فاس[7].

---

[1]- سنن الترمذي: كتاب العلم، باب فيمن يطل بعلمه للدنيا، رقم: 2654.

[2]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50.

[3]- الشوكاني، المصدر السابق، ص: 119.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500

[5]- ابن مريم ، المصدر السابق، ص: 202.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 423.

[7]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 344-335.

سادسا: وفاته

إن رحيل عالم مثل ابن مرزوق الحفيد صال وجال بين العلوم والمعارف، حتما ترك فراغا كبيرا في نفوس محبيه، وأحدث أثراً بالغا أيضاً في ظني لما له من مناقب كريمة، فقد بكاه الناس وحزنوا عليه، وذلك تعبيرا عن محبتهم لهذا العالم الجليل الذي قدم الكثير من الفوائد للعلم وأهله.

على العموم بعد حياة حافلة بالبحث والتأليف والدرس توفي العالم الجهبذ ابن مرزوق الحفيد مساء يوم الخميس 14 شعبان 842هـ الموافق لـ 30 جانفي 1439م بتلمسان عن عمر ناهز الست والسبعين سنة[1]، وأكد هذا التاريخ تلميذه القلصادي إذ شهد وفاته وحضر جنازته فهو ممن لازموه في آخر سنوات حياته[2]، وصلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة ودفن بالروضة غربي المسجد[3] في جنازة مهيبة حضرها السلطان وكبار رجال الدولة والعلماء[4]، وذكر وذكر القلصادي هذا المشهد بالقول: "كانت له جنازة عظيمة حضرها السلطان فمن دونه لم أر مثلها فيما قبل، جمعنا الله وإياه في دار كرامته، وأسف الناس لفقده، وآخر بيتين سمع منه قبل موته:

"إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُم فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُم بِسَفْكِ دَمِي"[5]
دَمِي"[5]

---

[1]- التنبكتي أحمد بابا، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 140-141. القلصادي، المصدر السابق، ص: 102. الونشريسي أحمد بن يحي، **وفيات الونشريسي**. تح: محمد بن يوسف القاضي، القاهرة، شركة نوابغ الفكر، ط1، 2009، ص: 89.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 89.

[3]- يقصد به الجامع الأعظم في تلمسان، ويقع القبر في الزاوية الجنوبية الغربية منه، وقد أنشأ الأمير يغمراسن بن زيان ضريحا فوق قبره عندما كان يوسع الجامع الأعظم كما أنشا المنارة، وفيما بعد سميت إحدى أبوابه باسمه وهي القريبة من ضريحه. ينظر: مهتاري زرفة فائزة، **أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري –دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج–**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2006/2005، ص ص: 104-113. للاطلاع على قبره، ينظر: الملحق رقم: (02)، ص: 444. دفن بالقرب من قبر ابن مرزوق جد الجد (ت: 681هـ)، وقاسم بن سعييد العقباني (ت: 854هـ/ 1450م). للاطلاع على شواهد قبورهم، ينظر: الملحق رقم: (03)، ص: 445.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 212.

[5]- القلصادي، المصدر السابق، ص ص: 102-103.

ويشير كل من ابن مخلوف في كتابه "شجرة النور" وإسماعيل باشا البغدادي في كتابه "هدية العارفين"، من أن ابن مرزوق الحفيد قد دفن في القاهرة بعد أن صلي عليه في الجامع الأزهر، مستندين في ذلك على ما ذكره المقري في كتابه "نفح الطيب"، حين قال: "توفي بمصر في شعبان من السنة وصلى عليه بالجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة"[1]. وحينما رجعنا إلى كتاب النفح لم نجد ما يؤكد ذلك، وإنما يتكلم عن دفن ابن مرزوق الخطيب في القاهرة وليس شيخنا الحفيد[2]، وفي هذا خلط كما أشرنا إليه من قبل لتشابه الأسماء بين شيخنا ابن مرزوق الحفيد وجده ابن مرزوق الخطيب والذي توفي فعلا في مصر ودفن هناك.

ولقد نقل الكتاني في كتابه نظام الحكومة النبوية المشهور بالتراتيب وصيته في تحبيس مكتبته على ذريته، ويبدو أن هذا الوقف النفيس قد ضاع، فقد كتب يقول: "أقول وقد أذكرتني وصية عمر رضي الله عنه، وجعله النظر في وقفه إلى الأقرب فالأقرب من أهله وصية عالم الدنيا الإمام أبي عبد الله، محمد بن مرزوق التلمساني، شارح البردة فقد رأيت بخط الحافظ أبي العباس الونشريسي، ناقلا بعض فصول زصية ابن مرزوق المذكور، في تحبيس كتبه على أولاده، ونص بذلك: إن جميع ما احتوت عليه غرفتي التي لم أفارقها منذ ثلاثة أيام وما احنوى عليه مسكني الآن، من دواوين الكتب والمفردات الكراريس وسائر التآليف، ومت وهو معار عند الناس حسبما ذلك مقيد في أزمَّتي، مُحبَّس على من يتعاطى العلم وعرف بالاشتغال به من ذريتي، من أي جهة كانوا فينتفعون بمطالعة ما يحتاجون إليه منها، إلا أن أولادي الذكور وأولادهم أولى بالتقديم عند ازدحام حاجنهم إلى ما يطالع منها، كما أن الأولى فالأولى، الأعلى فالأعلى من أولادي الذكور عند ذلك أيضا، وإن متولي النظر في كتبي المذكورة الأقرب فالأقرب، والأعلم الأدين، فإن لم يجتمع الوصفان فالأدين ثم الأعلم، ثم الأقرب مع أمانتهما عليهما، فإن لم يُؤْمَنا عليهما فالأمين كيف كان.أه ومن خط الونشريسي نقلت واستفدت"[3].

---

[1]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ج: 1، ص: 335. البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. بيروت، دار إحياء التراث، 1955، مج: 2، ص: 192.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 414 و ص: 420، 433.

[3]- الكتاني عبد الحي، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**. تح: عبد الله الخالدي، لبنان، دار الأرقم بن الأرقم، ط2، د.ت.ن، ج: 1، ص: 321.

ويبدو أن هذه المكتبة قد ضاعت بما فيها من كتب ولم يحمل العلم من ذريته من يصلح للحفاظ على الوقف المذكور أعلاه، وهو ما ذكره المستشرق الفرنسي بروسلار (BROSSELARD) فيما نقله عن المستشرق الراهب بارجيس (L'abbé BARGES) في ترجمته الفرنسية لكتاب الحافظ التنسي تاريخ بني زيان سنة 1887م، عندما ذكر أحفاد ابن مرزوق: "...بالعكس –أي بخلاف العقبانيين- يوجد أحفاد كثيرون لابن مرزوق الشهير، أحد عظماء العلم في المدارس الإفريقية في القرن التاسع للهجرة، ويسمون المرازقة، وهم فقراء وجاهلون بقدر ما كان أجدادهم أغنياء ومتنورين، فلا يوجد بينهم طالب واحد ولكن شهرة لقب المرازقة لا تزال تدفع الناس لاحترامهم...يشتغلون بالفلاحة في أرض ورثوها عن أجدادهم...وواحد منهم يشتغل كحارس لقبر أجدادهم، ويتلقى حسنات من الزوار مما يساعده على العيش...وهو يحتفظ بنسخة من القرآن تعود لابن مرزوق الحفيد والتي توارثها أحفاده حتى وصلت إليه...وهو يظهرها لزوار الضريح"[1].

من خلال هذا المبحث، يمكننا القول أن اسم ابن مرزوق الحفيد الذي ملأ الآفاق وذاع صيته بين العباد، وحظي باهتمام الكتاب المعاصرين والمحدثين، والذي قال فيه التنبكتي في كفايته، من أنه: "فارس الكراسي وآخر السادات الأعلام سليل أكابر الأفاضل"[2]. فإن حياته لم تلق ذات الاهتمام الذي ناله إنتاجه العلمي، فأغلب ما هو متوفر قليل ولا يفي بالغرض الذي يسعى إليه الباحث، ويتمنى عند ترجمة حياة هذه القامة العلمية الفذة التي ذاع صيتها في مشارق ومغارب بلاد الإسلام. ومن خلال تتبع المصادر ولاسيما كتب التراجم لم تذكر المعلومات الكافية عن حياته من حيث تفاصيل حياته الأولى، فضلا عن عائلته الخاصة (تاريخ زواجه واسم زوجته وأسرتها) وعلاقاته الاجتماعية وغيرها من الأمور التي يمكن من خلالها إماطة اللثام عن جوانب مختلفة من حياته. ولقد كانت هذه المسألة في غاية الصعوبة، لاسيما وأن المعلومات التي ترد في المصادر تكاد تكون واحدة ومكررة، وكنا نتلمس في عتمة هذا النقص إشارات هنا وهناك، نحاول ترقيعها ببعضها إن صح التعبير، لكي نحقق المبتغى بالترجمة لهذه الشخصية العلمية الفذة. وعلى الرغم من ذلك فإن حياة ابن مرزوق الحفيد العائلية المستقرة والهادئة ساهمت في تكوينه الذهني ونبوغه فيما بعد، كيف لا وهو سليل عائلة كبيرة ويقيم في حاضرة كان يحسد ساكنوها على

---

[1]- BARGES J.J.L L'abbé, **Complément de l'Histoire des Beni-Zeiyan rois de Tlemcen**. Paris, Ernest Leroux, Librairie-Editeur, Ed n^0: 1, 1852, PP: 118-119.

[2]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص : 136.

سكناهم فيها لرقيها وتطورها، ولكنني قد أعزو مبرر هذا الإهمال من جانب المترجمين له وحتى تلاميذته وأقرانه في نشأته الأولى راجع إلى كون نسبه العائلي كفيل بما يؤكد ما هو عليه من مكانة وقيمة علمية دون أدنى شك.

المبحث الثاني: أسرته وأعلامها:

إن الأسرة التي ينتمي إليها ابن مرزوق الحفيد هي أسرة المرازقة، وهي من بين الأسر العريقة والكبرى في مدينة تلمسان، اشتهرت بالعلم والتقوى، ولها تاريخ عريق، وشهد أبناءها الارتقاء الحضاري والثقافي لمدينة تلمسان، كما ساهموا فيه بشكل واضح وفاعل ونتيجة ذلك، حفلت الأسرة بشخصيات مرموقة عرفت بالعلم والتقوى، إذ توارث أبنائها ذلك بدءا من الجد الكبير مرزوق، ومن هذا المنطلق يتحتم علينا دراسة جوانب من تاريخ هذه الأسرة، ولو بشكل مقتضب لكي تتكامل الصورة وتأخذ بعدها الحقيقي.

أولاً: البيوتات العلمية في المغرب الأوسط ودورها السياسي والاجتماعي

مفهوم البيت وجمعها "بيوتات" من الناحية اللغوية، هو "السكن الذي يأوي إليه الإنسان سواء كان من الشعر أو غيره، وقد يعني البيت عيال الرجل، ويقصد به أيضا المرأة، فإذا قيل لأي رجل هل لك بيت، فالقصد بهذا السؤال المرأة". أما من الناحية الإصلاحية، فهي تعني "الشرف والحسب والنسب"[1]. ويقدم لنا ابن خلدون تعريفا دقيقا لمفهوم البيوتات، حين يقول: "وذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت أن يعد الرجل في آبائه أشرافا مذكورين يكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجله في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجله سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشأتهم وتناسلهم"[2]. ومن هنا، يتضح أن الشرف والحسب أساسيان في نشأة

[1]- لزغم فوزية، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013، ص: 2.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 167.

أي بيت من البيوتات[1]، وفي هذا يقول ابن خلدون: "إن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل محدث ثم إن نهايته أربعة آباء"[2].

وساهمت سياسة الدول التي حكمت المنطقة القائمة على كسب ولاءات العلماء وشيوخ القبائل في عملية تشكل الأسر والبيوتات العلمية، فبات أفراد هذه الأسر يتولون عدة وظائف ويتوارثونها فيما بينهم كالخطابة والإمامة والقضاء، وحضور مجالس الشورى، وشهود عقود الصلح. وساهم هذا التقارب بين النخبة الحاكمة الممثلة في السلاطين والنخبة العلمية الممثلة من طرف أفراد البيوتات العلمية، في تنفذ هذه الأسر واتساع جاهها[3]. ويشير بن داود نصر الدين إلى أن: "البيوتات الكبرى هي البيوتات التي أنجبت ثلاث علماء فأكثر، اشتهروا بإنتاجهم العلمي وكان لهم نشاطات مختلفة بارزة في شتى الميادين"[4]. وبناءا عليه، فإننا نجد في كل مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط بروز عائلات اشتهرت بالعلم والتأليف، مثل: عائلة المقري والعقباني في تلمسان والمشدالي والمنجلاتي في بجاية، وابن السكات في الجزائر، والمقراني وآل باديس في قسنطينة"[5].

ومن هنا، ينتمي ابن مرزوق الحفيد إلى أسرة علم وتقوى ونباهة، ونبل وصلاح، وحسن تدين وشرف وهي عائلة المرازقة التلمسانية عائلة عريقة ساهمت بدور كبير في إرساء أسس الثقافة والعلم في الحاضرة تلمسان، وأنجبت لنا كثيرا من العلماء الفطاحل، اشتهر كل منهم حسب وجوده في الأسرة، فهذا ابن مرزوق الخطيب الجد، وابن مرزوق الأب، وابن مرزوق الحفيد، وابن مرزوق حفيد الحفيد، كلها نجوم في سماء العلم والمعرفة عرفوا جميعا بالعلم والمعرفة والورع. وكتب بن داود نصر الدين يظهر قيمة هذه الأسرة ودورها في ترسيخ حضارة تلمسان "بدأ نجم هذه الأسرة

---

[1]- لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 3.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 171.

[3]- كرطالي أمين، **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013، ص: 84.

[4]- بن داود نصر الدين، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2010/2009، ص: 57.

[5]- كرطالي أمين، المرجع السابق، ص: 84.

يبرز ويتلألأ في سماء حضارة تلمسان بشخصيات اشتهرت بتقواها وعلمها، ونالت المكانة الاجتماعية والثقافية المرموقة"[1].

ثانيا: أصل المزارقة

ينحدر نسب المرازقة من مدينة القيروان، وتعرف بأسرة المرازقة العجيسية نسبة إلى قبيلة عجيسة البربرية، وعن أصل عجيسة يقول ابن مرزوق الخطيب: "يرجع إلى عجيسة فجدي يكنى بمرزوق العجيسي وعجيسة هي قبيلة بربرية من زناتة"[2]. أما ابن خلدون ذكر بأن عجيسة "فهم من بطون البرانس من ولد عجيسة من برنس ومدلول هذا الاسم البطن، فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيم مخففة وبهذا أصبح نطقها عجيسة"، أما ابن حزم فقد ذكر: "فولد بر: مدغيس وبرنس فولد برنس كتامة وصنهاجة وعجيسة ومصمودة وأوربة وأزداجة وأوريغ"[3]. وسكنت قبيلة عجيسة المنطقة الواقعة ما بين المسيلة وقلعة بني حماد وهاجرت من هناك واستقرت بمدينة تلمسان أواخر القرن الخامس الهجري (11م) بعد أن قدم بنو هلال[4] إلى المنطقة[1]، ومرزوق جد العائلة قدم إليها من القيروان موطنهم الأصلي وهو

---

[1]- نصر الدين بن داود، **الحياة الثقافية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**. تلمسان، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص: 5.

[2]- ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**. تح: سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط1، 2008، ص: 145.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج: 6، ص: 145. ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص: 495.

[4]- **الهجرة الهلالية**: اختلف المؤرخون حول تحديد سنة الانفصال النهائي الزيري-الفاطمي، يتفق كل من النويري وابن الأثير على أنه في سنة 435هـ/1043م تم قطع الخطبة وإظهار الدعوة العباسية، أما ابن عذاري فجعل سنة 433هـ/1041م لإظهار الدعوة، وجعلها ابن خلدون سنة 437هـ/1045م، أما ابن أبي دينار وابن عذاري وابن خلدون فجعلوا قطع الدعاء والخطبة وإحراق البنود في شهر شعبان 440هـ/1048م لأنه في عام 441هـ/1049م تم ضرب السكة وهو ما رجحه بن قربة، أما المقريزي فجعله سنة 443هـ/1051م وهو ما رجحه العبادي. ينظر: النويري أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تح وتع: مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ط، د.ت.ن، ص:341. ابن الأثير أبو الحسن، **الكامل في التاريخ**. لبنان، دار الكتاب العربي، ط6، د.ت.ن، ج:8، ص:55. ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. تح: ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال. لبنان، دار الثقافة، ط5، 1980، ج:2، ص:275، 277، 278. ابن خلدون، **العبر**، مج:11، ص:29، 325. ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار أفريقية وتونس**. لبنان، دار السيرة، تونس، ط3، 1993م، ص:105. بن قربة صالح، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامية إلى سقوط دولة بني حماد**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986،

ما يذكره ابن مرزوق الخطيب: "أن مرزوق هذا ورد على تلمسان مع أخوين شقيقين خُلوف، بضم الخاء المعجمية واللام، ومعافى[2]، من مدينة القيروان وكانت مواطنهم وأماكنهم بجبل ظاهر القيروان يسمى بويسلات"[3].

ثالثا: الاستقرار في مدينة تلمسان

مما سبق ذكره يتبين لنا أن من سكن واستقر في مدينة تلمسان هو مرزوق رفقة أخويه خلوف ومعافى، وكان مرزوق مؤسس بيت المرازقة يمتهن الزراعة كمصدر عيش له، ويمتلك بيتا في تلمسان في حي مرسى الطلبة، والتقى ولده أبو بكر محمد بن مرزوق الولي الصالح أبا مدين شعيب (ت:594هـ/1197م)[4] فارتباطا بعلاقة صداقة ومرافقة، وبذلك ارتبطت عائلة المزارقة بخدمة هذا الولي الصالح في حياته ومماته، إذ توارث أبنائها خدمة قبره فيما بعد[5]. ويؤكد ذلك التنبكتي، بالقول: "نزل سلفه بالعُبَّاد متوارثين تربة أبي مدين منذ زمن جدهم خادمه في حياته"[6]. وأشار بن داود نصر الدين إلى هذه المسألة بالقول: "وكان هذا الاستقرار حجر الأساس لإنجاب هذا البيت علماء أجلاء خاصة في الفترات اللاحقة"[7].

ص:471. المقريزي تقي الدين، **اتعاظ الحنفا**. تح: محمد حلمي أحمد، مصر، مكتبة إحياء مطالع الأهرام، 1390هـ/1971م، ج: 2، ص: 11، 30. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**. لبنان، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت.ن، ص: 299.

[1]- ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 17.

[2]- يشير ابن مرزوق الخطيب في مناقبه إلى انقطاع النسب في الأخوين خلوف ومعافى إلى مدى محدد، حين قال: "فأما معافى فلم يُعقب، وأما مخلوف فآخر عقبه الفقيه الكاتب أبو محمد التلمساني المذكور قبل وكانت وفاته بتونس". ينظر: ص: 147.

[3]- المصدر نفسه، ص: 146.

[4]- **أبو مدين شعيب (526-594هـ/1196-1226م)**: هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري الإشبيلي ولد عام 526هـ/1226م، رحل من إشبيلية إلى سبتة لطلب العلم ثم إلى فاس ومنها إلى بلاد المشرق، توفي ودفن بالعباد سنة 594هـ/1196م. ينظر: الغبريني أبو العباس، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في السابعة ببجاية**. تح: رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م، ص: 55، 60. ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**. تح: أحمد توفيق، الرباط، كلية الآداب، ط2، 1997م، ص ص: 319-326.

[5]- ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 17. ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**. تح: صباح مجاهدي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2014/2013، ص: 26.

[6]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 89.

[7]- بن داود نصر الدين، **بيوتات العلماء بتلمسان**، ص: 14.

رابعا: تأسيس بيت المرازقة في تلمسان وأبرز أعلامه[1]

كان بيت المرازقة ممن اشتهر بالعلم والرئاسة والفضل حيث ذكر المقري في ترجمته لابن مرزوق الجد: "هو بيت علم وولاية وصلاح لعمه وجده وأبيه وجد أبيه ولولديه محمد وأحمد وحفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب"[2]، ومن أبرز العلماء الذين أنجبتهم أسرة المرازقة نجد:

1. أبو بكر محمد بن مرزوق:

هو أبو بكر محمد بن مرزوق، ولد في مدينة تلمسان وعلى ما يبدو هو أول من ولد من أسرة المرازقة بها، وغلبت كنيته أبو بكر عاى اسمه محمد، وكان مترددا إلى البيت الحرام، وبهذا كان مشتهرا ومحترفا فلم يزل كذلك إلى أن توفي، وكان مشهورا بالخير مقصودا بالدعاء[3]،أي أنه اشنهر اشنهر بالصلاح ولم يعرف بالعلم. وأعقب ولدا اسمه "محمد".

2. أبو عبد الله محمد الأكبر بن مرزوق:

أبو عبد الله محمد (الأول) بن أبي بكر محمد بن مرزوق، ويكنى."أبا عبد الله الأكبر"، ولا توجد أي معلومات عن مولده ووفاته، ويشير ابن مرزوق الخطيب في مناقبه على أنه: "قد اشتغل بالقراءة، وغلب عليه علوم القرآن، وكان مصحفياً يكتب المصاحف التي كان الناس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس التي كان الناس يتنافسون عليها...وكان مع ذلك تاجرا"[4]، وترك ولدا حمل نفس اسمه وهو محمد.

---

[1]- عن شجرة العائلة المرازقة، ينظر: الملحق رقم: (04)، ص: 446.

[2]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 422.

[3]- ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص:148.

[4]- مجهول، **مخ طبقات المالكية**، و: 424. ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص: 148.

3. أبو عبد الله محمد بن مرزوق (629–681هـ/1321–1282م):

ولد أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عبد الله محمد بن مرزوق في تلمسان سنة 629هـ/1231م، ووالدته هي زينب بنت الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي فقيه محدث وزاهد[1]. لازم في بدايته علماء عصره من أمثال: الإمام الحافظ أبي زكريا يحي بن محمد بن عصفور العبدري، صاحب الإمام أبي بكر بن العربي[2] وغيرهما من علماء عصره، توفي سنة 681هـ/1282م، ودفن في دار الراحة قريبا من القصر القديم بتلمسان بجوار قبر السلطان يغمراسن بن زيان[3].

لقد شكل أبو عبد الله حسبما أرى مرحلة انتقالية في حياة أسرة المرازقة، إذ تداخلت سمعة الأسرة الروحية مع الغنى والمال، فقد ورث مالا وفيرا من جده لأمه، وهو ما انعكس إيجابا على الأسرة فيما بعد، ومعه بدأ البروز العلمي للعائلة يسطع، فقد كان محدثا فقيها متصوفا. وكتب ابن مرزوق الخطيب في ذلك: "ونشأ على خير وكان وسيما يضرب به المثل، فأسره الناس للمصاهرة إليه فصاهر إليه الفقيه أبا عبد الله الكتاني، وكان كبير بلده وصاحب مشورة فيها، والمفوض إليه من قبل ملوك الموحدين بني عبد المؤمن بتلمسان فأنكحه ابنته...وولدت له ولدين، كبرا وقرءا

---

[1]– ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص ص: 17–18.

[2]– **محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي (ت:543هـ/1148م)**: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي ولد في مدينة إشبيلية سنة 468هـ/1075م. ونشأ في واحد من أكبر بيوتات إشبيلية مما جعله يشب على حب العلم، حيث حفظ القرآن في سن التاسعة من عمره. قام برحلات علمية إلى المغرب والمشرق الإسلاميين، والتقى بعلمائهما حيث استفاد وأفاد حتى ذاع صيته في الحجاز وبغداد والقاهرة وغيرها من الحواضر الاسلامية، له العديد من المؤلفات، منها: أحكام القرآن، سراج المريدين وكتاب الإنصاف في مشاكل الخلافة، توفي بمدينة فاس ودفن فيها سنة 543هـ/1148م. ينظر: ابن مخلوف، المرجع السابق، ص: 136.

[3]– ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص ص: 149–150.

القرآن...وتوفيت أمهما قبلهما وخلفت أموالا طائلة...فلم يتماسك لولديه منها ولا لنفسه من متروكها بخردلة...وكان له ولدين هما: محمد وأحمد وبنت تدعى زينب"[1].

4. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، ثالث فرد من أفراد أسرة المرازقة الذي حمل اسم محمد[2]، وهذا التشابه بالأسماء والكنى سوف يسبب إرباكاً عند تتبع أفراد هذه الأسرة، وهو أيضا يكنى أبا عبد الله، وكان السلطان أبو الحسن قد كلفه ببعض المهام التي تتصل ببناء وإصلاح ضريح أبي مدين، وفي سنة 733هـ/1332م عينه خطيبا بجامع العباد فعرف بالخطيب، وهو الذي يروي عنه المقري الكبير كلام أهل الحقيقة، وبعض اللطائف في كتابه الحقائق والرقائق[3]. وكان على قيد الحياة عندما توفي السلطان الحفصي أبو بكر يحيى[4] سنة 747هـ/1346م[5].

5. أبو العباس أحمد بن مرزوق (681–741هـ/1282–1341م):

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق ولد في تلمسان في الثلاثين من محرم سنة 681هـ/أفريل 1282م، قرأ القرآن على يد الشيخ يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي، والتحق بمدرسة ابني الإمام (أبي زيد وأبي موسى)، فتعلم علم القراءات على يد القارئ أبي محمد

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 149.

[2]- ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 16.

[3]- المصدر نفسه، ص: 18. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 451.

[4]- **أبو بكر يحي بن ابراهيم (718–747هـ/1318–1346م)**: وهو ابن السلطان أبي اسحاق ابراهيم الحفصي، ولد في قسنطينة سنة 692هـ/1231م، شهدت بداية حكمه حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار بسبب الصراع على الحكم وتحالف قبائل الكعوب وغيرها مع بني عبد الواد، الذين هددوا المقاطعات الحفصية مراراً ما بين سنة 719–730هـ/1319–1329، ولم يتغلب أبو يحي على أعدائه إلا بدعم من المرينيين الذين عقد معهم حلفا وثيقا، وزوج ابنته من أبي الحسن ولي عهد سلطان فاس المريني، ونجح في أواخر سنوات حكمه من أن يعيد الأمن والاستقرار في ربوع إفريقية. ينظر: الزركشي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**. تح وتق: الحسين اليعقوبي، تونس، المكتبة العتيقة، ط1، 1998، المصدر السابق، ص ص: 137–163.

[5]- ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 18.

عبد الواحد المستاري. وبعدما تتلمذ على يد علماء بلده قصد البلد الحرام مارا بمليانة والجزائر وبجاية ثم قسنطينة وتونس ومصر، أين أخذ عن علماء كل بلد حل به مصطحبا ابنه محمد (ت: 781هـ/1379م) رغم صغر سنه، فاتسعت روايته وكثرت مشيخته وكثر علمه[1].

وذكر ابن مريم بعضا من خصاله: "كان رجلا قانتا ورعا زاهدا صاحب كرامات"[2]، فيما وصفه ابن غازي بـ: "سيدنا وسليل علمائنا ومصابيح مغربنا ومفاخر قطرنا وعصرنا سيدي أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق"[3]. سافر إلى فاس وأخذ عن شيوخها، من بينهم: الشيخ ابن آجروم والفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن يحي بن إسماعيل الآبدي التلمساني وغيرهما[4]. وتزوج بالسيدة خديجة بنت أبي الحسن التنسي. وأما بالنسبة لوظائفه فقد مارس مهنة التعليم وهي المهنة المتوارثة في الأسرة، فتتلمذ على يده العديد من أهل تلمسان[5]. وإلى جانب مهنة التعليم تقلد كذلك مهنة السفير في حضرة بني مرين، كما كان في خدمة الولي الصالح أبي مدين شعيب وأقام في داره في مدينة تلمسان فترة من الزمن وكان يمتلك عكازه، ويقول ابن قنفذ: "ويغلب على ظني أنه كانت عند أبي العباس بن مرزوق المرقعة التي نزعت عن الشيخ بعد وفاته والله أعلم"[6].

وقام أبو العباس أحمد بن مرزوق بعدة رحلات الى المشرق، قصد زيارة البقاع المقدسة، ورافقه في رحلته الأخيرة ابنه ابن مرزوق الخطيب، حيث قرر الاقامة هناك، اذ استقر في المدينة المنورة، وطلب من ولده العودة الى تلمسان[7]. وفي زيارة الأخيرة إلى مكة المكرمة التي وصلها برفقة

---

[1]- ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص: 194، 199.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 27.

[3]- ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 33.

[4]- ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص ص: 200-201.

[5]- ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 29.

[6]- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب، **أنس الفقير وعز الحقير**. تص: محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، المركز المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965، ص: 94.

[7]- ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص: 272. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 29-30. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 89.

برفقة الشيخ خليل المالكي مرض بالحمى نحو عشرة أيام وتوفي في أول ذي القعدة سنة 741هـ/1341م ودفن فيها[1].

6. ابن مرزوق الخطيب[2]:

يعتبر محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني أبو عبد الله "شمس الدين[3] الخطيب"، كما يعرف أيضا بالجد والرئيس وابن الخطيب، من أكثر أفراد أسرة المرازقة شهرة في المغرب والمشرق الإسلاميين، فقد عرفه القاصي والداني لعلمه ومكانته السياسية والاجتماعية التي حازها في حياته، ورغم ما تعرض له في قربه من السلاطين، فإنه بقي واحدا من أهم أعلام المغرب الإسلامي قاطبة إن لم نقل العالم الإسلامي ككل الذي يفخر بكونه وقف على ثمانية وأربعين منبرا شرقا وغربا وأندلسا[4].

ولد ابن مرزوق الخطيب بتلمسان سنة 711هـ/1311م[5]، وقال عنه تلميذه لسان الدين الدين بن الخطيب: "هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة، مليح التوسل حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نظيف البزة، لطيف التأتي، خير البيت، طلق الوجه خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف،

---

[1]- ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص: 272.

[2]- يشير المقري إلى أن أول من أطلق لقب الخطيب على محمد بن مرزوق الجد هو الشيخ أبو عبد الله محمد المرشدي، أحد شيوخ والده الذي كان معه في الاسكندرية سنة 730هـ/1329م وعمره تسعة عشر سنة، وطلب منه إلقاء خطبة الجمعة، فكان لخطبته أثر كبير في نفس الشيخ المرشدي وكافة الحضور، وحينها أطلق عليه لقب "الخطيب" ومن وقتها عرف به. ينظر: المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص ص: 416-417.

[3]- يذكر ابن الخطيب لسان الدين أنها من الألقاب التي يتلقب بها المشارقة، وهذا يعني أنها كانت جديدة على المغاربة في ذلك الوقت. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**. تح محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1975م، مج: 3، ص: 103.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 453.

[5]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص ص: 390-395. ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء علماء المذهب**. تح: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، د.ت.ن، ج: 2، ص: 290. ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص ص: 63-65.

متقاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسحرهم بخلابة لفظه، ويفتلهم في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينة بحذقه، ويصنع غاشيتهم بتلطفه...عظيم المشاركة لأهل وده، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الاتباع والعلق، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدى الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد الدعوة، بارع الخط[1] أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هيابة..."[2].

تتلمذ في بداية حياته على يد أبي بدر الدين بن أبي عبد الله بن الإمام وأخيه أبي موسى ابني الإمام، ورحل معها سعيا منه في طلب العلم والتتلمذ على يد علماء وشيوخ كبار، ففي المدينة المنورة تتلمذ على يد: الزبير بن علي الأسواني وعبد الله بن محمد بن فرحون وخطيب المدينة المنورة الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي وجمال الدين محمد بن أحمد بن خلف المطري وأحمد بن محمد الصنعاني وغيرهم. وفي مدينة القدس سمع من الشيخ علي بن أيوب بن منصور القدسي، وفي مدينة الخليل أخذ عن إبراهيم بن عمر الجعبري، وفي مدينة دمشق سمع من الشيخ شمس الدين بن المسلم قاضي الحنابلة وبرهان الدين الرازي، وفي مدينة الإسكندرية أخذ من أحمد بن محمد المرادي العشاب وعز القضاة ابن المنير ثم رحل إلى تونس وتتلمذ على يد كل من: ابن عبد السلام وإمام جامع الزيتون هارون بن التلمساني والحافظ يحي بن محمد بن يحي بن عصفور وغيرهم من العلماء، وزار مدن عدة وأخذ عن شيوخها وعلمائها حتى استقر به المقام بمصر ثم عاد إلى تلمسان[3]. وخلال ذلك أصبح من المقربين من السلطان أبي الحسن ويعلق ابن فرحون على ذلك، بالقول: "وصرف وجهه إلى المغرب فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن منبره، وأمين رسالته، فقدم في غرضها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعماية، وأجذبه سلطانها رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلد الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية، وأقعده للإقراء بالمدرسة من حضرته"[4]. ويضيف لسان الدين بن الخطيب معلقا على انتقاله للمغرب مرة

---

[1]- عرف بتمكنه في الكتابة بالخطين المشرقي والمغربي وتميزه بهما. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 89.

[2]- ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، مج: 3، ص: 104. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي،د.ت.ن، ط:1،ج:1، ص:46.

[3]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص ص: 292-294. ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. د.ت.ن، س: 3، ص ص: 360-361.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، مج: 3، ص ص: 103-104.

أخرى، بالقول: "وفي أخريات عام أربعة وخمسين بعده أطرف عنه حِفْن بِرِّهِ، في أسلوب طِماحٍ ودالَّةٍ، وسبيل هوى وقِحَةٍ، فاغتنم العبرة وانتهز الفرصة، وأنفذ في الرحيل العَزْمَة، وانصرف عزيز الرحلة، مغبوط المنقلب، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمئة، فاستقر بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل تجلة...والله يتولاه ويزيده من فضله"[1].

وقرر ابن مرزوق الخطيب بعدها الانتقال إلى المشرق، فوصل تونس سنة 765هـ/1363م، وعن وجوده في تونس كتب العسقلاني يقول: "وصل تونس في سنة 765هـ/1363م فقرر في الخطابة والتدريس ومجالسة السلطان إلى ربيع 773هـ/1371م، قال: ثم توجهت في البحر إلى القاهرة فحللت بها ولقيت من ملكها الذي لم أر من الملوك مثله الأشرف شعبان بن حسين حِلما وفضلا وجودا وتلطفا ورحمى وأجرى علي وعلى ولدي ما قام به الحال"[2].

وألف العديد من المصنفات، يقول عنها ابن فرحون: "وتصانيفه عديدة في فنون متنوعة وكلها بديعة كثيرة الفائدة وتدل على كثرة اطلاعه"[3]. ومن هذه المنصفات نذكر: كتاب "عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز"[4]، وكتاب "شرح العمدة" في خمس مجلدات جمع فيه بين شرحي الشيخ تقي الدين بن دقيق العبد، وتاج الدين الفاكهاني، وشرح كتاب "الشفا في التعريف بحقوق المصطفى" ويشير ابن فرحون من أنه لم يتمكن من إكماله [5]، وأشار حفيده ابن مرزوق بأنه روى عنه بالإجازة[6]. وكانت وفاته في سنة ثمانين وسبعمائة هجرية حسبما ذكره ابن فرحون، في حين ذكر العسقلاني أنه توفي سنة 781هـ/1379م عن عمر ناهز السبعين سنة، وكانت وفاته في مدينة القاهرة ودفن فيها[7]، وذكر ابن القاضي عن وفاته، قائلا: "توفي بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم وأشهب بالقرافة

---

[1]- المصدر نفسه، مج: 3، ص: 105.

[2]- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، السفر الثالث، ص: 362.

[3]- ابن فرحون المالكي، **الديباج**، ص: 296.

[4]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص ص: 390-395. ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، مج: 3، ص 105. ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص ص: 63-65.

[5]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص: 296.

[6]- ابن مرزوق الكفيف، **إجازة ابن مرزوق لابن غازي المكناسي**. مجموع رقم: 13446، الرباط، الخزانة الملكية، و: 03. 03.

[7]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص: 296. ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، السفر الثالث، ص: 362.

بالقرافة سنة 782هـ/1380م"[1]، وأعقب ولدان هما: أحمد والد شيخنا ومحمد عمه، وكانا كليهما من العلماء ومن أعيان البلد. ولابد من الإشارة هنا، إلى أنه كثيرا ما يحدث اللبس في ذكره وحفيده، نتيجة تشابه الأسماء والكنى، وهو ما أوقع العديد من الكتاب في عصرنا في الخلط بينهما[2].

7. أبو الطاهر بن مرزوق (كان حيا سنة 806هـ/1403م):

هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق، ومحمد هذا هو عم ابن مرزوق الحفيد، وعلى ما يبدو أنه لم ينل القدر الكافي من الشهرة، رغم أنه وفق ما لاحظنا امتلك من ناصية العلم الكثير، فقد تولى الخطابة في مسجد العباد، وكان ممن يسير برسائل السلطان إلى الملوك والأمراء، وصرح عالمنا أيضا من أنه أخذ عنه في بداية حياته العلمية[3].

8. ابن مرزوق الكفيف (ت: 901هـ/1495م):

هو محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني[4]، ويضيف البلوي اسم "ابن الحاج"[5]. ويكنى "أبا عبد الله"، ولقب بـ"الكفيف" لأنه كان ضريرا[6]، وذكره السخاوي مضيفا على اسمه: "المغربي المالكي"[7]. ولد في

---

[1]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص: 270.

[2]- للتفاصيل حول هذه المسألة ينظر على سبيل المثال: الرواية المتناقضة التي أشار إليها كل من التنبكتي والرصاع بخصوص نازلة حول "حمل مصحف على نجاسه". ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 622. الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، **شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية**. ق: 2، تح: محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط: 1، 1993، ص: 635.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 50. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 574. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 428. ابن مريم، المصدر السابق، ص:202. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 524.

[4]- مجهول، **مخ طبقات المالكية**، و: 434. البلوي، المصدر السابق، ص: 217. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 574.

[5]- البلوي، المصدر السابق، ص: 217.

[6]- ابن مرزوق الكفيف، المصدر السابق، و: 3. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 574. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 525. ابن مخلوف، المرجع السابق، ص: 353.

[7]- السخاوي، **المصدر السابق**، ج: 9، ص: 46.

تلمسان النصف من ليلة الثلاثاء غرة ذي القعدة عام 824هـ/ 28 أكتوبر 1421م كما أشار إلى ذلك تلميذه البلوي في ثبته[1]. وأشاد به من ترجم له وتتلمذ عل يده، فهذا البلوي يقول عنه: "شيخنا الإمام العلامة صدر الخطباء، قدوة المسندين، بقية المشايخ، خلف أولياء الله تعالى"[2]. وذكره ابن مخلوف على أنه: "الشيخ الإمام علم الأعلام وفخر الخطباء وعمدة العلماء الأتقياء المسند الراوية المحدث"[3]. ويقول فيه التنبكتي: "إماما عالما علامة"[4].

تتلمذ على يد عدد من المشايخ والعلماء في تلمسان ومن خارجها، ومن الطبيعي أن يكون والده ابن مرزوق الحفيد أول من أخذ عنه وفقا للتقاليد العائلية الكتعترف عليها، فيذكر المقري أنه: "قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغير ما كتاب من تأليفه وغيرها، وتفقه عليه، وأجازه عموما"[5].

كما أخذ عن الأئمة أبي الفضل قاسم العقباني، وأبي عبد الله محمد بن عيسى بن علي بن محمد اللجائي الفاسي، وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري وأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد المشذالي، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن عقاب الجذامي التونسي والإمام الراوية أبو محمد عبد الله بن أبي الربيع سليمان بن قاسم البجيري[6]، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم في مكة المكرمة الإمام ابن العباس عندما سافر إليها عام 861هـ/1456م، ويذكر السخاوي: "قدم صاحب الترجمة مكة فعرض عليه ظهيره، وأخذ عنه في الفقه وأصوله والعربية والمنطق"[7] وغير هؤلاء كثر[8]، ويضيف التنبكتي أنه: "قرأ وسمع عليهم وأجازوه عامة"[9].

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص: 315. التنبكتي، المصدر السابق ،ص: 574. ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 56.

[2]- البلوي، المصدر السابق، ص: 226.

[3]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص: 353.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 574.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 419.

[6]- البلوي، المصدر السابق، ص ص: 305-310.

[7]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 46. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 525.

[8]- البلوي، المصدر السابق، ص ص: 310-314.

[9]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 574.

في حين تتلمذ على يد ابن مرزوق الكفيف نخبة من علماء الذين أصبحوا فيما بعد أعلاما من أهل تلمسان وبلاد المغرب الإسلامي، ومن هؤلاء نذكر: ابنه ابن مرزوق السبط وأبو جعفر أحمد علي البلوي الوادي آشي صاحب الثبت[1]، السنوسي صاحب العقيدة وأبو العباس الونشريسي والسخاوي الذي ترجم له في الضوء اللامع وابن غازي المكناسي[2]، كما تتلمذ على يده أيضا ابن أخته الخطيب ابن مرزوق، وابن عباس الصغير وهو أبو عبد الله ابن العباس[3]، الذي الذي كتب يقول عنه: "شيخنا علم الأعلام وحجة الإسلام آخر حفاظ المغرب، قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي وحضرت عليه جملة من التهذيب والخونجي وغيرها"[4].

وروى الكفيف عن أبيه ابن مرزوق الحفيد وعبد الله التونسي وغيرهما، شرح كتاب أبيه المسمى "شرح مختصر الحاوي للفتاوي لابن عبد البر"[5]. ويذكر الكتاني من أنه: "كان يحب فنون فنون الحديث محبة مفرطة وتأسف على ما ضيع منها ويجب أن يشغل فيها"، وفي مناسبة أخرى ذكر: "له على الصحيح البخاري تعليقات"[6]، وتوفي في مدينة تلمسان سنة 901هـ/1495م عن عن عمر ناهز السبع والسبعين سنة [7].

9. ابن مرزوق حفيد الحفيد التلمساني (925هـ/1519م):

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب المسمى بـ"حفيد الحفيد" تمييزا له عن جده ابن مرزوق الحفيد ولد بتلمسان وتوفي بها عام 925هـ/1519م، كان خطيبا مشهورا، كان نجيبا صالحا، أخذ عن والده الكفيف والشيخ محمد بن يوسف السنوسي ومحمد بن

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص ص: 218-219.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص ص: 419-420. ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 56. حميش عبد الحق، المرجع السابق، ص: 58.

[3]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 419.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 575.

[5]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 419. ابن مرزوق الخطيب، **المسند**، ص: 56. حميش عبد الحق، المرجع السابق، ص: 58.

[6]- الكتاني، المصدر السابق، ج: 1، ص: 732.

[7]- ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص: 56.

عبد الله التنسي وابن زكري وآخرين[1]، أخذ عنهم اللغة والآداب والفقه وعلم التفسير والحديث والتوحيد وعلم الأصول والبيان والإقراء[2]. وقد وصفه ابن غازي في فهرسته بـ"الإمام الخطيب"[3]، الخطيب"[3]، وفي موضع آخر وصفه بالقول: "سيدنا وسليل علمائنا ومصابيح مغربنا ومفاخر قطرنا وعصرنا سيدي أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق أبقى الله تعالى بركاتهم ونفعنا بصالح دعواتهم"[4].

10. محمد الثامن الخطيب السبط (كان حيا 920هـ/1514م):

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى بن أحمد بن الخطيب بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني[5]. واشتهر بـ"الخطيب الثاني" وعرف بـ"السبط" ابن ابنته حفصة ولد بتلمسان ثم رحل إلى فاس وسكن بها، من بين أساتذته أبو عبد الله العبادي ومحمد التنسي[6]. وقال عنه أبو عبد الله بن العباس: "كان آخر علماء قطرنا، أخذ من كل فن أوفر نصيب وحاز قصب السبق سيما في الحديث فقد حصله بالفرض والتعصيب، صدر مبرز في الحفاظ وإمام جهابذة النقاد، ابن السيدة حفصة بنت زعيم العلماء وسيد الشرفاء العالم المطلق محمد بن مرزوق الحفيد"، ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم خاله ابن مرزوق الكفيف والإمام ابن العباس وغيرهما[7].

مما سبق تتضح لنا بعض المسائل التي لابد من الوقوف عندها، في مقدمتها أن أفراد أسرة المرازقة كانوا يتوارثون نهجاً علمياً وفكرياً يحفزهم على المواصلة والتواصل في المحافظة على مكانة الأسرة العلمية، والمحافظة على سمعتها ودورها الفكري والحضاري على مستوى المغرب الإسلامي

---

[1]- مجهول، **مخ طبقات المالكية**، و: 434. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 136. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 25، ابن مخلوف، المرجع السابق، ج: 1، ص: 149.

[2]- بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص ص: 109-110.

[3]-ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 32.

[4]- المصدر نفسه، ص: 33.

[5]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 220.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 351-353. نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 292.

[7]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 220.

وليس تلمسان وحدها. ومن هنا نجد أن البناء الفكري والثقافي لأبناء هذه الأسرة كان في أساسه عائليا، ومن ثم ينتقلوا إلى فضاءات أخرى للاستزادة والاستفادة والإفادة.

كما أظهرت لنا دراسة عائلة المرازقة وأثرها الفكري والحضاري، من أن الانتقالة النوعية في التأثير الفكري والحضاري تمثلت في شخص ابن مرزوق الخطيب، فهو شكل مرحلة انتقالية هامة في الأداء العلمي والثقافي من حالة ضيقة ومحدودة إلى آفاق أوسع وأرقى، بمعنى أن أفراد الأسرة تجاوز البعد الروحي في التأثير إلى البعد الفكري والثقافي، والجمع بين هاتين الخصلتين جعل أبناء الأسرة أكثر فاعلية ليس في المجتمع التلمساني فحسب وإنما خارجه. وزادها استقرارا الدور الكبير الذي قام به ابن مرزوق الحفيد، واستمر على ذات النهج ولده الكفيف وحفيده أحمد. وهكذا تمكنت أسرة المرازقة من وضع بصماتها الواضحة في الحياة الفكرية والثقافية والدينية وحتى الاجتماعية. وهذا يذكرنا بالتجربة التي مر بها الوادي آشي[1] مع أسرة المرازقة، الذي اختار الإقامة في مدينة تلمسان حيث تزوج بنت كبير المرازقة آنذاك ابن مرزوق الخطيب، ولكن سرعان ما طلقها ونتيجة ذلك لامه الناس على قراره هذا مذكرين إياه خسارته تلك المكانة الاجتماعية والجاه التي تتمتع به الأسرة، وكتب أبياتا من الشعر قال فيها[2]:

يلومنيَ الأَقوامُ من بعد ما سَطَا عَلَى ابن مَرزوق وَمَن بانفـاقِ
فقلتُ لهم كُفـوا الملامَ فَإِنَّــني تَرَكْتُ ابن مَرْزوق أممتُ رزاقي

ومن الملاحظات التي سجلناها في البحث في تاريخ أسرة المرازقة هو تشابه الأسماء وحتى الكنى، وهذا كثيرا ما أوقع العديد من الكتاب المعاصرين لهم وليس المحدثين فقط منا في خطأ الخلط ونسب ما لهذا لذاك وما لذاك لهذا، وهذا استدعى منا التأني وعدم الاستعجال في حال

---

[1]- **الوادي آشي**: هو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي، أندلسي الأصل ينتسب إلى مدينة وادي آش، ولد في تونس سنة 639هـ/ 1274م ، زار العديد من المدن في المشرق والمغرب الاسلاميين، مثل: مكة والمدينة المنورة والقاهرة وبيت المقدس وقسنطينة وتلمسان وفاس، وتتلمذ على يد كبار مشايخها من أمثال: أبي الحسن القرافي، عبد الله الدلاصي، والقاسم بن عساكر الدمشقي وغيرهم. من طلبته: عبد الرحمن بن خلدون، ابن عرفه، ابن الخطيب لسان الدين، وابن مرزوق الخطيب. ومن مؤلفاته: البرنامج، الأربعون حديثا البلدانية وعشاريات. ينظر: الوادي آشي شمس الدين محمد بن جابر التونسي، **برنامج ابن جابر الوادي آشي**. تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، تونس، جامعة أم القرى، 1981م، ص ص: 8-25.

[2]- المقري، **أزهار الرياض**،ج: 1، ص ص: 305-306.

الشك بما ورد من معلومات، وهنا نستعين بما ذهب إليه التنبكتي بالقول: "وتوهم الشيخ بدر الدين القرافي هذا المصري العصري أنه ولد الإمام الحفيد ابن مرزوق وليس كذلك بل هو حفيده ولد ولده"[1].

وهذا يجعلنا نستنتج من أنه لم يعد هناك مجال علمي للفكرة القائلة بأن مفكرا أو عالما قد ظهر عن ذاته وبذاته. إن كل عالم ومفكر إن هو إلا حلقة في سلسلة الفكر الذي سبقه، ويربط حلقات السلسلة التي من المحتم أن تمتد بعده، ولا يمنع هذا على الإطلاق من أن يضفي على آراء سابقيه جدة منهجه وطرافته، وأصالة فكره ونبوغه الذاتي، ولا يمنع هذا على الإطلاق من أن يصوغ ما وصل إليه من مواد فكرية، بمؤشرات وعوامل تنقدح في بنية مجتمعه المعاصر، وأن يفسر بكل هذا المجتمع الذي يعيش فيه، والذي ينعكس على آرائه. ونختم هنا، بما قاله الجيلالي عبد الرحمن عن قيمة ابن مرزوق الحفيد وتناقل العلم والفكر بين أفراد أسرته، والتي هي أساس ما مكن عالمنا من التميز فهو حفيد عالم وابن عالم وأب لعالم، حين قال: "لقد تألق في سماء بيت ابن مرزوق بدور وأقمار كان كوكبها الدري ونجمها الثاقب مترجمنا هذا العلامة الإمام شيخ الإسلام ومفتي الأنام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجيسي"[2].

وكذلك لابد من الإشارة هنا، أنه وعلى الرغم من أن أفراد أسرة المرازقة قد عرفوا بالعلم والورع والمساهمة في الحياة الفكرية والعلمية في الحاضرة تلمسان، ولكننا نستنتج من أن هناك ثلاثة هم الأبرز في تاريخ هذه الأسرة ممن كانوا ذا أثر واضح وبين، وكان لهم من نصيب ذائع من الشهرة والصيت في الأوساط العلمية في تلمسان خاصة والمغرب الاسلامي عامة، وهم: ابن مرزوق الخطيب الجد، ابن مرزوق الحفيد، ابن مرزوق الكفيف، فكانت مساهمات هؤلاء أكثر وضوحا وتلمسا في سماء الابداع الفكري الاسلامي، ويتجلى ذلك من خلال مؤلفاتهم وطلبتهم وسمعتهم.

المبحث الثالث: وظائفه

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 137. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 34-35.

[2]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 210.

قام ابن مرزوق الحفيد بأعمال جليلة كان لها وقعها وتأثيرها في مجتمعه بلا أدنى شك، وإن لم يشغل أي وظيفة رسمية، فشكل نشاط الفتوى والخطابة والإمامة والإقراء والتدريس فضلا عن التأليف من الأعمال التي جعلته راسخا في الذاكرة فذكرته كتب التاريخ بكل فخر.

أولاً: مكانة العالم في منظومة الدولة

مما لاشك فيه أن الدول التي قامت في منطقة المغرب الإسلامي حاولت جهد أمكانها الاستفادة من العلماء في المحافظة على دولهم قائمة، وذلك بشتى السبل التي تدعم شرعية حكمهم. ولم يختلف سلاطين الدولة الزيانية عن غيرهم في مسألة تقريب العلماء والاستفادة منهم. إذ أن الدولة لا يمكنها أن تقوم بكثير من وظائفها إلا إذا أسندتها إلى علماء يملكون ناصية العلم، ويتصرفون على هديه، حتى تستقر إلى قرار مكين وتنأى عن عوارض الزوال. وقد كانت النظرية السياسية في العهد الزياني متداولة بين كبار الكتاب والعلماء، مؤكدة أن للعلماء دور كبير في القيام بأعباء الدولة، وصيانتها من الزوال[1].

لاسيما وأن مرافقة العلماء تحقق صفة من صفات الحكم الراسخ، ويعلق ابن الأزرق عل هذه المسألة، بالقول: "من فوائد بطانة الخير، وجهان: أحدهما: دلالة صحبتهم...والثاني: صلاح سائر البطانات بهم إلى أن يعم الصلاح جميع الرعية"[2]. وهنا يحدد ابن الأزرق نوع بطانة الخير، بالقول: "ويتخذ من وجوه الكتاب والعلماء والقضاة والأمراء قوما ذوي آراء سديدة، وكتمان السر، فيجعلهم وزراءه، الذين يحضرون مجلسه، يلازمونه في التدبير لجميع ما قلده الله تعالى من أمور عباده"[3].

وفي ذات الاتجاه، يؤكد لسان الدين بن الخطيب على أهمية مرافقة العلماء والاستفادة منهم في شؤون الحكم، وينصح الحاكم بأهمية الاتكال عليهم في تثبيت قواعد حكمه، حين يقول:

---

[1]- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 88.

[2]- ابن الأزرق أبو عبد الله، **بدائع السلك في طبائع الملك**. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ج: 2، ص: 299.

[3]- ابن الأزرق، المصدر السابق، ج: 2، ص: 300.

"واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاعل المتألقة والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الأشياء، وفرغها لتحبير ما يزين مدتك، ويسحن من بعد البلاء جدتك، وبعناية الأواخر ذكرت الأول، وإذا محيت المفاخر خربت الدول"[1].

إن الأهمية التي كان عليها العالم في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط من الأهمية بما جعل المنافسة شديدة والسباق محموما بين حكام دول المغرب الإسلامي في تقريب العلماء والأدباء وغيرهم من مجالسهم، وإنزالهم أحسن المنازل والرفع من شأنهم ومنحهم الجرايات اللازمة والكافية للمحافظة على مكانتهم[2]. وهناك من الأمثلة الكثيرة التي تدل على تقريب العلماء والاستفادة منهم في توطيد دعائم الحكم في العهد الزيانيإ إذ كانت الوظائف الدينية التي اضطلع بها الفقهاء من إمامة الصلوات والخطابة والقضاء تضفي عليهم شعبية، فجعلت منهم ملهبي مشاعر الناس ومحركي عواطفهم[3]، وهو ما جعل إمكانية الاستفادة منهم في تثبيت أركان حكمهم وامتلاك الشرعية، إذ كان السلطان يغمراسن بن زيان يُؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم رغبة في الاستفادة من علمهم وخبرتهم في تسير شؤون الحكم[4].

على العموم، ومن خلال ما هو متوفر نجد من أن ابن مرزوق الحفيد لم يرتبط مصيره أو نشاطه بالسلطة الحاكمة، ومرد ذلك على ما يبدو لي، هو مرتبط بعدة أمور في مقدمتها ما تعرض له جده من مضايقات ومشاكل نتيجة ارتباطه بالبلاط [5].

ثانيا: ابتعاد ابن مرزوق الحفيد عن المناصب الرسمية

من خلال دراستنا لشخصية ابن مرزوق الحفيد وجدنا فيها ميلاً كبيراً للعلوم والمعارف، وهذا الشغف الكبير يتجلى في آراء من كتبوا عنه، فعلى سبيل المثال كتب التنبكتي يقول في هذا الاتجاه، ما نصه: "كان آية في تحقيق العلوم، مفرط الاطلاع على المنقول في الفنون". وكذلك

---

[1]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 6، ص: 441.

[2]- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، ص: 223.

[3]- كرطالي أمين، المرجع السابق، ص: 69.

[4]- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد**، مج: 1، ص: 204.

[5]- حول المشاكل والمحن التي تعرض لها ابن مرزوق الخطيب نتيجة تقربه للبلاط، ينظر: ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص ص: 66-74.

كتب ابن مريم في بستانه، يقول: "الأواب الولي الصالح العارف بالله الأخذ من كل فن بأوفر نصيب"[1]. وهو من قال فيه الإمام أبي زكريا يحي المازوني: "شيخي الإمام الحافظ، بقية النظار والمجتهدين، ذي التواليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والتحقيق سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق"[2]. رجل بهذه المواصفات العلمية والشخصية والمثالية، وينتمي إلى أسرة علمية عريقة لم يكن بحاجة إلى جاه أو سلطة فهو من تشد إليه الرحال، وهو من يتنافس الطلبة على دروسه، والدنيا هي التي تسعى إليه لا هو من يسعى إليها.

من خلال ما تمكنا من استنتاجه بالمراجعة والاطلاع على ما هو متوفر ويتناول سيرة عالمنا ابن مرزوق الحفيد، يمكننا القول من أنه قام ببعض المهام وشغل بعض المناصب، ولكنه لم يكن ينتظر مردوداً أو مقابلاً لها. إذ علينا أن نتذكر ما توصلنا إليه من أن أسرة المرازقة نالت من الجاه والغنى على عهد أحد أجداده وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عبد الله محمد بن مرزوق، وهذا حسب رأيي أعطى الاطمئنان لرغبة البحث والعلم لابن مرزوق على حساب أمور الحياة ومتاعبها، وقد يسأل سائل، وما الذي جعل ابن مرزوق الخطيب يسعى إلى الجاه والسلطة إذن ؟. والجواب بديهي جدا، إذ أن الناس ليسوا سواسية فيما تتوق أنفسهم وتكره. وهذا يجعلنا نسأل من من أسرة المرازقة أعاد التجربة التي عاشها ابن مرزوق الخطيب[3] ؟.

لم نجد في كتب التراجم أو أخبار الدول ما يشير إلى تولي أحد من بعد ابن مرزوق الخطيب العمل في البلاط المريني. وهنا يمكننا أن نسوق مثالا على إيثار أسرة المرازقة للسلطة ونفوذها، ما أشار إليه ابن مرزوق الخطيب عن تودد وحب السلطان ابن تاشفين إلى والده أبي العباس أحمد بن مرزوق، حين كتب يقول في مناقبه: "فلما دخل الجامع –يقصد العباد–، لقيه والدي رحمه الله فصافحه، وقال له: سألتك بالله لأي شي تمنعنا من رؤيتك، والتبرك بك؟ لا تجيئنا

---

[1]– التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ص: 136. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 201.

[2]– المازوني، المصدر السابق، ص: 97.

[3]– يخطأ حسن الصويني في الإشارة إلى كون أسرة المرازقة على ارتباط بالحياة السياسية والتقرب إلى البلاطات الحاكمة، حين يقول: "ولعائلة ابن مرزوق الحفيد ارتباط كبير بالحياة السياسية في عهد الدولة المرينية لاحتكاكهم بالعديد من السلاطين". وهذا الكلام غير دقيق، وكما أشرنا في المتن لم يكن لغير ابن مرزوق الخطيب تجربة في السياسة مع بني مرين من أسرة المرازقة. ينظر: الصويني حسن، **ابن مرزوق الحفيد حياته وفكره**. الرباط، د.م.ن، ط1، 2006، ص: 8.

ولا تزرونا، وإن أذنت لنا أن نزورك زرناك. فشكر له، وقال له: رؤيتي لك بظهر الغيب، فلا تحملني على ما قدرة لي عليه ولا أصلح له"[1].

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن الغاية الأسمى لأبناء الأسرة كانت العلم، وقد جدوا في طلبهما بدءا من تلمسان ومن ثمة انطلقوا إلى حواضر بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين يستزيدون منه، وهنا نستعين بما ذكره المقري في نفحه "كان رحمة الله تعالى آية في تحقيق العلوم، والاطلاع المفرط على النقول، والقيام التام على الفنون بأسرها"[2]، وما توصل إليه بن داود نصر الدين حين قال: "تفرغ علماء ابن مرزوق لمهامهم ذات العلاقة الوطيدة بالعلم والثقافة من الإمامة والخطابة إلى التعليم والتدريس إلى التأليف والتصنيف عدا ابن مرزوق الخطيب، ولو لم يشتغل أحيانا ببعض المهام السياسية التي أفسدت عليه حياته بسجنه ثلاث مرات لكان أحسن وأكبر مما كان عليه خاصة في مجال التعليم والتأليف"[3]. فيما علق إبراهيم حركات على طبيعة شخصية ابن مرزوق الزاهدة المتعففة المحبة للعلم والمعرفة بالقول: "وهكذا شغل نفسه بالتدريس والتأليف مع حرمته لدى الأوساط العلمية والشعبية والرسمية، وكان شديد التدين يداوم على قراءة القرآن، ويلتزم أوراداً معلومة سنيا في سلوكه ومذهبه"[4]، إن هذه الملاحظات التي أبداها الكتاب في ابن مرزوق الحفيد، تظهر حقيقة واحدة من أنه لم يكن منشغلا بشي في هذه الدنيا إلا بالعلم والمعرفة.

والأكثر من هذا، نجد هناك من جعله في مقام الأولياء العارفين العالمين، وهي الصفة التي طغت على غالبية أسرة المرازقة، فهذا ابن مريم يذكر قصة من هذا القبيل، وهو يترجم للشيخ محمد بن عمر الهواري[5]، حين أشار إلى ما ذكره الشيخ عبد الحميد العصنوني، حين كتب يقول:

---

[1]- ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص: 239.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 420.

[3]- بن داود نصر الدين، **الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان**، ص: 123.

[4]- حركات ابراهيم، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م –الشرعيات والعقائد–**. الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 2001، ج: 2، ص: 359.

[5]- **أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري (751هـ/1350م–843هـ/1439م)**: متصوف فقيه مالكي، ولد في مغراوة وأقام في بجاية وفاس وأخذ عن علمائهما من أمثال: أحمد بن إدريس وعبد الرحمان الواغليسي في بجاية، وموسى العبدوسي والقباب في فاس، شد الرحال إلى المشرق لفترة طويلة من أجل العلم والمعرفة والاستزادة بهما، حيث زار مصر وأخذ عن الحافظ العراقي وغيره، ثم الحجاز ثم ذهب إلى بيت المقدس ومنها إلى بلاد الشام، ثم عاد واستقر في وهران، حيث كان فيها

"جئت إلى تلمسان فقدمت على الشيخ سيدي الحسن وسلمت عليه وأردت أن أخبره بمال قال الشيخ -يقصد الهواري- فقال لي: لا تذكر شيئا حتى تذكره للشيخ سيدي محمد بن مرزوق فطلعت وكان وقت حر وقائلة فجئت إلى مدرسة منشار الجلد، فقلت: لا يمكن أن أذهب إلى الشيخ في هذا الوقت لكن أدخل أتبرد في هذه المدرسة إلى وقت صلاة الظهر، وألقي الشيخ إن شاء الله تعالى، فبينما أنا كذلك وإذا الشيخ سيدي محمد بن مرزوق قد جاذبني من ورائي ورفعني إلى جهة مجاز أئمة الجامع، ثم قال لي: أذكر ما سمعت من الشيخ سيدي محمد الهواري، فتعجبت من مكاشفة سيدي محمد بن مرزوق بما وقع وذلك أول قدومي ولم أذكر لأحد شيئا"[1].

وهنا، ونحن نتكلم عن إشكالية علاقة الحفيد بالسلطة والمناصب الرسمية، والتي أظهرت المعطيات ابتعاده عنها بجميع أشكالها، وعلى ما يبدو، أن قيمة العلم عنده كانت أكبر من أن يتهافت وراء الجاه السياسي والمناصب الرسمية، ويتجلى هذا الرأي فيما كتبه في مفتتح تقديمه لشرحه مختصر خليل "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل"، حين قال: "لما كان العلم أشرف المطالب والمكاسب وأسنى المطالب، وأكرم المواهب وأرفع المراتب، لاسيما علم دين الله وشرائعه مما أمر به ونهى عنه وحض عليه على لسان نبيه"[2].

ولكن هناك إشارة ذكرها أبو عبد الله الرصاع[3] في كتابه تشير إلى حضور ابن مرزوق الحفيد مراسيم بيعة السلطان أبي فارس عبد العزيز[4] في مدينة تلمسان التي دخلها سنة

مثابرا على العلم والعمل ومتقشفا زاهدا متباعدا عن الملوك والأمراء. له العديد من الكتب منها: السهو والتنبية والتسهيل والتبيان. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 303. ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص: 228-236.

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 230.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل في شرح مختصر خليل**، ج: 1، ص ص: 224-225.

[3]- **أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري التلمساني الرصاع (ت: 894هـ/1488م)**: على الأرجح أنه ولد سنة 819هـ/1416م في تلمسان، حفظ القرآن فيها ثم رحل مع عائلته إلى تونس وهناك تتلمذ على يد مشايخها. وقام بعدها بعدة رحلات علمية، وكان من أبرز مشايخه: أبو العباس القلشاني، أبو القاسم البرزالي، وأبو يوسف يعقوب المصمودي، ومن طلبته: أحمد زروق، أبو النور بن أحمد السنوسي. من مؤلفاته: الأجوبة التونسية عن الأسئلة الغرناطية وشرح حدود ابن عرفة، توفي في تونس سنة 894هـ/1488م. ينظر: السخاوي، المصدر السابق، ج: 8، ص ص: 287-288. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 201-202. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 196.

[4]- **أبو فارس عبد العزيز الحفصي (796-836هـ/1393-1432م)**: تولى حكم الدولة الحفصية بعد موت والده أبي العباس أحمد سنة 796هـ/1393م. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص: 231.

827هـ/1423م، حين كتب يقول: "في المدة التي أتى لتلمسان الملك الهمام علم الأعلام الذهب الإبريز أمير المؤمنين قمع الطغاة والمفسدين مولانا أبو فارس عبد العزيز، تغمد الله برحمته وصير البركة في عقبه وذريته، وقد رأيت أول ما رأيت ببلد تلمسان وكان قاضي عسكره الشيخ الإمام العالم الصالح سيدي أبا عبد الله محمد الشماع –رحمه الله تعالى– وكان مفتي عسكره المبارك الأمين الأجل الشيخ الفقيه الأمجد المولى أبا عبد الله محمد الحسين، ورأيت الشيخ القاضي المذكور قد قرأ البيعة بالجامع الأعظم بالبلدة وحضرت فقهاء وقتها وعلماء عصرها مثل الشيخ الإمام العالم العلم وحيد عصره وفريد دهره سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق[1] والشيخ أبو القاسم العقباني[2] والشيخ العالم العلم سيدي أبي الفضل بن الإمام والشيخ الفقيه ابن النجار[3]، وغيرهم هؤلاء من العلماء والصلحاء"[4].

السؤال المطروح هنا ما الذي جعل ابن مرزوق الحفيد يحضر مراسيم البيعة، وهو الذي ذكرنا من قبل ابتعاده عن السلطة والمناصب؟. حسبما أرى أن الشخصية التي تتحلى بها ابن مرزوق الحفيد تجعلنا نذهب إلى الاعتقاد من أن حضوره لم يكن بإرادته أو رغبته، وإنما على ما يظهر كان حضوره هو وبقية العلماء الآخرين من أجل شرعنة البيعة والحكم الحفصي على تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامة. فحضور شخص بمكانته وأهميته وتأثيره حتما يخلق حالة من الرضى بين أوساط العامة، ويحول دون أي حالة تململ وهو الغرض من وراء هذا الحضور.

---

[1]– يلاحظ أن المحقق لفهرست الرصاع يخطأ في الترجمة للشخصية الواردة في النص حين يذكر معلومات على أنه ابن مرزوق الخطيب وليس الحفيد، وهذا كلام غير دقيق، لكون الرصاع وإن لم يذكر تاريخ ميلاده، ولكن أغلب الظن وفق المعطيات المتوفرة ولد عام 819هـ/1416م، في حين أن ابن مرزق الخطيب توفي في عام 781هـ/1379م في القاهرة، أي أن وفاته سبقت ميلاد الرصاع قرابة أربعين عاما. ينظر: الرصاع الأنصاري، المصدر السابق، ص: 36، 39.

[2]– **أبو القاسم (أبو الفضل) قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت: 854هـ/1450م)**: العلامة القدوة المجتهد المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد، أخذ العلم عن والده أبي عثمان بن محمد وغيره، قام بالرحلة والحج، من مؤلفاته: تعليق على فرعي ابن الحاجب، وأرجوزة في اجتماع الصوفية على الذكر، من أبرز طلبته : ولده أبو سالم وحفيده محمد، ابن مرزوق الكفيف، الونشريسي وغيرهم. مات في ذي العقدة سنة 854هـ /1450م ودفن قرب قبر ابن مرزوق الحفيد. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 147–149. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 10–11.

[3]– **محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني**: اشتهر بـ"نادرة الإعصار"، ولد في تلمسان ومات فيها، عالم وفقيه، وكان إماما في علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها. ومن أبرز شيوخه: العلامة الآبلي. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص: 153. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 229–230. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 47.

[4]– الرصاع، المصدر السابق، ص: 31.

وفي ظننا وعلى الرغم من محاولات ابن مرزوق الحفيد الابتعاد عن المناصب الرسمية والتقرب إلى السلطة، لما كان في نفسه من أمور غير أمور الدنيا، إلا أنه كان موضع احترام وتقدير أصحاب السلطة في تلمسان. ويتجلى ذلك بأوضح معانيه حضور السلطان الزياني كما أسلفنا من قبل، جنازته وكل رجالات السلطة في مراسيم تشييع مهابة، وما دفنه في الجامع الكبير إلا دلالة على التقدير والاحترام الذي كان يكنه لهما السلطان.

ثالثا: طبيعة مهام ووظائف ابن مرزوق

على الرغم من ابتعاد ابن مرزوق الحفيد عن الوظائف الرسمية، إلا انه لم يكن بعيدا عن الوظائف ذات الخدمة العامة إن صح التعبير، وهي الوظائف ذات علاقة بالمجتمع أكثر من قربها بالسلطة ورجالها. وهذا القول يتجلى في ما ورد من إشارات قدمتها لنا كتب التراجم باختلاف طبيعتها، فهو لم يتردد لممارسة الفتوى، أو القيام بواجبه المقرب إلى نفسه حسبما يظهر من سيرته، وأعني هنا التعليم، فضلا عن الإمامة والخطابة، وغيرهما من الأعمال ذات النفع العام.

1. ابن مرزوق مفتيا:

لقد كان واحدا من الأئمة الذين يفزع إليهم في الفتوى والدليل على ذلك كم الفتاوى التي أفتا بها، ونقلها لنا كل من الونشريسي في معياره والمازوني في دُرره، وحتى نوازله هو التي جمعت في كتاب مستقل وللأسف هو مبتور الآخر (80 ورقة)[1]. ولكن السؤال المطروح هل كان مفتيا رسميا للدولة أم أنه استحق التصدر بوفور علمه واعتراف أهل زمانه ؟. المعروف عنه أنه كان من أهل الفتوى الذين يفزع إليهم الناس لحل المشكلات والنظر في نوازلهم، كما يقول الونشريسي: "شيخا الفتوى بتلمسان سيدي محمد بن مرزوق وسيدي أبو الفضل قاسم العقباني رحمهما الله ورضي عنهما"[2]، وحينما صرح أبو زكريا يحي المازوني في مقدمة نوازله بمصادر فتاويه التي اعتمدها، قال: "واقتصرت في جميع ذلك على أجوبة المتأخرين من علماء تونس وبجاية والجزائر وأشياخنا التلمسانيين كشيخي ومفيدي شيخ الإسلام علم الأعلام العارف بالقواعد والمباني سيدي أبي الفضل قاسم العقباني، وشيخي الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين، ذي التواليف

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **نوازل ابن مرزوق العلي**. رقم: 1858، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر.

[2]- الونشريسي، **المعيار**، ج: 2، ص: 402.

العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والتحقيق، سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق"[1].
لقد كان ابن مرزوق الحفيد بما لا يختلف عليه اثنان مرجعا من مراجع الفتوى التي تطمئن لها نفوس الجميع، نظرا لعلمه ومعرفته الدقيقة بخفايا التشريع الإسلامي.

2. ابن مرزوق إماما وخطيبا:

شغل ابن مرزوق الحفيد منصب إمام وخطيب، إماما للمصلين في مسجد منشر الجلد[2]، كما أشار إليه المجاري "وخطيبا في مسجد العباد"[3]. وقد أشار إلى ذلك في سياق حديثه عن أخذه لبعض العلوم عن شيخه ابن مرزوق الحفيد، حيث كتب يقول: "قرأت عليه جميع مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل للإمام أبي عمرو بن الحاجب ثم أعدت قراءته إلى الأحكام قراءة تفهم وتحقيق ونظر وتدقيق في المرتين، قرأت أكثره بمسجده بمنشر الجلد وباقيه بمسجد خطبته بالعباد"[4]. وما يؤكد هذا ما وصفه به التنبكتي على أنه: "إمام المسلمين والإمام المشهور"[5]، وهذا القول يجعلنا لا نوافق نصر الدين بن داود حينما يضع استفهاما على أهلية ابن مرزوق الحفيد في إمامته وخطبته، وهو العالم الفقيه المتبحر صاحب الصفات والمواصفات العديد، حين يقول: "ويمكن لنا أن نتسائل عن إمامته وخطبته من خلال كلمة "الإمام الخطيب"، فهل كلمة إمام يراد بها إمامة المصلين أم قد يراد بها معنى آخر ؟، ومن هنا يمكن اعتبار مدلول الإمامة هنا تقدم الناس وترأسهم في العلم، وبالنسبة للخطابة كذلك لم ترد عبارة صريحة عن خطبته عدا بعض الإشارات الخفيفة"[6].

---

[1]- المازوني، المصدر السابق، ج: 1، ص: 200.

[2]- هناك إشارة يذكرها ابن مريم إلى كون مسجد منشر الجلد هو في ذات الوقت مدرسة، وهو مكان تواجد فيه ابن مرزوق الحفيد بصفة دائمة وعلى ما يبدو أنه المكان الذي درس فيه فضلا عن إمامة الصلوات الخمس.البستان، ص:230.

[3]- ولابد من الإشارة هنا إلى أن الخطبة في مسجد العباد كانت متوارثة بين أبناء الأسرة، مثل خدمة ضريح أبي مدين، وفي هذا نشير إلى ما كتبه التنبكتي وهو يتحدث عن ابن مرزوق الخطيب وتوليه الخطبة في مسجد العباد، قائلا: "كان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم، وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه". ينظر: **نيل الابتهاج**، ص: 451.

[4]- المجاري، المصدر السابق، ص: 135.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500.

[6]- نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان**، ص: 198.

والأكثر من هذا أن الأدلة التي ساقها بن داود نصر الدين تعزز ما نذهب إليه من أنه كان إماماً وخطيبا للمصلين. والسؤال هنا، هل لنا الحق بإطلاق صفات وألقاب على علمائنا من دون أن يكونوا يحملونها حقا ؟. فالعلوم التي حملها تجعله قادرا وبكل بساطة أن يقوم بمهام الإمام والخطيب، والألقاب والصفات التي اتصف بها هي حقا يفعلها، فهو: "فارس الكراسي والمنابر"[1]، وبالتأكيد كان: "فخر خطباء الإسلام"[2]، وبعد كل هذا فهو حتما سيكون: "له خطب عجيبة"[3]، نتيجة غزارة علمه وكثرة معارفه، علما بأنه: "المقرئ المجود"[4].

3. ابن مرزوق معلما:

ومن خلال تتبعنا لسيرته يتضح لنا أن التعليم كان من بين أهم المهام التي قام بها ابن مرزوق الحفيد وأحبها إليه، ولكن على الرغم من حبه لهذا العمل إلا أننا نجده لم يمتهن العمل في المدارس الرسمية التي عرفتها تلمسان، والتي كانت تحظى باهتمام السلاطين الزيانيين. لاسيما وأن التعليم لم يكن مقتصرا على تلك المدارس وحدها، وإنما ساهمت المساجد والزوايا في القيام بالدور التربوي والتعليمي للمجتمع، ويعلق قريان عبد الجليل على هذه المسألة بالقول: "وفي النطاق العام للمجتمع بقيت إلى جانب المدارس المؤسسات الأخرى كالمساجد والزوايا، تؤدي دورا تعليميا هاما، إذ أن طبيعتها كمكان للعبادة قد يسر لها إيصال العلوم إلى مختلف شرائح المجتمع، وإن كانت المدارس بعد ذلك هي التي حملت على كاهلها الجانب الأكبر من عملية التعليم، ونقل المعارف إلى الطلبة المتخصصين والموقوفين على طلب العلم"[5].

وبناءا عليه، نستطيع القول أن التركيبة الشخصية لابن مرزوق الحفيد القائمة على أساس الورع والزهد وحب الدين والسعي إلى العلم والمعرفة والاستزادة منها، فضلا عن علو كعبه حيث نظر إلى التعليم في غايته النوع لا الكم، والجودة لا التسرع والعجلة فيه، ومن هنا أراد أن يمارس مهنة التعليم من هذا المنطلق وفق ما كان هو يراه لا غيره متحررا من أي قيود قد تفرض عليه.

---

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 499. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 201. ويذكر في كتابه (كفاية المحتاج) على أنه: "فارس الكراسي"، ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 136.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 499.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 201.

[4]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 136.

[5]- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 364.

ولقد اختار ابن مرزوق الحفيد مسجد منشر الجلد مقرا لممارسة التعليم ونقل علمه ومعارفه إلى من يرى فيهم استكمالا لمسيرته العلمية، إلى جانب عمله في الإمامة في المسجد حتى أن البعض نسى من أن المكان هو بالأساس مسجد وليس مدرسة إلا أن سمعة ابن مرزوق ومكانته العلمية جعلتهم يذكرونه على أنه مدرسة، مثلما أشار ابن مريم[1].

وما يؤكد حقيقة ما نذهب إليه من كون ابن مرزوق الحفيد له نهجه وأسلوبه في التعليم، وهو ما يشارك العديد من العلماء المعاصرين به هو استقلالية عمله، وحتى في ترحاله لم يكن قد التحق بمؤسسة تعليمية رسمية –إن صح التعبير– حيث نجده يتخذ من منزله مقاما للتعليم والمذاكرة مع طلبته، وهم بالتأكيد من النخب قبل كل شي. ونستعين هنا بما أشار إليه تلميذه عبد الرحمن الثعالبي، حين قال: "وسمعت عليه جميع الموطأ بقراءة الفقيه أبي حفص عمر ابن شيخنا أبي عبد الله القلشاني، وختمت عليه الأربعين حديثا التي جمعها أبو زكريا يحي النووي، قرأتها عليه في **منزله** قراءة وتفهم"[2].

ولابد هنا من ذكر مسألة مهمة ساهمت في تحرر العلماء من قيود السلطة والابتعاد عن تأثيرها والخضوع لإرادتها، وأعني هنا الاستفادة من أموال الأوقاف التي كانت تكفل لهم فرص العيش الكريم، وتضمن لهم الاستقرار، وهدوء البال وراحة الضمير حتى يؤدوا رسالتهم على الوجه المطلوب، وفي هذا كتب محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، يقول: "والفقهاء والعلماء تحرروا قديما وفي مختلف العصور عن طريق الأوقاف من تسلم المرتبات الرسمية، مما جعلهم يتحررون من التبعية والقيود، ويتمكنون من القيام على حرمة الكلمة بأمانة وحرية لأن واجبات حرية الإمام أن يكون دخله المعلوم غير مرتبط بالمرتبات الرسمية، وهذا يقتضي أن يكون دخله المعلوم من الأوقاف الخيرية مباشرة حتى يستطيع أن يقول كلمة الحق بملء فيه، ويكون ملء السمع والبصر والفؤاد والوجدان"[3].

---

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، ص: 230.

[2]– الثعالبي، **الرحلة**، ص: 112.

[3]– بن عبد الله محمد بن عبد العزيز، **الوقف في الفكر الاسلامي**. الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، 1996، ج: 1، ص ص: 29-30.

ويستكمل قريان عبد الجليل استقلالية العلماء وأهمية ذلك في تمتعهم بحرية اختيار الأسلوب والغاية من التعليم، حين يقول: "الذين كانت لهم شخصية علمية قوية أبعدتهم عن أخلاق الخوف والرجاء، فكانوا محل تبجيل وتقديس من طرف العامة، ومحل هيبة وتوجس من طرف السلاطين، يسعون إليهم ويخطبون حضورهم، وتميز هذا النوع من العلماء بارتقائهم السامق في درجات العلم، وولوعهم بالإخلاص لله في نشره بين الناس دون مماراة ولا مداهنة، وأصبحت شهرتهم ونفوذهم العلمي أكبر من أن تنال منه سطوة سلطان أو أن يتنازلوا هم عما وصلوا إليه"[1].

إن الدروس التي يقدمها العلماء خارج حدود المدارس الرسمية، إن كان في بيوتهم أو المساجد، تخضع لنوعية العلوم المتقنة من طرف العالم نفسه، ويعلق قريان عبد الجليل على هذا الأمر بالقول: "فكل عالم يدرس في بيته العلوم التي يتحكم فيها، تتساوى في ذلك العلوم العقلية والنقلية، فالعلوم النقلية نظرا لاستحواذها على مجموعة من العلماء، كانت بلا شك صاحبة الشأن الأوفر في التدريس"[2].

وفي ذات الاتجاه علينا أن نتذكر من أن استقلالية العلماء في نشاطهم التعليمي سوف يعطيهم القدرة على التحكم بنوعية من يلتحقون بهم، إن لم يكن الطلبة أنفسهم هم من يتجنب الاتصال بالعالم الذي لم يكن له المقدرة على التواصل معهم، وهذا ما يساهم في الارتقاء بالمستوى المطلوب للتحصيل العلمي. ومن خلال ما سبق، كانت مسألة ممارسة مهنة التعليم من قبل ابن مرزوق الحفيد خارج إطار المؤسسات التعليمية الرسمية بديهي ويتوافق مع توجهاته الفكرية وسلوكه الشخصي، فضلا عن تميزه في مجالات العلوم العديد التي كانت تفرض عليه اختيار النوعية على حساب الكم. ومن المؤكد، وإن لم تكن هناك من الإشارات الواضحة التي تظهر من أنه قد شغل مناصب رسمية في مجال التعليم، وعلى الرغم من ممارسته لهذه الوظيفة خارج حدود مدينة تلمسان، وإنما نشط أيضا في كل مكان ذهب إليه أثناء رحلاته العلمية .

ولم يمارس ابن مرزوق الحفيد من نشاطات في حياته غير ما ذكر وفق ما توفر من مصادر تحدثت على الوظائف التي قام بها، ولكن هذا لا يعني أن بعض الإشارات التي وردت عند عدد

[1]- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 104.

[2]- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 220.

محدد من المصادر أشارت إلى قيامه ببعض المهام، ولكنها لم تتحدث عنها بشكل مباشر وإنما بشكل عرضي، فعلى سبيل المثال مسألة تسلمه مهنة القضاء، فلا نجد في كتب التراجم ما يشير إلى أنه تولى القضاء بشكل واضح ودقيق، وإنما مجرد إشارات وهي تحاول إظهار ابن مرزوق الحفيد بمكانته المميزة التي يستحقها. وهنا نستعين بما دونه القلصادي في رحلته، وهو يتحدث عن شيوخه الذين أدركهم بتلمسان – وفي مقدمتهم ابن مرزوق الحفيد- فيصف أبا الفضل قاسم العقباني بقوله: "وُلي خطة القضاء بتلمسان"[1]، ولم يذكر ذلك في ترجمة شيخه الحفيد رغم كل ما ذكره عنه من مديح وإطراء كبيرين.

وهناك عبارات وردت لدى كل من الونشريسي والثعالبي والمقري يمكن أن نستشف منها أن ابن مرزوق الحفيد كانت له مشاركة في المجال السياسي، وأنه تولى منصب القضاء غير أنه لا يمكن القطع بذلك خاصة وأن من ترجم له من معاصريه ومن بعدهم لم يتعرضوا لهذا الجانب[2]. حيث ذكر الونشريسي في وفياته أنه: "في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة توفي قاضي الجماعة بتلمسان في النصف من شعبان إمام المعقول شيخ شيوخنا الرواية الرحال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي"[3]، فهل تحليته له بـ"قاضي الجماعة" من باب التشريف والتعظيم، إذ لم يتول هذا المنصب قط في حياته ؟، أم أنه كان كذلك، وهو أمر مستبعد لعدم ذكره في كتب التراجم فحتى الونشريسي لم يذكر ذلك رغم أنه أشار إليه كثيرا في كتابه المعيار، إذاً فقوله "قاضي الجماعة" هو من باب التشريف والتوسع فقط[4].

أما المقري فقد قال: "حدثني عمي الإمام سيدي سعيد المقري –رحمه الله تعالى- أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية"، وذكر قصة وقعت له مع بعض التونسيين يستفاد منها أن ابن مرزوق لم يكن منعزلا عن مجتمعه ولا غائبا عن الساحة السياسية

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 107.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 139.

[3]- الونشريسي، **الوفيات**، ص: 89.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، ج: 1، ص: 139.

بل كان متابعا لما يجري في واقع الناس مشاركا بما لديه من منزلة ومكانة في إصلاح ذات البين بين الحكام ولعل هذه المهمة هي نفسها التي تحدث عنها الثعالبي[1].

ومهما يكن من أمر فإن ابن مرزوق لم يتول مناصب رسمية لأن مبلغ همه كان تحصيل العلم والمعرفة وتلقينهما لطلابه عن طريق التدريس والإفتاء والتأليف، كما كان يشارك في حل النزاعات والمشاكل الحاصلة في مجتمعه فكان يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان واليد، يقول الونشريسي بعد ذكره لبعض البدع والمخالفات الشرعية التي كانت منتشرة في زمنه بتلمسان: "وقد تصدى لتغيير ذلك وشدة النكير فيه شيخ شيوخنا الشيخ المحصل أبو عبد الله سيدي محمد بن مرزوق بَرّد الله ضجعته وأسكنه جنته، فانقطعت تلك المفاسد من تلمسان طول حياته رحمه الله ثم عادت بموته رحمه الله بل زادت"[2].

وفي نهاية حديثنا عن الوظائف التي قام بها ابن مرزوق الحفيد خلال حياته، لم نجد أي دليل واضح وقطعي في ضوء المصادر المتوفرة لدينا، يؤكد على أنه شغل مناصب أو وظائف حكومية، أو أنه كان مقربا من السلطان الزياني أو أي شي من هذا القبيل. ومهما يكن من أمر، فما يمكننا استخلاصه في هذا الجانب من حياة ابن مرزوق الحفيد، أنه لم يتول مناصب رسمية، وهذا راجع إلى رغبته في التحصيل العلمي ونشره فيي مجتمعه عن طريق التدريس والافتاء والتأليف. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يكن منبوذا أو مكروها من جانب السلطة ورجالاتها، وإنما على العكس من ذلك، إذ كانت سمعته يعلم بها القاصي والداني، فهو فضلا عن علمه ومعارفه وشهرته، فإنه ينتمي إلى أسرة تعتبر من أكبر بيوتات تلمسان خلال العهد الزياني، وخير دليل على ذلك مراسيم تشييعه بعد وفاته سنة 842هـ/1438م، إذ كان يتقدم جنازته المهيبة السلطان بنفسه وبقية موظفي الدولة الزيانية وكبار القوم[3].

ومن هنا، نستنتج أن ابن مرزوق الحفيد نذر نفسه للعلم، فلم يُنقل عنه أنه تولى منصبا سياسيا أو إداريا أو رسميا، ولعل مرد ذلك لكونه ميسور الحال فلم يحتج لراتب الدولة لذا عكف

---

[1]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 428.

[2]- الونشريسي، **المعيار**، ج: 2، ص: 472.

[3]- القلصادي، المصدر السابق، ص ص: 97-98.

على التأليف والفتوى والتدريس والإقراء في بيته أو مسجد الطلبة في منشر الجلد حيث كان يقصده الطلبة للاستزادة من علمه ومعارفه.

المبحث الرابع: مكانته العلمية

طلب ابن مرزوق الحفيد العلوم والمعارف واجتهد في تحصيلها، وأقبل على الحديث بكليته، وطاف البلاد الاسلامية في طلب في العلم، فسمع في تلمسان، فاس ، تونس، القاهرة، الاسكندرية والحجاز. وأكثر من المسموع والمشهور من الدرس، ونقل من الكتب كبار شيئا كثيرا، ووصل عدد شيوخه أرقاما تعكس رغبته في الاستفادة والسعي من أجل العلم، وليس هذا فحسب، وإنما هؤلاء الشيوخ كانوا أعلام عصرهم في ميادين تخصصهم بدءا من أعضاء أسرته المرازقة وصولا إلى سعيد العقباني، ابن عرفة، الغماري، البلقيني، ابن الملقن والعراقي وغيرهم كثر[1]. وكانت مكانة هؤلاء الشيوخ من الكبر والعلو جعلت الكتاني يعلق على هذه المسألة، قائلا: "وهذا فخر كبير اجتماع هؤلاء كلهم له وناهيك منهم بجده[2]، والعراقي، وابن عرفة، وابن خلدون، وصاحب القاموس[3]، وابن الملقن، والبلقيني، والعيني، والبرزلي، فقل أن يجتمع لأحد مثل هؤلاء من مشيخته من مجيزيه"[4].

ولم يزل يمكن في ذلك حتى صار إمام الناس فيه، وتقدم على مشايخه في حياتهم، ووصفوه بالحفظ والإتقان والتقدم والعرفان، فأرشدوا الناس إليه، وحثوهم عليه وقرضوا مؤلفاته، وأشاعوا حسن صفاته وأخلاقه، وشهدوا على حسن علمه وغاية اتقانه، وإن ما يسترعي الانتباه في هذا الصدد كم الألقاب والنعوت الحسنة التي وصف بها من قبل معاصريه.

---

[1]- سنترجم لهؤلاء العلماء وغيرهم في الفصل الثالث من الدراسة.

[2]- يقصد ابن مرزوق الخطيب.

[3]- يقصد هنا فيروز آبادي سنترجم له فيما بعد

[4]- الكتاني عبد الحي، المرجع السابق، ص: 524.

أولا: ألقابه

من دلائل رفعت المقام الذي حاز عليه ابن مرزوق الحفيد في مجال العلم والمعارف والدين والدنيا، تلك الألقاب التي كال له من كتبوا عنه وذكروا مناقبه، وهي ألقاب قلما تجنمع في شخص واحد. ومادمنا ونحن، نتحدث عن مكانته العلمية أن نذكر تلك الألقاب التي اتصف بها، فوراء كل واحدة منها خصلة من خصاله الحميدة والجليلة. وقد نقف أمام كثرتها وروعتها موقف شك، إلا أننا حينما نتعمق في شخصه، نجدها تتوافق من حيث الاسم والمضمون ولا تدع للشك أن يأخذ مساره في النفوس، وحينما نقرأ كتب التراجم نجد عشرات الألقاب التي أطلقت عليه، وهي تعكس سمو مكانته علما وأخلاقا وحرصا على الدين، ومن بين تلك الألقاب التي ذكرت في حقه، ما يلي[1]:

الأستاذ
شيخ الشيوخ
فارس الكراسي والمنابر
سيد العلماء
عالم الدنيا
ذو اللحيتين
السيد الزكي
شيخ الإسلام
إمام المسلمين
مفتي الأنام
إمام الأئمة
الحافظ

ثانيا: آراء العلماء المعاصرين له:

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: ، ص: . ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 104. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 499-500. المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص ص: 420-421. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 422-423.

لقد تبوأ ابن مرزوق الحفيد مكانة علمية رفيعة في سماء العلم والمعرفة لما كان يتمتع به من غزارة علم، وسعة تأليف، ولم يكن مجهولا للقاصي أو الداني، ولا نبالغ في القول أنه لم يدانيه في أهل العلم في عصره إلا أعداد قليلة لا تتجاوز أصابع اليدين، فكان له من الشهرة الكثير بين العلماء والعامة على حد سواء، وهذه الأهمية والاهتمام جعلتنا نستعرض بعضا مما قيل.

يبرز الحافظ **ابن حجر العسقلاني** من كبار العلماء بلا أدنى شك، وتكاد لا تجد عالما بعده إلا واستفاد من كتبه، وقد ارتبط كل من ابن حجر العسقلاني وابن مرزوق الحفيد بعلاقة علمية واحترام متبادل، وقال عنه الحافظ في كتابه الدرر الكامنة، "نعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون، وحسن الخط، والخلق والخُلق والوقار والمعرفة والأدب التام"، ثم أضاف قائلا: "ورجع إلى بلاده بعد أن حدّث وشغل وظهرت فضائله"[1].

ويعد **تقي الدين أحمد المقريزي**[2] واحد ممن أشاروا إلى قيمة ومصداقية ابن مرزوق الحفيد وإن كان على اقتضاب، فقال: "كان نزيها عفيفا متواضعا"[3]. ومن جميل الصدف أن كلاهما ولدا في ذات العام 766هـ/1364م، ولكن ابن مرزوق سبقه بعام في وفاته، ومن المصادفات الأخرى أنهما تتلمذا على يد ذات المجموعة من المشايخ ولاسيما المشاهير منهم[4]. أما الشيخ **أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري**[5]، فقد أشار حينما سأل في أمر من أمور العلم،

---

[1]- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج: 3، ص: 362

[2]- **المقريزي تقي الدين الشافعي (ت:841هـ/1437م)**: هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن تميم الحسيني العبيدي، ولد سنة 766هـ/1364م في القاهرة، تتلمذ علي يد كبار مشاييخ عصره، من أمثال: سراج الدين بن الملقن، سراج الدين البلقيني، ابن جماعة، الفيروز آبادي، ومحمد الزراتيتي وغيرهم كثر. ينظر: المصدر نفسه، ج: 3، ص: 362

[3]- المصدر نفسه، مج: 3، ص: 228.

[4]- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، **درر العقود الفريدة**، مج: 1، ص: 23-25.

[5]- **أبو عبد الله محمد بن عُمَر الهواري (ت: 843هـ/1439م)**: ولد في مغراوة سنة 750هـ/1349م حفظ القرآن على يد الشيخ علي بن عيسى، انتقل بعدها إلى مازونة ومنها الى فاس، وخلال رحلته تلك زار مدن مستغانم، وهران وتلمسان مكث فيها وأخذ عن مشايخها، ثم رحل إلى بلاد المشرق، فزار القاهرة وتتلمذ على يد أشهر مشايخها من أمثال الحافظ ابن العراقي، ومن تم سافر إلى الحجاز للحج وطلب العلم ومنها انتقل إلى بلاد الشام، وفي نهاية المطاف قرر العودة والاستقرار بتلمسان. ومن شيوخه: عبد الرحمن الوغليسي والشيخ العبدوسي. ومن تلاميذه: إبراهيم التازي، عبد الرحمن مقلاش، الطاهر بن الشيخ المشرفي. ومن مؤلفاته: كتابي السهو والتّنبيه ووغيرهما، وتوفي سنة 843هـ/1439م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 228-236. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 151-152.

فأشار إلى السائل بضرورة سؤال الشيخ ابن مرزوق، وأشار ابن مريم إلى هذه المسألة، حين قال: "زرت الشيخ سيدي محمد الهواري نفعنا الله به بمدينة وهران فسلمت عليه وجلست فسأله شخص عن مسألة في علم، فقال له: الشيخ إنما يجيب عن هذه المسألة ابن مرزوق (الحفيد)"[1]. ومثل هذا القول لعالم فقيه متصوف له مكانته دلاله على المكانة التي يتمتع بها الشيخ ابن مرزوق الحفيد.

ويعتبر الشيخ **أبو عبد الله محمد الرصاع** ممن عاصروا ابن مرزوق الحفيد في أواخر حياته، إذ كان الرصاع في صباه مقيما في مدينة تلمسان، وعلى ما يبدو أنه نال شرف التتلمذ على يد ابن مرزوق الحفيد في صغره، ولكن من خلال الاطلاع على سيرته لم نجد فيها ما يدل على استمرار التواصل بينهما، وهو أمر مستغرب حسب رأينا، ولكن يبدو أن رحيل الرصاع عن تلمسان وهو صبي لم تعطيه الفرصة لكي يتتلمذ على يد ابن مرزوق بشكل الذي يزيد من قدراته العلمية[2]. وعلى العموم كتب الرصاع في فهرسته يصف الشيخ ابن مرزوق الحفيد من حيث قيمته العلمية، وهو مثل ما يتحدث عن بقية علماء تلمسان، قائلا: "الشيخ الإمام العالم وحيد عصره وفريد دهره سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق، والشيخ أبي القاسم العقباني والشيخ العالم العلم سيدي أبي الفضل بن الإمام[3] والشيخ الفقيه ابن النجار، وغيرهم هؤلاء من العلماء والصلحاء وأظهرهم الشيخان الأولان دينا وعلما وزهدا وصلاحا وتحقيقا وقد تبركت بهما حضرت مجلس ختم كتاب الله تعالى عند الشيخ الأول (ابن مرزوق)"[4].

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 230.

[2]- الرصاع، المصدر السابق، ص: 43.

[3]- **أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الامام التلمساني (ت:845هـ/1441م)**: أحد أقران ابن مرزوق الحفيد، كان إماما عالما بالمعقول، عرف في العديد من العلوم النقلية والعقلية، مثل: البيان، التصوف، الأدب والشعر، ارتحل نحو المشرق سنة 810هـ/1407م وزار تونس ومصر والحجاز وبلاد الشام وعاد إلى تلمسان سنة 813هـ/1410م. وله العديد من المؤلفات مثل: حواشي على التفتازاني وابن الحاجب الفرعي وغيرها. ومن تلاميذه: ابن مرزوق الكفيف، محمد التنسي وتقي الدين الشمني، توفي سنة 845هـ/1441م. ينظر: السخاوي، المصدر السابق، ج: 10، ص: 74. القرافي، المصدر السابق، ص: 220. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 220-221.

[4]- الرصاع، المصدر السابق، ص: 31.

وأشار مفتي الحاضرة التونسية **أبو عبد الله محمد الزنديوي**[1] إلى المكانة التي وصل إليها ابن مرزوق الحفيد في عيون علماء المغرب والمشرق الاسلاميين، حين كان يتحدث عما كان يتمتع به أبو القاسم عبد العزيز العبدوسي من قدرات علمية كبيرة ومتنوعة وإبهار، حين قال: "قالوا: إن ابن أخيه عبد الله[2] يفعلها في فاس بجامع القروين، وقالوا: عملها بمصر فتعجبوا من حفظه ونقله المتين من الأحاديث وثباته عليها وترتيبه ولكنهم فضلوا عليه سيدنا أبا عبد الله بن مرزوق لمشاركته في العلوم ومفاوضته إياهم في علوم الحديث في طريق ابن صلاح ونظمه في ذلك لأراجيز"[3].

ومن بين من أشاد بابن مرزوق الحفيد وذكره بالمزايا والصفات التي تحلى بها وأثره على الحياة الفكرية في عصره، يبرز **أبو جعفر أحمد البلوي**[4]، والذي كتب يقول: "الإمام خاتمة الأعلام بقية الشيوخ وعلم الأعلام الذي امتاز فيه بالشموخ وفاز ممن الاضطلاع بأعبائه والاطلاع على غرائب أنحائه بمزية الرسوخ العالم الكبير الحجة القدوة الخطير الشهير الناقد النافذ البصير المبرز المحقق النحرير قدوة المسندين شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن سيدنا الإمام الخطيب الخطير الصالح البركة المعظم الكبير، سلالة العلماء وخلف الأولياء أبي العباس أحمد بن بدر المغرب وشمسه، والمبرز في حلبته على أبناء جنسه، بحر الحديث وخاتمة شيوخ التحديث، فخر الخطباء، قدوة البلغاء، العالم القدوة، الناقد، المقيد المفيد، الرحالة المحدث الراوية المتفنن المتقن المحقق الحملة الكاملة، وحيد عصره، خطيب العدوتين شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن سيدنا الإمام العالم الولي الصالح الكبير الشهير القدوة الخطير، مأوى الغرباء وملجأ المنقطعين، المجاور

---

[1]- يذكر أحيانا بالدارنوي أو الزلديوي. للمقارنة ينظر: السخاوي، المصدر السابق، ج: 9، ص: 179-18. القرافي، المصدر السابق، ص: 205.

[2]- **أبو عبد الله بن محمد بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي (ت:849هـ/1445م)**: عالم بارع صالح مشهور، ولي الفتوى وإمامة جامع القرويين في مدينة فاس، أخذ عن مشايخ كبار أمثال: ابن املال، القوري والورياجلي وغيرهم. وله نظم حسن في شهادة السماع وفتاوي في كتاب المعيار وغيرها، توفي سنة 849هـ/1449م. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 1، ص: 251-252.

[3]- الرصاع، المصدر السابق، ص: 65.

[4]- **أبو جعفر داود البلوي الوادي آشي (ت:938هـ/1532م)**: هو أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد فقيه متفنن مشارك حجة جامع ضابط ناظم ناثر، تتلمذ على يد مشايخ عدة، منهم: أبوه أبو الحسن علي، القلصادي، أبو محمد جابر الغرناطي، ابن مرزوق الكفيف وابن غازي. رحل من غرناطة إلى تلمسان مع أسرته سنة 890هـ/1485م ثم رحل منها إلى المشرق. من مؤلفاته: شرح على الخزرجية في العروض، فرائد الفوائد في فنون غير واحد، توفي سنة 938هـ/1532م. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 138.

المنقطع المتعبد البركة الكبير أبي العباس أحمد بن الولي الكبير المعظم الخطير، بركة هذا البيت الشريف وفخره، وكبير أولياء الله تعالى في عصره سيدنا أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي"[1].

ومن بين من أشادوا به أيضا واعترفوا بمكانته العلمية **ابن غازي العثماني المكناسي**[2]، والذي تتلمذ على يد ابنه ابن مرزوق الكفيف، وكتب يقول في فهرسته وهو يذكر ابن مرزوق الحفيد: "الإمام العلم العلامة الصدر الأوحد المحقق النظار الحجة العالم الرباني سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي"[3]. وكذلك قال فيه مبرزا مكانته وقيمته العلمية بالقول: "قطب مغربنا الإمام الحبر البحر العالم الأكبر أبي عبد الله بن مرزوق"[4].

وأسهب **المقري التلمساني** في كتابه نفح الطيب في وصفه والثناء عليه، وقد اعتبره: "عالم الدنيا"[5] وهي الصفة التي كررها مرتين أثناء ترجمته لابنه الكفيف، وأفرد له جملة مطولة عن حياته ومكانته العلمية، حيث يقول: "هو البحر الإمام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف، التقي الصالح الناصح الزاهد العبد الورع البركة الخاشع، النبيه القدوة المجتهد، الفقيه الأصولي المفسر المحدث، الحافظ المسند الرواية الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص: 246-247.

[2]- **ابن غازي العثماني المكناسي (ت:939هـ/1532م)**: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي ولد في مكناس سنة 841هـ، وأخذ من مشايخها مثل: أبي عبد محمد الصغير وأبي عبد الله القوري، ومن مشايخه خارج مكناس يبرز الشيخ ابن مرزوق الكفيف. ووصفه الشفشاوني من أنه: "الشيخ الراوية العالم العلم شيخ الجماعة ومفتيها"، وبرز في علوم: العربية، الفقه، الحساب، الفرائض والعروض وغيرها من العلوم. ومن بين أبرز تلامذته: ابنه أبو العباس أحمد، الحسن بن عثمان التملي وعبد الواحد الونشريسي. له مؤلفات كثيرة نذكر منها: شفاء الغليل في حل مقفل خليل، الجامع المستوفي بجداول الحوفي، امتاع ذوي الاستحقاق، تحرير المقالة في نظائر الرسالة. وليه في اواخر حياته الخطابة والإمامة بجامع القرويين في فاس، توفي يوم الأربعاء الموافق 9 جمادي الأولى سنة 939هـ/1532م في مدينة فاس. ينظر: ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**. الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973، ص: 320. الكتاني، المرجع السابق، ج: 2، ص ص: 106-111.

[3]- ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 113.

[4]- المصدر نفسه، ص: 67

[5]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 414.

البياني العروضي الصوفي الأواب الولي الصالح العارف بالله"، ثم أضاف قائلا: "الراعي في كل علم مرعاه الخصيب، حجة الله في خلقه"[1].وهو نفس ما ذكره ابن مريم في كتابه البستان.

ثالثا: آراء طلبته

مثلما تعلمنا في مسيرتنا الدراسية من أن قيمة الشيخ لا يعرفها غير طلبته بكل شفافية، أي أن طلبة ابن مرزوق الحفيد كانوا الأدرى بعلمه وقدراته وإمكانياته العلمية، ومن هنا نجدهم قد أطنبوا في ذكر محاسنه وفوائده، ومن بين هؤلاء نذكر:

أبو الحسن علي القلصادي وصف شيخه في رحلته، فقال: "أدركت فيها –تلمسان– كثيرا من العلماء والزهاد والعبّاد والصلحاء...وأولاهم في الذكر والتقديم الشيخ الفقيه العلامة الكبير الشهير، شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي – رضي الله عنه– حل كنف العلم والعلاء وجل قدره في الجلة الفضلاء، قطع الليالي ساهرا وقطف من العلم أزاهرا، فأثمر وأورق وغرب وشرق حتى توغل في فنون العلم واستغرق إلى أن طلع للأبصار هلالا لأن المغرب مطلعه، وسما في النفوس موضعه وموقعه، فلا ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من إلقائه...كان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة، وكانت أوقاته معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس وفتيا وتصنيف"[2].

وقال عنه **تلميذه عبد الرحمن الثعالبي**: "هو الشيخ الإمام الحبر الهمام حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلة النقاد وخلاصتهم ورئيس المحققين وقادتهم، السيد الكبير والذهب الأبرز، والعلَم الذي نصبه التمييز، ابن البيت الكبير والفلك الأثير ومعدن الفضل الكثير سيدي أبو عبد الله محمد بن الإمام الجليل الأوحد الأصيل جمال الفضلاء سليل الأولياء أبي العباس أحمد بن العالم الكبير العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبي عبد الله محمد بن مرزوق".

وأما **الحافظ أبو عبد الله محمد التنسي** وهو من علماء عصره وتتلمذ على يده، وصفه على أنه "رئيس علماء المغرب الإسلامي"، وهذا الوصف لم يكن ليطلقه عليه لولا الدراية الكاملة

[1]– المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 420.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص: 98.

التي كان عليها من حيث علميته وقدراته الكبيرة، حين قال: "شيخنا الإمام رئيس علماء المغرب على الإطلاق"[1].

في حين أشار تلميذه **أبو زكريا يحيى بن إدريس المازوني** في نوازله، تميزه في الاجتهاد وما يقدمه من فوائد في مؤلفاته، حين قال: "شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التآليف العجيبة والفوائد الغريبة"[2].

وكتب **أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي**، وهو احد طلبته ممن حضروا من الأندلس، في شيخه ابن مرزوق الحفيد يقول: "الشيخ الفقيه المتفنن الخطيب النصيح الحاج الناسك"[3]. ويذكر ابن غازي في فهرسته رأي شيخه الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي بابن مرزوق الحفيد، حين يقول: "وممن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة: الإمام العلم العلامة الصدر الأوحد المحقق النظار الحجة العالم الرباني سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، وقد حدثني بكثير من مناقبه وصفة إقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما تفق له مع بعضهم، إلى غير ذلك من شيمه الكريمة ومحاسنه العظيمة"[4]. ثم ختم كلامه ببيت شعر أظهر فيه احتراما وتقديرا لابن مرزوق الحفيد لمكانته وسمعته الطيبة، حين قال:

"فَاتَنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرْفِي فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي"[5]

ومن تلاميذ ابن مرزوق الحفيد من كتب يصف قيمته العلمية ومكانته التي لا يدانيها أحد في عصره، ما أشار إليه **الفقيه أبو إسحاق الزواوي**، الذي كتب يقول: "حضرت يوما مجلس الشيخ سيدي محمد بن مرزوق فرأيته بحرا في كل علم لا ساحل له، فلازمت مجلسه وتركت مجلس

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 207. الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**. تح: شترة خير الدين، الجزائر، دار كرارة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ج: 1، ص ص: 621-622.

[2]- المازوني، **الدرر المكنونة**. في جزئين. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 207. الحفناوي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 622.

[3]- المجاري، المصدر السابق، ص : 134.

[4]- ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 113.

[5]- المصدر نفسه، ص: 113.

سيدي قاسم –يقصد العقباني–"[1]. ومن خلال ما تضمنه النص يتضح لنا من أن ابن مرزوق الحفيد تجاوز معاصريه من العلماء في علمه وطريقة تدريسه، التي كانت تغري الطلبة على الالتحاق به دون غيره.

ومن طلبته الذين أشاروا إليه بكل احترام وتقدير واعتراف بقيمته العلمية وسمو أخلاقه، **أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني**، الذي قال عنه: "هو شيخنا الإمام العالم العلم، جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا، راسخ القدم، رافع لواء الامامة بين الأمم، ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم، محيي السنة بالفعال والمقال والشيم، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الأمم، مستمر على الارشاد والهداية والتبليغ والافادة"[2]. وفيما يخص علمه وإتقانه للعلوم، قال: "فأفادني من بحار علمه ما تقصر عنه العبارة ويكل دونه القلم"[3]. أما الفقيه الإمام **أبو الفضل محمد بن أبي القاسم المشدالي**، وهو الذي أشاد به ابن مرزوق الحفيد بعلو كعبه في العلوم، فقد كتب يقول: "شيخنا الإمام المتقن المدرك المحصل أبو عبد الله بن مرزوق"[4].

رابعا: رأي أصحاب كتب التراجم

لم تقتصر أحاديث المدح والتقدير من جانب طلبته ومعاصريه، وإنما نجد هذا عند من ترجموا له وذكروا عن حياته وأعماله، وهذا الاهتمام والتقدير يعكس مكانة شيخنا ابن مرزوق الحفيد، ومنهم نذكر:

ابن مريم المديوني التلمساني الذي يعتبر واحدا من بين المترجمين الذين أفردوا مساحة كبيرة له، وإن كانت في غالبها هي نُقول نصية لما كتب من قبله، إلا أنها مفيدة وساعدتنا في الاطلاع على ما كتبه الآخرون ممن لم نتمكن من الوصول إلى مؤلفاتهم. لقد افتتح ابن مريم ترجمته بالقول: "الإمام العلامة المشهور الحجة الحافظ المحقق الكبير الثقة الثبت المطلع النظار المصنف التقي الصالح الزاهد الورع البركة، الخاشي لله الخاشع، الشيخ النبيه القدوة المجتهد الأبرع، الفقيه

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، ص: 82.

[2]– المصدر نفسه، ص ص: 204–205. المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 423.

[3]– المصدر نفسه، مج: 5، ص ص: 423–424.

[4]– ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 34.

الأصولي، المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية، الأستاذ المقرئ المجود، النحوي اللغوي البياني العروضي، الصوفي الأواب الولي الصالح العارف بالله، الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الراعي في كل فن مرعاه الخصيب، حجة الله على خلقه، المفتي الشهير السني الرحلة الحاج، فارس الكراسي والمنابر، سليل الأفاضل والأكابر، سيد العلماء الجلة، وإمام أئمة الملة، وآخر السادات الأعلام ذوي الرسوخ الكرام، بدر التمام، الجامع بين المعقول والمنقول"[1]. ومن خلال نظرة سريعة لما تضمنه قول ابن مريم يتجلى لنا من أن كل كلمة منها كانت تدل على بروز ابن مرزوق الحفيد في علم من العلوم أو خصلة من خصال الأخلاق الحميدة، وهذه الصفات الراقية هي التي جعلت جميع من عاصره أو من بعده ينظرون إليه بعين الاحترام والتقدير.

ويعتبر **أحمد بابا التبكتي** من أكثر المترجمين الذين أشادوا بابن مرزوق الحفيد، إذ نجده يستعين بالعديد من الآراء التي أكدت على علو كعبه ومكانته بين علماء عصره، فكتب واصفا إياه، بالقول: "شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة والأبحاث الغريبة والفوائد الغزيرة، المتفق على علمه وصلاحه وهدية، السيد الزكي الفهامة القدوة الذي قل سماح الزمان بمثله أبد"[2].

خامسا: آراء كتاب المراجع في ابن مرزوق الحفيد

لم يقتصر الإعجاب والاهتمام في ابن مرزوق الحفيد وعلمه وكتاباته على من عاصره وتلاميذه ومن ترجم له، وإنما هذا الأمر استمر أجيالاً متواصلة حتى وقتنا الحاضر، فكان محل اهتمام وتقدير كل من كتب عنه أو أشار إليه اعترافا بعلمه وقدره الكبيرين، وممن أشادوا به نذكر:

عبد الحي الكتاني الذي كتب في فهرست الفهارس وهو يقدم له قائلا: "هو الإمام الأستاذ الحافظ النظار المحدث المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بم محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني"[3]. ثم أشار إلى القيمة العلمية التي يتمتع بها نظرا للعدد الهام من المشايخ الذين أخذ عنهم، والذين هم من صفوة الصفوة في زمانهم، حين كتب يقول: "أخذ عن

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 201-202.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 499.

[3]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 1، ص: 524.

أبيه وعمه وجده وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار، وبفاس عن ابن حياتي والمكودي، وبمصر عن الزين العراقي والسراج ابن الملقن وابن خلدون وغيرهم، وتدبج مع الحافظ ابن حجر. ومن عواليه روايته عن البرهان ابن صديق الدمشقي والحافظ نور الدين الهيثمي، والسراج، والبدر الدماميني، وأبي القاسم البرزلي، ومسند غرناطة أبي عبد الله الحفار وأبي عبد الله القيجاطي، وأبي محمد عبد الله جزي الكلبي وأبي زرعة العراقي، ومحمود العيني الحنفي الفيروز آبادي صاحب القاموس، والحافظ ابن علاق الأندلسي، وأجازه جميع من ذكرنا الإجازة العامة بما لهم من المصنفات والمرويات، وهذا فخر كبير اجتماع هولاء كلهم له"[1]. وهذا القول يظهر لنا علو كعب ابن مرزوق الحفيد، واعتراف بمكانته العلمية والمعرفية، ويعطيه المصداقية التي تجعل كتاباته في المستوى راق.

ومن بين من أشار إليه بالبنان والعرفان وإظهار مكانته في التأثير العلمي والفكري **عبد الرحمن بن محمد الجيلالي**، الذي اعتبره مفتي الأنام والكوكب الدري والنجم الثاقب، حين قال: "لقد تألق في سماء بيت ابن مرزوق بدور وأقمار كان كوكبها الدري ونجمها الثاقب مترجمنا هذا العلامة الإمام شيخ الإسلام ومفتي الأنام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجيسي"[2].

أما **يحي بوعزيز** فقد كتب يصف مكانة ابن مرزوق الحفيد في زمانه، حين قال: "وبالجملة الوصف يتقاصر عن صفاته، وفضلاء عصره لا يرتقون إلى صفاته، فهو شيخ العلماء في أوانه، وإمام الأئمة في عصره وزمانه، شهد بنشر علومه العاكف والبادي، وارتوى من بحار تحققاته الظمآن والصادي"[3]. كما أشار إلى مكانته العلمية والتي جعلته يتبوأ مكانة مرموقة في ميدان العلم والمعرفة، إذ اعتبره بحرا علامة في العلوم، وكتب يقول: "كان ابن مرزوق الحفيد بحرا علامة في العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة، وشيخا وأستاذاً لجيل بحاله من الشيوخ والعلماء وطلاب العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغربا". ثم أضاف واصفا إنتاجه لأهميته وغزارته من أنه

---

[1]- المرجع نفسه، ج: 1، ص: 524.

[2]- الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص: 210.

[3]- بوعزيز يحي، **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**. الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص: 116.

مكتبة بحالها حيث قال: "وهكذا كان مكتبة بحالها بما خلفه لنا من كتب ودراسات مكثفة وغزيرة"[1].

وركز **إبراهيم حركات** في كتابه "مدخل إلى تاريخ العلوم" على بيان تفوقه في ميدان التدريس والتأليف بالرغم من سلوكه الملتزم في حياته اليومية، حين كتب يقول: "شغل نفسه بالتدريس والتأليف مع حرمته لدى الأوساط العلمية والشعبية والرسمية، وكان شديد التدين يداوم على قراءة القرآن، ويلتزم أورادا معلومة، سنيا في سلوكه ومذهبه"[2].

في حين أشاد **الطاهر بن علي** محقق كتاب "إظهار صدق المودة في شرح البردة" بالجهد الذي قام به في ميدان التعليم، حين كتب يقول: "مكانة ابن مرزوق تشهد على أنه معلم بارع، ومصنف كبير تخرج على يده علماء كثر، كان لهم بصمات عميقة في الحياة الثقافية والعلمية في حياته وبعده"[3]. وفي مكان ثان من تحقيقه يبدع الطاهر بن علي وهو يظهر قيمة ابن مرزوق الحفيد ومكانته العلمية، بالقول: "لأن كبار العلماء من أمثاله –يقصد ابن مرزوق الحفيد– لايقبلون المتلقي للعلم إلا إذا تجاوز مرحلة معينة من التحصيل العلمي وهذا ما يبرر تفسيره العلمي الرصين للنصوص، بعيدا عن كل تأويل غارق في تهويمات فلسفية مرفوضة"[4].

بينما أشادت **حفيظة بلميهوب** بما قدمه من جهد في الارتقاء بمستوى العلوم النقلية والعقلية في أكثر من مناسبة عند تحقيقها لكتابه "المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح"، فهي جعلته يتبوأ مكانة متقدمة في أسرته المرازقة، حين قالت: "إن صفات ابن مرزوق وأخلاقه العالية بالإضافة إلى علمه الواسع، بوأه مكانة في أسرته وعند شيوخه، ومنزلة عالية ومرموقة لدى طلبته وأقرانه"[5]. وفي مناسبة أخرى أشارت إلى عطائه الثري حينما كتبت تقول: "لقد خلف ابن مرزوق الحفيد –عليه رحمة الله– ثروة علمية لا يستهان بها في شتى العلوم، فما من فن إلا ووضع فيه كتابا نظما ونثرا، وترك فتاوى ونوازل كثيرة"[6]. وأخيراً أبرزت ابن مرزوق الحفيد

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 119.

[2]– حركات ابراهيم، المرجع السابق، ج: 2، ص: 358.

[3]– ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، د وتح: بن علي الطاهر، ص: 58.

[4]– المصدر نفسه، ص: 66.

[5]– ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ج: 1، ص: 137.

[6]– المصدر نفسه، ج: 1، ص: 147.

على أنه في مقدمة أئمة الحديث حين أشارت قائلة: "كان ابن مرزوق الحفيد –عليه رحمة الله– من أئمة الحديث المعتنين بالرواية والدراية والحرص على السماع والنهم في طلب العلم، وقد نقلت كل مروياته بالسند المتصل إلى أصحابها"[1].

أما **محمد فلاق** الذي حقق كتاب ابن مرزوق الحفيد الموسوم بـ"إظهار صدق المودة" فقد وصفه على أنه جوهر أسرة المرازقة وبدرها، حيث كتب يقول: "وإذا ذكر بالجمع أبناء مرزوق، فالحفيد أبو عبد الله محمد جوهرهم المفرد، وبدرهم الأوحد، فبين تلك الديار الرفيعة وفي هذا البيت الشريف، انبرى ابن مرزوق الحفيد للتدريس والتأليف، وخاض في بحور صنوف العلوم العديدة، بين نظم مخترع وتصنيف مبتدع وشرح مفيد يتبع، وله في كل ذلك فضل لا يجحد، ومكانة يشهد له بها أفذاذ علماء المشرق والمغرب"[2].

فيما كتب محققو[3] كتاب ابن مرزوق الحفيد "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل" في بيان أهميته العلمية ومكانته في تاريخ المغرب الأوسط، قائلين: "أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد من أفراد العلماء الأفذاذ، الذين لا يسمح الزمان بمثلهم إلا قليلا، والذين تتشرف الجزائر بانتسابهم إليها، فقد تشبع بعلوم عصره وتضلع فيها حتى أدرك مرتبة الاجتهاد، وتخرج على يدي كثير من العلماء، وأثرى المكتبة الإسلامية بعدة كتب في علوم مختلفة"[4]. وفي مناسبة أخرى قالوا: "يعتبر ابن مرزوق الحفيد من نوابغ علماء المغرب (الجزائر)، الذين امتازوا بتضلعهم في كثير من العلوم النقلية والعقلية، فكان عالما بالتفسير وحقائقه، محدثا مسندا، وفقيها حافظا لفروع المذهب المالكي عارفا بمسائله، متحكما في أصول الفقه وقواعده، ومقرئا مجودا"[5].

وأبرزت **صباح مجاهدي** محققة كتاب ابن مرزوق "المفاتيح المرزوقية" قيمة ابن مرزوق الحفيد والإضافات التي قدمها في ميدان العلوم والمعارف، حين قالت: "سعيت من خلال هذا العمل أن أعرف بواحدة من الشخصيات العلمية البارزة في التراث الجزائري، وهي شخصية الإمام

---

[1]– المصدر نفسه، ج: 1، ص: 259.

[2]– ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، د وتح: فلاق محمد، ص: 7.

[3]– وهم كل من: جيلالي عشير، محمد بوزيان ومالك كرشوش.

[4]– ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 207.

[5]– المصدر نفسه، ج: 1، ص: 119.

ابن مرزوق الحفيد، وقد رأينا في دراستنا لحياة العلامة، كيف كانت حياته العلمية زاخرة وحافلة بالجد والكد والترحال، فلم يترك علما من العلوم إلا وامتطى جواده بكل جدارة وبراعة، فكتب في الفقه، والحديث، والأنساب، والنحو، والعروض والبلاغة"[1]. وفي مكان ثان أشارت إلى حالة التميز التي حازها ابن مرزوق الحفيد في ميدان الكتابة والألقاب التي نالها ولاسيما في علم العروض، حين قالت: "اشتهر ابن مرزوق بألقاب عديدة تشهد له بمكانته العلمية الرفيعة، وكان مما لقبه به العلماء "العروضي"، وإن كتاب المفاتيح المرزوقية يشهد له باستحقاقه لهذا اللقب، لأنه أثبت قدرة وكفاءة في علم العروض والقافية، تشد الانتباه وتثير الاعجاب"[2].

وأظهر **حسن الصويني** من خلال كتابه "ابن مرزوق الحفيد حياته وفكره" مكانة ابن مرزوق الحفيد في عالم الابداع، ولاسيما في القضايا الفقهية والفتوى، حين قال: "ذاع صيته وانتشر علمه وحظي بتقدير العلماء شرقا وغربا، فكانوا لا يتقدمون للإفتاء في حضرته احتراما لمكانته العلمية. وكان رحمه الله تعالى واسع الأفق بلغ درجة كبيرة في العلم والاجتهاد في علوم شتى كالكلام والمنطق والنحو والبلاغة والسيرة والافتاء والفقه والأصول، وهو أبرز علماء الاسلام الذين كانت لهم أهلية الاستنباط، والذين آلت إليهم الفتوى خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري"[3].

فيما أشاد **أحمد بن عبد الكريم نجيب الشريف** محقق كتاب "تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة" بقدرات ابن مرزوق الحفيد العلمية وإمكانياته المنهجية، حين قال: "ومن أحسن ما امتاز به هذا الشرح الماتع حسن التوبيب والترتيب، حيث يورد المؤلف -رحمه الله- البيت من أبيات البردة ويعقبه بشرح واف بالغرض، متميز في فنه، متقدم على صنوه، مستوف لبغية طالبه، فإذا أضفنا إلى ما في تبويب الشرح وترتيبه من إجادة، ما فتح الله به على الشارح من حسن الضبط والرواية وسعة الاطلاع والتبحر في علوم الشرع والآلة المسعفة بالافادة، حق لنا أن نجزم بأن الكتاب الذي نقدمه اليوم ونقدم له خليقٌ -في بابه- بالصدارة والريادة"[4]. وفي مكان

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، د وتح: مجاهدي صباح، ص: 78.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 78.

[3]- الصويني الحسن، المرجع السابق، ص: 1.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة**. تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب الشريف، الدار البيضاء، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 2013، ص: 8.

آخر يقول: "وقد أثنى عليه معاصروه فمن بعدهم ثناء جميلا، وأشادوا بعلمه وعمله وفضائله وعلو مرتبته ومكانته"[1].

وأخيرا، وبعد استعراضنا للمكانة العلمية التي تمتع بها ابن مرزوق الحفيد من خلال عيون معاصريه وطلبته ومترجميه وحتى كتاب المراجع الذين درسوا حياته ومؤلفاته، يتجلى لنا من أن الشيخ ابن مرزوق الحفيد لم يكن مجرد كاتب أو عالم برز في مجال من مجالات العلوم والفنون فحسب، وإنما هو فعلا مثلما وصف من أوصاف، قد يجدها البعض مبالغا فيها، فهو حسبما أرى كان نجما لامعا في سماء العلم والمعرفة العربية الاسلامية، وأنه علامة فاصلة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

من خلال هذا الفصل يمكن أن نستخلص بعض الأمور:

الحياة الاجتماعية الهادئة والمستقرة التي تمتع بها ابن مرزوق الحفيد وفرت له الأجواء التي مكنته من الارتقاء والبروز في الحياة العلمية، والمساهمة بشكل فعال في الحياة الحضارية بمختلف جوانبها، كيف لا وهو سليل عائلة علمية ذاع صيتها على مدى قرون. ومن خلال تتبع عائلة المرازقة، يتضح لنا أن أفرادها كانوا يتوارثون نهجاً علمياً وفكرياً يحفزهم على المواصلة والتواصل في المحافظة على مكانة الأسرة العلمية، والمحافظة على سمعتها ودورها الفكري والحضاري.

ومن هنا إن البناء الفكري والثقافي لأبناء هذه الأسرة كان في أساسه عائليا، ومن ثم ينتقلوا إلى فضاءات أخرى للاستزادة والاستفادة والإفادة. وهذا يدفعنا إلى الأخذ بالرأي القائل بأن المفكر أو العالم لا يظهر من ذاته وبذاته. إن كل عالم ومفكر إن هو إلا حلقة في سلسلة الفكر الذي سبقه، ويربط حلقات السلسلة التي من المحتم أن تمتد بعده، ومن خلال الحديث عن وظائفه ما يمكننا استخلاصه في هذا الجانب، أنه لم يتول مناصب رسمية، وهذا راجع إلى رغبته في التحصيل العلمي ونشره في مجتمعه عن طريق التدريس والإفتاء والتأليف لا غير.

[1]- المصدر نفسه، ص: 23.

الفصل الثالث

السيرة العلمية

لابن مرزوق الحفيد

المبحث الأول: مصادر ثقافته

المبحث الثاني: شيوخه

المبحث الثالث: برنامج تدريسه وأبرز تلامذته

تمهيد:

عد ابن مرزوق الحفيد باتفاق الجميع موسوعة علمية متنوعة، فقد نهل من علوم كثيرة، وأجاد فنونا عديدة فكان كما وصفته كتب التراجم، حيث كتب التنبكتي، يقول: "آية في تحقيق العلوم والإطلاع المفرط على النقول والقيام الأكمل على الفنون بأسرها"[1]، ويضيف المقري "الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الراعي في كل علم مرعاه الخصيب، حجة الله على خلقه، المفتي الشهير الرحلة الحاج، فارس الكراسي والمنابر، سليل الأكابر، سيد العلماء الأخيار"[2]. ونتيجة ذلك، ظهر نبوغه في علوم عديدة ومتنوعة، وهذا التميز جاء من كون الزاد العلمي لابن مرزوق الحفيد كما سنرى، متعدد المناهل والروافد، فقد كان كغيره من العلماء الأفذاذ، يشق طريق العلم بكل حماسة ومثابرة، رغبة منه في تحصيل القدر الكافي من العلوم والمعارف.

ومن خلال هذا الفصل سنحاول تسليط الضوء على جوانب من مسيرته العلمية، مثل: أهمية طلب العلم في حياة ابن مرزوق الحفيد، فضلا عن اهمية الرحلة العلمية في تنوع مصادره وتشعب ثقافته، الى جانب ذكر شيوخه، كما سنحاول بيان طبيعة برامجه التدريسية إلى جانب ذكر عدد من تلاميذه، إذ بذكرهم نستبين قيمة ما قدمه ابن مرزوق الحفيد خلال مسيرته العلمية.

المبحث الأول: مصادر ثقافته

هناك متلازمتين في مسيرة أي إنسان يسعى إلى طلب العلم وامتلاك نواصيه، وهما: مواصلة طلب العلم بلا توقف والرحلة من أجل ذلك بلا كلل أو ملل. وهاتين المتلازمتين كانتا من الثوابت التي حرص عليها الشيخ ابن مرزوق الحفيد في حياته، فهو لم يتوقف عن طلب العلم حتى مماته على الرغم مما بلغه من مكانه علمية كبيرة، والرحلة كانت موجودة في حياته كلما سنحت له فرصة ذلك. ومن أجل بيان تأثير ذلك على نشاطه العلمي، سنقوم من خلال هذا المبحث بإلقاء الضوء على أهمية طلب العلم والرحلة.

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 420.

أولاً: أهمية العلم في حياة الإنسان المسلم

تظهر رغبة الإنسان في التمسك بالحياة الدنيوية على أنها قدرة من الخالق، وزاد عليها الباري عز وجل تمتع الإنسان بالمعطيات الجسدية والعقلية التي تؤهله إلى ذلك شرط أن تكون في الخير وخدمة الدين. وقد أجمع الباحثون على أن الإسلام وظف تلك المميزات التي تمتع بها الإنسان وعمل على توظيفها لخدمته وخدمة الدين، حينما أصبح طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والسعي لتحصليه وضبط حقائقه، والأكثر من هذا حمل المسلم أمتعته وطلبه في أي مكان كان[1].

والعلم معرفة الشيء على حقيقته، ولا يكون إلا بعد جهد تدرك به هذه المعرفة، وقد اهتم ديننا الحنيف بالعلم أعظم اهتمام، يقول الله عز وجل في أول ما أنزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾[2]، وفي هذه الآيات التي هي أول ما أنزله الله على رسوله (ﷺ) أمر بالقراءة وتعلم أي علم يكون له ولغيره نفع في الدين والدنيا. وقد رافق هذا الأمر بيان سماوي آخر عن مكانة العلم والعلماء في مواضع عدة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾[3]. فكانت مسألة طلب العلم بالنسبة للمسلمين حافزا نحو العبادة والتقرب إلى الله طلبا للرضا ودلالة على الإيمان، وهو الذي يقول في محكم كتابه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]. وقول رسوله (ﷺ): (قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، إنما الناس رجلان: مؤمن وجاهل فلا تؤذوا المؤمن ولا تجاوروا الجاهل)[5].

ومثلما كانت العلوم العقلية مهمة في حياة الإنسان المسلم، كانت العلوم النقلية ضرورية لتنمية حياة المسلمين. وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُم من الأَرْض وَاسْتَعمَرَكُم فيهَا﴾[6]. وعمار الأرض لا يكون إلاَّ عن علمٍ راسخ بمعرفة علوم الصناعة والزراعة وعلم راسخ

---

[1]- الرصاع، المصدر السابق، ص ص: د- و.

[2]- سورة العلق، الآيات:1-5.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 18.

[4]- سورة الزمر، الآية :9.

[5]- محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، 1972م، ج: 4، ص: 526.

[6]- سورة هود، الآية: 61.

في الاقتصاد والتجارة وطرق تنميتها واستثمار الوسائل الحديثة في خدمة الإسلام والدفاع عن حياض الأمة.

إن حاجة المسلمين إلى العلم الشرعي تمتد بالضرورة إلى حاجتهم لعلوم ومعارف أخرى كعلم الحساب والطب، وعلم الفلك والرياضيات وغيرها، بل يجب أن تكون هذه العلوم محل عناية المسلم واهتمامه في عصرنا الحاضر لأنها لم تعد مجرد حاجة بل أصبحت ضرورة قصوى في وقت تخلّف فيه المسلمون عن غيرهم من الأمم، يقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

ونحن نعلم علم اليقين أن سلف هذه الأمة اهتم بالعلوم الشرعية وما يتفرع عنها، وفي الوقت نفسه اعتنوا بعلوم ومعارف أخرى كعلم الطب والجراحة وعلم الرياضيات وعلوم الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من العلوم التي كان لها دور كبير في بلوغ الحضارة الإسلامية مرحلة ازدهارها. وإنَّ المسلم يجب أن يعرف أنَّ كل ما يتعلمه من العلوم والمعارف والفنون ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية وقواعدها يعتبر مأموراً به وله أجر عند الله تعالى. ولم تكن مسألة دراسة الطالب الذي يرغب في بلوغ مستوى جيد من المعرفة سنوات طويلة، والسبب متعدد الوجوه، إذ لا توجد مرحلة وسطى بين المكتب القرآني والدراسات العليا[2].

ثانيا: ابن مرزوق الحفيد وطلب العلم

لم يكن ابن مرزوق الحفيد من العلماء الذين يرضون بالقليل من العلوم والمعارف، إذ حرص من نعومة أظافره على طلب العلم والتتلمذ على يد كبار العلماء، كيف لا وهو سليل أسرة لها صيتها وسمعتها العلمية، ومن هنا كانت الأسرة هي المدرسة الأولى التي اغترف منها حب العلم والتعلم، إذ كان جده ابن مرزوق الخطيب في مقدمة من غرس فيه حب العلم، فضلا عن والده وعمه[3]. وقد شكل هؤلاء المصدر الأول في بناء شخصيته العلمية من خلال الإشراف والمتابعة في مراحله الأولى، وبعد ذلك انتقل إلى رحاب مدينة تلمسان يتنقل بين مدارسها ومساجدها

[1]- سورة الأنفال، الآية: 60.

[2]- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ج: 1، ص: 37.

[3]- بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص: 70.

سعيا وراء كل ما هو مفيد وصالح من العلوم في شتى المجالات، ومن هنا فإن مصادر ثقافته كانت متنوعة وكثيرة، جمعها عبر مسيرة طويلة من الجهد والعمل الدؤوب.

إن ابن مرزوق الحفيد مثل غيره من علماء عصره، تطلع إلى ما هو أبعد من فضائه الضيق، حتى غدت تلمسان على الرغم من رقيها الثقافي، أضيق من أن تتسع لطموحه العلمي، فأخذ يتطلع إلى لقاء العلماء من خارج تلمسان عبر السفر إليهم والنهل من علومهم[1]. وإذا قمنا بإحصاء العلوم والفنون التي درسها عن شيوخه والتي درسها فيما بعد هو، توصلنا إلى أنه كان في إمكان ابن مرزوق الحفيد أن يأخذ كل العلوم التي كانت متداولة في زمانه في مدارس ومجالس العالم الإسلامي، وهي العلوم التي كانت يدرسها أشياخه، ونرجح أنه أخذ عنهم أكثرها، وإذا كانت الدلائل تنقصنا لإثبات تعلم بعضها، فإن علمه الواسع وشهرته، وسعة اطلاعه التي أبداها في ما كتب وقال، تدعونا للاعتقاد بأنه أخذ أكبر قدر من كل هذه العلوم التي كانت متداولة في تلمسان وحتى خارجها، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون التحصيل العلمي أفضل وأرسخ[2]. وحتى بلغ عدد من تتلمذ على أيديهم ابن مرزوق الحفيد في حياته حتى بلغ الخمسمائة والخمسين (550) شيخا، حسبما ذكره الكتاني في كتابه فهرس الفهارس، قائلا: "وقال البرزلي[3] في إجازته للحفيد ابن مرزوق: "ناولني فهرسته وأخبرني أنه قرأ على نيف وخمسمائة شيخ وأجازني بكل ما يرويه"[4].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن طالب العلم لابد عليه من أن يختار شيخ يقرأ عليه، وهذا الشيخ يجب اختياره بحيث يكون هو قد قرأ هذا العلم على شيوخه بالشرط المعتبر عند العلماء، وشيوخه قد قرؤوا على شيوخهم، وهكذا يتصل الإسناد منبع العلم وأصله[5]. وهذا يتجلى في مسلك ابن مرزوق الحفيد والمشايخ الذين أخذ عنهم، إذ أن أغلبهم كانوا من الثقاة والدقة في

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 58.

[2]- بوحسون عبد القادر، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-963هـ/1235-1554م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص: 140.

[3]- أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني التونسي.

[4]- الكتاني عبد الحي، **فهرس الفهارس**، ج: 1، ص: 221.

[5]- ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 1، ص: 9.

الإسناد، ومن الطبيعي أن يساهم ذلك في الارتقاء بإمكانياته وقدراته المعرفية والعلمية. لاسيما وأن السبيل الصحيح لطلب العلم، لا يكون إلا بالتعلم، ولا يؤخذ إلا بالتلقي من أفواه الذين حضروا مجالس العلم، وجالسوا العلماء الكبار، الذين أفنوا حياتهم في حلقات العلم والتعليم [1].

ثالثا: الرحلة العلمية وأثرها على حياة ابن مرزوق الحفيد

حينما نقرأ كتب التراجم التي تتناول حياة العلماء والمشايخ، نجد الأثر الكبير للرحلة العلمية في مسيرتهم، فالرغبة الملحة في الرحلة إلى مدن غير مدنهم من أجل التحصيل والاستفادة والإفادة. وقد تعاظمت هذه الرغبة بمرور الوقت، مع اتساع قاعدة العلوم والمعارف وتنوعها. ولم يكن ابن مرزوق الحفيد يختلف عن هؤلاء حيث كان للرحلة أثر كبير في مسيرته العلمية.

1. أهمية الرحلة في شخصية طالب العلم:

إن المرء ليعجب لما يحدثنا به التاريخ عن علماء العرب المسلمين من أنباء رحلاتهم المضنية التي قاموا بها من أجل العلم، رغم أبعاد السفر الشاسعة ومشقاته في أيامهم، يجتازون العقبات ويستهينون بالصعوبات في سبيل العلم، لا يطمحون من وراء ذلك إلى جاه أو وظيفة يشلونها، ولا يطمعون في دنيا يصيبونها. وكان ديدن هؤلاء العلماء إلا الفائدة العامة ومنفعة الجميع، فضلا عن مرضاة الباري عز وجل، وعن أبي هريرةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَهُ إِلا حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا فَيَلْتَمِسَ فِيهِ عِلْمًا إِلا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ عَمَلُهُ لا يُسْرِعُ بِهِ نَسَبُه"[2].

وبالإضافة إلى ذلك خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، وتشير كتب التاريخ الطبيعي والأنثروبولوجيا وغيرها إلا أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل، فقد ظل على مدى العصور والقرون يتطلع بعينيه إلى الآفاق البعيدة، ولا يكف عن التفكير فيما تضمنه من الخلق والموجودات وفيما تحمله من الكنوز والخيرات. لقد تعددت

---

[1] – المصدر نفسه، مج: 3، ص: 9.

[2] – ابن حنبل أحمد، **المسند**. تح: شعيب الأرنؤوط، تح وتخ وتع: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ج: 2، ص: 407.

الرحلات وتنوعت أشكالها ودوافعها، ولكن تبقى المسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدوافع الرحالة نفسه[1]. وهنا نستعين بما قاله المسعودي: "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه"[2]، وعليه يمكن اعتبار الرحلة من أكثر المجالات التي تزيد الإنسان معرفة وثقافة.

إن التأكيد على الرحلة وأهميتها وتأثيرها على العالم وطالب العلم من قبل العلماء العرب المسلمين نجد لها صدى في أحاديث العلماء الأعلام، فهذا الإمام ابن صلاح في كتابه علوم الحديث يقول: "إذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره"[3]، وهذا تأكيد واضح على أهمية الرحلة في حياة طالبي العلم في ذلك الوقت وحتى الآن هي ضرورية. وقد وصل التشكيك في قدرة العالم في حال عدم سفره وانتقاله في طلب العلم، ما قاله يحي ابن معين: "أربعة لا تؤنس منهم رشدا: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"[4].

لقد شكلت الرحلة أحد المميزات التي اصطبغ بها طالب العلم، إذ غدت أمراً لابد منه من أجل اكتساب الفوائد عبر لقاء من هم أكثر علما والأخذ منهم. ومن هنا، يتضح لنا من أن الرحلة مسألة ضرورية في الارتقاء بقدرات العالم ودفعه إلى الأمام، وفي هذا الصدد كتب ابن خلدون يقول: "الرحلة لابد منها في طلب العلم، ولقاء المشيخة مزيد من كمال في التعلم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل،

---

[1]- فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**. القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، 2002، ص ص: 17-21. تحسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**. الكويت، عالم المعرفة، ط1، 1989م، ص: 86.

[2]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تح: محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط4، 1964، ج: 1، ص: 9.

[3]- الشهرزوري أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، **علوم الحديث لابن صلاح**. تح وشر: نور الدين عتر، د.ط، د.ت.ن، ص : 246.

[4]- الشهرزوري، المصدر السابق، ص: 246.

تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[1].

على العموم، إن للرحلة العلمية فوائد عديدة تعكس أهميتها وتأثيرها في شخصية طالب العلم، وتظهر مدى ضرورة القيام بها، يمكن تحديدها كالآتي[2]:

أ. التمكن من الجوانب العلمية.
ب. نشر العلم الذي تحصل عليه العالم.
ت. اتساع الثقافة العامة.
ث. تنمية الفضائل وتكاملها في النفس.
ج. كسب صداقات جديدة تساهم في تعزيز القدرات.

ومن هنا، نجد أن الرحلة العلمية تعتبر شرط أساسيا في إظهار الرغبة في طلب العلم، فهي مسألة لابد منها، إذ كانت المعايير ومقاييس الرقي العلمي والفكري يعتمد على قدر ما يلتقي طالب العلم من علماء ومشايخ أثناء رحلاته، إذ كلما زاد عددهم يكون التحصيل العلمي أفضل وأكثر رسوخا، ويلخص ابن خلدون ذلك في مقدمته، بالقول: "إن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[3].

2. رحلاته العلمية:

حرص عالمنا مثل بقية علماء عصره على الاجتهاد في السفر من أجل طلب العلم والاستزادة من معارف وعلوم الآخرين، لاسيما وأنه حصل على ما يمكن تحصيله من العلوم والمعارف في مدينته تلمسان، وأخذت نفسه تتوق إلى المزيد من العلم، فامتدت خطواته العلمية الرصينة إلى أمصار العالم الأخرى في العالم الإسلامي، فتنقل ما بين مدن المغرب والمشرق الإسلاميين. ولقد اهتم ابن مرزوق الحفيد بالرحلة في طلب العلم، كما رحل أجداده ومن بينهم

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص ص: 744-745.
[2]- المصدر نفسه، ص: 745.
[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 509.

أبو عبد الله الخطيب ابن مرزوق[1] الذي رحل من تلمسان إلى قسنطينة حيث تعلم وعلم، ومنها إلى مختلف البلاد شرقا وغربا حيث وصف بالرحالة[2]، وخير دليل على أن الرحلة هدف أسمى في حياة العلماء وضرورة لا يمكن التنازل عنها، أن الكثير منهم وافته المنية وهو بعيد عن بلاده، مثلما حدث لابن مرزوق الخطيب الذي توفي في مصر ودفن بها[3].

لقد ساهمت الرحلة العلمية في تنوع ثقافة عالمنا وتعدد مشارب معارفه مثل علوم الحديث والفقه والبلاغة وغيرها من العلوم الأخرى، وهذا ما جعل أبا الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني يقول: "هو شيخنا الإمام العالم العلم جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم"[4]. ومن أجل فهم وتتبع أهمية الرحلة في حياة ابن مرزوق الحفيد لابد من تتبعها وبيان آثارها عليه، إذ زار خلال حياته العديد من الحواضر العلمية كفاس، قسنطينة، تونس، الإسكندرية، القاهرة والحجاز[5]، وهي:

أ- رحلاته إلى فاس:

لم تكن مدينة فاس مجرد حاضرة دولة، وإنما كانت مركز إشعاع علمي وحضاري ينافس بقية حواضر المغرب الاسلامي، لاسيما وأن المغرب الأقصى شهد نشاطا ثقافيا وعلميا في عهد المرينيين، حيث يعد هذا العهد عصرا ذهبيا لتطور كافة العلوم، ولا يمكن الحديث عن هذا النشاط دون ذكر جامع القرويين كمركز ثقافي عريق بالمغرب الإسلامي الذي نشطت فيه حركة التعليم واحتضن الكثير من العلماء الكبار. ونتيجة لذلك أصبح طلبة العلم يتوافدون على فاس من مختلف مدن المغرب الاسلامي والأندلس وحتى المشرق الإسلامي، وكانت نتيجة ذلك التطور العلمي بالمغرب الأقصى أن شد ابن مرزوق الحفيد الرحال إليها مرتين من أجل الاستفادة من علمائها.

---

[1]- عن رحلاته ينظر: ابن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، ص ص: 64-74 و ص ص: 301- 311.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، د وتح: حفيظة بلميهوب، ص: 292.

[3]- ابن القاضي، **درة الحجال**، ص: 270.

[4]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 423.

[5]- البلوي، المصدر السابق، ص: 292.

رحلته الأولى قبل سنة 780هـ/1378م: لا شك أن أولى رحلاته العملية ستكون لحاضرة فاس أولا وذلك بحكم قربها الجغرافي من الحاضرة تلمسان، وثانيا أن المتعارف عليه آنذاك عن العلوم الأولى التي تؤخذ في الصغر هي حفظ القرآن وعلوم القراءات ثم علوم اللغة والنحو وغالبية العلماء الفاسيين الذين أخذ عنهم هم أهل هذه العلوم، لذا وجبت الرحلة إليهم، وما يؤكد هذا أنه في أغلب حديثه عن شيوخه هؤلاء، يقول: "وبلغني عن بعض شيوخنا الفاسيين حفظهم الله أن...."[1] أي أنه أخذ عنهم مباشرة دون إجازة مكاتبة كما هو حاله مع غالب شيوخه الأندلسيين.

وفي حاضرة فاس اعتكف ابن مرزوق الحفيد بها ولقي علماء بارزين، من أمثال: أحمد بن الشماع المراكشي المتوفى سنة 779هـ/1377م بفاس، ومحمد بن حياتي الغافقي الغرناطي نزيل فاس (ت:781هـ/1379م) والذي قال عنه ابن هلال السجلماسي في فهرسته من أنه: "خاتمة النحاة بالمغرب"[2]، وعبد الله بن عمر الوانغيلي مفتي فاس المتوفى سنة 799هـ/1396م، وأبي زيد عبد الرحمن بن علي المكودي، الذي يعتبر واحدا من أبرز علماء النحو في عصره فضلا عن كونه لغويا وناظما وناثرا، كما التقى خلال رحلته أيضا بالحافظ محمد بن سعود الصنهاجي الفيلالي وغيرهم[3]. وعلى ما يبدو أن رحلة ابن مرزوق الحفيد هذه كانت ترتكز على الإلمام والاستزادة بعلوم اللغة العربية، والتي هي سلاح من يريد أن يتميز في مجالات العلم آنذاك. ثم كانت له رحلة ثانية إلى فاس سنة 803هـ/1400م.

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة**. الرباط، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، تحت رقم: ك 468، و: 82. الونشريسي، **المعيار**، ج: 1، ص: 37.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **شرح البردة**، تح: فلاق محمد، ص: 209. ابن هلال ابراهيم السجلماسي، المصدر السابق، ص: 101.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 204. يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة**، ج: 2، ص: 51.

ب- رحلاته إلى تونس:

كان من الطبيعي في ظل التطور الحضاري والعلمي الذي شهدته تونس، أن تكون مقصدا لطلبة العلم، لاسيما وأن جامع الزيتونة[1] شكل منارا علميا ومركز إشعاع فكري وحضاري ينافس نظيريه القرويين في فاس والأزهر في القاهرة، حيث كانت تعقد في رحابه وفي بقية مساجد تونس الأخرى، حلقات العلم من قبل علمائها المشهورين بالعلم والمعرفة، وفي خضم هذه الأجواء كان لزاما على ابن مرزوق الحفيد من السفر إليها للاستفادة والإفادة من كل ما هو جديد في الاتجاهين.

رحلته الأولى: لقد قام ابن مرزوق بأربع رحلات إلى تونس لطلب العلم، الأولى وهي التي التقى فيها بابن عرفة فلزمه وأخذ عنه وعن غيره من العلماء، فتلقى منهم علوم القرآن كالتفسير والفقه وأصوله كأبي العباس القصار وغيرهم من الشيوخ[2]، وفي رحلته هذه لابد وأنه قد مر بقسنطينة وأخذ بها عن ابن قنفذ القسنطيني ثم قصد تونس بعدها وأقام بها سنة كما هي العادة. ومن الأمور التي حدثت خلال رحلته إلى تونس وتدل دلالة واضحة على شهرته وانتشار أخباره خارج حدود مدينته هو حادثة لقائه بالشيخ ابن عرفة، إذ يذكر المقري[3] الحادثة بالقول: "ومن فوائده ما حكى في بعض فتاويه قال: حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمة الله تعالى أول مجلس حضرته فقرأ ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾[4] فجرى بيننا مذاكرات رائقة،

---

[1]- يعتبر جامع الزيتونة ثاني جامع أقيم في إفريقية بعد جامع القيروان الذي أسسه عقبة بن نافع، وتم انجازه سنة 116هـ/734م من قبل عبيد الله بن الحبحاب، وفي رحابه تأسست أول مدرسة فكرية بإفريقية أشاعت روحا علمية في المنطقة.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 204. يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م، ج: 2، ص: 51.

[3]- ترد هذه الحادثة في كتاب ابن غازي وأبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الملقب بالوزير، ولكنها تختلف قليلا عنها من حيث المضمون. للمقارنة ينظر: ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص ص:61-62. الوزير أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**. تونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1287هـ، ص ص: 329-330.

[4]- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾، سور الزخرف، الآية: 36.

وأبحاث حسنة فائقة، منها أنه قال: قرئ "يُعشو" بالرفع و"نقيض" بالجزم، ووجهها أبو حيان[1] بكلام ما فهمته وذكر أن في النسخة خللاً، وذكر بعض ذلك الكلام فاهتديت إلى تمامه فقلت: يا سيدي، معنى ما ذكره أن جزم "نقيض" بمن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظة لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة، فوافق -رحمه الله تعالى- وفرح كما أن الأنصاف كان طبعه- وعند ذلك أنكر علي جماعة من أهل المجلس وطالبوني بإثبات معاملة الموصول معاملة الشرط، فقلت: نصهم على دخول الفاء في خبر الموصول في نحو "الذي يأتيني فله درهم" من ذلك، فنازعوني في ذلك، وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل، فقلت: قال ابن مالك فيما يشبه المسألة: وقد يجزم متسبب عن صلة الذي تشبيها بجواب الشرط، وأنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر:

"كَذَاكَ الذِي يَبْغي عَلى النَاسِ ظَالماً تُصبهُ علَى رَغْمِ عَواقبِ مَا صَنَع".

فجاء الشاهد موافقا للحال"[2].

ويذكر ابن غازي المكناسي في مختصره بعض الحديث الذي دار بينهما بخصوص ما سلف، من أن ابن عرفة عرف أن محدثه هو ابن مرزوق الحفيد[3]، حيث كتب يقول: "فقال ابن عرفة: فأنت إذن أبو عبد الله بن مرزوق، قال: نعم، فرحب به"[4]. وهنا، نشير إلى تعليق عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه وهو يظهر مكانة ابن مرزوق الحفيد التي سبقته في كل مكان، حين يقول:

---

[1]- **أبو حيان** (ت:**745هـ/1344م**): هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، فيلسوف ومتصوف معتزلي، ذكره ياقوت الحموي بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء، ولد في شيراز وأقام في بغداد لفترة من الزمان ثم انتقل إلى الري، ورافق ابن العميد والصاحب بن عباد، فلم يحمد ولاءهما، ووشي به إلى الوزير المهلبي فطلبه فاستتر منه ومات في استتاره عن عمر 85 عاما، من مؤلفاته: المقابسات، الصداقة والصديق، البصائر والذخائر وغيرها. ينظر: الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج: 4، ص: 326.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 431.

[3]- تشير ماريا خيسوس بيغيرا في تعريفها لابن مرزوق الخطيب حين حققت كتابه "المسند" من أن ابن مرزوق تتلمذ على يد ابن عرفه. وهذا كلام غير دقيق لكون العلاقة التي قامت بينهما هي الصحبة والمرافقة وقد استفاد كليهما من بعض. ينظر: ابن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح**، ص: 55.

[4]- ابن غازي المكناسي، المصدر السابق، ص: 61.

"لكن العلم وشي به وشايته بابن مرزوق في مجلس ابن عرفة فسر به حين عرفة"[1]. ويذكر المقري في النفح من أن ابن عرفة قد قام بواجب الضيافة نحو ابن مرزوق، حين قال: "إن ابن عرفة اشتغل بضيافته لما انقضى المجلس"[2]. وعلى ما يبدو أن هذه الحادثة ربطت بين الاثنين علاقة صداقة ومرافقة امتدت لوقت طويل، كان من أبرز ملامحها قيامهما بالحج معا.

ومن خلال الإشارات التي وردت في كتب التراجم والتاريخ، نجد أن ابن مرزوق الحفيد كان دائم الحركة والتواصل مع مشايخ تونس، وخلالها يتبادل الآراء ويزيد في علمه ويعلمهم مما علم. ومن هذه الروايات ما أشار إليه ابن عرفة[3] عن محاورة على مائدة الطعام بين شيخنا ابن مرزوق الحفيد وقاضي الجماعة يعقوب بن أبي القاسم الزعبي[4]، وهذا نصها: "وقد ذكر لي عن الشيخين العالمين أبي عبد الله محمد بن مرزوق والشيخ قاضي الجماعة الزعبي –رحمهما الله تعالى– أنهما اجتمعا في وليمة، وسئلا عن رجل رأى مصحفا في نجاسة، وكان على غيره طهاره، فهل يجب عليه فورا أخذها ولابد من تيممه ؟، فقال القاضي المذكور: يجري ذلك على من انتبه في المسجد قد احتلم، فقيل: يجب عليه فورا الخروج وقيل يتيمم، فرد عليه الشيخ الآخر –الحفيد– بأن هذه الصورة أشد فيجب فورا اخلاصه من المفسدة، لأنه إن تركه اختيارا كان ردة، بخلاف بقائه جنبا في المسجد فإنه لا يعد ردة وهو ظاهر، والله سبحانه يرحم الجميع بمنه وفضله"[5].

رحلته الثانية 812هـ/1409م: وعاد بن مرزوق الحفيد في رحلة ثانية لتونس، وهي التي وردت في كتابه "نهاية الأمل في شرح الجمل"، فقد ذكر ناسخها: "بلغت القراءة على المؤلف رضي الله عنه وهو يمسك الأصل في أكثره وفي غيره، ونسخت من خط مؤلفها هذا بتونس المحروسة، وكان الفراغ منها في أواخر رمضان المعظم من عام اثني عشر وثمانمئة".

---

[1]– المهدي محمد سعد فارس، **إرهاصات لميلاد أمة**. القاهرة، دار نهضة مصر للنشر، ط1، 2012، ص: 16.

[2]– المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 432.

[3]– ويذكرها التنبكتي في كتابه **نيل الابتهاج**، ص: 622.

[4]– **يعقوب بن أبي القاسم الزعبي**: الإمام العلامة المحقق الفقيه القاضي من كبار أصحاب ابن عرفة، ولي قضاء القيروان ثم قضاء الجماعة بها أي بتونس بعد أبي مهدي الغبريني، وتوفي على قضائها، أخذ عنه أبو القاسم القسطيني وابن ناجي وأكثر النقل عنه في شرح المدونة وأبي زيد الغرياني والثعالبي وغيرهم. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص ص: 621-622.

[5]– الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، **شرح حدود ابن عرفة**، ق: 2، ص: 635.

رحلته الثالثة 823هـ/1420م: خلال هذه الرحلة عرَّضَ به أهل تونس حينما غيروا ما ينبغي شرحه في درسه أمام السلطان، وهي الحادثة التي ذكرها لنا المقري في نفحه والتي له تعكس مدى علو كعبه وسمو منزلته، وهذا نصها: "وحدثني عمي الإمام سيدي سعيد المقري –رحمه الله تعالى– أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية، طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان، فأجابهم الى ذلك، وعينوا له محل البدء، فطالع فيه، فلما حضروا، قرأ القارئ غير ذلك، وهو قوله تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ﴾[1]، وأرادوا بذلك إفحام الشيخ والتعريض به، فوجم هنيهة، ثم تفجر بينابيع العلم إلى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال المحمودة، وساقها أحسن مساق، وأنشد عليها الشواهد، وجلب الحكايات، حتى عَدَّ من ذلك جملة، ثم قال في آخرها: فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله، غير أن فيه واحدة ذميمة وهي إنكاره الضيف، ثم افترق المجلس، وأخبرني أنه أطال في ذلك المجلس من الصبح إلى قرب الظهر"[2].

من خلال هذا النص نستنتج أن ابن مرزوق الحفيد كان له من القدرة والعلم على الرد والإجابة مهما كانت طبيعة السؤال أو الموضوع، فضلا عن قدرته في استرجاع معارفه وعلومه حينما يكون ذلك ضروريا وهذا ما يذكرنا في ما ذكرنا من فوائد الرحلة.

رحلته الرابعة 833هـ/1429م: ذكرها تلميذه الثعالبي في تفسيره: "ولما فرغت من تحرير هذا المختصر، وافق قدوم شيخنا أبي عبد الله محمد بن مرزوق علينا في سفرة سافرها من تلمسان، متوجها إلى تونس...فأوقفته على هذا الكتاب فنظر فيه وأمعن النظر، فسر به سرورا كثيرا ودعا لنا بخير والله الموفق بفضله"[3]. أي أن ابن مرزوق الحفيد مر بالجزائر قاصدا تونس في رحلة علمية في النصف الثاني من سنة 833هـ/1429م لأن الثعالبي فرغ من كتابه في 15 ربيع الأول من نفس السنة، وفي طريق عودته إلى تلمسان مكث بقسنطينة أواخر سنة 833هـ/1429م إلى سنة 834هـ/1430م وبقي فيها مدة ستة أشهر حسبما ذكره السخاوي[4].

---

[1]– قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، سورة الأعراف، الآية: 176.

[2]– المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 433.

[3]– الثعالبي عبد الرحمن، **تفسير الجواهر الحسان**، ص: 119.

[4]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50.

ت- رحلاته للمشرق الإسلامي:

بعد سفره إلى كل من تونس وفاس عاد ابن مرزوق الحفيد إلى موطنه تلمسان بعدما اكتسب علوماً عديدة وخبره وتجربة إضافية في مجالي الكتابة والتدريس، ولكن يبقى إحساس طالب العلم المغاربي وديدنه متيقظا للذهاب إلى المشرق الإسلامي، فهو يعطيه الأهلية والمصداقية والمكانة التي يسعى إليها. وعلى ما يبدو أن رغبة الرحلة في طلب العلم إلى المشرق كانت تشتد في رأس عالمنا، سعيا منه إلى استكمال الصورة العلمية التي يسعى إليها كل عالم مجتهد وحريص على أن يتطور، وكيف لا يكون هذا مطمحه مثله مثل غيره من العلماء، فهو العالم الفقيه في الكتاب والسنة التي تحث المسلمين على السفر في طلب العلم ونشره وتبرز مكانة العالم عند الله عز وجل، وفي هذا قوله تعالى عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

بعد كل هذا،كانت مسألة الرحلة نحو بلاد المشرق الإسلامي قائمة في ذهن ابن مرزوق الحفيد، وتشير المصادر التاريخية وعلى قلتها -وهذا ما عانيناه في سيرته- إلى أنه قام برحلتين إلى المشرق وكلاهما كانتا بنية الحج وطلب العلم، أولاهما: كانت في أواخر القرن الثامن الهجري (14م) وتحديدا في الفترة ما بين 790-793هـ/1388-1390م[2]، أين خرج مع ابن عرفة للحج وعاد بعدها ابن عرفة لتونس ومكث ابن مرزوق الحفيد بمصر أين أخذ عن علمائها أمثال البُلقيني وابن الملقن الذي أخذ عنه بالقاهرة في رمضان 793هـ/1390م، وابن العراقي والنور النويري وغيرهم ومثلما هو معتاد في حال الذهاب إلى المشرق برا أولوية المرور بتونس، وهذا ما تحقق في رحلته، حينما زار تونس، وهناك التقى العالم ابن عرفة الورغمي وقامت بينهما صحبة ورفقة علمية، أثمرت عن قرار السفر إلى الحج معا[3]، وهذا حسبما أرى كان تكريما من ابن عرفة لابن مرزوق واعترافا بمكانته التي تدفع شيخا عالما تتهافت إليه العقول من مجالسته وليس فقط لمرافقته في السفر.

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 18.

[2]- أشار البلوي إلى أن ابن مرزوق الحفيد كان موجودا في مصر في صيف عام 793هـ/1391م يلتقي بالمشايخ ويستجيزهم. ينظر: المصدر السابق، ص: 286.

[3] - المصدر نفسه، ص: 292.

وخلال الرحلة كان المرور على مصر أمر لابد منه، وبها التقى ابن مرزوق الحفيد علماء أفذاذ في مجالاتهم، من أمثال: ابن خلدون، شمس الدين الغماري، ابن صديق، مجد الدين الفيروز آبادي، محب الدين بن هشام وغيرهم[1]، وكان لهذه اللقاءات أثر كبير في تنامي قدراته وإمكانياته. وعند الوصول إلى مكة المكرمة رفقة شيخه الإمام ابن عرفة، لقيه هناك عدد من العلماء والشيوخ الأجلاء، من أمثال: بهاء الدين الدماميني ونور الدين العقلي، كما لازم المحب ابن هشام ودرس على يديه أصول اللغة العربية وآدابها، كما روى صحيح البخاري على الشيخ ابن الصديق ثم عاد إلى وطنه ليتولى مهمة الإقراء والتدريس بتلمسان[2].

أما ثاني رحلاته إلى المشرق فكانت سنة 819هـ/1416م، إذ قرر ابن مرزوق الحفيد العودة إلى بلاد المشرق الإسلامي مرة أخرى لأداء فريضة الحج[3]، وحسبما أرى فإن هذه الزيارة لم تكن مثل سابقتها، نتيجة التطور والتراكمية العلمية التي شهدتها شخصية ابن مرزوق العلمية والنضوج الفكري، ففي هذه الرحلة لم يكن عالمنا متلقيا فقط وإنما كان العالم المغاربي الذي أبهر من التقى بهم، وهذا خلال مروره بالقاهرة في طريقه للحجاز، أين التقى بثلة من العلماء واستجازهم كلهم من بينهم قرينه ابن حجر العسقلاني، فقد أثارت شخصية ابن مرزوق العلمية وتفوقه اهتمام ابن حجر، والذي وثّق ذلك في كتابه الدرر الكامنة، حين قال: "وقدم علينا حفيده محمد بن أحمد بن أبي عبد الله مرزوق القاهرة وحج بعد العشرين، وكان قد وقع لي شرح الشفاء بخط جده فأتحفته به وسر به سرورا كثيرا، ونعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والوقار والمعرفة والأدب التام، ورجع إلى بلاده بعد أن حدّث وشغل وظهرت فضائله حفظه الله تعالى"[4].

وفي مكة المكرمة التقى علماء كثر، وبها حصل على إجازات من علماء أندلسيين أمثال: محمد بن الجوزي، أبو القاسم بن الخشاب، ابن عبد الله محمد القيجاطي، المحدث بن علي والحافظ ابن علاق[5]، وأشار ابن حجر العسقلاني[1] إلى أن ابن مرزوق الحفيد بعد عودته من

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 292. يحي بوعزيز، **الجزائر المحروسة**، ج: 2، ص: 52. حركات ابراهيم، المرجع السابق، ج: 2، ص: 358.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 293.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، ص: 293.

[4]- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج: 3، ص: 362.

[5]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، تح: مجاهدي صباح، ص: 28.

الحجاز لم يطل البقاء في القاهرة[2]. ولم نجد ما يشير إلى عكس هذا في رحلة ابن مرزوق الأخيرة، ويبدو أن عودته السريعة إلى تلمسان كانت نتيجة إكتفاءه العلمي الذي حققه هناك، وبعد عودته حمل معه تراثا علميا ضخما كان خلاصة تنقلاته ورحلاته واحتكاكه بغيره من علماء عصره، وبهذا غدا بحرا في مختلف العلوم واشتهر ذكره في البلاد فصار يدعى بـ"شيخ الإسلام وعالم الدنيا".

ونتيجة الرحلات العلمية التي قام بها في مختلف الاتجاهات شرقا وغربا، خرج برصيد كبير من المعارف الإسلامية التي تلقاها بمناهج مختلفة عن شيوخ من شتى الانتماءات، ومن الطبيعي جدا أن تترك الرحلة العلمية آثارها الايجابية على شخصيته العلمية والذاتية، حيث استفاد من تواصله مع العلماء بشكل مباشر مستفيدا من تجاربهم العلمية ويفيدهم هو الآخر من تجربته المتنامية. وفي هذا الصدد كتب إبراهيم حركات معلقا على هذه المسألة بالقول: "وخرج ابن مرزوق الحفيد من رحلته العلمية برصيد كبير من المعارف الإسلامية التي تلقاها بطرق مختلفة عن شيوخ من شتى الانتماءات الجغرافية والعلمية، فكان بذلك فقهيا أصوليا محدثا مفسرا لغويا نحويا قارئا، بل كان على اطلاع بالمذاهب الأربعة التي قام بتدريسها في تلمسان"[3].

من خلال ما تقدم رحلات ابن مرزوق الحفيد، نجدها تنقسم إلى مرحلتين، إن صح التقسيم، الأولى تمثلت في مرحلة التكوين وبناء الشخصية العلمية، أعني هنا الرحلات الأولى في حياته، إذ كان عمره لم يتجاوز الثلاثين سنة، فكان بهمة الشباب وفورة الرغبة في الحصول على كل ما هو جديد، فلم يتقاعس عن الانتقال والسفر إلى أي مكان، إذا ما سمع بوجود عالم متميز في مجال من مجالات العلوم، ونتيجة ذلك تمكن من امتلاك ناصية العلوم، ودليل ذلك كم الإجازات التي تحصل عليها خلال تلك الرحلات.

وبعد سنوات من العمل والاجتهاد والكتابة والتدريس، وما حققه من شهرة في مدينته تلمسان خاصة والمغرب الإسلامي عامة، كان لزاما عليه أن يتحرك من جديد في طلب العلم،

---

[1]- من خلال ما ورد في كتابي الدرر الكامنة والمجمع المؤسس من أن ابن مرزوق الحفيد والعسقلاني التقيا مرتين في القاهرة، الأولى قبل رحلة الحجاز والثانية بعد عودته. ينظر: ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج: 3، ص 362. **المجمع المؤسس**، مج: 3، ص: 264.

[2]- المصدر نفسه، مج: 3، ص: 264.

[3]- حركات ابراهيم ، المرجع السابق، ج: 2، ص: 358.

ولكن هذه المرة اختلفت عن سابقتها، فهو لم يعد ذلك الفتى الذي يسعى للاستزادة فحسب، وإنما جاء لكي يعرض من سلعه التي جادت بها قريحته العلمية في السنوات السابقة، فهو وبما عرف عنه من تواضع أفاد واستفاد، فكانت هذه المرحلة من الرحلة في حياته ذات شقين التأثير والتأثر، ونتيجة لذلك تمكن من المحافظة على أدائية التميز والنجاح، وأن يكون في مصاف العلماء الكبار الذين حفظوا الدين والعلم وأفادوا الأمة.

المبحث الثاني: شيوخه

من خلال دراسة سيرة الشخصيات العلمية نجد حتمية خضوعها لثنائية لا يمكن انعدام إحداهما، وهي: التأثر والتأثير، بمعنى أن الشخصية العلمية مثلما هي تأثرت بمن سبقها، لابد وأن تؤثر بمن يعاصرها ويأتي من بعدها. وبناءا عليه، نعتقد من أن شيخنا ابن مرزوق الحفيد قد خضع لهذه الثنائية في حياته، فهو مثلما تأثر بغيره ممن سبقوه في الميدان العلمي، وسعى للاستفادة منهم، كان من الطبيعي، وهو الذي تميز وعلا نجمه، أن يؤثر بمن عاصرهم ومن جاؤوا من بعده.

على العموم، سنركز في هذا المبحث على تتبع بعض من شيوخه وهم كثر، وسنذكرهم حسب المناطق التي قصدها، ونشير إلى أوجه الاستفادة منهم والمكان الذي التقى بهم فيه. كما سنتطرق إلى البعض من الكم الكبير من طلبته الذين درسوا عنده، ومن خلال أسمائهم سنجد أن ابن مرزوق الحفيد قد زرع أشجارا أثمرت بعلمها ودورها في استكمال مسيرة الرقي والتطور.

لقد تتلمذ عالمنا على يد نخبة من مشايخ وعلماء عصره وأقرانه على حد سواء، فأخذ عنهم، وهو ما ذكروه في مؤلفاته وكل من ترجم له، إذ تنقل في حواضر الإسلام العديدة في مشرقه ومغربه، فأخذ عن علماء تلمسان وتونس وفاس ومصر ومكة وبها أجازه علماء الأندلس، فكان زاده العلمي متعدد المناهل لذا تنوعت ثقافته وتفرعت على معارف عديدة مثل علوم الدين وعلوم العربية والمنطق وغيرها.

أولاً: شيوخه في تلمسان

من الطبيعي أن يكون لعلماء تلمسان المدينة التي نشأ فيها وتقيم بها عائلته، دور في بناء شخصيته العلمية، وهذا البناء الفكري والعلمي لابن مرزوق لم يكن بالصورة التقليدية، إن صح التعبير، حيث يذهب الطفل إلى حيث ينشد غاية طلب العلم ممن يملكه، وإنما على العكس، كان للأسرة الدور الأكبر في بلوغ ابن مرزوق حالة النبوغ والتفوق بشكل أسرع مما كان عليه لو كان خارج هذه الأسرة، ومن هنا كان لمتانة الأسس العائلية أثرها في شخصه وتكوينه.

1. شيوخه من الأسرة المرزوقية:

عرفت الأسرة المرزوقية على أنها أسرة علم وفكر، إذ تفرغ أفرادها لمهامهم ذات العلاقة الوطيدة بالعلم والفكر والثقافة من الإمامة والخطابة إلى التعليم والتدريس وصولا إلى التصنيف[1]. وهذه التلازمية بين أفراد الأسرة المرزوقية وكل ما هو على علاقة بالعلوم والمعارف ساهم في تهيئة الأجواء المثلى لابن مرزوق الحفيد في أن يبرز ويتميز منذ الصغر. وقد أشار ابن مرزوق الحفيد في مقدمة كتابة[2] إظهار صدق المودة في شرح البردة[3]، إلى تلقينه بعض المعارف من جده: ابن مرزوق الخطيب، كما ذكر ابن غازي في فهرسته الكثير من الإشارات التي تدل على تتلمذ ابن مرزوق الحفيد على يد جده الخطيب[4]. وأشار ابن هلال السجلماسي في فهرسته الى كون ابن مرزوق الخطيب يعتبر في مقدمة شيوخ عالمنا، وكتب يقول: "فإنه يروي عنه بالإجازة مروياته ومصنفاته"[5].

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن ابن مرزوق الحفيد كان يبلغ من العمر خمس عشرة (15) سنة فقط عند وفاة جده الخطيب، ومنحه إياه تلك الإجازة وهو في مثل هذا العمر لدليل واضح على نبوغه وعلو كعبه، لكون المجاملة والمحاباة في ذلك العصر لا يمكنها أن تنال من العلم وطلبته آنذاك، ومن جملة ما أخذ عن جده نذكر: كتاب "العمدة" للإمام عبد الغني المقدسي وكتاب "صحيح البخاري" وغيرهما من المصنفات والمرويات. كما ساهم في صقل قدرات ابن مرزوق الحفيد من داخل البيت المرزوقي كل من أبيه أبو العباس أحمد بن مرزوق، وعمه أبو الطاهر محمد بن مرزوق[6]، ومن جملة ما لقناه من مصنفات كتاب "صحيح البخاري"، وعلى ما يبدو أن الأولوية التي أرادتها الأسرة لابنها كانت تستند في جوهرها على ضرورة ضبط الأمور التي تتعلق بعلم الحديث وكل ما يتربط به، بقصد المحافظة على السياق العام للأسرة في مجال المحافظة على المكانة التي تحظى بها بخصوص الجانب الروحي، وتاريخ الأسرة الذي يمتد لمئات السنين. ولابد من

---

[1]- بن داود نصر الدين، **الحياة الفكرية والعلمية بتلمسان**، ص: 123.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**، تق وتح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 50.

[3]- سنقوم بدراسته في الفصل السادس.

[4]- ابن مرزوق الكفيف، المصدر السابق، و: 9. ابن غازي، المصدر السابق، ص: 177.

[5]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 39،41، 192.

[6]- ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، ص: 50.

الإشارة هنا، إلى أن هذه الظاهرة كانت موجودة في عموم البيوتات العلمية في تلمسان، إذ نجد استمرارية أخذ الخلف عن السلف داخل الأسرة الواحدة، ويتجلى هذا التواصل في أسرة المرازقة إذ مثلما أخذ الحفيد عن جده وأبيه وعمه أخذ عنه ولده الكفيف[1].

2. أبو الحسن محمد الغُماري (ت:802هـ/1399م):

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الغماري النحوي التلمساني، ولد في تلمسان في يوم الأحد من ذي العقدة سنة 720هـ/1320م، وفيها تعلم العربية والقراءات عن أبي حيان وقرأ عليه السبع وسمع منه قصيدته "عقد اللآلئ"، كما أخذ عن عدد من المشايخ، من أبرزهم: الشيخ خليل الذي روى عنه، عفيف الدين اليافعي في مكة وابن البوري في الإسكندرية. وكان الشيخ الغماري عارفا باللغة وبارعا فيها، كثير الحفظ للشعر لاسيما الشواهد منه، كما اشتهر بالنحو فكان من أبرز نحاة القرن الثامن الهجري (14م)، واستقر في القاهرة وتوفي بها في شعبان سنة 802هـ/1399م[2]. أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد في تلمسان، وأفاده كثيرا في علوم اللغة العربية، فضلا عن علم القراءات[3]، وحينما استقر الغماري في القاهرة التقى به بابن مرزوق الحفيد مرة أخرى وأخذ عنه بعض العلوم، ومن بين ما أجازه قصيدة البردة نحواً وقراءة[4].

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 28.

[2]- يذكر ابن مخلوف من أن تاريخ وفاته كان في سنة 791هـ/ 1388م في مدينة فاس. ينظر: ص: 316.

[3]- ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 3، ص ص: 244-246. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 209 . ابن الجزري شمس الدين أبو الخير الدمشقي الشافعي، **غاية النهاية في طبقات القراء**. تح: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ج: 2، ص ص: 214-215.

[4]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 42.

إجازة القراءة: تعرف أيضا بالإجازة بالإقراء، وقد يكتب الأستاذ المجيزُ للطالب ما يُفيدُ بأنه أتم عليه قراءة الكتاب المعيَّنِ أو الكتب المعيّنةِ، مثلما ما كتبه السخاوي لأحد تلامذته: "الحمد لله، كتاب الضوء اللامع قرأه عليّ كاتبه عبد العزيز...وأجزتُ له روايته عني مع سائر مروياتي ومؤلفاتي، قاله ومتبه مؤلفه". كما أن بعض الشيوخ يأذن للطالب بتدريس الكتاب المقروء "أتم فلان هذا الكتاب، وأجزتُ له تدريسه". ينظر: لزغم فوزية، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)**، الجزائر، دار سنجاق الدين للكتاب، ط1، 2010م، ص: 35.

3. أبو محمد عبد الله الشريف التلمساني (ت:792هـ/1389م):

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي الشريف الحسني التلمساني، وقال فيه ابن مريم في بستانه: "الإمام العلامة المحقق الحافظ الجليل المتفنن ابن الإمام العلامة الحجة النظار الأعلم أبي عبد الله الشريف إمام وقته بلا مدافع"[1]، وكتب عنه مخلوف في شجرة النور قائلا: "الإمام العلامة الفقيه المحقق المتفنن الحافظ الفهامة"[2].

نشأ في بيت علم في عفة وصيانة ووجاهة وديانة، ولد سنة 748هـ/1347م، وأخذ العلم عن مجموعة من المشايخ يأتي في مقدمتهم: والده العالم أبو عبد الله محمد الشريف، ابن مرزوق الخطيب، أبو عمران العبدوسي، أبو العباس القباب، أبو العباس الشماع وابن الامام وغيرهم كثر. وعرف عنه تميزه في علمي الفقه والقراءات، وأخذ العلم عنه عدد كبير من الطلبة، منهم: أحمد بن موسى البجائي، أبو بكر عاصم وابن مرزوق الحفيد[3]، والذي وصفه بالقول: "شيخنا الإمام العلامة"[4]، وأشار إلى مقدرته على الإقناع والإجابة الدقيقة حين قال: "ومثل هذا كانت أجوبته رحمه الله تعالى عن المسائل على البديهة"، وتوفي غرقا[5].

4. أبو يحي عبد الرحمن الشريف التلمساني (ت:826هـ/1422م):

هو أبو يحي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، وصفه ابن مريم، قائلا: "الشريف الإمام العلامة المحقق الأعرف ابن الإمام العلامة المحقق أبي عبد الله الشريف، كان رحمه الله آية من آيات الله في القيام بتحقيق العلوم والإتقان لها ومعرفتها"[6]. كما وصفه الونشريسي في المعيار من أنه: "سيد الشرفاء وشريف العلماء"[7]، وقال فيه التنبكتي في الكفاية الكفاية من أنه: "آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ابن الأئمة العلماء"[8].

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 117.

[2]- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص: 311.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص:117-120. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج:1، ص ص: 245-247.

[4]- التنبكتي، المصدر السابق ج: 1، ص: 245.

[5]- الونشريسي، **المعيار**، ج: 8، ص: 541. التنبكتي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 274.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 127.

[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ج:7، ص: 321.

[8]- التنبكتي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 272.

ولد في 19 رمضان سنة 757هـ/ 1356م في ليلة مولد أبي يحي، بات مع أبيه المؤرخ أبو زيد ابن خلدون والقاضي الفقيه أبو يحي السكاك، فطلب كل منهما أن يسميه باسمه فسماه عبد الرحمن وكناه أبا يحي[1]. تفقَّه على يد أبيه وقرأ عليه الموطأ والتقصي تفقها، وكتابي ابن الحاجب الأصلي ومثارات الغلط، وبعد وفاة أبيه اجتهد على أخيه أبي محمد عبد الله، كما أخذ عن أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني وابن حياتي وأبي القاسم بن رضوان وغيرهم، وتميز في علوم التفسير، النحو، المنطق وغيرها من العلوم. كما له إملاء بديع على سورة الفتح، وفتاوى في المعيار وفي نوازل مازونة. وتتلمذ على يديه جماعة من الطلبة، منهم: ابن مرزوق الحفيد، أبو العباس بن زاغو وأبو عبد الله المجاري[2].

5. أبو عثمان سعيد العقباني (ت:811هـ/1408م):

أبو عمرو سعيد بن محمد بن محمد التجيبي العقباني التلمساني، وعرفت الأسرة العقبانية بمكانتها العلمية والدينية في مدينة تلمسان خاصة والمغرب الاسلامي عامة، وصفه ابن هلال السجلماسي بأنه: "الشيخ الفقيه العلامة الأوحد الحجة، المبرز في المعقول والمنقول"[3]، وعرفه ابن ابن القاضي في درة الحجال على أنه: "كان إماما فاضلا"[4].

أخذ عن أبي زيد السطي وابني الإمام وبهما تفقه، وأخذ الأصول عن أبي عبد الله الآبلي. ولي القضاء في كل من: بجاية وتلمسان وسلا ومراكش أكثر من أربعين سنة. ومن تآليفه نذكر: شرح فرائض العوفي، شرح جمل الخونجي في المنطق[5]، شرح تلخيص ابن البناء، شرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة[6]. وأشار ابن القاضي إلى شرحه لسورة الفتح، بالقول: "وشرح سورة الفتح أتى فيها بالعجاب"[7].

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 272.

[2]- المجاري، المصدر السابق، ص ص: 134-135. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 127-129. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 1، ص ص: 272-273.

[3]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 39.

[4]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص: 431.

[5]- كان لهذا الكتاب تأثير واضح على عالمنا وهو الذي شكل دافعا هاما له من أجل شرح الكتاب ينظر الفصل الخامس.

[6]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص:431.

[7]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 39. ابن القاضي، المصدر السابق، ص: 431.

ثانيا: شيوخه في تونس

شكلت تونس واحدة من المحطات العلمية التي ارتحل إليها ابن مرزوق الحفيد ليستزيد من العلوم بها ويتلقى المعارف ويلقنها بدوره لغيره أيضا، في إطار ثنائية التأثير والتأثر. وهناك الكثير من الدلائل التي تؤكد على المكانة التي عرف بها في تونس، والسمعة التي حاز عليها بين أقرانه من العلماء وطلبة العلم، واستطاع من خلال وجوده في تونس من كسب ود كبار علمائها لما كان يحوز عليه من إمكانيات وقدرات علمية، ومن بين هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم واستمع إلى مصنفاتهم، نذكر:

1. أبو العباس أحمد بن القصار (كان حيا بعد 790هـ/1388م):

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي، والذي اشتهر بـ"ابن القصار"، وهو الإمام النحوي المتفنن المفسر، ذو الكرامات الكثيرة والتصانيف الشهيرة، عاصر ابن عرفة الورغمي، ومن مؤلفاته: شرح البردة للبوصيري، حاشية للكشاف في التفسير للزمخشري، شرح شواهد المقرب. وقد صرح الحفيد بالأخذ عنه في شرحه على البردة، ووصفه بالقول: "الشيخ الفقيه الإمام الأستاذ النحوي اللغوي الأعرف الحافظ المتقن الرواية الصالح العارف"[1].

2. أبو عبد الله بن عرفة الورغمي (ت:803هـ/1400م):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها، ووصفه ابن حجر العسقلاني، قائلا: "أبو عبد الله شيخ الإسلام بالمغرب"[2]. ولد سنة 710هـ/1310م، تبحر بالعلوم وفاق في الأصلين والكلام، وتقدم في الفقه والنحو والتفسير، وبرع في الأصول والفروع والعربية والمنطق والمعاني والحساب والفرائض. قرأ على مجموعة من علماء عصره، منهم: محمد بن محمد بن سلامة محمد بن عبد السلام الهواري وأبوه

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، د وتح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 53. بن طرهوني محمد بن رزق، **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**. دار ابن حزم، الدمام، ط1، 1426هـ، ج: 1، ص: 185.

[2]- ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأنباء العمر**. تح وتع: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1972، ج: 2، ص: 192.

أبو عبد الله بن الوادي آشي وابن سلمة وغيرهم، ومن مؤلفاته: المبسوط في المذهب، المختصر الفقهي الكبير[1].

بدأت علاقة ابن مرزوق الحفيد مع ابن عرفة حينما حضر مجلس ابن عرفة لأول مرة، فجرت بينهما مناقشة علمية، وبعد إنتهائهما منها، ارتبط الإثنان بعلاقة وثيقة عادت عليما بالفائدة، وإن كان ابن مرزوق الحفيد هو الرابح الأكبر نظرا لمكانة ابن عرفة العلمية[2]. ومن أهم ما أجازه لابن مرزوق الحفيد كتاب "صحيح البخاري"، كما قال ابن هلال: "وأخبره به أيضا شيخه الإمام أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله إجازة عن الحجار إجازة له منه مسندة"[3].

3. ابن قنفذ القسنطيني (ت:810هـ/1407م):

هو أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن ميمون بن الخطيب القسنطيني الشهير بـ"ابن قنفذ"، لا يوجد تاريخ دقيق لولادته ولكن التنبكتي أشار أنها كانت في سنة 740هـ/1339م في مدينة قسنطينة، وهو ينتمي إلى أسرة علمية كبيرة ومشهورة. أخذ علمه عن مجموعة كبيرة من العلماء والمشايخ في أكثر من حاضرة إسلامية، من بينهم: ابن مرزوق الخطيب، القباب، ابن عرفة، حسن بن باديس، أحمد بن عاشر وأبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الغرناطي وغيرهم، ومن أشهر مؤلفاته: الوفيات، شرف الطالب في أسنى المطالب، شرح قصيدة ابن فرح في اصطلاح الحديث، أنوار السعادة، أنس الفقير في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه وطبقته. وقد لقيه ابن مرزوق الحفيد في مدينة فاس فأخذ عنه ما استطاع هناك[4].

---

[1]- ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، ج :2، ص: 192. ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج: 2، ص: 214. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 463-471. مخلوف، المصدر السابق، ص: 302 -303.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 431. ابن غازي، المصدر السابق، ص:61. الوزير، المصدر السابق، ص ص: 329-330.

[3]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 55.

[4]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 4، ص: 48. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 1، ص ص: 73- 74.

4. أبو القاسم البرزلي (ت:844هـ/1440م):

هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني التونسي، الشهير بـ"البرزلي"، نزيل تونس ومفتيها وفقيهها وحافظ مذهب مالك، بحاث نظار في الفقه، وكان إمام الجامع الأعظم، قال عنه مخلوف في كتابه: "شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ وأستاذ الأساتذة وقدوة الجهابذة الفقيه الحافظ للمذهب النظار المعمر ملحق الصغار بالكبار"[1]. أخذ عن شيوخ عدة، منهم: ابن مرزوق الخطيب، ابن عرفة ولازمه نحو أربعين سنة، أبو الحسن البطرني، ماضي بن سلطان وأحمد بن مسعود البلنسي وغيرهم من المشايخ. تميز في الفقه، التحقيق، القراءات، الحديث والفتوى. وله عدد من المؤلفات، منها: الحاوي في النوازل، وديوان كبير في الفقه. أخذ عنه العديد من الطلبة، منهم: ابن ناجي، الرصاع، ابن حجر العسقلاني وابن مرزوق الحفيد الذي أجازه إجازة عامة[2].

ثالثا: شيوخه في فاس:

لا يمكن لأي من علماء العصر الوسيط في المغرب الإسلامي أن يدعي علما ومكانه من دون أن تكون له رحلة إلى الحاضرة فاس، هذه الحاضرة التي ساهمت في ارتقاء الفكر والحضارة الإسلامية بشكل كبير، وكانت مقرا لكبار العلماء والمشايخ. ومن هنا كانت مسألة الرحلة إليها شرط من شروط التفوق والنجاح في المجال العلمي[3]. لذا لم يتردد ابن مرزوق الحفيد أبدا في

---

[1]- مخلوف، المرجع السابق، ص: 324.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 150-152. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 2، ص: . مخلوف، المرجع السابق، ص: 324. السخاوي، المصدر السابق، ج: 11، ص: 156. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 258-259.

الإجازة العامة: وهي الإجازة لمعين في غير مُعيَّن، وهي أن يُجيز لِمُعين على العموم والإبهام، أي دون تخصيص ولا تعيين لكتب وأحاديث، كأن يقول المجيز: أجزتُ لك أو لكم جميع مسموعاتي أو جميع مروياتي أو غير ذلك. وهي أكثر الإجازات شيوعا،لأن المجيز في الغالب لا يكتب الإجازة للطالب إلا عندما ينهي الدراسة عليه، ويعزم على السفر إن كان من بلد آخر، فتشمل جميع العلوم التي قرأها الطالب فعلا، والتي لم يقرأها تأكيدا لثقة في تحصيله ودفعا به للخوض في العلوم. ينظر: لزغم فوزية، **الإجازات العلمية**، ص ص: 26-27.

[3]- يشير عبد الواحد المراكشي إلى أهمية مدينة فاس ومكانتها العلمية بالقول: "ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا،ا وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، كما كانت القيروان حاضرة الغرب...ورحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة". وهكذا نجد أن المكانة العلمية لمدينة فاس

الرحلة إليها للاتصال بعلمائها والاستفادة من تجاربهم في العلوم التي أراد تطوير قدراته من خلالها، ومن بين العلماء الذين التقى بهم هناك، نذكر:

1. أبو إسحاق[1] اليزناسني (ت:794هـ/1391م):

أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زيد بن أبي الخير اليزناسني، كتب الكتاني في سلوته قائلا: "الفقيه القدوة الأوحد الأعدل الأنزه، الإمام الحافظ، قاضي الجماعة بمدينة فاس"[2]. كان فقيها نظارا، ولي القضاء بمدينة فاس مدة في عهد السلطان أحمد بن أبي سالم، وأخذ عن الكثير من علماء عصره، وله فتاوى كثيرة ناظر فيها وحقق، ونقل الونشريسي جملة منها في المعيار، ووصفه بالقول: "السيد الفقيه المفتي، المدرس العالم المحقق، العلامة الصدر، العلم الشهير، قاضي الجماعة بفاس"[3]، أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد وأثنى عليه كثيرا، وذكره بالقول: "من مفاخر القطر الذي حل به"[4].

2. أبو زيد المكودي (ت:807هـ/1404م):

هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي، وهو "من بيت بني المكودي المشهور في مدينة فاس، وهو بيت علم وكتابة" حسب قول ابن القاضي في درة الحجال[5]. وقد كان أستاذ نحويا ولغويا، ناظما ناثرا، وكتب الكتاني في "سلوة الأنفاس"، يقول: "كان إماما بارعا في العلوم كلها، عالما عاملا ورعا، زاهداً صالحا، أحد الأعلام الأسانيذ والنحاة بفاس"[6]. له

كانت كبيرة وتفرض على من يريد أن يكون ملما بالعلوم والمعارف زيارتها. ينظر: المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. تح: محمد سعيد العريان، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2012م، ص: 443.

[1]- أشار الونشريسي إلى أن كنيته "أبو سالم" في حين أشار الكتاني إلى أنها "أبو إسحاق". ينظر: الونشريسي، **الوفيات**، ص: 71. الكتاني الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس**. تح وتد: حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط2، 2014م، مج: 3، ص: 396.

[2]- المصدر نفسه، مج: 3 ، 396.

[3]- الونشريسي، **الوفيات**، ص ص: 70-71.

[4]- الكتاني، المرجع السابق، مج: 3، ص: 396.

[5]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 333.

[6]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مج: 1، ص: 257.

مؤلفات عديدة، منها: شرح ألفية ابن مالك وشرح المقدمة الآجرومية. أخذ عن مشايخ عدة، منهم: عبد الله الوانغلي، وأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد في مدينة فاس، وأثنى على خلقه وعلمه[1].

3. أبو إسحاق المصمودي (ت:805هـ/1402م):

العلامة المحقق الدارس الزاهد الولي العابد أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد المصمودي التلمساني، ولد في مدينة مكناسة، وطلب العلم بفاس، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم: الآبلي، موسى العبدوسي، أبو عبد الله الشريف التلمساني والقاضي سعيد العقباني وغيرهم[2]. وتوفي المصمودي سنة 805هـ/1402م ودفن في المدرسة اليعقوبية في تلمسان[3]. وصرح ابن مرزوق الحفيد بالأخذ عنه، ووصفه بالقول: "ومن شيوخي الذين انتفعت بهم الإمام العالم العلامة المحقق المدرس رئيس الصالحين والزاهدين في وقته، ذو الكرامات المأثورة والديانة المشهورة الولي بإجماع، المجاب الدعوة إبراهيم المصمودي"[4].

رابعا: شيوخه في مصر:

لقد ساهم موقع مصر في وسط طريق الحج بالنسبة لأهل المغرب الإسلامي، من أن تكون محطة هامة يتوقف العلماء والمشايخ فيها أثناء رحلة الحج، وذلك للاتصال والتواصل مع علمائها ومشايخها، فساهم ذلك في إثراء معلوماتهم فضلا عن تقديم كل ما في جعبتهم من إضافات ومساهمات في مجالات العلم المختلفة. ومن هنا صار لزاما على العلماء المغاربة التوقف فيها لطلب العلم والإستفادة من المناظرات والتدريس في مدارسها ومساجدها. وقد أسس هذا التواصل بين مصر والمغرب الاسلامي لحالة من الديمومة والاستمرارية بين علماء المصرين، وفي إطار هذا التوجه، كان لزاما على ابن مرزوق الحفيد أن يخصص جزءا من من الوقت في رحلتي الحج التي قام بهما، في المكوث بمصر من أجل الاتصال بعلمائها، وقد نجح في تأسيس شبكة من المشايخ ساهموا في الارتقاء بامكانياته بشكل كبير، ومنهم:

---

[1]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ص ص: 269-270. الكتاني، المصدر السابق، مج: 1، ص ص: 256-260.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 54-55. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 64-66 .المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 428. ابن القاضي، **درة الحجال**، ج: 2، ص: 184. مخلوف، المرجع السابق، ص ص: 329-330.

[3]- الونشريسي، **الوفيات**، ص: 74.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 54.

1. محمد بن عبد الله النحوي (ت:799هـ/1396م):

هو محب الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الحنبلي، والده جمال الدين بن هشام صاحب كتاب "المغني". ولد سنة 750هـ/1349م في القاهرة، قرأ على يد والده علوم العربية، وأخذ عن مشايخ آخرين أمثال: التقي السبكي، ابن عقيل، القلانسي والميدومي وغيرهم. برز في علوم اللغة العربية[1]. وصفه السيوطي في كتابه بغية الوعاة من أنه: "كان أوحد عصره في تحقيق النحو، سمعت شيخنا قاضي القضاة علم الدين البلقيني يقول: كان والدي يقول: هو أنحى من أبيه"[2]، وقال فيه ابن العماد: "وكان إليه المنتهى في حسن التعليم مع الدين المتين"[3]. ومن تلاميذه: ابن حجر العسقلاني الذي روى عنه، وأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد ولازمه بالقاهرة خلال رحلته الأولى إلى المشرق الاسلامي فاستمع إليه وأجازه في علوم اللغة العربية[4].

2. شمس الدين الغماري (ت:802هـ/1399م):

هو المحدث الرواية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الغماري المصري المالكي النحوي، العارف باللغة العربية، كثير الحفظ من الشعر لاسيما الشواهد. ولد في شهر ذي العقدة سنة 720هـ/1320م. تتلمذ على يد مشايخ كبار، من أمثال: أبي حيان، الجمال البوري، الخليل المالكي. كان عارفا بعلوم اللغة العربية، قوي المشاركة في فنون الأدب، ومن بين أبرز طلبته: ابن حجر العسقلاني. وأشاد به السيوطي حين قال: "تفرد على رأس الثمانمائة خمسة بخمسة: البلقيني بالفقة، والعراقي بالحديث، والغماري بالنحو، وصاحب القاموس باللغة، وابن الملقن بكثرة التصانيف"[5]. توفي في شهر شعبان من سنة 802هـ/1399م عن عمر اثنتين

---

[1]- السيوطي، **بغية الوعاة**، ج: 2، ص: 314.

[2]- المصدر نفسه، ص: 148.

[3]- ابن العماد، المصدر السابق، مج: 8، ص: 616.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 209 . الشوكاني، المصدر السابق، ج: 2، ص: 119.

[5]- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**. تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ط1، 1967، ج: 1، ص: 538.

وثمانين سنة[1]. وصفه ابن مرزوق الحفيد بأنه آخر النحاة بالديار المصرية أخذ عنه هو وابن حجر العسقلاني[2].

3. شهاب الدين ابن الكلوتاتي (ت:835هـ/1431م):

أبو الفتح شهاب الدين أحمد بن عثمان بن محمد الكلوتاتي الحنفي المعمر، والكلوتاتي نسبة إلى عمل الكلوتات وهي قلانس كانت تلبسها الجنود في عهد الدولة الجركسية، شهدوا له بأنه أكثر معاصريه سماعا ملأ البلاد المصرية رواية، ولد سنة 762هـ/1360م في القاهرة، وقرأء على يد عدد من العلماء، منهم: ابن جماعة، عفيف النشاوري، تقي الدين بن حاتم وناصر الدين الحراوي وغيرهم كثر. وقد اشتغل بعلوم اللغة العربية إلا أنه برز في رواية الحديث ولاسيما صحيح البخاري، وكان يقرأه بالقصر الأسفل من القلعة، واستمر في هذه المهمة عدة سنوات حتى اعتزل نتيجة المرض قبل وفاته بسنة. وقد تزوج من ابنة الشيخ العراقي وتدعى جويرية وأنجب منها أولادا ماتوا[3]. أشاد به ابن حجر العسقلاني كثيرا لما قدمه له من فائدة، فكتب يقول: "أفادني كثيرا، وسمعت الكثير بقراءته"[4]، وفي موضع آخر قال: "وقد قرأ علي كتاب تغليق التعليق بكماله وله في ذلك همة عالية جدا"[5].

4. سراج الدين عمر ابن الملقن (ت:804هـ/1401م):

هو سراج الدين أبو حفص عمر بن الإمام نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي (الأصل) المصري الشافعي المعروف بـ"ابن الملقن"، والملقن هو زوج أمه بعد أبيه رباه في حجره فعرف به، وكان يغضب من هذا اللقب ويوقع بابن النحوي. ولد في القاهرة في 14 ربيع الأول سنة 723هـ/1323م، وهو فقيه شافعي عارف بالنحو والحديث والتراجم، أخذ عن علماء عصره مثل: أبي القاسم محمد بن سيد الناس، القطب الحلبي، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي وعز الدين بن جمعة وغيرهم. وعرف بكثرة مؤلفاته في شتى

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 1، ص ص: 537-538. ابن العماد، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 19-20.

[2]- ابن مرزوق، **إظهار صدق المودة**، د وتح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 49.

[3]- ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 3، ص ص: 50-53.

[4]- ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 3، ص: 51.

[5]- كتاب تغليق التعليق من تأليف ابن حجر العسقلاني. ينظر: المصدر نفسه، مج: 3، ص: 51.

ضروب المعرفة، فكتب في الفقه والنحو والحديث والتاريخ والطبقات والتفسير والسيرة وغيرها، حتى ذكر أكثر مترجميه من أن له ثلاثمائة مصنف ما بين كبير وصغير، ومنها: شرح زوائد مسلم على البخاري في الحديث، خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب في طبقات الشافعية، وأحاديث الرافعي جامع أحكام القرآن وكتاب مختصر تفسير القرطبي وغيرها من الكتب[1].

وكان ابن مرزوق الحفيد قد لقيه في القاهرة، وأخذ عنه العديد من المصنفات في علم الحديث التي عرف واشتهر به ابن الملقن، وأجازه فيما سمع إجازة وقراءة ولاسيما كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه و"نقده لابن رشيق القيرواني، وقرأ عليه صحيح مسلم كله في العشر الأواخر من رمضان سنة 793م/1390م بسطح جامع الحاكم بالقاهرة[2].

5. زين الدين بن العراقي (ت:806هـ/1403م):

هو أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الزين الكردي الرازناني المهراني المصري الشافعي، ويعرف بـ"ابن العراقي"[3]. وعرف أيضا بالحافظ ومحدث الديار المصرية، ووصفه ابن هلال السجلماسي: بـ"الإمام الراوية الضابط المتقن الناقد البارع النائر الشهير"[4].

ولد في مدينة القاهرة في 11 جمادي الأول 725هـ/1324م، وبها نشأ واستمع لمشايخ عدة، فتعلم القراءات على يد الشيخ ناصر الدين محمد بن أبي الحسن بن سمعون، ابن عدلان، الشمس ابن اللبان، يحي المصري، ابن عبد الهادي، برهان الدين الرشيدي، السبكي، ابن كثير والعز بن جماعة وغيرهم. رحل إلى المدينة المنورة وتولى القضاء فيها ثلاث سنوات ثم عاد إلى مصر، كما رحل إلى دمشق وحلب والحجاز وأقام فترة في الإسكندرية. وله مؤلفات كثيرة، منها: منظومة

---

[1]- السيوطي جلال الدين، **حسن المحاضرة**، ج: 1، ص: 438. ابن مرزوق، **إظهار صدق المودة**، د وتح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 49. ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج: 2، ص ص: 216-219. عادل نويهض، **معجم المفسرين**، مج: 1، ص ص: 397-398.

[2]- البلوي، المصدر السابق، ص: 284-285.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 4، ص ص:171-178 . ابن مرزوق، المصدر السابق، ج: 1، ص: 50.

[4]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 40.

ألفية في علوم الحديث[1]، منظومة ألفية في السيرة النبوية، تخريج أحاديث الأحياء الكبير، ألفية في علوم القرآن وغيرها[2]. وكتب المقريزي عنه قائلا: "أنه كالدنيا به بهجة ولمصر به فخر وللناس به أنس ولهم منه فوائد جمة"[3]. ويعد خير من كتب في الحديث وعلومه في القرن الثامن الهجري (14م)، أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد في القاهرة في هذا المجال، وقد زامله الحافظ ابن حجر العسقلاني، وتصادف أن أخذ عنه أحد تلاميذ ابن مرزوق الحفيد، وهو المجاري الذي ارتحل إلى مصر فأخذ عنه الحديث ومنحه إجازة عامة [4] كالتي منحها لمعلمه ابن مرزوق[5].

لقيه ابن مرزوق الحفيد في القاهرة خلال رحلته الأولى إلى المشرق الإسلامي سنة 792هـ/1389م، فأخذ عنه وأجازه بجميع مصنفاته نثرا ونظما، منها: الأحكام الكبرى، الأحكام الصغرى، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين الكبير المختصر المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، والنكت على ابن صلاح، وشرح ألفيته الفتح المغيث بشرح ألفية الحديث، مختصر ابن صلاح وشرح الترمذي وقد أكمل منه عشر مجلدات. ومن النظم الشعرية التي أخذها عنه، نذكر: الألفية في السيرة النبوية، الألفية في غريب القرآن، نظم كتاب الاقتراح لابن دقيق العيد ونظم في الأصول "منهاج البيضاوي"[6].

6. سراج الدين البلقيني (ت:805هـ/1402م):

هو الأمام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق الكناني البُلقيني الشافعي، شيخ الإسلام الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد،

---

[1]- سماها حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون" ألفية العراقي في أصول الحديث"، والتي لخص فيها كتاب علوم الحديث لابن صلاح وعبر عنه بلفظ الشيخ وزاد عليها "وفرغ منها في المدينة المنورة في جمادي الآخرة سنة 768هـ/1366م". ينظر: حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. تص وتع: محمد شرف الدين يالتقايا، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، مج: 1، ص: 156.

[2]. السخاوي، المصدر السابق، ج: 4، ص ص:171-178. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 2، ص ص: 814-818. الونشريسي، **الوفيات**، ص: 135.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 4، ص: 178 .

[4]- المجاري، المصدر السابق، ص: 149.

[5]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 1، ص: 524.

[6]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص ص: 40-41.

ولد في بلقينة قرب الغربية في الثاني عشر من شعبان من سنة 724هـ/1323م ومنها جاء لقبه. حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة، واتجه لطلب العلم فحفظ كتاب المحرر في الفقه الشافعي للقزويني، ومختصر ابن الحاجب في أصول الفقه والشاطبية في القراءات، وكافية ابن مالك في النحو، وبحفظه هذه الأمهات والمتون صار لديه أساس متين يبني عليه متابعته لطلب العل، فأخذه والده إلى القاهرة وطاف به على بعض علمائها مثل القاضي جلال الدين القزويني والشيخ تقي الدين السُبكي الذين أعجبوا بحفظه وذكائه واستقر في القاهرة[1].

ثم تابع دراسته في القاهرة في الحديث والفقه والأصول والنحو على يد أبرز علماءها على رأسهم: شيخ الإسلام تقي الدين السُبكي، علي بن عبد الكافي، شمس الدين بن عدلان، محمد بن أحمد، نجم الدين الأسواني، حسين بن علي، بهاء الدين ابن عقيل أبي حيان النحوي والشيخ شمس الدين الأصبهاني وغيرهم. ونتيجة ذلك صارت له دِربة جمعت الفقه الشافعي مع شواهده من أحاديث الأحكام، فصار من الفقهاء البارزين في استحضار أحكام المذهب. وتوجه كذلك لرواية الحديث النبوي. وعين البلقيني سنة 765هـ/1363م مفتيا في دار العدل رفيقا للإمام بهاء الدين السبكي، وفي منتصف سنة 769هـ/1367م تولى قضاء مدينة دمشق بدلا من ابن شيخه تاج الدين السبكي، وسرعان ما ترك دمشق وعاد إلى القاهرة، وفيها مارس تدريس النحو والتفسير بجامع ابن طولون وغيره من مدارس القاهرة، كما تفرغ إلى جانب التدريس للإفتاء والوعظ، فعرف الناس فضله وعظم عند الخاصة والعامة قدره، وانتشر في الآفاق ذكره، ودارت عليه الفتوى في مصر. ومن أبرز من درسوا عليه:ابن حجر العسقلاني، جمال الدين الطيماني المصري والحافظ بدر الدين الزَّرْكَشي. له العديد من المصنفات في التفسير والفقه وأصوله والحديث وشروحه[2].

7. نور الدين بن صالح الهيثمي (ت:807هـ/1404م):

هو نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي الشافعي، صهر زين الدين بن العراقي، وعرفه ابن هلال السجلماسي: بـ"الإمام المحدث الراوية الصالح العارف"[3]. ولد في القاهرة سنة 735هـ/1334م، وصحب الشيخ زين الدين

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 6، ص: 85.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ص ص: 85-90.

[3]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 41.

العراقي وهو صغير فسمع منه وشاركه جميع رحلاته وحج معه جميع حجاته ولم يكن يفارقه، وقد تزوج ابنته خديجة. فكان معلمه الأول والأكثر تواصلا معه وقرأ عليه كل تصانيفه، وكتب عن جميع مجالس إملائه. وله من المؤلفات مجمع الزوائد ومنبع الفوائد[1].

واظب ابن مرزوق الحفيد على حضور مجالس نور الدين بن صالح الهيثمي، ومن جملة التآليف التي أخذها عنه: كتاب غاية المقاصد في زوائد المسند للإمام أحمد، كتاب البحر الزخار في زوائد البزار، كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين للطبراني الأوسط والصغير وكتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد[2].

8. عبد الرحمن ابن خلدون (ت:808هـ/1405م):

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي الأصل التونسي، ولد في تونس في غرة رمضان سنة 732هـ/1331م. حفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والأصلي، وتتلمذ على يد الشيخين: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وابن قاسم محمد القصير، كما حفظ المعلقات وحماسة الأعلم وشعر حبيب بن أوس، وأخذ العربية عن والده وعن الوادي آشي وابن عبد السلام. تنقل في مدن عديدة من المغرب الإسلامي، مثل: تونس، فاس، بجاية ثم انتقل للأندلس، كما رحل إلى مصر وتولى فيها قضاء المالكية، وتصدر للإقراء في الأزهر، من مؤلفاته: العبر. توفي سنة 808هـ/1405م ودفن في القاهرة[3]. وكتب عنه السيوطي، قائلا: "برع في العلوم، وتقدم في الفنون، ومهر في الأدب والكتابة"[4]. وخلال رحلته الأولى إلى المشرق الإسلامي التي بدءها سنة 790هـ/1388م، لقيه ابن مرزوق الحفيد وأخذ عنه بمصر وروى عنه البخاري إجازة[5].

---

[1]- ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بإنباء العمر**، ج: 2، ص: 807.

[2]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 41.

[3]- القرافي، المصدر السابق، ص ص: 99-101. ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج: 13، ص: 210. ابن القاضي، **درة الحجال**، ص: 332.

[4]- السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج: 1، ص: 461.

[5]- البلوي، المصدر السابق، ص: 269.

9. أبو الطاهر بن الكُوَيْك (ت:821هـ/1476م):

هو أبو الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبي الفتح بن الكويك الربعي التكريتي الإسكندراني، ولد في ذي القعدة سنة 737هـ/1371م، نزيل القاهرة الشافعي المسند المحدث، تعلم على يد مشايخ كبار من أمثال: الحافظان المزي والبرزالي والذهبي ولازم القاضي عز الدين بن جماعة. توفي في بيته في القاهرة في ذي العقدة سنة 821هـ/1476م وقد أكمل أربعا وثمانين سنة. لقيه ابن مرزوق الحفيد بمصر في رحلة حجه الثانية سنة 819هـ/1416م فحدثه بجملة من مصنفاته وأجازه[1]، ومن جملة ما أخذ عنه أيضا غير مصنفاته موطأ العقبيني. ويلاحظ أن ابن مرزوق الحفيد اهتم كثيرا برواية الموطأ أخذه بعدة إجازات وبروايات مختلفة[2]. وكتاب نظم السيرة لابن الشهيد، وكتاب الأدب المفرد للبخاري، وكتاب رفع اليدين له، وكتاب الجمعة للنسائي وكتاب عمل اليوم والليلة للنسائي، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي، وكتاب الآداب لابن الكويك نفسه، وعدد كبير من المرويات التي حازها ابن مرزوق الحفيد عن ابن كويك[3].

10. أبو زرعة العراقي (ت:826هـ/1422م):

هو أبو زرعة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، ولد في ذي الحجة سنة 762هـ/1360م، واعتنى به والده زين الدين العراقي وألحقه بمجلس الشيخ أبي الحسن القلانسي، وفيما بعد استجاز له أبا الحسن العرضي وغيره، ثم رحل إلى مدينة دمشق وهناك تتلمذ على يد عدد من المشايخ الكبار، من أمثال: ابن عساكر وأبي الحسين العرضي وغيرهما، وبعدها رحل إلى الحجاز في أكثر من مناسبة. وقد عرف بالمحدث الرواية الشافعي المصري، اشتغل في الفقه والعربية والمعاني والبيان، وأقبل على التصنيفات فصنف أشياء رائعة في علم الحديث، وله العديد من المؤلفات منها: المستفاد من مبهمات المتن والإسناد والتوضيح لمن خرج له في الصحيح، النكت على المختصرات الثلاثة وغيرها من المؤلفات. وأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد خلال تواجده في مصر، لاسيما وأن أبا زرعة جلس للتدريس في جامع ابن طولون وغيرها

---

[1]- ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر**، ج: 3، ص ص: 187-188.

[2]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 52.

[3]- عبد الرحمن الثعالبي، **غنيمة الوافد**، ص ص: 75-78.

من المساجد، كما تسلم القضاء الأكبر، ومات في يوم الخميس 27 رمضان سنة 826هـ/1422م عن عمر بلغ 63 سنة وثمانية أشهر[1].

11. أبو الطيب التونسي المصري (ت: 827هـ/1423م):

أبو الطيب محمد بن أحمد بن محمد بن علوان التونسي المصري، وصفه التنبكتي بأنه: "العالم الراوية الرحلة"[2]. تتلمذ في تونس على يد والده أبي العباس أحمد بن علوان التونسي، إلى جانب علماء من أمثال: أبي القاسم الغبريني، ابن حيدرة، ابن مرزوق الخطيب وابن عرفة وغيرهم كثر. رحل إلى المشرق الإسلامي وهناك تتلمذ أيضا على يد عدد كبير من المشايخ من أمثال: الزين العراقي، ولي الدين أبي زرعة والنور الهيثمي. ووصف من أنه يشابه والده علما ودينا وصلاحا ورواية وزهدا وسلوكا[3]. وعن علاقة ابن مرزوق الحفيد به فقد أشار القرافي إلى كون أبي الطيب التونسي المصري كان أحد شيوخه وأنه حاز منه على إجازة، ولكنه لم يحدد طبيعتها، حيث اكتفى بالقول: "وقفت على إجازته لحفيد ابن مرزوق العلامة محمد المتقدم"[4].

12. بدر الدين الدماميني (ت:827هـ/1423م):

بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن جعفر المخزومي القرشي السكندري الدماميني، ولد في مدينة الإسكندرية سنة 763هـ/1361م. وصفه مخلوف، بالقول: "العمدة المتفنن في العلوم والمعارف الفهامة الأديب النحوي اللغوي الإمام المفضال العارف بالشروط الرحال"[5]. كان مولعا بالعلم والتعلم، وأشاد السخاوي بهذه الخصلة حين قال: "كان أحمد الكمله في فنون الآداب وأقر له الأدباء بالتقدم فيه، وبإجادته القصائد والمقاطيع والنثر، معروفا بإتقان الوثائق مع حسن الخط والمودة"[6]. وكان كثير التنقل والترحال طلبا للعلم فزار

---

[1]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج: 2، ص ص:1118-1119. ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج: 3، ص ص: 311-312.

[2]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 123.

[3]- القرافي، المصدر السابق، ص: 170-171. التنبكتي، المصدر السابق ، ج: 2، ص ص: 123-124.

[4]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**،، ج: 2، ص: 170.

[5]- مخلوف، المصدر السابق، ص: 319.

[6]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 185.

القاهرة ودمشق، ومن شيوخه، نذكر: السراج ابن الملقن، ابن خلدون، ابن عرفة، ناصر الدين التنسي والجلال البلقيني. ومن طلبته، نذكر: زين الدين عبد الله الأنصاري والزين عبادة وغيرهما. وقد ترك العديد من المؤلفات، منها: المصابيح في شرح الجامع الصحيح للبخاري، شرح تحفة الغريب في الكلام على المغني اللبيب، كتاب جواهر البحور في العروض وكتاب العيون الغامزة على خبايا الرامزة وغيرها من الكتب والمصنفات، توفي سنة 827هـ/1423م[1].

وكان بدر الدين الدماميني من بين الأسماء التي سعى ابن مرزوق الحفيد إلى لقائها خلال رحلته الثانية إلى المشرق الإسلامي اذ التقى به في مدينة الإسكندرية، ومن جملة ما سمع منه كتاب الموطأ، فقرأ عليه مقدار نصفه وأجازه الدماميني وناوله إياه[2].

13. الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ/1448م):

الإمام الحافظ أبو الفضل الشهاب أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الأصل، المصري المولد والمنشأ والوفاة، الشافعي، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، حافظ المشرق والمغرب. ولد في القاهرة في كنف عائلته الميسورة الحال مما وفر له الفرصة من أجل الانشغال بالعلم والمعارف، درس القرآن وهو في عمر 12 سنة على يد الشهاب الخيوطي، ومنها انطلق ليطرق كل أبواب المعارف والعلوم، فتتلمذ على يد كبار المشايخ من أمثال: سراج الدين البلقيني، العز بن جماعة، الفيروزأبادي، إبراهيم بن الأبناسي، الغماري، أبو الحسن الهيثمي وأبو حفص بن الملقن وغيرهم كثر[3].

درس الكثير من المعارف والعلوم، منها: الفقه والحديث والأدب وغيرها، ومن أبرز تلاميذه، نذكر: السخاوي، أبو يحي زكريا الأنصاري، محمد بن عبد الله الخيضري وبرهان الدين البقاعي. وله عدد كبير من المؤلفات، منها: المقرب في بيان المضطر، تتويج السناد بمدرج الإسناذ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الجواب الجليل على زيادة الخليل، الإصابة في تمييز الصحابة وإنباء الغمر بأنباء العمر. قام بالعديد من الرحلات داخل مصر وخارجها، إذ زار الحجاز واليمن وبلاد

---

[1]- القرافي، المصدر السابق، ص ص: 158-160. ابن العماد، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 219-220.

[2]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 50.

[3]- لتفاصيل أكثر عن مشايخ ابن حجر العسقلاني ينظر كتابه الذي يتضمن مشيخته "المجمع المؤسس للمعجم المفهرس".

الشام، ومارس التدريس والإملاء ودرس في العديد من المدارس منها المدرسة الشيخونية والطولونية، وعمل في القضاء وغيرها من الأعمال[1]. لقيه ابن مرزوق الحفيد بالقاهرة وشاركه في كثير من الشيوخ، وقال ابن حجر العسقلاني: "سمع مني وسمعت منه، وأخذ عني قطعة من شرح البخاري ومن نظمي".[2]

14. أبو محمد محمود العيني (ت: 855هـ/1451م):

هو أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن الحسين بن يوسف بن موسى بن أحمد العينتابي الأصل والمولد، قاضي القضاة بالديار المصرية وعالمها ومؤرخها، ولد في سنة 762هـ/1360م، صنف وجمع وبرع في علوم كثيرة، منها: الحديث والتاريخ والتفسير واللغة والأصول والنحو. تولى القضاء في القاهرة، وتقرب من الملك المؤيد أبو النصر الشيخ المحمودي (771-824هـ/1369-1421م) حتى عد من المقربين إليه. وله العديد من الأعمال، منها: عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، شرح معاني الآثار للطحاوي طبقات الحنفية، وله معجم في مشايخه. وكانت له مدرسة في القاهرة في حي الأزهر ودفن فيها بعد وفاته سنة 855هـ/1451م[3]. وأخذ ابن مرزوق الحفيد عنه بإجازة عامة بما له من مصنفات[4].

15. القاضي ناصر الدين التنسي (ت:801هـ/1398م):

القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد الزبيري الإسكندراني المالكي، ولد في سنة 740هـ/1339م في الإسكندرية، وفيها تفقه وبرز في علوم اللغة العربية، وولي القضاء فيها وكان يعزل ويعاد. وبعدها قدم إلى القاهرة وتولى أمر قضاء المالكية فيها سنة 794هـ/1391م. وصفه ابن حجر العسقلاني بقوله: "كان عاقلا متوددا موسعا عليه في المال"[5]، في حين قال عنه

---

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 36-40. ابن العماد، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 270-275. الشوكاني، المصدر السابق، ج: 1، ص ص: 87-92.

[2]- ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 3، ص: 264.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 10، ص: 213. الكتاني، المصدر السابق، ج: 2، ص: 839. عادل نويهض، **معجم المفسرين**، مج: 1، ص ص: 660-661.

[4]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 1، ص: 524.

[5]- ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج: 2، ص: 64.

السخاوي: "وباشر بعفة ونزاهة مع عقل وتودد وسلامة صدر وطهارة ذيل وقلة كلام، ولم يعرف له أذى بقول ولا فعل بل عاشر الناس بجميل فأقبلوا عليه بالمحبة"[1]. له من المؤلفات العديد نذكر منها: شرح كتاب التسهيل، شرح مختصر خليل الأصلي والفرعي وشرح الكافية[2] في النحو لابن الحاجب. مات في أول شهر رمضان سنة 801هـ/1398م. وكان ابن مرزوق الحفيد قد لقيه في الإسكندرية خلال رحلته الأولى إلى المشرق الإسلامي عام 793هـ/1390م وصرح بأنه من شيوخه، ويبدو أن الغاية من حضور مجالسه هو اهتمام القاضي التنسي بمؤلفات ابن الحاجب وسعى ابن مرزوق الحفيد في وضع مؤلف عنه[3].

16. أبو عبد الله بن الزراتيتي (ت:825هـ/1421م):

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد القاهري الحنفي المقري، واشتهر بـ"ابن الزراتيتي"، وذلك نسبة إلى قرية في صعيد مصر، ولد سنة 748هـ/1347م، تميز في العلوم النقلية ولاسيما في علم القراءات. ومن شيوخه: السيف أبو بكر بن الجندي، الشرف موسى الضرير والتقي البغدادي وغيرهم كثر. وكعادة العلماء في الارتحال من أجل طلب العلم لم يشذ ابن الزراتيتي عنهم، فارتحل إلى بلاد الشام طلبا للعلم والاستزادة منه سنة 776هـ/1374م، فزار أولا دمشق ومنها انتقل إلى حلب وبعد ذلك قصد مدينة حمص ومن ثم حماة، وهناك التقى علماء الشام وتتلمذ على أيديهم، من أمثال: الزين عمر بن علي البقاعي والشمس محمد بن علي بن أبي الكرم وغيرهما. وبعد عودته إلى القاهرة اشتهر في علم القراءات والتف من حوله الطلبة، ودرس في المدرسة البرقوقية. ومن تلاميذه نذكر: الزين رضوان وابن موسى الحافظ وغيرهم كثر، فقد بصره في سنواته الأخيرة، وتوفي في القاهرة يوم الخميس 6 جمادى الآخرة من سنة 825هـ/1421م[4].

وكان ابن الزراتيتي من بين الشيوخ الذين التقاهم ابن مرزوق الحفيد في القاهرة خلال رحلته الثانية، كما أشار إلى ذلك البلوي في الثبت، حين قال: "ثم رحل عام تسعة عشر وثماني

---

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 192.

[2]- هو كتاب مختصر على غاية من الأهمية كتبه ابن الحاجب في علم النحو ونال شهرة كبيرة، ووضع شرحا عليه على شكل أرجوزة. ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 1370-1372.

[3]- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 63-64. السخاوي، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 192-193. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 33-34.

[4]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 9، ص ص: 11-12. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج: 9، ص: 249.

مائة، واستجاز في هذه الرحلة كل من لقي وجلهم أو كلهم في طبقته منهم ولي الدين العراقي، ابن حجر، وابن الزراتيتي..."[1]. وعلى ما يبدو أن ابن مرزوق الحفيد استفاد منه في علم القراءات، إذ كان الشيخ ابن الزراتيتي ممن اشتهروا بهذا العلم، وكتب في ذلك ابن عماد قائلا: "ثم أقبل على الطلبة بآخره فأخذوا عنه القراءات ولازموه وأجاز للجماعة، وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء بمصر"[2].

خامسا: شيوخه في مكة المكرمة

أما الحجاز وتحديدا مكة المكرمة فهي رحلة العمر بالنسبة للإنسان المسلم من أجل أداء واحد من أركان الدين الحنيف، والتواجد هنا بالنسبة للعلماء والمشايخ لا يتوقف عند هذا الحد من الزيارة، وإنما يبدأ الاحتكاك والاتصال بعلماء مكة ومن يأتي إلى زيارتها في موسم الحج وبقية أيام السنة، وذلك للاطلاع على كل ما هو مفيد وجديد، وكان لعلماء المغرب الإسلامي النشاط الأبرز في هذا الميدان، فضلا عن ممارسة الإقراء والتدريس وغيرها من المهام العلمية. وفي الحجاز تمكن عالمنا من التواصل مع كبار العلماء فأخذ منهم ما يمكنه من الاستمرار في التفوق في مسيرته العلمية، ومنهم:

1. نور الدين النويري (ت:799هـ/1396م):

أبو الحسن نور الدين علي بن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد العزيز القريشي الطالبي العقيلي المكي المالكي الشهير بـ"النويري ولد سنة 724هـ/1323م، وهو قاضي القضاة وإمام المالكية بالمسجد الحرام حيث ولي إمامة مقام المالكية مدة خمس وثلاثين سنة، أخذ عن مشايخ كثر منهم: عيسى بن عبد العزيز الحجي المالكي[3]، أجاز ابن مرزوق سنة 792هـ/1389م[4]، ومن أهم ما أخذ عنه الموطأ برواية شيخه المسند الرحال جلال الدين أبي

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص: 292.

[2]- ابن العماد، المصدر السابق، ج: 9، ص: 249.

[3]- البلوي، المصدر السابق، ص: 292. ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج: 1، ص: 537. ابن القاضي، **درة الحجال**، ج: 3، ص: 248.

[4]- ابن القاضي، المصدر السابق، مج: 3، ص: 248.

طيبة محمد أبي اليمن الأقشهري الخلاطي[1]، وصحيح البخاري حيث قرأ ابن مرزوق الحفيد جميع الكتاب عليه في الحرم المكي تجاه الركن اليماني قرب المقام المالكي في ثلاثين مجلسا، أولها يوم الخميس 19 شوال وآخرها في يوم السبت 18 ذي العقدة عام 792هـ/1389م، إذ ناوله جميعه وأجاز له روايته عنه معينا وجميع ما يجوز له وعنه روايته[2].

2. المجد الفيروزأبادي (ت:817هـ/1414م):

هو أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزأبادي، ولد سنة 729هـ/1328م في بلاد فارس، وهناك تعلم على يد محمد بن يوسف الزرندي المدني، وحفظ معه صحيح البخاري، ثم انتقل إلى بلاد الشام في منتصف القرن الثامن الهجري، وهناك اشتهر فكثر طلبته ثم انتقل بعدها إلى القاهرة، وفيها أبدع وذاع صيته. يعتبر مجدد اللغة العربية، فصنف كتاب القاموس المحيط في اللغة. من شيوخه: مجد الدين بن الخباز، ابن القيم، ابن الحموي، أحمد بن عبد الرحمن المرواوي، أحمد بن مظفر النابلسي، تقي الدين السبكي، يحي بن علي بن الحداد وعز الدين بن جماعة وغيرهم. وله العديد من المؤلفات، منها: القاموس المحيط، شوارق الأسرار العلية في شرح مشارق الأنوار النبوية للصغاني، تجبير الموشين فيما يقال بالسين والشين، وغيرها من المؤلفات. ومات في 20 شوال سنة 817هـ/1414م وقد ناهز التسعين[3].

ولقيه ابن مرزوق الحفيد بمكة أخذ عنه علوم اللغة والبردة، كما أفاده في مقدمو شرحه إظهار صدق المودة، وقال عنه: "الإمام العلامة المحدث الرحال الراوية ذي الفنون الغريبة والتواليف العجيبة مجد الدين الفيروزآبادي من ذرية الإمام إسحاق الشيرازي"، نزيل مكة المشرفة والطائف بمنزله المشرف على جبل الصفا"[4].

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 48.

[2]- البلوي، المصدر السابق، ص: 256.

[3]- ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج: 3، ص ص: 47-50. الكتاني، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 907-910.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، د تح: فلاق محمد، ص: 62.

3. أبو بكر الدمشقي المؤذن (ت:806هـ/1403م):

برهان الدين أبو بكر إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم بن يوسف الدمشقي الشافعي الصوفي المؤذن، عرف بألقاب عديدة منها: ابن الرسام، ابن الصديق والمجاور. ووصفه ابن حجر العسقلاني بأنه: "خاتمة المسندين من الرجال"[1]، في حين قال عنه تقي الدين الفاسي المكي: "نزيل مكة ومسندها ومسند الحجاز"[2]. ولد في دمشق، ويشير السخاوي إلى ولادته من أنه: "ولد سنة تسع عشر وسبعمائة أو أول التي تليها"[3]. ومن شيوخه الذين أخذ عنهم: أبو عبد الله محمد الزراد، أبو العباس المرادي وأبو القاسم القزويني وآخرين كثر، وقد أجازوه فيما درس عليهم[4]. اشتهر في علم الحديث ولواحقه لاسيما في صحيح البخاري، وأشار الكتاني إلى نزاهته في رواية الحديث، حين قال: "ابن صديق معروف لا يشك فيه أحد من أهل الرواية والصناعة"[5]، وهو الذي سماه :"مسند الدنيا البرهان إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي"[6].

ولازم أبو بكر الدمشقي الحرم طويلا إذ حج لأكثر من مرة وفي إحداها بقى لست سنوات متواصلة، ومارس هناك التدريس وقراءة الحديث، كما ارتحل إلى بلاد الشام، وزار مدن حلب وطرابلس[7]. ومن تلاميذه: ابن حجر العسقلاني، بدر الدين الغزي، أبو زيد عبد الرحمن المديوني الجادري وقطب الدين النهروالي وغيرهم كثر[8]. توفي بمكة في شوال سنة 806هـ/1403م وله من العمر خمس وثمانون سنة، وقال ابن حجر العسقلاني في قوته وسلامة عقله: "رأيته متمتعا بسمعه وعقله، ويقال أنه لم يتزوج مع طول عمره رحمه الله"[9].

---

[1]- ابن حجر العسقلاني، **المجمع المؤسس**، مج: 1، ص: 212.

[2]- الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ج: 3، ص: 250.

[3]- السخاوي، المصدر السابق ، ج: 1، ص: 147.

[4]- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، مج: 1،ص ص: 213-215. المكي، المصدر السابق، ص: 251.

[5]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 2، ص: 959.

[6]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 958.

[7]- السخاوي، المصدر السابق ، ج: 1، ص: 147.

[8]- الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 219، 295، 958.

[9]- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، مج: 1، ص: 235. الفاسي، المصدر السابق، ج: 3، ص: 256.

وفيما يخص شيخنا ابن مرزوق الحفيد فقد أشار إلى تتلمذه على يد أبي بكر الدمشقي المؤذن، فقد قرأ عليه صحيح البخاري في مكة[1] إلى جانب ثلاثيات البخاري[2]. ومرة أخرى نجد نجد أن اختيارات ابن مرزوق الحفيد لشيوخه كانت تمتاز بالدقة والصواب، وهو ما جعله قادرا على أن يمتلك ناصية العلوم التي عمل على إتقانها.

4. زين الدين الصغير (ت:852هـ/1448م):

زين الدين أبو نعيم رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة بن البهاء بن سعيد العتبي الشافعي المستملي المصري. الشهير بـ"الصغير"، ذكر ابن العماد بأنه: "البارع مفيد القاهرة...كان دينا، خيرا، متواضعا، عزيز المروة، رضي الخلق، ساكنا، بشوشا، طارحا للتكليف، سليم الباطن"[3]. ولد في الجيزة في شهر رجب ممن سنة 769هـ/1367م نشأ بها، ومنها انتقل إلى القاهرة، واشتغل بعدة علوم، وتتلمذ على يد عدد كبير من المشايخ، منهم: نور الدين الدميري المالكي، شمس الدين الغماري، شمس الدين الشطنوفي، والتقى بابن حاتم وعز الدين بن جماعة وغيرهم. وكتب عن زين الدين بن العراقي مجالس كثيرة من أماليه، رحل إلى الحجاز لأكثر من مرة وتتلمذ على عدد من المشايخ في مكة، كالزين المراغي. توفي في 3 رجب سنة 852هـ/1448م[4]. 852هـ/1448م[4]. التقاه ابن مرزوق الحفيد خلال حجته الثانية في مكة، وقرأ عليه ثلاثيات البخاري بقراءته لها على ابن الصديق[5].

سابعا: شيوخه من الأندلس

على الرغم من أن ابن مرزوق الحفيد لم يسافر إلى الأندلس[6]، إلا أنه لم يفوت الفرصة في في الاستفادة من خبرة شيوخها، لذا حرص على الاتصال بهم إن كانوا في حاضرته تلمسان أو في

---

[1]- الكتاني، المرجع السابق، ج: 2، ص: 524. السخاوي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 50.

[2]- البلوي، المصدر السابق، ص: 226.

[3]- ابن العماد، المصدر السابق، ج: 9، ص: 401.

[4]- المصدر نفسه، ج:9، ص: 401.

[5]- ابن مرزوق الكفيف، المصدر السابق، و: 07. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50.

[6]- يشير عبد العزيز فيلالي في كتابه "تلمسان في العهد الزياني" إلى سفر ابن مرزوق الحفيد إلى الأندلس، وهذا الكلام غير دقيق إذ لم تذكر المصادر التي ترجمت لعالمنا والتي أشارت إلى نشاطاته العلمية على أنه سافر إلى الأندلس، وعلى ما يبدو أن

الحواضر الإسلامية الأخرى التي زارها واحتك بمشايخها، فإن التقى بها عالما أندلسيا إلا وسعى للاستفادة منه، ومن جملة من استفاد منهم، نذكر:

1. أبو عبد الله الحفار الأنصاري (ت: 811هـ/1408م):

مفتي غرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سعد الأنصاري الحفار الغرناطي، محدث الأندلس وعالمها، الشيخ المعمر ملحق الأبناء بالآباء، الفقيه الصالح، المتفنن في معارف شتى من قرآن وفقه ونحو وتاريخ، أخذ عن مشايخ عدة: كأبي سعيد بن لب وبه كثر انتفاعه، ومن تلاميذه: ابن سراج وأبو بكر بن عاصم وغيرهما، وأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد في مدينة فاس وأجازه إجازة عامة سنة 810هـ/1407م وفي ذلك قال ابن مرزوق: "أخبرنا شيخنا الأمام...أبو عبد الله محمد الحفار إجازة فيما كتب إلي من غرناطة المحروسة سنة عشر وثماني مئة"[1].

2. أبو عبد الله القيجاطي (ت: 811هـ/1408م):

هو الأستاذ المحقق أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الكناني القيجاطي الغرناطي الأندلسي، المقرئ الخطيب، تميز في علم الإقراء والعناية به، حيث انتهت إليه مشيخة الإقراء في زمانه في الأندلس. كما عرف بتميزه أيضا بعلوم اللغة، وأخذ عن مشايخ عدة، منهم: أبو سعيد بن لب، الخطيب بن مرزوق، ابن الفخار البيري والمقري وغيرهم كثر. وله العديد من المؤلفات في القراءات وغيرها. وأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد بالإجازة في علم القراءات[2].

فيلالي خلط في الإشارة بين ابن مرزوق الحفيد وابن مرزوق الخطيب. للتفاصيل ينظر: فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 2، ص: 335.

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص: 304. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 114. ابن القاضي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 284.

[2]- ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ج: 2، ص: 214. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. التنبكتي، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 114-115.

3. أبو عبد الله بن علاق (ت:806هـ/1403م):

حافظ الأندلس ومفتيها ومحدثها أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم بن علي بن علاق، أخذ عن عدد من المشايخ، منهم: ابن لب وابن مرزوق الخطيب والمقري وغيرهم. له عدد من المؤلفات، منها: شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، شرح فرائض ابن الشاط وفتاوى عديدة نقلها له الونشريسي في كتاب المعيار. وأخذ ابن مرزوق الحفيد بالإجازة مكاتبة[1].

4. ابن جزي الكلبي (ت: ق 9هـ/15م):

هو أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، واشتهر بـ"ابن جزي"، ولد في غرناطة في 15 جمادي الأولى سنة 715هـ/1315م. وكتب لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة بالقول: "من أهل الفضل والنزاهة والهمة، وحسن السمة، واستقامة الطريقة، غرب في الوقار، ومال إلى الانقباض، وترشيح إلى رتب سلفه، له مشاركة حسنة في فنون، من: فقه، وعربية، وأدب، وحفظ وشعر، وتسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة"[2]. وقد عرف بالإمام العالم العلامة رئيس العلوم اللسانية المعمر[3]. قرأ على والده الخطيب أبي القاسم محمد بن الجزي ولازمه، واستظهر ببعض موضوعاته، وتأدب به[4]. إلى جانب عدد من المشايخ الآخرين، منهم: أبو بركات بن الحاج والقاضي الشريف السبتي والشيخ المقري وغيرهم[5]. شغل مناصب رسمية في الدولة إذ عين قاضيا على مدن عدة كبرجة وباندرش ووادي آش[6]، كما عمل قاضيا في غرناطة وخطيبا في مسجد السلطان لمرتين[7]. ومن تلاميذه: أبو بكر بن عاصم وأبي العباس البقني[8]. ومن مؤلفاته: كتاب "القوانين الفقهية" وهو تقييد في الفقه على كتاب والده، ورجز في

---

[1]- المجاري، المصدر السابق، ص: 123. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 113.

[2]- ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، ق: 1، ص: 302.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 228.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، ق: 1، ص: 303.

[5]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 229.

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ق: 1، ص: 303.

[7]- المصدر نفسه، ق: 1، ص ص: 312-313.

[8]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 229.

الفرائض إلى جانب كتابته للشعر[1]. وتتلمذ على يده ابن مرزوق الحفيد عندما زار تلمسان وأخذ عنه بالإجازة[2].

خلاصة القول، أن الكم الكبير من المشايخ الذين أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد ممن ذكروا أو لم يذكروا، والذين أجازوه غالبيتهم إجازة عامة بما لهم من مصنفات ومرويات، لم يجتمعوا لعالم غيره وهو دليل على سعة علمه ونبل أخلاقه وتواضعه، ويعلق هنا الكتاني، قائلا: "وهذا فخر كبير اجتماع هؤلاء كلهم له"[3]. ثم يضيف معلقا: "فقلَّ أن يجتمع لأحد مثل هؤلاء في مشيخته من مجيزيه، وتخرج به هو كذلك فحول العلماء"[4].

من خلال الأسماء التي جرى ذكرها من شيوخ أخذ عنهم الحفيد، نجد أن شيخنا قد اعتنى غاية الاعتناء في اختيار شيوخه، وحدد وفق ما نرى، أسباب اتصاله بهم، فهو لم يكتف في اختيار الشيوخ الأعلام كل في ميدانه، وإنما حرص في ذات الوقت على الأخذ منهم أقصى حد ممكن من المعارف والعلوم التي يحملونها. وهذا الإصرار والرغبة من جانبه ساهمت في تكوينه بشكل مميز وجعله يبرز إمكانياته وقدراته العلمية من خلال موسوعيته، وهذا التميز لم يأت فقط بسبب مشايخه فحسب، وإنما علينا أن نتذكر قدراته الذهنية التي كان يتمتع بها ساهمت هي الأخرى بهذه التكاملية العلمية التي تمتع بها. ولقد استنفذ كل العلوم التي تعلمها في رحلته العلمية والتي لم تنحصر في تاريخ محدد، وهذا يكشف لنا مقدار الجهد الذي كان يبذله علمائنا في الماضي وهذا بحد ذاته كاف على تميزهم.

---

[1]- ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، ق: 1، ص: 312.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 229.

[3]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 1، ص: 524.

[4]- المرجع نفسه، ج: 1، ص: 524.

المبحث الثالث: برنامج تدريسه وأبرز تلامذته

أفردنا في هذا المبحث دراسة نماذج ممن تتلمذوا على يد ابن مرزوق الحفيد، وبرزوا ونبغوا أعلاماً، مستفيدين من شخصيته وقدراته العلمية والفكرية. وهذا التأثر الذي جعل الكثير منهم يكتب عن شخصه بصورة قلمية قد تعتبر ضربا من الخيال، إن لم يكن يعرف قيمة ابن مرزوق الحفيد. ولكنني أجدها طبيعية، لأنها تعكس حجم التأثير المثالي الذي تركه ابن مرزوق الحفيد.

أولا: برنامج تدريس ابن مرزوق الحفيد

لم يقتصر تميز ابن مرزوق الحفيد وعطائه على مجال معين، فهو لم يكن مبدعا في مؤلفاته فحسب، وإنما كان معطاء في المهنة التي أحبها على ما يبدو دون غيرها، وأعني هنا التدريس، ولم يتوقف عن مزاولتها حتى وفاته[1]. ونتيجة ذلك، أقبل طلبة العلم على مجالسه نظرا لمكانته وذيوع صيته وشهرته وتنوع معارفه، لذا نجد في مجلسه الفقيه والمتكلم والمفسر والمحدث والعروضي والمؤرخ، وكل هؤلاء كانوا يجدون ضالتهم العلمية في مجلسه. وتتجلى حقيقة ذلك في تعليق ابن مريم وهو يصف موسوعية شيخه الحفيد، حين يقول: "الإمام المشهور، العلامة، الحجة، الحافظ المحقق، الكبير، الثقة، الثبت، المطلع، النظار، المصنف...المجتهد، الأبرع، الفقيه، الأصولي، المفسر، المحدث، المسند، الراوية، الأستاذ، المقرئ المجود، النحوي اللغوي، البياني العروضي"[2]. وكل هذه الصفات الدالة على قيمته كانت تحفز الكل للسعي والحرص على حضور مجالسه والاستماع إليه والاستزادة من علمه. وحينما نقرأ في أساليب وطرق التعليم خلال العصر الوسيط الإسلامي نجدها متنوعة ومختلفة، واختلافها يأتي من طبيعة العلوم وتطورها نظرا للتطور الفكري والنضج العقلي[3].

---

[1]- بن داود نصر الدين، **البيوتات**، ص: 105.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 201.

[3]- يشير لخضر عبدلي إلى وجود ثلاث طرق للتعليم، الأولى: طريقة الإلقاء تعتمد أساساً على الإملاء، في حين اعتمدت الطريقة الثانية على التزام كتاب معين مما يسمى بالمصنف ويتولى شرحه الأستاذ فقرة فقرة، والطلبة يقيدون ما يسترعي انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته، في حين كانت الطريقة الثالثة تقوم على أساس السؤال والجواب، وتبدأ من السهل البسيط إلى المجرد المعلوم. ينظر: لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي**، ص ص: 221-223.

ولكننا حينما نتتبع طريقة ابن مرزوق الحفيد في التدريس نجده لم يكتف بطريقة معينة، وإنما كان يعمل على خلط تلك الطرق ببعضها البعض من أجل فسح المجال أمام طلبته للسؤال والاستقصاء عما يصعب عليهم فهمه، وإبداء آراءهم وملاحظاتهم، وهنا اقتبس ما قاله ابن خلدون حينما علق على مسألة التعليم وخصوصية من يقوم بمهامه: "وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا"[1].

وهذا ما نجده في شخص ابن مرزوق الحفيد، الذي حرص على بناء شخصيته العلمية –إن صح التعبير– وفق آليات منهجية وعلمية لا غبار عليها. ومن الدلائل على إتباع وسائل متطورة في ممارسته التدريس ورغبته في الإفادة والاستفادة، ما أشار إليه التنبكتي في كتابه "الكفاية" ما ذكره ابن مرزوق الحفيد بهذا الخصوص، حين قال: "ما عرفت العلم حتى قدم علي هذا الشاب – محمد بن محمد بن القاسم المشدالي البجائي– فقيل له: كيف ؟، قال: لأني كنت أقول فيسلم لي كلامي، فلما جاء هذا الفتى شرع ينازعني فشرعت أتحرز فانفتحت لي أبواب المعارف"[2]. وهذا يكشف لنا أن عالمنا لم يكن يمنع من يتميز في مجالسه فيسمح بالحوار والمناقشة، وهو ما كان يساعد الطلبة على الاستفادة من مكامن علمه ومعرفته. وفي ذات الوقت كانت مجالس الدرس التي يعقدها تجذب إليها طلبة العلم الراغبين في الحصول على العلوم اللازمة والمسندة. ويتجلى هذا فيما ذهب إليه أبو علي الحسن بن مخلوف أبركان، حين قال: "فكنت بعد قدومي لتلمسان أحضر مجلس الشيخ سيدي قاسم العقباني مدة ثم حضرت يوما مجلس الشيخ سيدي محمد بن مرزوق فرأيته بحرا في كل علم لا ساحل له، فلازمت مجلسه وتركت مجلس سيدي قاسم"[3].

وهذه الشخصية العلمية المتمكنة والمتماسكة والقادرة على العطاء هي التي حببت طلبة العلم به، وهو الذي جعل تلاميذه يندفعون لكيل المديح والإطراء له، وهو ما يجعلنا نتفهم الإطناب في وصفهم لقيمته. ومن جملة ما قيل من إطراء في حقه، قول القلصادي: "وسما في

---

[1]– ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 543.

[2]– التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 178.

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص: 82.

النفوس موضعه وموقعه، فلا عليك أن ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من إلقائه"[1]. أما عن الدروس التي كانت يحاضر بها فهي كثيرة ومتعددة، جاء ذكرها حسبما وردت في إشارات تلامذته أنفسهم، ويمكن إدراجها كالآتي:

1- علوم القرآن: اعتمد ابن مرزوق الحفيد في تدريسه على عدد من المصادر التي تمتاز بالدقة، ومن بين كتب التفاسير في حلقات تدريسه لتفسير القرآن الكريم[2]، نذكر منها: تفسير الكشاف للزمخشري (ت:538هـ/1143م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت: 542هـ/1147م) لأنها موجودة في مؤلفاته، إضافة لحرز الأماني ووجه التهاني والشاطبية الصغرى لأبي القاسم الشاطبي (ت:590هـ/1193م)، والدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري (ت: 730هـ/1329م). أما فيما يخص علم القراءات يعتبر ابن مرزوق الحفيد من بين أفضل القراء وأبرزهم في منطقة المغرب الإسلامي، ويشهد له في ذلك الكثير من أبناء جيله، وكان يجيز من يراه قادر على تلقين علم القراءات، ومن بين أهم مصادره في هذا المجال "الشاطبية"[3].

2- علم الحديث ومصطلحه: نال علم الحديث وتخريجاته من اهتمام ابن مرزوق الحفيد الشيئ الكثير، فقد حرص على تكريس جل وقته لهذا المجال على شرح الموطأ[4]، وليس سماعا[5] فحسب وإنما تفقها أيضاً، كما أشار تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني[6]. وكذلك من الكتب التي تتعلق بعلم الحديث، والتي تحدث فيها خلال مجالسه العلمية: صحيح البخاري،

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 101.

[2]- السخاوي المصدر السابق، ج: 9، ص: 246. التنسي، المصدر السابق، ص: 14.

[3]- ابن غازي، المصدر السابق، ص: 183. القلصادي، المصدر السابق، ص: 102. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 206.

[4]- المجاري، المصدر السابق، ص: 136. ابن غازي، المصدر السابق، ص: 176. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 205-206.

[5]- **إجازات السماع**: وتسمى "السماعات" أحيانا، وهي وثيقة مكتوبة في آخر الكتاب المقروء أو في آخر مقدمته تنص على على أن الكتاب قد سمعه على مصنفه أو على شيخ عالم ثقة، واحد أو كثيرين، وهذا ليكون الحق لكل من ورد في السماع في رواية الكتاب. ولجأ العلماء لإثبات ذلك في صدر أو ذيل الكتاب المقروء والمتواجد في مكتبة المدرسة أو المسجد ثم يحفظ الكتاب بعد ذلك في المكتبة، وفي كل مرة يسمع فيها الكتاب أناس أو طلبة يثبتون أسماءهم طبقات، ويتضمن نص إجازة الإسماع إسم المسْمَعِ وأسماء السامعين ثم اسم القارئ ويليه اسم كاتب السَّماعِ أو مُثبت السَّماعِ، كما ينص على تاريخ ومدة ومكان السماع. ينظر: لزغم فوزية، **الإجازات العلمية**، ص: 38.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص: 14.

صحيح مسلم، سنن الترميذي وابن ماجه، عمدة الأحكام عن سيد الأنام لعبد الغني المقدسي[1]، ومصباح الظلام في الحديث لأبي ربيعة سليمان بن موسى الكلاعي (ت:634هـ/1236م) وسائر مؤلفاته[2]، والأربعين حديثا النووية للإمام النووي (ت:676هـ/1365م)، كما دَّرس أيضا: أرجوزته الكبرى في مصطلح الحديث المسماة "الروضة" وأرجوزته الصغرى في مصطلح الحديث المسماة "الحديقة"[3]. ومن هنا، يتضح لنا أن هذا الكم الهائل من الكتب المهمة في علم الحديث جعلت حلقاته العلمية في الحديث ذات تأثير وأهمية في نفوس طلبته، وتظهر مكانة ابن مرزوق الحفيد الكبيرة في هذا المجال ما ذكره ابن مريم، حين قال: "فلو رآه الإمام مالك لقال: له تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمنك يسمع فقهي بلا محالة"[4].

3- أصول الدين: من المؤلفات التي حرص على تدريسها في مجالسه المخصصة لهذا النوع من الدروس كتب عدة، منها نذكر: كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت: 478هـ/1085م)، وكتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين للشيخ العالم فخر الدين الرازي (ت:606هـ/1209م)[5]، وكتاب مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لأبي عمرو بن الحاجب[6].

4- كتب الفقه: واظب ابن مرزوق الحفيد على قراءة وشرح كتب الفقه بعمومها، أي أنه لم يقتصر على تدريس الفقه المالكي فحسب، وإنما نال الفقه الحنفي والشافعي والحنبلي اهتماما ومساحة لا بأس بها في مجالسه العلمية. ومن الكتب التي عكف على قراءتها وشرحها في الفقه

---

[1]- **عبد الغني المقدسي (ت:600هـ/1203م)**: تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، عرف بألقاب عديدة، منها: الإمام العالم والحافظ الكبير وغيرها. ولد سنة 541هـ/1156م، استمع للعديد من المشايخ، منهم: ابن البطي، ابن هلال الدقاق، أبو زرعة المقدسي وغيرهم. ارتحل للعديد من المدن طلبا للعلم كبغداد والقدس والقاهرة. من طلبته: الحافظ الضياء، البهاء عبد الرحمن والزين عبد الدايم، ومن مؤلفاته: الأحكام الكبرى، الأحكام الصغرى والصفات وغيرها. مات في 23 ربيع الأول 600هـ/1203م. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج: 21، ص ص: 444-446.

[2]- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 63.

[3]- ذكره ابن غازي، المصدر السابق، ص: 171، 173، 178، 179. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 205.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 202-203.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 205.

[6]- المجاري، المصدر السابق، ص: 135.

المالكي، نذكر: كتاب التفريع لابن جلاب (ت:378هـ/988م)، كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت:386هـ/996م)، كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب (ت:422هـ/1030م)، كتاب التهذيب في اختصار المدونة لأبي سعيد البراذعي (ت: 438هـ/1046م)، كتاب البيان والتحصيل لابن رشد (ت:520هـ/1126م)، كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للمتيطي الأندلسي (ت:570هـ/1147م)، كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب (ت:646هـ/1248م) وكتاب مختصر خليل[1] لخليل بن إسحاق (ت:776هـ/1374م)، ومن كتبه التي اهتم في تدريسها نذكر: كتاب الفرائض[2] وكتاب المنزع النبيل في شرح مختصر خليل[3].

أما الكتب التي حرص على تدريسها في الفقه الحنفي كتاب مختصر القدوري (ت:428هـ/1036م). وفي الفقه الشافعي كتاب التنبيه للشيرازي (ت:476هـ/1083م) وكتاب الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي للغزالي (ت:505هـ/1111م). أما في الفقه الحنبلي درس مختصر الخرقي (ت:334هـ/945م)[4].

5- **أصول الفقه وقواعده**: الإرشاد في علم الخلاف والجدل للعميدي الحنفي (ت:515هـ /1121م)، والمحصول في علم الأصول للرازي (ت:606هـ/1209م)، والمختصر الأصلي لابن الحاجب (ت:646هـ/1248م)، وكتاب المصالح والمفاسد (قواعد الأحمام في مصالح الأنام) لابن عبد السلام (ت:660هـ/1261م)، وتنقيح الفصول والفروق للقرافي (ت:684هـ/1285م)، وشرح ابن الحاجب الأصلي لعضد الدين الإيجي (ت:756هـ/1355م)، الأشباه والنظائر لصلاح الدين العلائي الشافعي (ت:761هـ/1359م) ومفتاح الوصول إلى علم الأصول للشريف التلمساني[5].

6- النحو والصرف: الكتاب لسيبويه (ت:180هـ/796م)، الإيضاح لأبي علي الفارسي (ت:377هـ/987م)، الكافية لابن الحاجب، المقرب لابن عصفور (ت:669هـ/1270م)، الألفية

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص:97. ابن غازي، المصدر السابق، ص: 185. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 205.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 97.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 90-92.

[4]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 205.

[5]- ابن غازي، المصدر السابق، ص ص: 184-185. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 205-206.

في النحو والصرف والتسهيل وشرح التسهيل لابن مالك، وشرح الإيضاح لابن أبي الربيع (ت:688هـ/1289م)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ت:762هـ/1360م)[1].

7- علوم البلاغة: ومن العلوم التي حظيت باهتمام ابن مرزوق الحفيد في حلقات الدرس التي كان يعقدها، ومن بين المؤلفات التي كان يستعين بها في تدريسه، على سبيل المثال: كتاب تلخيص في علوم البلاغة[2]، وهو كتاب ذو قيمة كبيرة لكونه احتوى كافة جوانب علم البلاغة، وجمع ما ندر من فروعها وأغصانها في مكان واحد، وهو من تأليف جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي المعروف بالخطيب القزويني (ت:739هـ/1338م)[3].

8- الزهد والرقائق: ومن منطلق شخصية ابن مرزوق الحفيد والصفات التي كان يتحلى بها، كما ذكرنا من قبل، نجده يهتم في تدريس ما له في الزهد في الدنيا والسعي إلى الآخرة، وتلطيف القلب في محبة الخير والإحسان، ولكون الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه. ومن جملة الكتب التي درسها في هذا المجال، كتاب منهاج العابدين وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي (ت:505هـ/1111م)[4].

وهناك الكثير من طلبة العلم الذين تتلمذوا على يده، صرحوا بأخذهم علوما أخرى عن ابن مرزوق الحفيد، مثل: الفلسفة والجدل والمنطق والهندسة والحساب والأدب[5]، هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على المستوى العلمي الراقي الذي وصل إليه ابن مرزوق الحفيد وعلى سعة اطلاعه في العلوم مما يعكس الحالة العلمية المزدهرة التي عرفتها تلمسان آنذاك، وعن قدرته في التوفيق بين التدريس والإفتاء والقضاء والتأليف.

خلاصة القول، إن ثقافة ابن مرزوق الحفيد ثقافة عربية إسلامية عميقة، واسعة التنوع يغلب عليها طابع المشاركة والموسوعية. فهي ثقافة أصولية وفروعية وحديثية ولغوية ومنطقية إلى

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 97. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 295. ابن غازي، المصدر السابق، ص: 184.

[2]- للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي، التلخيص فيي علوم البلاغة وهو تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

[3]- ابن غازي، المصدر السابق، ص: 184. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 206.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 97. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 295. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 208.

[5]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 136. ج: 9، ص: 182، 303.

غير ذلك من الجوانب المعرفية المتعددة، والمجتمعة في شخصية واحدة كشخصية ابن مرزوق الحفيد نفسه أو شخصيات أخرى معاصرة.

ثانيا: أبرز تلامذته

عندما تكلمنا في الجزء الأول من هذا المبحث عن بعض من شيوخ ابن مرزوق الحفيد وهم كثر، تبين لنا مدى التأثر الذي أحدثه هؤلاء على شخصه، وكيف ساهم في تكوين شخصيته الفذة ذات العلم الواسع والإدراك الكبير والثقافة التي قل نظيرها أن تتوفر في شخص واحد، فلم يجانب التنبكتي الصواب حينما وصفه بالقول: "شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة، والأبحاث الغريبة، والفوائد الغزيرة، المتفق على علمه وصلاحه وهديه، السيد الزكي الفهامة القدوة الذي قل سماح الزمان بمثله أحد"[1].

ومن الطبيعي، ونحن نتكلم عن شخصية فذة أن لا يكون لها التأثير على الآخرين، وهو العنصر الثاني من الثنائية التي يجب أن تتوفر في شخصية العالم، ولا يمكننا أن نتصور من أنه لم يكن لابن مرزوق الحفيد رصيد من المريدين الذين يحاولون النهل منها والاستفادة من علمه. وبناءا عليه، ونظرا تبحر ابن مرزوق الحفيد في العلم فقد كثر تلامذته ومرتادو مجلسه، وارتحل إليه الطلبة من ربوع المغرب الإسلامي قاطبة، وأخذت عنه جموع كثيرة، عدت فيما بعد من السادات والمشايخ التي يشار إليها بالبنان، ومن هؤلاء نذكر:

1- العلامة نصر الزواوي (ت:826هـ/1422م):

نصر الزواوي المغربي المالكي، وهو عالم من الصلحاء الزهاد العباد له مشاركة في علوم العربية، رحل إلى المشرق وأقام بالقدس ما يقارب عشرين سنة وتوفي ودفن بها، قال عنه لبن مريم: "ذكره العيني ووصفه بالعلم والفضل والرفد"[2]. وكتب التنبكتي عنه في كتابه: "كان عالما محققا زاهدا عابدا وليا صالحا ناصحا من أكابر تلاميذ الإمام بن مرزوق"[3]. وذكره السخاوي من أنه:

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 499.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 295-298.

[3]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج2، ص: 255.

"نزيل بيت المقدس"[1]، وأضاف قائلا: "أقام به قريبا من عشرين سنة على قدم التجرد والاشتغال بالعلوم والعبادة قانعا باليسير"[2].

2- علي بن ثابت القرشي الأموي (ت:829هـ/1425م):

أبو محمد علي بن سعيد بن محمد بن عبد الله ينتهي نسبه إلى أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي هكذا نسبه ابن مرزوق الحفيد في إجازته له، كان مقطوع النظير في الورع والاجتهاد والدين، وله من التآليف نحو ثمانية وعشرين تأليفا أكثرها في أصول الدين والحديث والتاريخ والطب، ومنها ثلاثة شروح على البردة، وشرح لتنقيح القرافي وشرح عقيدة الضرير، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وأجاز له، وكان مولده سنة 772هـ/1270م[3].

3- أبو عبد الله محمد الجزولي (ت:863هـ/1459م):

أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود المغربي المالكي الجزولي، ولد في مدينة جزولة سنة 780هـ/1378م، ودرس فيها قرابة ستة عشر عاما في علوم الفقه، العربية والحساب على عدة شيوخ منهم: أبو العباس الخلفاني وأخوه عبد العزيز. وبعدها انتقل إلى فاس وهناك تتلمذ على يد الشيخ عبد الله العبدوسي، ومنها رحل إلى تلمسان ودخلها أول سنة 840هـ/1436م وأقام بها نحو ثمانية أشهر، أين اجتمع بكبار علمائها، من أمثال: ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وأبو الفضل بن الإمام[4]، وبعد ما سمع منهم سافر إلى تونس سنة 804هـ/1401م، واستمرت رحلته حتى وصل إلى مكة المكرمة أي تصدر للتدريس مع الإفتاء، واستمر في ذلك حتى وفاته[5]. وكتب ابن شاهين في كتابه "نيل الأمل في ذيل الدول" يصف مناقبه بالقول: "كان عالما، فاضلا، بارعا في الفقه والعربية، خيرا دينا، كريم النفس، سمع بالمغرب كثيرا، وحج وقطن مكة وبها باغته الأجل"[6].

---

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ج:10، ص: 201.

[2]- المصدر نفسه، ص: 201.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 335. مخلوف، المرجع السابق، ص: 333.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 259.

[5]- التنبكتي، **الكفاية**، ج: 2، ص: 147. ابن القاضي، المصدر السابق ، ص: 280.

[6]- ابن شاهين زين الدين عبد الباسط بن خليل الظاهري الحنفي، **نيل الأمل في ذيل الدول**. تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2002، ق: 6، ص: 55.

4- محمد الرياحي المغربي المالكي (ت:840هـ/1436م):

عرف عنه حسن الخلق، أقام في بلدة البرلس من بلدات مصر نحو ستين سنة حيث انتفع به جماعة من أهلها وغيرهم، كان بارعا في الفقه والأصلين، ومن أشهر تلاميذه: أحمد بن يوسف، وأخذ عن ابن مرزوق الحفيد وغيره، مات بعد الأربعين وهو راجع من زيارة بيت المقدس[1]. وكتب عنه التنبكتي، قائلا: "كان حسن الخلق بارعا في الفقه والأصلين"[2].

5- القاضي أبو حفص عمر بن محمد القلشاني (ت:847هـ/1433م):

هو قاضي الجماعة بتونس أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله الباجي التونسي القلشاني المالكي، وصفه بالتنبكتي بـ:" الفقيه العالم الإمام العلامة المحقق النظار الحافظ الحجة الإمام المطلق الجليل أبو حفص نخبة الزمان وفريد الوقت"[3]. أخذ عن والده أبي عبد الله محمد وابن عرفة وأبي مهدي الغبريني والشريف الصقلي وغيرهم، درس الفقه والأصلين والمنطق والمعاني والبيان والعربية. وأخذ عن ابن مرزوق الحفيد ومنحه الإجازة في كتاب صحيح البخاري. ومن تلاميذه، نذكر: إبراهيم الأخضري، أبو عبيد الله التريكي وغيرهم كثر. ومن مؤلفاته: شرح على الرسالة، شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي في سبعة أسفار، وشرح المدونة[4]. وتوفي وهو متقلد خطة القضاء في في تونس[5].

6- أبو عبد الله الراعي (ت:853هـ/1449م):

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الغرناطي الراعي، ولد بغرناطة سنة نيف وثمانين وسبعمائة واشتغل بالفقه والأصول والعربية ومهر فيها واشتهر بها، دخل القاهرة سنة 825هـ/1421م وحج ثم عاد ليستوطنها وأقرأ بها، وانتفع به العديد من العلماء، أخذ

---

[1]- القرافي، المصدر السابق، ص: 219. التنبكتي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 145.

[2]- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 145.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 305.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 6، ص: 137. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 326. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 110-111.

[5]- الونشريسي، **الوفيات**، ص ص: 92-93.

عن ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وغيرهما. له نظم وشرح للألفية، كما اختصر شرح ابن مرزوق الحفيد لمختصر خليل قطعة من باب الأقضية إلى آخر الكتاب كما له مؤلف في النوازل النحوية[1].

7- الشيخ المقرئ زين الدين النويري (ت:856هـ/1452م):

زين الدين طاهر بن محمد بن علي بن محمد النويري المالكي، وهو مصري الأصل من قرية نوير في الصعيد، ولد بعد سنة 795هـ/1392م، وتلا على ابن الجزري وتفقه على يد البساطي وجمال الأقفهسي وشهاب الصنهاجي حتى صار أحد أئمة المالكية جامعا بين العلم والعمل والتواضع والفقه، جلس للتدريس والإقراء بجامع ابن طولون، له عدد من المؤلفات، منها: بغية الراغب وهو كتاب في شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، تنقيح القرافي، أرجوزة في النحو وأرجوزة في القراءات، وغيرها من المؤلفات[2].

8- ابن هلال القسنطيني (ت:857هـ/1453م):

إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال القسنطيني، ولد في نواحي جبل جرجرا في سنة 796هـ/1393م، وفيها درس الفقه على يد أبي الحسن علي بن عثمان، ثم رحل بعد ذلك إلى تونس ودرس الفقه والمنطق عن الشيخ أبي عبد الله الآبي، والفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني والأصول عن عبد الواحد الغرياني، وبعدها رجع إلى بلاده وهناك تمكن من اللغة العربية عن الشيخ عبد العال بن فراج، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة حيث التقى ابن مرزوق الحفيد الذي قدم عليها، وأقام فيها قرابة ثمانية أشهر، ودرس عنده الأصلين والمنطق والمعاني والبيان فضلا عن الفقه وغالب العلوم المتداولة عن ابن مرزوق الحفيد. له عدد من المؤلفات منها: تفسير وشرح ألفية ابن مالك، تلخيص المفتاح، مختصر الشيخ خليل وغيرها من الأعمال[3]. وهو ناسخ كتابيه "الروضة" ومختصره "الحديقة".

---

[1]- القرافي، المصدر السابق، ص: 215. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 154-155.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 203-204. ابن القاضي، المصدر السابق، ص: 438.

[3]- القرافي، المصدر السابق، ص ص: 25-26.ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص ص: 97-99.

9- أبو علي المزيلي الشهير بـ"أبركان (ت: 857هـ/1453م):

أبو علي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي الشهير بـ"أبركان"، ووصفه ابن مريم في بـ: "الشيخ الإمام العالم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير"[1]. تتلمذ على يد عدد من علماء المغرب الأوسط، منهم: الإمام إبراهيم المصمودي وابن مرزوق الحفيد. ومن بين تلامذته الحافظ التنسي وعلي التالوتي والإمام السنوسي الذي لازمه وانتفع به كثيرا، وتوفي آخر شوال سنة 857هـ /1453م[2].

10- أبو إسحاق الزواوي (ت: 857هـ/1453م):

إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد مفسر من كبار علماء المالكية، أخذ عن شيوخ بجاية وتونس وقسنطينة، ثم حج إلى بيت الله الحرام وهناك التقى بأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي سنة 853هـ، له مؤلفات عديدة، منها: تفسير القرآن، شرح ألفية مالك، تسهيل السبل لمقتطف أزهار روض الخليل، فيض النيل في شرح مختصر خليل وتحفة المشاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق[3].

11- ناصر الدين محمد بن محمد المعروف بـ"ابن المخلطة" (ت:858هـ/1454م):

هو ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن يحي بن محمد ناصر الدين بن العز بن المحيوي عبد الله السكندري المالكي، الشهير بـ"ابن المخلطة" وهو اسم أم أحد أجداده، وصفه ابن شاهين من أنه: "كان فاضلا، بارعا في مذهبه، محمود السيرة"[4]. ولد سنة 790هـ/1388م، حفظ القرآن وهو صغير، وتتلمذ على يد عدد كبير من العلماء والمشايخ، منهم: ابن الكويك، ابن بردس، ابن الطحان وابن مرزوق الحفيد. واشتغل بالفقه على أئمة عصره، مثل: الجمال الأقفهسي

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 74.

[2]- المصدر نفسه، ص ص: 74-93. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 161-162.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 116. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 25-26. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 82. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 260.

[4]- ابن شاهين الحنفي، المصدر السابق، ق: 5، ص: 417.

والبساطي، وتصدر القضاء وراج أمره فيه لمعرفته بالأحكام واستحضاره لفروع مذهبه، كما عمل بتدريس الفقه بالأشرفية بعد الزين بن عباد[1].

12- إبراهيم بن محمد التازي (ت:866هـ/1462م):

إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي، قال عنه ابن مريم: "الإمام العالم العلامة الناظم البليغ الولي الورع الزاهد الصالح الناصح العارف القطب صاحب الكرامات والأحوال البديعة العجيبة والقصائد الرائقة الأنيقة"[2]. تنقل بين الحواضر الاسلامية طلبا للعلم، حيث زار مكة للحج والاستزادة من علمائها من أمثال: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، وزار المدينة المنورة وتتلمذ على يد الشيخ أبي الفتح بن أبي بكر القرشي، وزار تونس وهناك أخذ عن شيخ الإسلام عبد الله العبدوسي، وعند زيارته لتلمسان تتلمذ على يد الشيخ ابن مرزوق الحفيد وقد أجازه ثم عاد إلى وهران واستقر فيها[3].

13- أبو عبد الله بن مخلوف الراشدي (ت:868هـ/1463م):

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي، ابن العالم الحسن بن مخلوف، فقيه مالكي نشأ وتعلم في تلمسان، وتتلمذ على يد العديد من علماء المغرب الأوسط، من أمثال: ابن مرزوق الحفيد، أبي الفضل العقباني، محمد بن محمد الحسني ومحمد بن عمر الهواري فضلا عن أبيه وغيرهم. ومن مؤلفاته، نذكر: المشروع المهيأ في ضبط رجال البخاري، فتح المبهم في ضبط رجال مسلم، الثاقب في لغة ابن الحاجب، فضلا عن ثلاثة شروح على الشفا للقاضي عياض أكبرها في مجلدين سماها "الغنية"، وصفه الشريف التلمساني بـ"العالم الحافظ بن الشيخ الشهير الولاية"[4].

---

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 10، ص: 27. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 535. القرافي، المصدر السابق، ص: 211.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 58.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص: 58-62.

[4]- القرافي، المصدر السابق، ص: 168. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 177-178. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 220. ابن القاضي، **درة الحجال**، ص: 279.

14- أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني (ت:868هـ/1464م):

أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني، والذي عرف بأنه الإمام العالم الجامع لأشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا، راسخ القدم رافع لواء الإمامة بين الأمم ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محي السنة بالفعال والمقال والشيم، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الأمم مستمر على الإرشاد والهداية والتبليغ والإفادة والرواية والدراية والعناية، ملازم للكتاب والسنة على نهج الأئمة المحفوظين من البدع في زمن لا عاصم فيه من أمر الله إلا من رحم[1].

15- ابن كحيل التونسي (ت:869هـ/1464م):

أحمد بن محمد بن عبد الله التجاني شهاب الدين الشهير بـ"ابن كحيل التونسي"، ولد بتونس في ربيع الأول سنة 802هـ/1399م، أخذ النحو عن أبي عبد الله الصنهاجي صاحب الأجرومية وأبي الحسن الأندلسي، والمنطق وعلم الكلام عن الأُبي والصنهاجي وأبي القاسم البرزلي وأبي القاسم العبدوسي والفقه عن أبي يوسف الزعبي وابن مرزوق الحفيد، من مؤلفاته متن الفقه سماه المقدمات، وكتابا في الوثائق سماه "الوثائق العصرية"، وفي التصوف كتابا سماه "عيون السائرين إلى الحق"[2].

14- الإمام المحقق ابن العباس العبادي التلمساني (ت:871هـ/1566م):

أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني وعرف بـ:"ابن العباس"، وصف على أنه شيخ الشيوخ في تلمسان وكبير علمائها، أخذ عن علماء كثر، منهم: ابن مرزوق الحفيد وأبي الفضل العقباني، واشتهر بالإفتاء والتدريس، وله العديد من المؤلفات، منها: شرح لامية الأفعال، شرح الخونجي، العروة الوثقى في تترية الأنبياء عن فرية الإلقاء. وأخذ

---

[1]- المقري، **النفح**، ج: 5، ص: .

[2]- القرافي، المصدر السابق، ص ص: 35-36.

عنه الكثير من الطلبة، منهم: أبو عبد الله الورياغي وأبو عبد الله التنسي وأبو العباس الونشريسي وابن مرزوق الكفيف وغيرهم وتوفي بتلمسان[1].

16- شرف الدين الطنوبي (ت:873هـ/1468م):

شرف الدين أبو الروح عيسى بن سليمان بن خلف بن داود الشرف أبو محمد بن العلم أبي الربيع الطنوبي القاهري الشافعي، ولد في منتصف ذي الحجة سنة 801هـ/1398م في القاهرة ونشأ فيها، وتتلمذ على يد كبار مشايخها، من أمثال: تقي الدين الشمنيي، أبو العلاء المراغي، البرهان البيجوري، الجلال البلقيني والمجد البرماوي وغيرهم. وعمل مدرسا لصحيح البخاري في الأزهر. وكتب السخاوي عنه قائلا: "كان فاضلا مفننا بارعا محبا في العلم والفائدة طارح التكلف غير متأنق في سائر أحواله لا يتحاشى دنس الثياب ولا يترفع عن المشي للأماكن النائية"، وتولى قضاء القاهرة لفترة من الزمن[2].

17- عبد الرحمن الثعالبي (ت:875هـ/1470م):

أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري من كبار المفسرين في بلاد المغرب الإسلامي، ولد ونشا بناحية واد يسر بالجنوب الشرقي من الجزائر، تعلم في بجاية وتونس ومصر ثم حج وعاد إلى تونس سنة 819هـ/1416م، أين أخذ عن ابن مرزوق الحفيد حينما زارتونس قاصدا الحج فمكث بتونس سنة أو جلها فأخذ عنه الكثير من روايته وتآليفه وأجازه بمروياته[3]، له أكثر من تسعين كتابا منها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، روضة الأنوار ونزهة الأخيار، الأنوار في آيات النبي المختار، إرشاد السالك والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة[4].

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ج: 1، ص: 547. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 159. ابن مريم، البستان، ص: 223.

[2]- السخاوي، المصدر السابق، ص ص: 153-154. ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ق: 6، ص: 345. السيوطي جلال الدين، **المنجم في المعجم (معجم شيوخ السيوطي)**. د وتح: ابراهيم باجس عبد المجيد، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1995م، ص: 163.

[3]- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص ص: 112-113.

[4]- السخاوي، المصدر السابق ، ج: 4، ص: 152. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 257-258. القرافي، المصدر السابق، ص: 101. ابن القاضي، **درة الحجال**، ص: 331. عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص: 90.

18- شهاب الدين أحمد القسنطيني (ت:878هـ/1474م):

أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن شهاب الدين القسنطيني عالم في العربية والحساب والمنطق، نشأ وتعلم بقسنطينة ورحل إلى المشرق سنة 833هـ/1429م للحج، ولقي هناك ثلة من العلماء الذين أخذ عنهم كشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، زار بلاد المشرق عدة مرات وآخر زيارة له كانت سنة 864هـ/1459م استوطن بعدها المدينة المنورة وبها توفي ودفن، من بين مؤلفاته "رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم"، كما له ديوان في الشعر وأجوبة على أسئلة وردت من صنعاء[1].

19- أبو زكريا يحيى المازوني التلمساني (ت: 883هـ/1478م):

هو أبو زكريا يحي بن موسى بن أبي عمران بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني التلمساني، فقيه وقاض من أعيان المالكية نشأ في مازونة ولي قضائها ومات بتلمسان، أخذ عن الأئمة الكبار، من أمثال: ابن مرزوق الحفيد، قاسم العقباني، ابن زاغو وابن العباس وغيرهم، ومن مؤلفاته المشهورة، يبرز كتاب: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، وهو كتاب حافل بفتاوى علماء الجزائر وتونس والمغرب الأقصى[2].

20- أبو الحسن القلصادي (ت:891هـ/1486م):

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي الأندلسي، أصله من بسطة التي ولد فيها سنة 815هـ/1412م، وبها تفقه ثم انتقل إلى غرناطة وأخذ عن شيوخها. وأشار المقري من أنه: "آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس"[3]. وفي سنة 840هـ/1436م بدأ رحلاته العلمية حيث زار تلمسان وبها التقى بابن مرزوق الحفيد، وبقى بها ثمان سنوات، ومنها رحل إلى بلاد المشرق الإسلامي حيث زار مصر والحجاز، واتصل بشيوخ عديدين أخذ عنهم ثم

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 126. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 44-45. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 260.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 637. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 243. مخلوف، المرجع السابق، ص: 350. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 281.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج: 2، ص: 692

عاد إلى غرناطة مرورا بتلمسان، وأثناء ذلك شهد وفاة ابن مرزوق الحفيد عام 842هـ/1438م. وبعد غرناطة رحل إلى بجاية واستقر فيها إلى أن وافته المنية. ومن تلامذته الشيخ السنوسي، وله العديد من المؤلفات، منها: شرح تلخيص ابن البناء والكليات وشرحه وغيرهما[1].

21- أبو محمد عبد الله الورياجلي الفاسي (ت: 894هـ/1489م):

أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي الفاسي ولد في العشر الأوائل من القرن التاسع الهجري (15م)، نشأ في فاس وانتفع بشيوخها، من أمثال: أبي القاسم التازغدري، أبي محمد العبدوسي، أبي القاسم بن يحيى السراج أبو عبد الله العكرمي[2]. رحل إلى مدينة تلمسان وبها أخذ عن ابن مرزوق الحفيد، أبي فضل بن الأمام، أبي عبد الله بن العباس، أبو الربيع سليمان البوزيدي، أبو العباس أحمد بن محمد المصمودي الماجري[3]. ومن أبرز تلاميذه: ابن غازي المكناسي[4] الذي أخذ عنه وجالسه واستفاد منه، وأجازه إجازة عامة في آخر ربيع الآخر سنة 876هـ/1471م، وذكره في فهرسته وأثنى عليه كثيرا، ووصفه بالفقيه القاضي المدرس المفتي[5]. وقد أشار ابن غازي إلى حجم التأثير الذي تركه في نفس الورياجلي، حين كتب يقول: "وممن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة: الإمام العلم العلامة الصدر الأوحد المحقق النظار الحجة...أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، وقد حدثني بكثير من مناقبه وصفة إقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما اتفق له مع بعضهم، إلى غير ذلك من شيمه الكريمة ومحاسنه العظيمة"[6].

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص ص: 31-59. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ص: 399. القرافي، المصدر السابق، ص: 115.

[2]- القرافي، المصدر السابق، ص: 93.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 233. القرافي، المصدر السابق، ص: 93. الترغي عبد الله المرابط، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: منهجيتها- تطورها – قيمتها العلمية**. تطوان، جامعة عبد المالك السعدي، ط1، 1999م، ص: 624.

[4]- **ابن غازي العثماني المكناسي** (ت:**919هـ/1513م**): هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عالم الجماعة وشيخ الجماعة، ولد في مكناس سنة 841هـ/1438م ونشأ بها، وأخذ عن شيوخها ثم انتقل إلى فاس وجالس علمائها واستجاز علماء المشرق والمغرب الإسلاميين، توفي في مدينة فاس. ينظر: الترغي، المرجع السابق، ص: 628.

[5]- الترغي، المرجع السابق، ص: 624. مخلوف، المرجع السابق، ص: 350.

[6]- ابن غازي، **الفهرس**، ص: 113.

22- أبو عبد الله محمد التنسي (ت:899هـ/1494م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المزالي[1]، وشهرته التنسي نسبة إلى مدينة تنس التي ولد فيها[2]. وزاد عليه ابن مريم "التلمساني"[3]. وهو يعرف بالمحدث الحافظ فقيه ومؤرخ وأديب وناظم. ووصفه أحمد بن داوود الأندلسي: "شيخنا بقية الحفاظ، قدوة الأدباء، العالم الجليل ابن الإمام العلامة" [4]. أخذ العلم عن جملة من علماء تلمسان حينما نزلها، وفي مقدمتهم: مقدمتهم: ابن مرزوق الحفيد وأبي إسحاق إبراهيم التازي وأبي الفضل ابن الإمام وقاسم العقباني وغيرهم، اشتغل بالتعليم والإفتاء، وله العديد من المؤلفات، ومن بينها: الطراز في شرح الخراز، نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، راح الأرواح حول شعر أبي حمو وما قيل فيه من الأمداح[5]. ومن تلاميذه، نذكر: ابن مرزوق الحفيد الحفيد، أحمد البرنسي الشهير بـ"زروق"، ابن العباس الصغير، أبو القاسم الزواوي وعبد الله بن جلال وغيرهم[6]. وتوفي في جمادي الأولى من سنة 899هـ/ 1494م[7].

23- أبو العباس أحمد المالكي (ت: 900هـ/1495م):

أبو العباس أحمد بن زكريا التلمساني المغربي المالكي، ولد بمدينة تلمسان سنة 830هـ/1426م في عهد السلطان الزياني أبي العباس أحمد المتوكل، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، اتصل بالعالم ابن زاغو وتعلم على يديه، وبعد وفاته انتقل للقراءة على يد الشيخ محمد بن العباس، تمرس في التفسير والفقه والمنطق، وعمل مدرسا في الجامع الكبير. ومن أبرز تلامذته ابن مرزوق حفيد الحفيد، أحمد بن الحاج المناوي وأبو عبد الله محمد بن العباس. ومن

---

[1]- الونشريسي، **الوفيات**، ص: 112.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 8، ص: 120.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 248.

[4]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 209.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 572-573. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 248.

[6]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 210.

[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ص: 111.

مؤلفاته: محصل المقاصد مما بعد تعتبر العقائد، وهي منظومة تحتوي على 1500 بيت، بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، أرجوزة في حساب المنازل والبروج[1].

24- أبو الفضل محمد المشدالي (ت: 865هـ/1461م):

أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن المشدالي البجائي، ويقال أحيانا: البخاري، المالكي. ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم والفقه والجاه، وأبوه هو العلامة الفقيه محمد بن أبي القاسم بن محمد المشدالي[2]. وهو فقيه أصولي عالم بالحديث ورجاله، ومن أشهر علماء المالكية في عصره، ولد ببجاية ليلة النصف من رجب سنة عشرين وقيل إحدى أو اثنتين وعشرين وثمانمائة للهجرة[3]. حفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات ونصف، ويذكر الشوكاني من أنه: "تلا بالسبع على أبيه، وحفظ شيئا كثيرا من المختصرات بل والمطولات"[4]. وأخذ عن علماء بجاية في مقدمتهم: أبوه وهارون المجاهد وأبو عثمان العيسوي وأبي يعقوب يوسف الربعي غيرهم من العلماء البجاويين[5]. رحل سنة 840هـ/1436م إلى تلمسان أين تتلمذ تتلمذ على يد كبار شيوخها كابن مرزوق الحفيد، قاسم العقباني، أبو الفضل بن الامام، أبو العباس بن زاغو ومحمد بن النجار[6].

وبعد عودته من رحلته الى تلمسان عام 844هـ/1440م الى مدينة بجاية، برع أبو الفضل المشدالي في الكثير من العلوم، وتصدر للإقراء في بجاية لفترة من الزمن، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة عنابة ومنها إلى قسنطينة أين حضر دروس علمائها، ومنها انتقل إلى تونس التي وصلها في عام 845هـ/1441م، ومنها انتقل إلى مدينة طرابلس في ذات العام، ومنها قصد بلاد الشام

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 84. القرافي، المصدر السابق، ص: 40. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 38-41. نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 159.

[2]- يقول عنه التنبكتي في كتابه الكفاية: "هو علامتها ومفتيها وفقيهها وصالحها، عرف بالمشدالي...نسبة لقبيلة زواوة. الفقيه العلامة المحقق النظار الصالح الورع الزاهد". وتوفي في عام 866هـ/1461م. ينظر: ج: 2، ص ص: 175-176.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 538. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 177. القرافي، المصدر السابق، ص: 204. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 9، ص: 180.

[4]- الشوكاني، المصدر السابق ، ج: 2، ص: 247.

[5]- السخاوي، المصدر السابق ، ج: 9، ص ص: 180-181. الشوكاني، المصدر السابق ، ج: 2، ص: 247.

[6]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 177-178.

وتنقل بين مدنها: بيروت، دمشق، طرابلس وحماة وصولا إلى بيت المقدس التي وصلها سنة 847هـ/1443م، وفي سنة 849هـ/1445م قرر الذهاب إلى مكة المكرمة من أجل أداء فريضة الحج، وبعد أداء الفريضة بقى في مكة فترة من الزمن للتدريس والأخذ عن علمائها، ومنهم: البرهان بن ظهيرة، وبعدها انتقل إلى القاهرة حيث استقر به المقام، فتبادل معارفه وعلومه مع علمائها وتتلمذ على يده العديد من طلبة العلم[1]. وهناك لقي السخاوي الذي خصه بترجمة في كتابه "الضوء اللامع"[2].

وكان واحدا من أنجب طلبة ابن مرزوق الحفيد، وعلى ما تظهره الأخبار أنه كان قريبا منه لسعة علمه وكثرت معارفه. ويذكر التنبكي حادثة تعكس طول قامته حينما يمتدحه شيخه ابن مرزوق الحفيد بالقول: "ما عرفت العلم حتى قدم علي هذا الشاب. فقيل له: كيف؟. قال: لأني كنت أقول فيسلم لي كلامي. فلما جاء هذا الفتى شرع ينازعني فشرعت أتحرز فانفتحت لي أبواب المعارف"[3]. ويذكر السخاوي إطراء ابن مرزوق الحفيد له، حين قال: "وقد برع في العلوم واتسعت معارفه وبرز على أقرانه بل على مشايخه، بحيث كتب ابن مرزوق لأبيه فيما قيل أنه قدم علينا وكنا نظن به حاجة إلينا فاحتجنا إليه أكثر"[4]، ومن آثاره العلمية كتاب شرح على جمل الخُونجي[5].

الخُونجي[5].

من خلال ما سبق قائمة أسماء طلبته تطول وقد صنع ابن مرزوق الحفيد فيهم معروفا حينما هداهم إلى الطريق القويم في العلم وإجادته، وتتجلى قيمته وتأثيره في طلبته من أقوالهم وإطراهم له، مما يؤكد على تجاوزه معاصريه من العلماء لاسيما في مدينته تلمسان، في علمه وطريقة تدريسه التي كانت تغري الطلبة على الالتحاق به دون غيره.

وحاولنا من خلال هذا الفصل أن نقف على جوانب من مسيرة ابن مرزوق الحفيد العلمية، وسعيه الجاد في طلب العلم والرحلة من أجله، لإدراكه القيم السامية لهذه المهمة التي

---

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 9، ص ص: 182-185.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 538. القرافي، المصدر السابق، ص: 204. نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 301.

[3]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 178.

[4]- السخاوي، المصدر السابق ، ج: 9، ص: 182.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 538. القرافي، المصدر السابق، ص: 204. نويهض عادل، المرجع السابق،ص: 301.

تصدى لها. ومن خلال أسماء مشايخه ممن ذكرناهم أو لم نذكره –وهم كثر– أنه عالم متشعب العلوم، فقد كان عالما موسوعيا شاملا، له مؤلفات في الحديث والتفسير والفقه والأدب والنحو والعروض والميقات والمنطق وغيرها، وهذا ما جعل محل اهتمام طلبة العلم، كيف لا، وهو العالم المتقن، الواسع الاطلاع، كثير المعارف، عميق الفكر، الواضح الشخصية فيما كتب.

الباب الثاني

دراسة في آثار

ابن مرزوق الحفيد

الفصل الرابع

مجالات التأليف

عند ابن مرزوق الحفيد

المبحث الأول: مجالات التأليف عند ابن مرزوق الحفيد

المبحث الثاني: منهجه وأسلوبه في الكتابة

المبحث الثالث: مصادر ه

تمهيد:

إن القصد من وراء دراسة مجالات التأليف وتتبع منهجية ابن مرزوق الحفيد، هو استيضاح للوسائل والآليات التي مكنته من أن يرتقي بمستوى ملكاته إلى درجة أعلى، وإذا كان قد برع في مجالات كثيرة من العلوم، فإنه يمكننا تلمس حالات بروزه وتميزه في مجالات معينة، وعلى سبيل المثال لا يختلف اثنان على أهمية ما قدمه في مجالات: علوم العربية، والحديث، الأصول والفقه ولاسيما الفتوى، والتي كانت تتناقل في الأصقاع شرقا وغربا. ومادام الحديث هنا عن التأليف وفنونه، علينا استذكار قيمة التراث العربي الإسلامي الذي ينتمي إليه ابن مرزوق الحفيد، والمطلع عليه يكتشف عبقرية صناعه، ويتلمس ذاك الفكر الموسوعي وبراعة المؤلفين في استخراج كامل طاقاتهم وإمكانياتهم؛ فقد أعطوا التأليف حق قدره واحتفوا بالكتاب أيما حفاوة، وكل شيء كان ممنهجاً وفقا لمعطيات عصرهم.

ومن بين أنواع التآليف المختلفة يوجد شكل متميز في العصر الوسيط الإسلامي، تميز به ابن مرزوق الحفيد وغيره من علماء ذلك العصر، وهو اعتماد المؤلف على كتاب سبق ظهوره، يهتم به ويتخذ منه محوراً يدور حوله كتابه الجديد في شكل شرح أو تلخيص أو تهذيب أو تذييل أو استدراك أو معارضة أو محاكمة، وهذا النوع من التأليف هو ما يسميه البعض "التأليف النصي المحوري" وهو يمثل ظاهرة هامة استمرت في التأليف العربي الإسلامي في مختلف عصوره، ولازالت موجودة بعض مظاهره حتى الآن. وهذا يوضح، أن عبقرية التأليف العربي الإسلامي استجابت للوظائف العلمية لتظهر أنواعا مختلفة، مثل: المقدمات، العرضات، الهيئات، المسائل، التخريج، التوليد، المفاتيح، النظم، صياغة المعاجم والموسوعات وغيرها[1].

وبما أن تقدم البحث العلمي رهين بالمنهج، ويدور معه وجوداً وعدماً خصباً وعقماً، كان لابد من الاهتمام البالغ بتقنين مناهج للبحث العلمي كما أشار عبد الرحمن بدوي[2]. وهذا ما يدفعنا للقول بأن مسألة المنهج ورصانته عند ابن مرزوق الحفيد كان غاية لا وسيلة فيما سعى ونتيجة ذلك، جاءت كتاباته قائمة على أساس متين يعتمد المصداقية فيه، ومن هنا عنينا بأسلوب

---

[1]- نبهان كمال عرفات، **عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي**. الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2015، ص ص: 49-51.

[2]- بدوي عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**. الكويت، وكالة المطبوعات، 1977، ص: 37.

الكتابة والبناء اللغوي عنده قدر الإمكان وبقدر ما هو متوفر لدينا من معلومات وما اجتهدنا به. وفيما يخص مسألة المصادر وأهميتها عنده، فإننا نجده قد اعتنى غاية الاعتناء بها، وحرص على الوصول إلى أفضلها وأحسنها، وذلك من أجل تحقيق الغاية المرجوة من التأليف والكتابة.

المبحث الأول: التأليف عند ابن مرزوق الحفيد:

حدد أصحاب الشأن مجالات التأليف على أنها سبعة أقسام يمكن للمؤلف الكتابة فيها، فكتب حاجي خليفة، قائلا: "التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي إما شيء لم يسبق إليه أو شيء ناقص يتممه أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشي من معانيه أوشي متفرق يجمعه أو شي مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه"[1]. ومن هنا، حرص المؤلف المسلم على الإخلاص لنصه على اعتبار أنه خزان للقيم المعرفية والأخلاقية وذاكرة الحضارة، وركيزة التوازن العقلي والنفسي والاجتماعي، على اعتبار أن النص ثابت والفهم متحرك، والنصوص تمتلك جدلية محيرة، فهي تستوعب الحقيقة والخيال، الخير والشر، التسامح والتعصب، وهي مثل الطاقة تتشكل وتتحول، كما أنها فضاءات يخلق فيها العقل المبدع المنتصر، وسجون يكبل فيها العقل المهزوم[2].

وبناء على ما ذكر أعلاه، فإن ابن مرزوق الحفيد يعكس لنا هذا التوصيف، من حيث الخيارات والمواصفات، فضلا عن تنوع مجالات التأليف عنده، وهي واحدة من مزايا العصر الذي عاشه شيخنا الجليل، إذ تنوعت هذه المجالات ما بين العلوم النقلية والعقلية. كما نجده يفرض نفسه بتميز واقتدار، وهذا التميز هو الذي فرض على المترجمين الاعتراف به، فهذا المقري، يقول عنه: "إمام الأئمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ، بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول"[3].

وتتجلى صورة الإبداع في التنوع والتميز في مجالات التأليف عند ابن مرزوق الحفيد في ما كتبه عنه ابن مريم التلمساني في بستانه: "أما الفقه فهو فيه مالك، لو رآه ابن القاسم لأقر به

---

[1]- حاجي خليفة، المصدر السابق، مج: 1، ص: 35.

[2]- نبهان كمال عرفات، المرجع السابق، ص: 27.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 40.

عينا، وقال له: طالما دفعت عن المذهب عيبا وشينا، أو رآه المازري لعلم أنه من أقرانه الذي معه يباري، أو الحافظ ابن رشد، لقال له: هلم يا حافظ الرشد، أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة، أو القرافي لاستفاد منه قواعده المقررة، فلو رآه مجاهد[1] لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو الزمخشري لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقة، وقال: لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان[2] لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره، وأما الأصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده، أما النحو فلو رآه الزمخشري لتلجلج في قراءته المفصل، واستقل ما عنده من القدر المحصل، وأما البيان فالمصباح لا يظهر له نور عنده هذا الصباح، وبرؤية تحقيقاته يتحير الناظر ويقول: كم لله من مواهب لا تسعها المكاسب إلى غيرها من علوم عديدة وفضائل مأثورة عتيدة".

ومن خلال نص ابن مريم في وصفه لابن مرزوق نجده يدل على موسوعية عالمنا، ويظهره لنا قادرا متمكنا في طرق جميع أبواب العلم بلا خوف أو هيبة. وعند الحديث عن صناعة التأليف وأهمية ذلك، يحضرنا ما كتبه المقري في كتابه أزهار الرياض، إذ انتهى في رأيه إلى تقدم المغاربة على المشارقة في هذا الميدان، وذلك انطلاقا من ما قدمه إلينا ابن البناء المراكشي[3]، واستدرك ذكر من جاء من بعده من العلماء المغاربة وإبداعهم في هذا الميدان حتى جاء ذكره لابن مرزوق الحفيد، إذ

---

[1]- **أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي الأسود** (ت:**104هـ/722م**): مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، شيخ القراء والمفسرين، أخذ علوم القرآن والتفسير والفقه عن كبار الصحابة ﷺ، من أمثال: عبد الله بن السائب القارئ، ابن عباس، أبو هريرة، السيدة أم المؤمنين عائشة وأبي سعيد الخدري وغيرهم. ومن تلاميذه: عمرو بن دينار، الحكم بن عتيبة، إبراهيم بن مهاجر وبكير بن الأخنس وخلق كثير. واختلف في تاريخ وفاته، ولكن الأرجح أنه توفي سنة 104هـ/722م. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج: 4، ص ص: 450-457.

[2]- **أبو حيان الغرناطي** (ت:**745هـ/1344م**): أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. سمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز على يد الشرف الدمياطي، ابن دقيق وابن عساكر وغيرهم، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ اشتهر اسمه أيضا. وأخذ عنه أكابر عصر، من أمثال: تقي الدين السبكي وابن عقيل. وتولى تدريس التفسير في المنصورية. ومن تصانيفه: البحر المحيط في التفسير ومختصره النهر، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ارتشاف الضَّرَب. ينظر: السيوطي، المصدر السابق، ج: 1، ص ص: 280-285.

[3]- **ابن البناء المراكشي (654-721هـ/1256-1321م)**: أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العددي الملقب بـ"ابن البنَّاء". ولد في غرناطة وقضى أغلب فترات حياته في مراكش ونسب إليها، وبها درس النحو والحديث والفقه ثم ذهب إلى فاس ودرس الطب والفلك والرياضيات. ومن شيوخه: ابن مخلوف السجلماسي الفلكي وابن حجلة الرياضي. ألف أكثر من سبعين كتاباً ضاع أغلبها ولم يبق منها إلا القليل، أشهرها :كتاب تلخيص أعمال الحساب، مقالات في الحساب، كتاب الجبر والمقابلة وكتاب أحكام النجوم وغيرها من الأعمال. وتوفي في مراكش سنة 721هـ/1321م. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 1، ص ص: 82-87.

اعتبره واحد: "ممن بلغ رتبة التبرير في تحصيل العلم...ومنهم شيخنا الإمام الحافظ المجتهد، صاحب التصانيف المفيدة أبو عبد الله محمد بن مرزوق له المنزع النبيل في شرح مختصر خليل"[1].

ومن أجل بيان ذلك سنتتبع ما قدمه ابن مرزوق الحفيد من مؤلفات وأعمال في مجالات العلوم والمعارف المختلفة، وذلك لكي تتكامل الصورة العلمية لهذا الإنسان الذي كان نموذجا في السلوك ومبدعا في أصناف المعارف والعلوم.

أولا: تنوع مجالات تأليفه

عندما بدأت قرائح تجود ابن مرزوق الحفيد بتآليف متنوعة، سجلت لنا منذ البداية تميزا ومقدرة على الوصول إلى الغايات المرجوة منها بكل سلاسة ويسر، إذ أظهر امتلاكه لأسباب المعرفة الراقية، مما جعله محافظاً على خصائص أعماله في مختلف الاتجاهات: النص، التأليف والشرح والتعقيب، والتي جاءت في إطار الحفاظ على الأمانة العلمية وصدق الرؤية وتوافقها مع غاياتها العلمية الصرفة. ولما كان التأليف ظاهرة اتصالية، وترتكز على دراسة المصادر المقروءة التي يعتمد عليها المؤلف في المراحل التكوينية للتأليف، وعلاقة ذلك بالإنتاج الفكري للمؤلف الذي يقوم بدور المرسل في هذا النوع من الاتصال[2].

ونتيجة لذلك تبوأ الدرجات العليا في التفوق والشهرة في عصره –وحتى الآن– ووصوله إلى هذه المكانة لم يكن نابعاً من فراغ، وإنما جاء انعكاسا لتميزه في عدة جوانب، وهي التي جعلته يفوق أقرانه، وأحيانا من سبقوه، وأيضا من لحقه، وهنا نتذكر، مسألة هامة وهي أن إتقانه وتفوقه في مختلف العلوم لاسيما الشرعية منها، مرتبط بمقدرته على إتقان علوم اللسان العربي، وفي هذا الصدد يؤكد ابن خلدون على هذه القضية، حين يقول: "أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشرعية إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"[3].

---

[1]- المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ج: 3، ص: 25.

[2]– نبهان كمال عرفات، المرجع السابق، ص: 12.

[3]– ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 753.

ولا نبالغ، إن قلنا أن قدرة عالمنا على استيعاب علوم عصره كانت كبيرة، فإذا ما قمنا بإحصاء العلوم التي درسها على يد شيوخه وقام هو بتدريسها فيما بعد، لتبين لنا من أنه كان قادرا على أخذ كل العلوم التي كانت متداولة في زمانه في مختلف المراكز العلمية الإسلامية، وهذا لا يحتاج لإثبات لكون علمه الواسع وسعة اطلاعه، تلزمنا بالاعتقاد من أنه أخذ أكبر قسط من كل العلوم التي كانت متداولة في تلمسان وبقية الحواضر العلمية التي زارها، وهنا ندعم قولنا السابق، بما كتبه عبد الرحمن الثعالبي، وهو يستجيز أستاذه ابن مرزوق الحفيد، فكتب يقول: "أن يجيز لي ما له روايته من مسموع ومقروء ومجاز ومناول ومؤلف من فقه وحديث وعلمه، ولغة وتصريف ونحو وبيان، وأصول ومعقول ومنقول، من منظوم ومنثور، وتصوف وآداب وغير ذلك مما جرت به عادة الحفاظ والأئمة والأعلام"[1]. وهذا القول بنظرة متفحصة بسيطة، يظهر لنا كم العلوم والمعارف التي كان يحملها ابن مرزوق الحفيد في صدره، وكانت مطمع واهتمام تلاميذه ومعاصريه.[2].

1. العلوم النقلية:

هي العلوم التي استندت إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل، ولا مجال فيها لإلحاق واسطة القياس، ولا مجال فيها للعقل إلا من خلال إلحاق الفروع بالأصول من خلال القياس، أو الاشتراك في العلة. وأصل العلوم النقلية هو الكتاب والسنة، فالفقيه يستنبط الأحكام منهما، ولأجلهما يستشهد بالأشعار، وبسببهما نبحث في مسائل النحو واللغة، ويدور حولهما التأليف والكتابة، ومنهج البحث والتأليف في كل العلوم النقلية يعتمد على الرواية الصحيحة للسند والنقل عنها.

وتتجلى أهمية هذه العلوم فيما ذكره أبو عبد الله الشريف التلمساني، حين قال: "فإن العلم أجمل السجايا الإنسانية، وأجزل العطايا الربانية، لاسيما علم الشريعة، إذ هو في سماء المعلوات اسطع بدرا، وأهله من بين أولي الدرجات ارفع قدرا، بجنة رعايته يتحصن يوم الفزع الأكبر من

[1]- الثعالبي عبد الرحمن، **الرحلة**، ص: 114.

[2]- سيقتصر حديثنا هنا على بعض المجالات التي لم نعثر فيها على مخطوطات لابن مرزوق إن كانت محققة أو غير محققة، في حين سوف نتطرق في الفصلين الخامس والسادس بالحديث عن المجالات الأخرى التي كتب فيها بشكل مفصل.

العذاب الأليم، وبنور هدايته يستضاء في ظلم الحشر إلى جنات النعيم، فلقد فاز بالسعادة من أحيا به رسما داثراً، وحاز مع المسلمين فيه قسما وافراً"[1].

والتأليف في العلوم النقلية يعتمد على الدراية وصحة السند، وهو الأساس الذي يعتمد عليه أو يحتاج إليه المحدث أو المفسر، حتى نصل إلى مرحلة اليقين، وبالتالي فأهم ما شغَل بال الباحث هو محاولة جمع الأحاديث، وامتحان الأسانيد، والفصل بين الجيد والضعيف فيها، ذلك بالنسبة للعلوم النقلية. وهنا سوف نتطرق إلى العلوم النقلية التي اجتهد بها شيخنا ابن مرزوق، والذي تشعبت اهتماماته لتمتد إلى أكثر من علم وميدان، وهنا سنحاول تعريف ببعض تلك العلوم وبيان أهميتها، ومن ثم التذكير بما قدمه ابن مرزوق في هذا العلم أو الميدان، وفضله على تلك العلوم المتنوعة. ومنها نذكر:

علم التفسير: وهو من العلوم الشرعية الهامة في حياة المسلمين، لكونه واحد من العلوم الكثيرة التي ظهرت لخدمة القرآن الكريم مثل: علم القراءات والتجويد والرسم وغيرها، وهو العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح لقران ويكشف الطرق الخاطئة في تفسيره. والتفسير لغة: هو الإيضاح والتبيين، بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل، ويتجلى ذلك في محكم قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2]، أما اصطلاحا: فهو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد (ﷺ) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[3]، بمعنى: "هو علم بمعاني القرآن، وناسخه ومنسوخه، وبجمله ومبينه، ومتشابهه ومحكمه"[4].

والغاية منه ضبط التفسير بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة والمناهج السوية للتفسير، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمفسر. وبناء عليه، فإن هذا العلم كبير وشرف

---

[1]- الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة**. در وتح: محمد علي فركوس، بيروت، المكتبة المكية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م، ص ص: 295-296.

[2]- سورة الفرقان، الآية: 33.

[3]- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**. الرياض، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ، ص: 7-8.

[4]- زرزور عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**. عمان، دار الإعلام، ط1، 2005م، ص ص: 300-331.

عظيم ذلك من أشرف العلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلا[1]. ومن هنا، فإن علم التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها أحد، لأنه ليس له قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها[2].

لقد حافظ علماء المغرب الإسلامي على النهج الحقيقي في علم التفسير، وبقوا متمسكين في تدريسه بطريقة البحث الموضوعي والتحليل، واتجهوا في التأليف وجهة الشرح والبسط غير آبهين لطريقة البحث اللفظي ولا ملتفتين في التأليف إلى المختصرات التي قامت فيها الإشارات مقام العبارات، فكانت الدروس التي حفلت بها مدارس العلم في تلمسان وبجاية وتونس وقسنطينة وفاس، وغيرها من المدن، في القرن الثامن الهجري (14م) دروسا تختلف في منهجها ومادتها وأسلوبها عن الدروس التي كانت تدرس في ذات الوقت في مدارس المشرق الإسلامي[3]، ونتيجة هذا التميز برز رجالات التفسير من أبناء المغرب الإسلامي وذاع صيتهم في بلاد المسلمين، من أمثال: ابن عرفة وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني وغيرهما من المفسرين الكبار.

ومن هذا المنطلق، لم يشذ شيخنا عن قاعدة التميز في هذا العلم، فقد اجتهد بقدر ما يمتلكه من إمكانيات وقدرات علمية وذهنية، للمساهمة في هذا العلم، وهو الذي وصفه التنبكتي بالمفسر[4]، حيث قدم لنا أكثر من عمل في هذا المجال، وفي ظننا أن شيخنا تردد للدخول في هذا الميدان رغم ما عرف عليه من غزارة الإنتاج في بقية العلوم الدينية الأخرى، ربما هو خشيته من الوقوع في الزلل أو الخطأ، مستذكرا في ذلك حديث الرسول (ﷺ): (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار)[5]. ومن بين الكتب التي وضعها في هذا العلم: كتابه "تفسير سورة الإخلاص

---

[1]- فهد الرومي، المرجع السابق، ص: 12-13.

[2]- الذهبي محمد حسين، **التفسير والمفسرون**. القاهرة، مكتبة وهبة، 1995م، ج: 1، ص ص: 12-14.

[3]- بن عاشور محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، 1970، ص ص: 102-103.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 498.

[5]- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**. تق: بدوي طبانه، مكتبة كرياطه فوترا، د.ت.ن، ج: 1، ص: 290.

على طريقة الحكماء، وكتاب "الآيات البينات في وجوه دلالة المعجزات"، وتقاييد على سور من الكتاب العزيز، وكذلك فسر سور أخرى، وهي: سورتي المائدة ومريم، حتى قيل بأنه فارس التفسير، وتقول حفيظة بلميهوب عن طريقة تفسيره، من أنه: "اقتفى فيها طريقة السلف مثل الزمخشري وابن عطية وأبي حيان"[1].

وللأسف فإن كتبه هذه –لحد الساعة– هي مفقودة، فلربما لو جدت يوما ما نستطيع أن نؤكد على أنه بالفعل يستحق لقب "فارس التفسير" أم لا ؟ وهل كان يتخوخ أو يتردد في التفسير ؟ أم كان مجرد ناقل لتفاسير علماء آخرين ؟

أما في علم الفقه هو أحد العلوم الشرعية المهمة، والذي يبحث في معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وهو من أجل العلوم قدرا وأرفعها شأنا، لأنه يوصل إلى معرفة أحكام الله تعالى في الحلال والحرام، والجائز والممنوع، ويرشد الإنسان إلى المعرفة المنهج الإلهي في السلوك الفردي والاجتماعي، ويعبد الطريق السوي لتنظيم علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بربه في العبادات، وعلاقته بأخيه الإنسان في المعاملات، ويرسم الخط القويم لتحديد علاقة الإفراد مع بعضهم، رؤوساء ومرؤوسين، كبارا وصغارا، رجالا ونساء، حكاما ومحكومين، قضاة ومدعين، علماء ومتعلمين، عمالا وأرباب عمل[2].

وفي هذا الميدان قدم لنا الحفيد عددا من الأعمال المتميزة التي جعلته يشكل علامة فاصلة في الكتابات الفقهية في عصره، وهنا نستدل بما ذكره التنبكتي بخصوص مكانته في مجال الكتابة الفقهية، حين قال: "وأما الفقه فهو فيه مالك، ولازمه فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام لقال له: تقدم فلك العهد والولاية وتكلم فمنك يسمع فقهي ولا محالة، أو ابن القاسم لأقر به عينا، وقال له: طالما دفعت عن المذهب عيباً وشيئاً، أو أدرك الإمام المازري لكان من أقرانه الذي معه يجاري، أو الحافظ ابن رشد، لقال له: هلم يا حافظ الرشد، أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة، أو القرافي لاستفاد من قواعده المقررة"[3].

---

[1]– بلميهوب حفيظة، "ابن مرزوق الحفيد وكتابه المتجر الربيح في شرح الجامع الصحيح للبخاري". مجلة السيرة النبوية، الرباط، ع: 7، السنة 2012م، ص: 297.

[2]– عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**. مكتبة الدعوة الإسلامية، د.ت.ن، ص ص: 11-12.

[3]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500.

أما في ميدان علم اللغة فلولاها ما قامت للإنسان حضارة ومن هنا، جاء الاهتمام من قبل العلماء العرب المسلمين بالعلم الذي يدرس اللغة العربية موضوعا له، ولابد من الإشارة هنا، إلى أن علم اللغة يبحث في مجالات تخص دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة ودراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يعرف بـ"علم الصرف"؛ إلى جانب دراسة نظام الجملة، من حيث ترتيب أجزائها، وأثر كل جزء منها في الآخر، وعلاقة هذه الأجزاء ببعضها البعض وطريقة ربطها، وهو ما يمكن دراسته ضمن النحو، وهو العلم الذي يختص كذلك في دراسة دلالة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، والحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه وغير ذلك[1]. وقد أبدع عالمنا في هذا المجال، وهذا الإبداع لم يكن من حيث الكم، وإنما يظهر لنا تمكنه في هذا العلم ومقدرته على التحكم به وتوظيفه بالشكل الذي يظهر أنه مثلما وصف من قبل معاصريه ومن كتبوا عنه، فهذا التنبكتي يصفه: بـ"الأستاذ المقرئ النحوي اللغوي البياني العروضي"[2].

وفي مجال علم القراءات الذي يختص في البحث في وجوه الاختلاف بين القراءات المتواترة لألفاظ القرآن وحروفه وفائدته صونا لكلام الله سبحانه وتعالى من التحريف والتغيير. والقراءات من ناحية اللغة، فهي جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر لغة إذ نقول: قرأ، يقرأ، قراءة وقرآنا، بمعنى تلا فهو يتلو والقرآن متلو[3]. واصطلاحا هو: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف[4]. ويصف أحمد بن محمد البنا هذا العلم، بالقول: "إن علم القراءة علم يعلم منه إتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصول، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"[5]. وأشار إلى فائدته، حين قال: "صيانته عن التحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة،

---

[1]- رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص ص: 10-12.

[2]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 136.

[3]- الفيروزأبادي، المصدر السابق، ص: 49.

[4]- محمد سالم محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1984، ج:12، ص: 9.

[5]- البنا أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات**. تح وتق: شعبان محمد إسماعيل، بيروت، القاهرة، عالم المعرفة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1987م، ج: 1، ص: 67.

ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجتهم في الاهتداء، مع ما فيه من التسهيل على الأمة"[1]، وأشار ابن الجزري نقلا عن الرازي من أن الاختلاف بين القراءات لا يخرج عن سبعة أوجه، وهي[2]:

أ- اختلاف الأسماء من الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها.

ب- اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

ت- وجوه الإعراب.

ث- الزيادة والنقص.

ج- التقديم والتأخير.

ح- القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر.

خ- اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار.

وعليه، جاء ظهور هذا العلم نتيجة انتشار الإسلام في الأمصار إلى تباين في نطق بعض الألفاظ، مع عدم الإخلال بالمعنى، وحتى لا تتسع الهوة وتمتد يد البدعة إلى قراءات القرآن، اختير سبعة من أئمة القراء المشهورين بالثقة في مختلف الأمصار، كلهم من أهل العلم والدراية، ومشهود لهم بالأمانة، واعتبرت قراءاتهم من القراءات الصحيحة والسليمة، ثم زيدت ثلاث قراءات أخرى ولكنها موضع جدل وخلاف بين القراء[3]. علما بأن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان ذلك جائزا لهم ومرخصا فيه، وقد جعل لهم الاختيار في أي حرف قرؤوا به كما في الأحاديث الصحيحة كما أشار إلى ذلك ابن الجزري[4]. ولم يكن هذا العلم يحقق غاياته التي نشأ من أجلها، لولا تلازم علوم أخرى له، منها: علم التجويد، وهو من أهم العلوم التي لها صلة وثيقة بالقراءات، وهو علم مختص بـ: "قواعد وأحكام كيفية النطق بالكلمات القرآنية على

---

[1]- البنا أحمد بن محمد، **إتحاف الفضلاء**، ج: 1، ص: 67.

[2]- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**. تص: على محمد الضباع، بيروت، دار الكتاب العلمية، د.ت.ن، ج: 1، ص: 27.

[3]- محمد سالم محيسن، المرجع السابق، ص: 10.

[4]- ابن الجزري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 31.

الكيفية التي نزل بها على النبي الكريم (ﷺ)"[1]، وهناك كذلك علوم لها علاقة بالقراءات مثل علم الرسم والضبط وغيرها من العلوم المساندة[2].

ولقد بدأ التدوين في علم القراءات كغيره من العلوم، منذ وقت مبكر؛ غير أنه لم يشتد إلا في القرن الثالث الهجري (9م)، عصر التدوين والانفتاح العلمي في شتى العلوم، ولقد كانت القراءات ولا تزال، محل اهتمام العلماء لاسيما أولئك الذين جعلوا أنفسهم وأوقاتهم وقفا في سبيل خدمة القرآن وعلومه، ومساهمة في تحقيق الضمان الذي تكفل الله سبحانه وتعالي به للقرآن الكريم، ذلك الضمان هو حفظ القرآن وصونه من التحريف والتبديل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]. وبناءا عليه، كيف لا يقوم العلماء بخدمة القرآن والقراءات شرحا ونظما وتأليفاً، وهم يعلمون أن علم القراءات علم شريف، يتعلق بأشرف كتاب وهو القرآن، وكما هو معلوم أن شرف العلم من شرف من ينسب له، ولا أشرف وأعز من الله تعالى الذي أنزل القرآن وتكلم به حقيقة[4]. ومن بين الأعمال التي قدمها لنا ابن مرزوق الحفيد في مجال علم القراءات يبرز مؤلفه الذي يحمل عنوان: "مفتاح باب الجنة في مقرأ السبعة أهل السنة" ورجز في القراءات ذكره البلوي في ثبته[5].

2. العلوم العقلية:

هي تلك العلوم الخاصة بالعلوم الطبيعية: الطب، الأدوية، التشريح، الرياضيات، كلها أنواع من العلوم العقلية، وهي العلوم التي يتم استخدام المنهج –المنطق– أو التجربة العملية فيها، وعندها يمكن الحكم عليها بالخطأ أو الصواب، وهناك بعض مَن استخدم مع الاستدلال السماع النقلي أو الأسلوب المنطقي أيضًا في تأييد مذهبهم وآرائهم، والرد على الخصوم ذلك بالنسبة لمنهج النقل.

---

[1]– محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**. عمان، دار عمار، ط1، 2001م، ص ص: 184–191.

[2]– المرجع نفسه، ص: 191،220.

[3]– سورة الحجر، الآية: 9.

[4]– نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، **علم القراءات نشأته– أطواره– آثره في العلوم الشرعية**. الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 2000م، ص: 98.

[5]– البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

وعلينا أن نتذكر، أنه مهما كان الاهتمام بالعلوم النقلية كبيرا من قبل العلماء المسلمين في المغرب الإسلامي، وهو أمر طبيعي، فإن الاهتمام بالعلوم العقلية لم ينقطع، بأي شكل من الأشكال، إذ كانت هناك اهتمامات بمختلف العلوم العقلية، مثل: الطب والهندسة والحساب والجبر والميقات والنبات وغيرها من العلوم. ومثل بقية العلوم النقلية، شهدت العلوم العقلية ازدهارا كبيرا في تلمسان خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م). وساهم هذا الازدهار في دفع ابن مرزوق الحفيد، وتحفيزه من أجل ولوج ميدان هذه العلوم العقلية، فكانت له مساهمة في بعض علومها. وهناك من ذكر تضمينه العديد من كتاباته الأدبية شروحات لظواهر طبيعية[1].

ثانيا: تميزه في بعض العلوم

من خلال دراسة المسيرة العلمية لشيخنا نلاحظ نبوغه وتقدمه في العلوم عامة، وفي علم الحديث على وجه الخصوص، فقد كانت له السمعة ذاتها في الصناعة الفقهية والأصولية واللغوية. وهو يعتبر نموذجا للعالم الجامع، وسنحاول خلال الصفحات القادمة استعراض العلوم التي برع فيها لاسيما وأنه أظهر تميزا من خلال دراسته للقضايا المختلفة في تلك المجالات، كما أبان عن مدى تمكنه من جزئياتها، فهو يكتب من أجل الفائدة لا من أجل الكتابة وحسب، لذا كانت كتاباته كلها تفصح عن ذاتها علما ومنهجا وفائدة، والعلوم التي تميز فيها، وهي:

1- علم الحديث:

من خلال الإطلاع على سيرة ابن مرزوق الحفيد العلمية نجد ميله الكبير نحو العلوم المرتبطة بالحديث النبوي الشريف. كيف لا، والحديث النبوي يمثل مدرسة المسلم ومنفعة في الحياة الدنيا وقرار الآخرة، وتعريف العلم حسبما ذهب إليه أنس أحمد كزون، هو: "العلم النافع الذي يحقق التزكية هو كل علم يقرب من الله سبحانه، ويزيد الخشية منه، ويدفع إلى العمل الصالح ويدخل في هذا العلم الشرعي أولاً ثم تأتي العلوم الأخرى"[2]. ويتجلى ذلك من خلال تتبع المشايخ الذين تميزوا في هذا المجال في جميع البلدان التي زارها، فحاز منهم على الإجازات التي

---

[1]- طول فتحي، "منهج التحليل العلمي للظواهر الطبيعية عند ابن مرزوق الحفيد". مجلة الفكر الجزائري، ع: 5، أفريل 2013م، تلمسان، ص ص: 151-164.

[2]- كرزون أنس أحمد، **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1995/1994م، ص: 117.

تؤهله وتأخذ به نحو التميز. ولقد اهتم بالحديث الشريف من مختلف الجوانب، فهو الموضوع الذي لا يفارق دروسه عبر حياته المهنية[1]، فضلا عن وضعه لتآليف متنوعة ومتعددة من أراجيز وشروحات، وهذا ما تؤكده بلميهوب حفيظة محققة كتاب المتجر الربيح بهذا الخصوص: "اهتم ابن مرزوق الحفيد بعلوم الحديث اهتماما كبيرا، فهو إلى جانب سعة فقهه وعلمه الواسع بعلوم اللغة العربية كان مولعا بالحديث وعلومه"[2].

واعترف له العلماء بالتفوق والنبوغ في هذا العلم. حتى صار يصنف في مصاف المحدثين الكبار في منطقة المغرب الإسلامي. وتكفي الإشارة هنا، بما وصف به من صفات تخص علم الحديث، حيث أشار ابن مريم من أنه: "سيد علماء الجلة...الحريص على تحصيل السنة"[3]. وزاد على هذا تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني: "وبالعلم محيي السنة بفعاله وبالشيم، قطب الوقت في الحال والمقام...دائم الإرشاد والهداية، ذو الدراية والرواية والعناية، ملازم السنة على نهج محفوظي الأمة من البدع، ذو همة علية، ورتبة سنية"[4].

ولم يكتف ابن مريم بما كتبه من قبل إنما وضعه في خانة فاقت كبار العلماء في مجال الحديث من أمثال ابن عطية وأبي حيان حين قال: "أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره إلى ما انضم إليه من الإحاطة بالحديث وفنونه، والاطلاع على رواياته ومعرفة متونه ونظم أنواعه ووصف صنوفه حتى صار إليه الرحلة في رواياته ودراياته، وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته"[5].

إن ما يجعلنا نشير إلى ابن مرزوق على أنه محدث، تلك الإضافات التي قدمها للعلم من خلال تميزه في تحقيق معاني وإدراك مضموناتها، ثم الاطمئنان إلى الاستشهاد بها في كافة العلوم المختلفة، إذ أن الاطمئنان إلى صحة النص يجعل الطريق ميسرة في أكثر الأحوال للاستشهاد به، وهنا نستشهد بما قاله الإمام الشافعي: "إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقوله عرض

---

[1]- الثعالبي، **الرحلة**، ص: 113. البلوي، المصدر السابق، ص: 286. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 138.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 209.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 202.

[4]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 138.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص:203.

الحائط". وعلنا أن نتذكر هنا، من أن المسؤولية كبير هي التي يتصدى إليها المحدث، او العامل في علوم الحديث، لكونها، أي السنة، تعد في المنزلة الثانية بعد القران الكريم من حيث الرجوع إليها، أي إنما نرجع أولاً إلى القران الكريم كمقياس، إن لم نجد الحكم فيه رجعنا إلى السنة، فإذا وجدناه فيها عملنا به كما لو كان في القرآن الكريم، شريطة أن تكون ثابتة عن الرسول (ﷺ) بسند صحيح[1].

ومن هنا، نجد أن ابن مرزوق الحفيد ممن تفوقوا في علم الحديث وأحاط به من حيث حفظ رواياته والإلمام العميق بمتونه. والمصنفات التي كتبها في الحديث هي التي تشهد على تقدمه وبروزه في الحديث والإلمام بمختلف فروعه، ككتاب المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح، وأرجوزة الروضة التي اختصرها في الحديقة ونور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، أنوار الدراري في مكررات البخاري. ومن هذا نستنتج أن عالمنا كان ملما بالحديث وفنونه، حافظا لمروياته، عارفا لمتونه ونظم أنواعه، وإليه كانت الرحلة في روايته ودرايته، وعليه العمدة في حل مشكلاته[2]. وبناءا عليه، يمكننا القول أن ابن مرزوق الحفيد كان محدثا، لكون جميع المعطيات تؤكد ذلك، ونتيجة ذلك أنه ساهم بحفظ الدين من التحريف والتبديل، فقد نقلت الأمة الحديث النبوي بالأسانيد، وميزت به الصحيح عن السقيم، ولولا هذا العلم، ورجاله، لالتبس الحديث الصحيح بالضعيف والموضوع، ولاختلط كلام الرسول بكلام غيره،.ومن هنا تأتي أهمية القيمة المضافة التي تركها ابن مرزوق الحفيد.

2- علم الفقه:

لقد اشتغل ابن مرزوق الحفيد في العلوم الفقهية، ويعتبر فقيها لفروع المذهب المالكي، عارفاً بمسائله ومتحكماً في أصول الفقه وقواعده. بالإضافة إلى ما كان يتصف به من فطنة وذكاء وحزم واجتهاد، جعله يرتقي إلى مرتبة الاجتهاد في الوقت اعتقد الكثير من الفقهاء يرى أن باب الاجتهاد قد أغلق، مما جعله يحظى بإقبال طلبة العلم من كل الآفاق، وشهد له معاصروه بالتبريز

[1]- الخن مصطفى وآخرون، **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي**. دمشق، دار القلم، ط4، 1992م، ج: 1، ص: 17.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص ص: 210-211.

في العلم مع استقامة الدين والصلاح[1]. كما أظهر في ميدان الفقه رقيا واضحا وعلو كعب، ويكفي أن نقول أن غالبية نتاجه العلمي كان ينصب في هذا الميدان، ولخص لنا التنبكتي هذا التميز بالقول: "أما الفقه فيه مالك ولازمة فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام مالك لقال له تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمنك يسمع فقهي ولا محالة"[2]. والقائمة النوعية في مؤلفات ابن مرزوق الحفيد متنوعة، مابين شروح وفتاوى ومسائل وإجابات ومناظرة. ولكن يبقى كتاب المنزع النبيل في شرح مختصر خليل، إذ أجمع الكثير ممن أشاروا إليه من أنه في غاية الإتقان والتحرير والبيان، ولكن للأسف لم يتمكن ابن مرزوق الحفيد من إكماله[3].

3- علم اللغة:

امتازت اللغة العربية بأنها واحدة من اللغات التي توثر وتتأثر، وهي اللغة التي كانت على مدى عشرة قرون لغة العلم والتواصل الحضاري في العلوم والفنون والآداب، وبعد أن استوعبت هذه اللغة بالترجمة والتعريب ما عند الأمم الأخرى ومن كل اللغات، وقد وعت العلوم، وتمثلت تلك الفنون، وكانت قد قدمت بلسان عربي مبين تجربة مهمة من التجارب الإنسانية. وفي هذا يعترف الكاتب ماريو بل (Mario BEL) مؤلف كتاب قصة اللغات من أن: "العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى"[4]. ومن هنا، كان لابد من أن يلم العلماء العرب المسلمين بعلوم اللسان العربي، والتي حددها ابن خلدون في قول: "أركانه أربعة، وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب"[5].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 119.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500.

[3]- علي محمد إبراهيم، **اصطلاح المذهب عند المالكية**. دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2000م، ص ص: 469-470.

[4]- نقلا عن: الشمري مهدي صالح سلطان، **في المصطلح ولغة العلم**. بغداد، كلية الآداب، 2012م، ص: 25.

[5]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 753.

ومثل بقية العلوم الأخرى ازدهرت الدراسات اللغوية[1] في المغرب الأوسط منذ القرن السابع الهجري (13م)، وتميز خلالها عدد من العلماء، وعلى سبيل المثال يشير شوقي ضيف إلى هذه المسألة بالقول: "وعلى شاكلة ازدهار الدراسات اللغوية في الجزائر منذ القرن السابع الهجري تزدهر الدراسات النحوية وحامل لوائها يحي بن عبد المعطي[2] الزواوي"[3]. هذا التميز في هذا الميدان من قبل علماء المغرب الأوسط عامة، وتلمسان تحديدا، فرض على ابن مرزوق مسألتين: الأولى، إتقان علوم اللغة العربية لما لها من أهمية في الارتقاء والتواصل والتميز، في حين المسألة الثانية: تتلخص في كون علوم اللغة واحدة من الميادين التي صال وجال بها ابن مرزوق الحفيد. وهذا جعله متميزا فيها جميعا، وهو الذي وصف على أنه: اللغوي، النحوي، البياني والأديب والعروضي[4]. ولو لم يكن متميزا بها لما أطلقت عليه مثل تلك الأوصاف.

ويظهر لنا تفوق عالمنا في علوم اللغة العربية في تلك المؤلفات الرائعة التي قدمها لنا في ميدان العلوم اللغوية، والتي امتازت بالإبداع والإمتاع، بشهادة من حققوا له هذه المؤلفات. وفي هذا كتب محمد فلاق، وهو يشير إلى أهمية كتاب ابن مرزوق إظهار صدق المودة في شرح البردة، بالقول: "يجمع كتاب ابن مرزوق بين الاتجاهين الديني والأدبي، فقد انصرفت غايته إلى تفسير معاني قصيدة البردة التي يكشفها مدح الرسول (ﷺ) الناشئ عن مشاعر حبه وصدق مودته، والوقوف على إشاراتها الصوفية السامية مع تبيان قيمتها الأدبية"[5]. ويتجلى الإمتاع فيما كتبه ابن ابن مرزوق الحفيد نفسه، حين قال: "وليس لي من البضاعة ما أحصل به منها ما إليه النفس تتوق، فلم أصل إلى التلذذ ببعض ما فيها إلا بالنظر، ولم أنقلب عن نيل إدراك ما أنويه من ذلك

---

[1]- علوم العربية اثنا عشر علماً، وهي: علم اللغة، علم التصريف، علم النحو، علم المعاني، علم البيان، علم البديع ، علم العروض، علم القوافي، علم قوانين الكتابة، علم قوانين القراءة، علم إنشاء الرسائل والخطب، علم المحاضرات ومنه التواريخ.

[2]- **ابن عبد المعطي الزواوي (564-628هـ/1168-1230م)**: زين الدين أبو الحسين يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي. ومن شيوخه: القاسم بن عساكر وأبو موسى الجزولي. ومن مؤلفاته: الألفية، الفصول، النظم والنثر. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج: 22، ص: 324.

[3]- ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)**. القاهرة، دار المعارف، ط1، د.ت.ن، ص: 91.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص:201. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص:499. المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص:420.

[5]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: فلاق محمد، ج: 1، ص : 38.

إلا بالعي والحصر"[1]. بمعنى أنه: "يقف عند بعض المواطن التي يعجب بها ويفصلها تفصيلا تاما ولا يترك فيها شيئا"[2].

ولم يقتصر اهتمامه في علوم اللغة على مجال التأليف فحسب، وإنما كانت هذه العلوم حاضرة في حلقات الدرس التي كانت يعقدها لطلبة العلم، ومنها نذكر: النحو، الصرف والبلاغة[3]. ويصف لنا شوقي ضيف الأجواء التي عمل فيها شيخنا وما درسه من علوم العربية بالقول: "وكان ابن مرزوق الحفيد يقرأ لطلابه – أو يقرأ عليه- كتاب سيبويه وكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي والألفية وكتاب التسهيل لابن مالك والكافية لابن الحاجب وكتاب المغني وأوضح المسالك لابن هشام. ولمعاصره إبراهيم بن فائد القسنطيني شرح على ألفية ابن مالك"[4].

ومن خلال هذا النص، تتضح لنا قيمة المعارف التي يحملها ابن مرزوق من خلال المؤلفات التي كان يدرسها في مجالسه العلمية، فهي مؤلفات لفطاحل النحاة العرب عبر قرون، منهم القديم والآخر المعاصر له. فهو لم يعاني من عقدة نقص أمام أي كاتب أو مؤلف إن كان قديما أو معاصرا، فهو مثل ما استعان بكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وهو الذي اعتبره السيوطي: "وحيد زمانه في علم العربية"[5]، ولم يتردد في الاستعانة بمؤلف معاصره بل هو أحد تلاميذه، إبراهيم بن فائد القسنطيني على الرغم من أنه سبقه في الميدان بسنوات طويلة، وهو بذلك دلل على تواضعه وتقديره للعلم والعلماء، وكانت الغاية عنده تقديم الفائدة المرجوة لمن يقرأ أو يستمع، وهذه هي الغاية الأسمى للعالم، وليس مثلما نعاني الآن، من سلوكيات التقريع والتقليل من شأن من يزاحموننا الساحة العلمية.

ومن مزايا الإبداع اللغوي عنده، والذي يجعلنا ملزمين أن نسميه باللغوي بمفهومه العام والشامل، اهتمامه بالمضامين البلاغية، فهي حسبما أشار الطاهر بن علي من أن: "مسألة البلاغة هامة جدا عند ابن مرزوق نظرا لتوسعه فيها مما يضفي عليها الطابع النقدي الأدبي، فقد مزج فيها

---

[1]- االمصدر نفسه، ج: 1، ص: 48.

[2]- بن علي الطاهر، "مضامين شروح البردة". مجلة الفكر الجزائري، ع: 5، أفريل 2013م، تلمسان، ص: 120.

[3]- بن علي الطاهر، "من الأعلام الرواد في الفكر والأدب الجزائري العلامة ابن مرزوق الحفيد". مجلة التراث، ع: 5، مارس 2013م، الجلفة، ص: 34.

[4]- ضيف شوقي، المرجع السابق، ص: 92.

[5]- السيوطي، **بغية الوعاة**، ج: 1، ص: 496.

بين ضرورة وطبيعة العلم، وتجليات الفن، وبين تقرير القواعد وجلب الشاهد، وقد أتى على ذكر الكثير من المصطلحات البلاغية في الشرح والتحليل، وأقام موازين نقدية استنبطها من تعليلات طريفة وموفقة، ما جعلها تزخر بمعارف فنية ودراية كافية بمدركات الأدب المختلفة"[1]. ولقد كان موفقا في توظيف جميع العلوم الخاصة باللغة العربية، بهدف الخروج بالفكرة، أو العمل بعمومه بالشكل الذي يحقق الغاية، ويظهر من خلاله قدراته وملكاته في هذه العمل. وفي هذا يذكر الطاهر بن علي: "استعان ابن مرزوق بالنحو من أجل إيضاح النص المشروح باعتبار الدلالة النحوية عاملا مساعدا على الفهم، واستقرار المفهوم العام للفظ...فهو يطبق القاعدة النحوية الصحيحة على اللفظ، ويعرض خواصها من الشواهد، والأمثلة"[2].

وهكذا، تتضح لنا القيمة الكبيرة لابن مرزوق الحفيد كعالم لغوي له باع وإمتاع في مختلف ميادينه، ويكفي أن نشير إلى واحد من أهم ما كتبه في هذا الميدان، وهو كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة. والذي أشار إليه محققه الطاهر بن علي، بالقول: "إظهار صدق المودة شرح مبتكر، وفيه رد على بعض الشراح السابقين، وتصحيحا لأخطائهم، وثناء على بعضهم الآخر، وهو كثير الاحتجاج بالقرآن، والحديث، والشعر، والحكم والوقائع التاريخية"[3].

فضلا عن هذا، تمكن عالمنا من إعادة الاعتبار إن صح التعبير، لبعض علوم اللغة، ونعني هنا علمي العروض والقافية، لكونها لم ينل من الاهتمام والعناية من جانب المؤلفين قياسا بعلمي النحو والصرف. وذلك نظرا لصعوبته. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة شخصيته العلمية وجرأته على الخوض في الصعب من العلوم. وهذا ما جعل على سبيل المثال كتابه المفاتيح المرزوقية يتمتع بقيمة مضافة، إذ غدا إلى جانب ما تضمنه من إضافات فكرية، كتابا تعليميا يستفيد منه كل من رغب في التعرف على علمي العروض والقافية. وفي هذا تعلق صباح مجاهدي: "إن كتاب المفاتيح المرزوقية...هو كتاب تعليمي مفيد، ساهم به صاحبه في شرح وتذليل كثير من القضايا العروضية العميقة، التي ربما تستصعب على فكر الكثير من الطلبة والمتخصيين"[4].

---

[1]- بن علي الطاهر، "مضامين شروح البردة"، ص ص: 121-122.

[2]- المرجع نفسه، ص: 116.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: بن علي الطاهر، ص: 153.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 41.

4- علم التفسير:

تميز ابن مرزوق الحفيد في علم التفسير، وأشار إلى ذلك الكثير، وأشاد به العديد من معاصره بهذا التميز والقدرة الإبداعية التي تمتع بها في هذا العلم. إذ وصفه العديد ممن ترجموا له على تميزه في هذا الميدان، من أمثال التنبكتي والمقري، حين قالوا من أنه: "المفسر"[1].

وكانت مسألة بديهية أن يكون ابن مرزوق الحفيد مفسرا مهما في زمانه، وهو الذي أتقن الحديث واشتهر بالفقه والفتوى فضلا عن كونه ملما ومتقننا لعلوم اللغة العربية، زد إلى ذلك فهو من القراء الجيدين. وحسب رأينا، فإن توافر هذه الأمور سهلت على ابن مرزوق الحفيد من أن يلج هذا الميدان ويبدع به قدر ما استطاع، إن كان ذلك في التأليف أو في مجال التدريس[2]. وأشار تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني إلى تلقيه دروساً في التفسير[3]. ويعلق ابن مريم على تميزه في ميدان التفسير، فيقول: "إلى ما انضم لذلك من معرفة التفسير ودرره والاطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لاقاه مقاتل لقال: تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم النكت على الحقيقة وقال لكتابه: تنح لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره"[4].

خلاصة القول، لو لم يكن ابن مرزوق الحفيد يتمتع بالبراعة اللغوية والمقدرة الفقهية والإلمام الكبير بالحديث النبوي الشريف، فضلا عن ملكاته الفكرية والعلمية ورجاحة العقل، لما تمكن أن يرتقي إلى مستو عال في ميدان التفسير، والنتيجة يمكننا القول أنه كان مفسرا بما للكلمة من معنى.

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 499. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 499. المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 420.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 102.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 205.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 203.

5- علم الأصول:

يعتبر علم الأصول مكملا للفقه، ويصف فخر الدين الرازي أهمية وطبيعة علم الأصول بالقول: "وأما أصول الفقه فاعلم أن إضافة اسم المعنى تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه في المعنى الذي عينت له لفظة المضاف يقال هذا مكتوب زيد والمفهوم ما ذكرناه. وعند هذا نقول أصول الفقه عبارة عن مجموع طرق الفقه على سبيل الإجمال وكيفية الاستدلال بها وكيفية حال المستدل بها"[1]. ولم يكن عصيا على ابن مرزوق الحفيد أن يطرق باب علم الأصول ويتميز به، وهو الذي برز في الفقه، وكتب التنبكتي في بيان مدى تفوقه في علم الأصول، قائلا: "وأما الأصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده، والبرهان لا يهتدي معه لحجة، والمقترح لا يقترح عنده بحجة"[2].

وهكذا، نجد أن عالمنا الذي اعترف له القاصي والداني بعلمه وسعته، قد تميز بما ذكرنا، بما قدم من إنتاج فكري عال المستوى، فهو في ما ذكرنا من علوم تميز بها، قد زاد وأفاد الجميع. ويمتدح القلصادي الجهود التي قام بها ابن مرزوق في مجال الإبداع الفكري، حين يقول: "توغل في العلم واستغرق، إلى أن طلع إلى الأبصار هلالا؛ لأن المغرب مطلعه، وسما في النفوس موضعه وموقعه، فلا عليك أن ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من إلقائه، لقي الشيوخ الأكابر، وبقي حمده متعرفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام، وأفواه المحابر"[3].

ثالثا: مؤلفات ابن مرزوق الحفيد

لقد وضع مصنفات عديدة ومتنوعة وذات قيمة علمية كبيرة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، مثل: الفقه والحديث واللغة والمنطق، وتنوعها هذا ارتبط بتنوع ثقافته التي تعددت مشاربها. كما له شروح عديدة منها ما أتمه ومنها ما لم يتمه إذ عاجلته المنية، بالإضافة إلى كثير من الخطب والفتاوي في مسائل متنوعة، وما يطبع على كتاباته الموسوعية وإطنابه في الشرح والبيان

---

[1]- الرازي فخر الدين، **المحصول في علم أصول الفقه**. تح: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، 1400هـ، ج: 1، ص: 94.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 501.

[3]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 101.

من غير حشو وجلب الفوائد العلمية ومما ساعده على ذلك هو سعة إطلاعه وعلمه[1]. وبالتالي خلف لنا إنتاجا وفيرا فقد ترك لنا ثروة علمية كبيرة في شتى العلوم والفنون، وهي نحو أربعين مؤلفاً...ولكن هذه الثروة ضاعت في مجموعها، ولم يبق منها سوى بعض المخطوطات[2].

وهذا ما نستنتجه من قول التنبكتي: "الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الراعي في كل مرعاه الخصيب"[3]، وكما أشار ابن الغزي في كتابه ديوان الإسلام إلى امتلاكه العديد من التصانيف حين قال: "له تصانيف كثيرة"[4] وذكر الكثير منها. وعلى العموم، حفظت لنا الكتب والمصنفات التي ترجمت له أسماء المؤلفات التي وضعها، ويمكن إدراج تلك الكتب على نوعين، وهي: التآليف التامة، والأخرى غير التامة، والتي سنقوم بذكرهما لاحقا، ولكن أعماله جميعها تمتعت بالاهتمام والمتابعة في عصره ومن بعده أيضا، وفي هذا يقول فيلالي عبد العزيز: "أما أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الحفيد، فقد صنف وأفاد في كل فن من الفنون"[5].

ويقدم لنا الطاهر بن علي وصفا معبرا يعكس القيمة العلمية التي تتمتع بها كتابات ابن مرزوق الحفيد، حين يقول: "تمتاز مؤلفات ابن مرزوق بضخامة، وغزارة المادة، وطول النفس في تتبع كل جوانب الموضوع إلى نهايته، نظرا لموسوعية الرجل، وتنوع ثقافته، وهذا واضح بجلاء في استحضاره للشواهد، إذ يعتقد المخاطب من ذوي المعرفة، أو من طلابها المرموقين الحافظين لكتاب الله، ومن حفاظ الحديث، وعيون الشعر العربي، والحكمة، ومن المتضلعين في علوم النحو والبلاغة وغيرها من صنوف العلوم والفنون، فهو يورد النصوص من القرآن والحديث، وغيرها من النصوص- في كثير من الأحيان- إشارة دون إتمامها، مما يجعل المتابع له، ولخطابه مشاركا وذا فعالية، أخذاً وعطاء، وتبادلا في صنع خط التواصل المعرفي الرفيع، وكأني به يكتب لطبقة يفرضها هو، ولا تفرض عليه لها من العلم نصيب"[6].

---

[1]- سنقوم في المبحث الثاني من هذا الفصل بدراسة مجالات التأليف التي وضع ابن مرزوق فيها مصنفاته.

[2]- بن داود نصر الدين، **بيوتات العلماء**، ص: 233.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 293.

[4]- ابن الغزي شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن، **ديوان الإسلام**. تح: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م، ج: 4، ص ص: 276-277.

[5]- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 2، ص: 444.

[6]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: بن علي الطاهر، ص: 66.

وعليه، فإننا لا نستغرب هذا التنوع في التأليف من قبل ابن مرزوق الحفيد، وهو الذي أشاد به العلماء المعاصرين له والمحدثين بسعة علمه وسعة إمكانياته. وسنحاول هنا بيان تلك المؤلفات من حيث ضبط العنوان وورودها في المصادر فضلا عن توفرها أم لا.

أ- تآليفه التامة:

وهي تآليف شاملة ومتنوع في مختلف مجالات العلوم العقلية والنقلية، تواتر على ذكرها المترجمون وطلبته ومعاصروه، وهي:

1- كتاب "**إظهار صدق المودة في شرح البردة**[1]" وهو الشرح الأكبر[2]. وذكره الثعالبي بعنوان "صدق المودة في شرح البردة"[3]، وأشار إليه الشوكاني بـ"إظهار المودة في شرح البردة"[4]، ووصفه المقري قائلا: "واستوفى فيه غاية الاستيفاء، وضمنه سبعة فنون في كل بيت"[5]. بيت"[5]. وهو أشهر مؤلفاته اختصره القسطلاني (ت:923هـ/1517م) في كتابه "مشارق الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، إذ قال: "اختصرت فيه شرحها للعلامة الأستاذ المحقق أبي عبد الله محمد بن مرزوق المغربي التلمساني المالكي مع زيادات من غيره كشرحها للإمام أبي العباس والعلامة المحقق الجلال المحلي وغيرهما، وسميته مشارق الأنوار..."[6]. وكتاب "إظهار صدق المودة" قد حقق مرتين بالجزائر الأولى من قبل فلاق محمد كأطروحة دكتوراه في اللغة العربية بجامعة تيزي وزو طبع سنة 2011م، والثانية من قبل بن علي الطاهر أطروحة دكتوراه غير منشورة نوقشت سنة 2014م بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب واللغات بجامعة تلمسان.

---

[1]- قام بشرح البردة في ثلاث شروح، والتي تعرف اختصارا بـ: الأكبر والأوسط والأصغر.

[2]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50.

[3]- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 60.

[4]- الشوكاني، المصدر السابق ، ج: 2، ص: 120.

[5]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 429.

[6]- القسطلاني شهاب الدين أبو العباس أحمد، **مخ مشارق الأنوار المضيئة في مدح خير البرية**. رقم: د 2134، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الرباط، و: 2.

2- كتاب "**تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة**"، وهو الشرح الأوسط لم يثبت له عنوان في مختلف المصادر والمراجع التي ترجمت له[1]، وتم تحقيقه من قبل أحمد بن عبد الكريم نجيب شريف صاحب مركز نجيبويه وطبع سنة 2013م.

3- كتاب "**الإستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان البديع والإعراب**" هو الشرح الأصغر على البردة تطرق فيه ابن مرزوق الحفيد إلى إعراب مفردات القصيدة[2].

4- كتاب "**الذخائر القرطاسية في شرح الشُّقراطيسيّة**"[3]، ذكره ابن مريم والتنبكتي باسم "المفاتيح القرطاسية في شرح الشُّقراطيسيّة"[4]، أما المقري فقد أشار إليه باسم: "الغاية القرطاسية في شرح الشُّقراطيسيّة"[5]، وذكره البغدادي في كتابه إيضاح المكنون بعنوان "الذخائر القرطاسية في شرح الشُّقراطيسيّة"[6]، وهو شرح على قصيدة أبي محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي[7] في مدح الرسول(ﷺ)[8].

5- كتاب "**المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**"، وذكره عبد الرحمن الثعالبي بعنوان "المفاتيح المرزوقية بحل الرموز واستخراج خبايا الخزرجية"[9]. وهو شرح

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 31.

[2]- المصدر نفسه، ص: 31. ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 106. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 149. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

[3]- السخاوي، المصدر السابق ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 149.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

[5]- المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 429.

[6]- البغدادي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 540.

[7]- **الشُّقراطيسي** (ت:**466هـ/1073م**): أبو محمد عبد الله بن يحي بن علي التوزري، ولقب بالشقراطيسي نسبة إلى قلعة قديمة كانت في الجريد بالقرب من قفصة في تونس تسمى شقراطس. فقيه مالكي، ولد في توزر جنوبي تونس. تلقى العلم على والده ثم على مشايخ المنطقة وبعدها رحل إلى القيروان وأخذ عن علمائها ومنها رحل إلى المشرق سنة 429هـ/1037م حج وزار المدينة المنورة. وخلال مروره بمصر صادف نزول الصليبيين فاشترك مع المصريين في مقاتلتهم، ثم عاد إلى توزر فأفتى فيها ودرّس. برع في النثر والشعر، واشتهر ببديعية قصيدة في مدح الرسول (ﷺ) عرفت بلامية الشقراطيسي تبلغ نحو 133 بيتا أورد فيها شيئا من سيرة الرسول (ﷺ) وبعضا من معجزاته وغزواته وشيئا ممن صفاته. ومن مؤلفاته: تعليق على مسائل المدونة وفضائل الصحابة ﷺ وغيرهما. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج: 4، ص ص: 144-145.

[8]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 429.

[9]- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 61.

للقصيدة الرامزة الشافية في علم العروض والقافية المعروفة بـ"الخزرجية"[1] نسبة لمؤلفها ضياء الدين أبي عبد الله الخزرجي[2]، حقق الكتاب مرتين الأولى بالمغرب من قبل أمينة زين الدين في ثلاث أجزاء دبلوم الدراسات العليا قسم اللغة العربية غير منشورة، وما يؤخذ عليها خلطها الشديد بين الحفيد وجده لا في تاريخ الوفاة حتى في وظائفه ورحلاته ومؤلفاته، أما التحقيق الثاني فكان في الجزائر من قبل صباح مجاهدي أطروحة دكتوراه دراسة وتحقيق بجامعة وهران أحمد بن بلة سنة 2014/2013 وهو أحسن من سابقه بكثير.

5- كتاب "**روضة الإعلام بعلم أنواع الحديث السام**"، وذكره اختصار كل من ابن هلال والسخاوي والقرافي والمقري بعنوان "الروضة"[3]، ألفه سنة 821هـ/1418م وهو أرجوزة في علم الحديث جمع فيها بين ألفيتي ابن ليون[4] والعراقي وهي الأرجوزة الكبرى. حقق بالمغرب من قبل سناء البوزيدي أطروحة دكتوراه غير منشورة بدار الحديث الحسنية سنة 2006م.

6- كتاب "**حديقة العلوم الفاخرة**"[5]، وذكره اختصاره كل من ابن هلال والسخاوي والقرافي والمقري بعنوان "الحديقة"[1]. وهو أرجوزة في علم الحديث عبارة عن أرجوزة صغرى اختصر

---

[1]- وهي في علم العروض من البحر الطويل، نالت شهرة كبيرة في ما بعد، وتم شرحها عدة مرات، ومنها: شرح الدماميني، ويقول أبو عبد الله الخزرجي في أول القصيدة:

لَكَ الحَمْدُ يَا الله وَالشُّكْرُ وَالثَنَا ... فَصَلِّ عَلَى مَنْ جَاءَ بالنُّورِ وَالهُدَى

وَبَعـد فَقَرْضُ الشِّعْـرِ لَيسَ بِهَينٍ ... وَلَيْسَ بِصَعْب عِندَ مُستكملِ القِوَى

[2]- **الخزرجي ضياء الدين أبي عبد الله (ت:626هـ/1229م)**: أبو محمد عبد الله بن محمد، عروضي أندلسي، لم يتأكد تاريخ ولادته، ترك الأندلس واستقر في الاسكندرية في مصر، له عدد من المؤلفات، منها: الرامزة في علمي العروض والقافية وعلل الأعاريض وغيرها. مات قتيلا في عام 626هـ/1229م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج: 4، ص: 124.

[3]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107. السخاوي، المصدر السابق، ج:7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص:154. المقري، **نفح الطيب**، مج:5، ص: 429.

[4]- **ابن ليون التجيبي (681-750هـ/1282-1349م)**: هو أبو عثمان سعد بن أحمد، ولد في ألمرية، شاعر وفقيه وقاض وعالم رياضيات ومتصوف. من شيوخه: أبو الحجاج الجياني، ابن بطال وابن جماعة وغيرهم. تنقل إلى المغرب والمشرق الإسلاميين لطلب العلم. من تلامذته: أبو زكريا يحي الفاسي وآخرين. من مؤلفاته: أرجوزة الألفية، أرجوزة في الفلاحة والإيماض في تقسيم الأمراض وغيرهما. ينظر: التنبكتي، **النيل**، ص ص: 187-188. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 543.

[5]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. ابن مريم، المصدر السابق ، ص: 210. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 297. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 524.

اختصر فيها "الأرجوزة الكبرى الروضة" ألفه سنة 822هـ/1419م، وقام صالح وردان بالجزائر على تحقيقه مع إعادة تحقيق كتاب الروضة وتم طبعهما معا في مؤلف واحد وهو عمل قيم.

7- "**مواهب الفتاح في نظم تلخيص المفتاح**" وهناك من ذكره باسم أرجوزة "تلخيص المفتاح"، وهو منظومة رجز في البلاغة نظمه الحفيد لتلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني[2].

8- كتاب "**المُقنع الشافي**" وهو رجز في علم الميقات يضم هذا الكتاب ألف وسبعمائة (1.700) بيت[3].

9- "**أرجوزة نظم تلخيص ابن البناء**" المقصود بها تلخيص كتاب الحساب لابن البناء[4].

10- كتاب "**نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل**"[5] ذكره المقري بعنوان "منتهى الأمل في شرح كتاب الجمل"[6]، وهو كتاب شرح فيه كتاب الفوائد في المنطق للخُونجي[7]، وفرغ الحفيد من تأليفه بتلمسان سنة 804هـ/1401م.

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 154. المقري، المصدر السابق ، مج: 5، ص: 429.

[2]- البلوي، المصدر السابق، ص: 293. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 297. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص: 210-211. البغدادي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 192.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 172. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 297. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 429.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص:211. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 298. البغدادي، المصدر السابق، ج:2، ص:192.

[5]-ابن هلال، المصدر السابق، ص: 106. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 506.

[6]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 429.

[7]- **الخونجي (590-646هـ/1194-1249م)**: قاضي القضاة بمصر وهو أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماور بن عبد الملك الشافعي نزيل مصر. كان حكيما منطقيا، وتميز في العلوم الحكمية وأتقن الأمور الشرعية، درس بالمدرسة الصالحية وأفتى وصنف، سافر إلى الحجاز ومارس التدريس في مكة ووضع بعض التصانيف. منها تصانيف في الطب والمنطق: الموجز في المنطق، الجمل، كشف الأسرار في غوامض الأسرار وشرح مقالة ابن سينا وغيرها.ودفن في المقطم قرب القاهرة. ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 1. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، **حسن المحاضرة**، ج: 1، ص: 541. السبكي تاج الدين أبو نصر، **طبقات الشافعية الكبرى**. تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.ن، ج: 8، ص ص: 105-106.

11- "**أرجوزة كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل**" وهو رجز لكتاب الجمل للخونجي في المنطق بلغت أبياتها مائة وأربعة وتسعين بيتا، اختصر فيه كتابه "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل".

12- "**أرجوزة في اختصار ألفية مالك**" وضعها في محاذاة أرجوزة "حرز الأماني ووجه التهاني" لأبي القاسم الشاطبي، نظم فيها كتاب "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني عدد أبياتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون[1].

13- كتاب "**انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة**"[2]، ورد لدى السخاوي والقرافي باسم "اغتنام..."، وهو عبارة عن أجوبة على مسائل علمية في الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم وردت عليه من عالم قفصة ابن السراج أبو يحي بن عقيبة فأجابه عنها[3]. قام بدراسته وتحقيقه سقساق أحمد لأجل نيل شهادة الدكتوراه بجامعة تطوان سنة 2008م وهي غير منشورة بعد.

14- كتاب "**المعراج في استحضار فوائد الأستاذ ابن سراج**" وهي التسمية التي وردت في فهرسة ابن هلال السجلماسي[4]، في حين أشار إليه كل من السخاوي والقرافي باسم "المعراج "المعراج إلى استمطار فوائد ابن السراج"[5]، كتاب أجاب فيه قاضي الجماعة محمد بن محمد بن السراج الغرناطي[6] عن بعض المسائل النحوية والمنطقية التي طرحها عليه[7].

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[2]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 106.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج:7، ص:51. القرافي، المصدر السابق، ص: 172. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 357. 357.

[4]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص:106.

[5]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155.

[6]- **ابن سراج الأندلسي (ت:848هـ/1444م)**: أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الأندلسي الغرناطي، مفتي وقاض الجماعة في غرناطة. من شيوخه: ابن لب التغلبي وأبو عبد الله الحفار وغيرهما، رحل في طلب العلم إلى تلمسان وتونس وناظر علمائهما منهم ابن مرزوق الحفيد. ومن طلبته: أبو عبد الله الراعي، أبو يحي عاصم الغرناطي وأشهرهم القلصادي. من مؤلفاته: شرح مختصر خليل والفتاوى. ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ج:3، ص:282.

[7]- ابن مريم، المصدر السابق، ص:211. المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص:430. القرافي، المصدر السابق، ص:172.

15- كتاب "**نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين**"[1]، وهو كتاب نفيس في الحديث شرح فيه أول حديث من كتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني[2]، وأبان فيه ابن مرزوق الحفيد عن مقدرة كبير في علوم الحديث.

16- كتاب "**الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي**"[3]، ذكره الونشريسي في المعيار والمازوني في الدرر المكنونة[4] وسمياه "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم"[5]، وذكره التنبكتي باسم "الدليل الواضح المعلوم على طهارة كاغد الروم"[6]، أما البغدادي فسماه "الدليل الواضح المعلوم على طهارة ورق الروم"[7]. وقام بن معمر محمد بدراسة هذا الكتاب في مقال نشر بمجلة مخطوطات مخبر شمال إفريقيا سنة 2015م[8].

17- كتاب "**النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص**"[9] في سبع كراريس رد فيه على فتوى معاصره الإمام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه حول مسألة لبعض

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. 429. البلوي، المصدر السابق، 506. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 525.

[2]- **أبو نعيم الأصفهاني (336-430هـ/947-1038م)**: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، الإمام الحافظ، الثقة العلامة، شيخ الإسلام، الصوفي صاحب"الحلية". ولد في أصفهان، كان أبوه من علماء المحدثين والرحالين، فاستجاز له جماعة من كبار المسندين. وله من المؤلفات الكثير، منها: معرفة الصحابة، تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، صفة الجنة والمسند المستخرج على صحيح مسلم وغيرها. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج: 17، ص ص: 454-464.

[3]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 106. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 172. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

[4]- يشير محقق كتاب الدرر المكنونة إلى أن عنوان الكتاب صرح به ابن مرزوق الحفيد حسب قول هو تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم". ينظر: المازوني، **الدرر المكنونة**، ج: 1، ص: 303.

[5]- الونشريسي، **المعيار**، ج: 1، ص ص: 75، 107. المازوني، المصدر السابق، ج: 1، ص: 303.

[6]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

[7]- البغدادي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 480.

[8]- "صناعة الورق وتجارته في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق". المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع: 12، جانفي 2015م، وهران.

[9]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107. السخاوي، المصدر السابق ، ج:7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

الصوفية بشأن بعض الأعمال رأى العقباني بأنها صواب وخالفه الحفيد فيها[1]. ونقلها الونشريسي الونشريسي في معياره كاملة، ثم قال: والشيخ الحافظ المحقق أبي عبد الله بن مرزوق رحمه الله في الرد على هذا الجواب تأليف وكلام شاف في سبع كراريس، منع من إثباته عقب هذا الجواب واستيفاء كلامه وجلب فوائده، طوله[2]، فكما هو معروف أن عالمنا كان شديدا على أصحاب الأهواء والبدع.

18- كتاب "**مختصر الحاوي في الفتاوي**" اختصر فيه فتاوي المفسر والفقيه ابن عبد النور[3] التونسي[4].

19- كتاب "**الروض البهيج في مسائل الخليج**"[5] وهو عبارة عن جواب على مسألة وقعت بتلمسان وتتعلق بمجرى ماء، أجاب عنها مطولا في كتاب، ونقله كل من الونشريسي والمازوني كاملا في نوازلهما.

20- كتاب "**أنوار الدراري في مكررات البخاري**"[6]، ذكره كل من القرافي وابن مريم أما السخاوي فذكره باسم "أنواع الذراري"[7]. لم نقف له على نسخة والواضح من خلال عنوانه أنه يذكر مكررات الحديث المشروح في صحيح البخاري.

---

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ج:7، ص:50. القرافي، المصدر السابق، ص:155. ابن مريم، المصدر السابق، ص:210. ص:210.

[2]- الونشريسي، **المعيار**، ج: 11، ص ص: 48-73.

[3]- **ابن عبد البر التونسي (ت:731هـ/1330م)**: مفسر وفقيه ومشارك في العلوم، وقال عنه ابن فرحون المالكي: "كان من من صدور العدول المبرزين". من شيوخه: أبو القاسم بن زيتون وأبو محمد بن برطلة الأزدي وغيرهما. وله تصانيف في عدة علوم، اختصر تفسير فخر الدين الخطيب وسماه "نفحات الطيب في اختصار تفسير ابن الخطيب"، وله كتاب الحاوي في الفتاوي وغيرهما. ينظر: ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب**، ج: 2، ص ص: 330-331. كحالة رضا، المرجع السابق، ج: 3، ص:657.

[4]- ابن هلال، المصدر السابق، ص:107. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298.

[5]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[6]- ابن هلال، المصدر السابق، ص:107. القرافي، المصدر السابق، ص:154. الشوكاني، المصدر السابق، ج:2، ص: 120.

[7]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 524.

21- كتاب "**مناقب الشيخ إبراهيم المصمودي**" وهو ترجمة لشيخه الصالح الزاهد إبراهيم المصمودي في أوراق معدودة[1]، والمصمودي واحد من كبار علماء تلمسان وكان من أبرز شيوخ ابن مرزوق الحفيد، والكتاب مفقود.

22- كتاب "**تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء**"[2] ، ذكره البلوي باسم "جزء في الكلام على قل هو الله أحد[3].

23- كتاب "**عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقييد**" وعلى منحاها وضع السنوسي عقيدته[4].

24- كتاب "**الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات**"[5]، ذكره القرافي بعنوان "الآيات البينات في وجوه دلالة المعجزات"[6].

25- كتاب "**إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم**" كتاب نفيس في علم الأنساب أجاب فيه ابن مرزوق على أسئلة تتعلق بإثبات الشرف من جهة الأم[7]، حقق وطبع بالمغرب من قبل لحلو مريم سنة 2006 "إسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الأم لمحمد المراكشي الأكمه (739-807هـ) ويليه إسماع الصم في إثبات الشرف للأم لمحمد بن مرزوق الحفيد (766-842هـ) دراسة وتحقيق".

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 297. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 430.

[3]- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

[4]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. البغدادي، المصدر السابق، ج: 2، 2، ص: 192. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 298.

[5]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211. البلوي، المصدر السابق، 571.

[6]- القرافي، المصدر السابق، ص ص: 172.

[7]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 172. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 297. عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج: 2، ص: 293.

26- كتاب "**شرح المختصر الفرعي**" لابن الحاجب، وسماه البلوي "تقييد على صدر من ابن الحاجب الأصلي[1].

27- كتاب "**شرح التسهيل**" هو كتاب في علم النحو شرح فيه ابن مرزوق الحفيد كتاب التسهيل لابن مالك النحوي[2].

28- كتاب في "**الفرائض**" أو "**منتهى الأماني**" وهو اختصار للمنظومة التلمسانية التي نظمها إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (ت:697هـ/1297م)، وقال تلميذه الحافظ التنسي لما نظم مختصرا للتلمسانية "أنه لم يخرجه" لأن شيخه ابن مرزوق الحفيد اختصرها، وذكر البلوي أنه سماها "منتهى الأماني"[3].

29- كتاب "**النور البدري في التعريف بالفقيه المقري**" وهو ترجمة للإمام المقري الجد[4]، والكتاب مفقود.

30- كتاب "**منظومة فراجة الكروب ومنية المطلوب**"[5].

31- "**تقاييد على سور من الكتاب العزيز**" ذكرها البلوي [6].

32- "**مرويات ابن مرزوق الحفيد**" ذكر التنبكتي بأنه اعتمد عليها ضمن مصادره[7].

---

[1]- المقري، **النفح**، مج: 5، ص: 430. البلوي، المصدر السابق، ص: 293. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 298.

[2]- السخاوي، المصدر السابق، ج:7، ص:51. القرافي، المصدر السابق، ص:172. ابن مريم، المصدر السابق، ص:211.

[3]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 97. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 297. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 208. البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

[4]- المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص: 204، 340. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 254. البغدادي، **هدية العارفين، العارفين**، ج: 2، ص: 192.

[5]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ج: 1، ص:

[6]- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

[7]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 640.

أما كتاب "الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف" ففيه شبهة في سبته إليه، إذ من تأليف تلميذه محمد ابن العباس العبادي التلمساني وضعه في مذهب شيخه في صرف اسم أبي هريرة وليس من وضعه[1].

ب- تآليفه الغير كاملة:

ترك ابن مرزوق الحفيد العديد من المؤلفات التي لم يتمكن من إكمالها لأسباب مختلفة، وعلى ما يبدو أن انشغاله في التدريس وقضايا الإفتاء، التي كانت تأخذ منه الوقت الكثير، كانت سببا في عدم توفر الوقت الكافي للتأليف، متذكرين تأثير عامل السن في عطاء الإنسان، ونتيجة ذلك لم يتمكن من استكمالها، مما تسبب بخسارة كبيرة لمعاصريه، ولنا أيضا إذ أننا حرمنا من إضافات علمية كبيرة، والتآليف هذه عديدة ومتنوعة الاختصاص، وهي:

1- كتاب"**المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح**"[2]، وورد لدى التنبكتي في النيل وابن مريم في البستان باسم "المتجر الربيح والسعي الرجيح والرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح صحيح البخاري"[3]. شرح منه أوله إلى باب الإيمان كاملا ثم أبواب من الصلاة، حقق وطبع منه جزئه الثاني من قبل بلميهوب حفيظة أطروحة دكتوراه، وهي الآن تشتغل على بقية الأجزاء وعلى حسب علمي أنها قيد الطبع.

2- كتاب "**إيضاح المسالك على ألفية الإمام ابن مالك**" وهو شرح على ألفية ابن مالك لم يكمله وصل فيه إلى اسم الإشارة أو الموصول في مجلد كبير[4].

3- "**شرح شواهد شراح الألفية إلى باب كان**" في مجلد[5].

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 510.

[2]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50. ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[4]- ابن هلال،المصدر السابق،ص:107.السخاوي، المصدر السابق، ج:7، ص:51.التنبكتي، المصدر السابق، ص:298.

[5]- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

4- كتاب "**روضة الأريب في شرح التهذيب**"[1]، أشار إليه السخاوي والقرافي وابن مريم بمسمى: "روضة الأريب ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب"[2]، والتهذيب هو مختصر للمدونة ألفه البراذعي.

5- كتاب "**المنزع النبيل في شرح مختصر خليل**"[3] وهو شرح لمختصر خليل في الفقه من كتاب الطهارة والأقضية، شرح منه منه كتاب الطهارة في ثلاثة أجزاء، حققت وسيلة حماموش خمسين ورقة منه بالعاصمة بكلية العلوم الإسلامية سنة 1997م، وواصل كل من جيلالي عشير، محمد بورنان ومالك كرشوش بتحقيق الجزء الأول منه كتاب الطهارة كأطروحة دكتوراه ثم جمع العمل وطبع في ثلاث أجزاء بالجزائر.

ج: مجاميع الفتوى والنوازل:

لم يتوقف إنتاج ابن مرزوق على ما قدمه من مؤلفات ذات عناوين محددة وفي علوم معينة، وإنما كانت له مجموعة نوازل وفتاوى أجاب من خلالها على ما طرح عليه من مسائل، وقد تضمنتها كتب الفتاوى والنوازل الشهيرة، نقلها أبو زكريا المازوني في نوازله، والذي كتب يصف قيمة ابن مرزوق الحفيد في هذا الميدان قائلا: "شيخي الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين، ذي التواليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والتحقيق؛ سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق" [4]. والونشريسي في معياره لأهميتها وعلو كعبها في ما استفتى به من أمور[5]، وأخرى أوردها أحمد سعيد المجلدي في كتابه "التسيير في أحكام التسعير منها ما يتعلق بشروط المحتسب"[6]. وعلق عليها ابن هلال السجلماسي في فهرسته قائلا: "وأما أجوبته وفتاويه فقد

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

[2]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص:51 . القرافي، المصدر السابق، ص: 172. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[3]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107. عبد الرحمن الثعالبي، **غنيمة الوافد**، ص: 60.

[4]- المازوني، المصدر السابق، ج: 1، ص: 200.

[5]- البلوي، المصدر السابق، ص: 294.

[6]- المجلدي أحمد سعيد، **كتاب التيسير في أحكام التسعير**. تق وتح: موسى لقبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.ط، ص: 46.

طارت شرقا وغربا في البدو والحضر وعمت أهل المدر والوبر"[1]، وتوجد نسخة من نوازله ولكنها مبتورة الآخر بالعاصمة والواضح أنه تم جمعها في كتاب خلال القرن 12هـ/18م.

كما أن لحسن الصويني قام بجمع نوازله في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية بالمغرب سنة 1994م، عنوانها "الفتوى عند ابن مرزوق ومنهجه في الاستنباط"، قام بجمع نوازله ووضع دراسة عامة عنها حول طبيعة الفتوى وشروط المفتي وفتاوى ابن مرزوق الحفيد التي قام بجمعها من المعيار والدرر، كما قام أيضا ماحي قندوز بالجزائر بجمع ودراسة لنوازله من خلال كتاب المعيار وتم طبع العمل في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2016م.

د: الخطب الدينية:

من جملة ما تركه لنا ابن مرزوق الحفيد من مؤلفات خطب مفيدة ومهمة، وصفها ابن هلال على أنها: "خطب عجيبة"[2]. وكرر ذات القول ابن مريم في بستانه من "أنها عجيبة"[3]. ومثل هذا الوصف يدل على أنها كانت من الفائدة والأهمية والضرورة مما جعل هؤلاء يصفونها بالعجب، وما يؤكد على أن له خطبا أن كل من ترجم له وصفه بـ"الخطيب".

يظهر مما سبق ذكره الكم الكبير والإنتاج الغزير والمتنوع الذي تركه ابن مرزوق الحفيد في شتى العلوم، فكان بذلك قرين علماء القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م) مما جعله يلقى الثناء من كبار العلماء والشيوخ.

---

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

[2]- المصدر نفسه، ص: 107.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

المبحث الثاني: منهجه وأسلوبه في الكتابة

أولا: منهجه في الكتابة

لا يختلف اثنان على أن لكل كاتب منهجيته الخاصة، تكون محددة واضحة المعالم قبل الشروع بأي بحث. وله أسلوب خاص به يميزه عن غيره من المؤرخين السالفين أو المعاصرين له وذلك من حيث انتقاء المادة التاريخية وطريقة عرض الأخبار والروايات[1]. وبناءاً عليه، فإن شيخنا ابن مرزوق الحفيد الذي تميز بمقدرة أدبية ولغوية فضلاً عن حسٍ علمي، واطلاع واسع على مناهج من سبقه في مضمار التأليف، قد اختط لنفسه منهجاً عرض من خلاله مادته العلمية المتنوعة. وهذا يعني أنه اختط لنفسه منهجا علميا ثابتا، فهو يحدد الموضوع أو ما يريد بحثه من مسائل، والغاية من وراء ذلك، ثم يجمع مادته اللازمة، فإذا كتب جاءت مقسمة، مرتبة حافلة بأقوال أهل العلم في كل مسألة، مع ذكر قائلها، والمصدر الذي استقاه منه.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن ابن مرزوق الحفيد هو عالم مسلم تحدده آليات منهجية أقرها الإسلام فعليه هو وغيره من العلماء الالتزام بها، ونستدل هنا بقول الرسول محمد (ﷺ): ﴿لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار، ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة﴾[2]. وهذا يجعلنا نقول، من أنه لا تختلف آداب العالم والمتعلم عما اشترطه العلماء المسلمين بشي، وهي تتلخص في الالتزام بالسنن النبوية والأخلاق الإسلامية، إذ لابد من الايجابية والبحث عن مواضيع الاتفاق والإنصاف في العلم من أجل تحقيق غاية الفهم والإدراك، إلى جانب التركيز على التفرغ وعدم الاشتغال بالدنيا أو الاهتمام بجمعها أو التطلع إلى الجاه والمكانة الاجتماعية[3].

ومن خلال هذه الخلفية ينطلق ابن مرزوق الحفيد في إبداعه العلمي، وجعل منهجه لا يحيد عن الغاية التي حددها الإسلام في الغاية من العلم والكتابة فيه. لاسيما وأن الباري عز وجل قد

---

[1]- روزنتال فرنتز، **مناهج العلماء المسلمين**. تعر: أنيس فريحة ، بيروت، دار الثقافة، 1961م، ص: 16 .

[2]- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، **الفقيه والمتفقه**. تح: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، مج: 2، ص: 174.

[3]- الكيلاني ماجد عرسان، **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية**. دمشق، دار ابن كثير ومكتبة دار التراث، ط2، 1985م، ص ص: 100-101.

أشار إلى العلم بشقين الايجابي والسلبي، وفي هذا يقول ابن رجب الحنبلي: "قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح[1]، وهو العلم النافع، وذكر العلم تارة في مقام الذم[2] وهو العلم الذي لا ينفع"[3]. وعليه، إن البحث في منهج المؤلف من أهم ما يتوخاه الدارس لأي شخصية علمية ينوي دراستها وبيان إمكانياتها العلمية، لأننا إذا تعرفنا على المنهج العلمي يسهل علينا فهم نصوصه ومعرفة مظانه وبالتالي دلالة مصطلحاته.

ومن دراستنا لما كتبه ابن مرزوق الحفيد، وما كتب عن تلك المؤلفات من قبل معاصريه وفي وقتنا الحاضر، توصلنا إلى تحديد مسألتين فيما يخص منهجيته في الكتابة تميز بهما، أولها: أنه كان موسوعيا في علمه ومعارفه، والدلائل على ذلك كثيرة، بمعنى أنه لم يتجه إلى اختصاص علمي محدد، ولكنه حينما يكتب في أحد العلوم العقلية منها أو النقلية، فإننا نشعر بأنه مختص في هذا العلم دون غيره، وفي ذات الوقت نراه يوظف باقي العلوم من أجل تقديم منتج معرفي متطور وذا فائدة.

أما المسألة الثانية: هو الفكر المنهجي الذي كان يتمتع به، وهو فكر منهجي دقيق يلازمه في كل ما يكتب ويبحث فيه، أيا كان الموضوع أو العلم الذي يعالجه. وأنا بقرارة نفسي، أجدها عاجزة في معرفة مصدر هذه القدرة التي يتمتع بها شيخنا ابن مرزوق الحفيد، حتى أنني طرحت تساؤلا: أهي فطرة فطره الله عليها أم هي نتاج الخبرة وتراكمات التحصيل العلمي المستمر؟. لأننا أجده منذ نشأته العلمية، كان يتناول ما يدرسه بنفس الطريقة المنهجية التي مات عليها، ونتيجة ذلك تمرس عليها واعتادها ولازمها في كل ما يكتب ويصنف فيه.

ومهما تكن طبيعة الجواب على التساؤل، فإننا لا نكاد نقرأ مؤلفا من مؤلفاته، وفي أي مجال من العلوم إلا وتجده يسير بك في تقديم المعلومات وتفسيرها عبر منهج دقيق متبصر، فهو يحاول تفكيك كل قضية يدرسها إلى جزئيات دقيقة، ومن ثم يقوم بوضع تلك الجزئيات تحت

---

[1]- على سبيل المثال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾. **سورة الزمر**: الآية: 9.

[2]- ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. **سورة البقرة**: الآية: 102.

[3]- ابن رجب الحنبلي، **بيان فضل علم السلف على علم الخلف**، تح وتع: محمد بن ناصر العجمي، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط 2، 1406هـ، ص: 19.

منظار التحليل والتفسير لاستقراء الاحتمالات العقلية بشكل تام، ومن تم يقوم بنقد تلك الاحتمالات بالتسلسل عبر أدواته المنهجية، حتى يتمكن من الوصول إلى مكمن الصواب المنشود. فعلى سبيل المثال، لقد قسم خطة كتابه "إظهار صدق المودة" إلى سبع مطالب نتيجة ما أملاه الموضوع عليه، واقتضاه النص المشروح، حيث يقول: "وجعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم"[1].

والتي أشار إليها بالشكل الآتي: "أولها شرح الغريب في شرح لغات الألفاظ المفردة وما يتعلق بها من التصريف ثم التفسير في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل ثم المعاني في ذكر حكم خواص الكلم المستعملة في ذلك التركيب دون غيرها إفرادا أو تركيبا، ثم البيان في ذكر وجوه ذلك التركيب من وضوح دلالته على المعنى المراد وبيان الحقيقة منه والمجاز، وما ينخرط في سلك ذلك المعنى من ذلك الفن، ثم البديع في ذكر وجوه ما لذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية، ثم الإعراب فأذكر منه الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها، وهي ترجمة معينة على فهم معاني الأبيات، ثم الإشارات التصوفية، أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة ظاهرة إلى المعنى المذكور"[2].

وهنا، لابد من الإشارة إلى أن ابن مرزوق الحفيد قد تميز في أدواته المنهجية وآليات العمل للوصول إلى الغاية التي حددها من وراء إنجاز مؤلفه "إظهار صدق المودة"، وهذا يتجلى في انفراده في إضافة مطلبا جديد وهو "الإشارات الصوفية" مثلما أشار محمد العمري عند تقديمه لكتاب "المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفراني"[3]، والذي أوضح فيه ابن مرزوق سبب إضافته للإشارات الصوفية، بالقول: "أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة ظاهرة إلى المعنى المذكور"[4].

لقد أثبت ابن مرزوق من خلال هذا التصور المنهجي الذي أشار إليه في تقسيمه لمستويات الشروح السبعة علو كعبه، وقدرته في وضع مخطط منهجي محكم وخطه متكاملة

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: فلاق محمد، ص: 48.

[2]- المصدر نفسه، ص: 48. الإفراني محمد، **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل**، تح: محمد العمري، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1997م، ص: 19. فلاق محمد، "البحث اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد التلمساني في مخطوط إظهار صدق المودة في شرح البردة". مجلة الممارسات اللغوية، ع: 3، سنة 2011م، تيزي وزو، ص ص: 306-307.

[3]- الإفراني، المصدر السابق، ص 19.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، ص: 48.

للوصول بالعمل إلى المستوى الذي يجعله محل اهتمام العلماء وطلبة العلم. وفي هذا الصدد كتب فلاق محمد معلقا على هذه المسألة، قائلا: "إن اعتماد ابن مرزوق هذه المستويات الشرحية، وهو أمر لم يسبق إليه يبين للقارئ أن عمله يقوم على تصور منهجي محكم وخطة صارمة، إذ حاول أن يحيط بكل جوانب النص وزواياه: اللغوية (المعجمية والصرفية) والتركيبية (النحو) والدلالية (التفسير) والبلاغية (المعاني والبيان والبديع) والإشارية (الإشارات الصوفية)، مع إثارة مختلف المسائل المتعلقة بمعاني النص وظروفه (تاريخية ودينية)"[1].

وبناءا عليه، يمكننا القول، أنه قلما نجد بين علماء عصر ابن مرزوق الحفيد من كان يعرف حدود طريقته الفنية، لأنه كان عالما ناقدا عارفا بالأصول التي تقوم عليها طريقته، مؤمنا بقدراته، واعيا بمقدار الجهد الذي يبذله المرء حتى يصبح كاتبا متميزا في أسلوبه. ومن الأمثلة على المقدرة المنهجية التي عرف بها شيخنا ابن مرزوق الحفيد، أسلوبه في معالجة واحدة من القضايا الهامة في منطقة المغرب الإسلامي، وهي موضوع إثبات الشرف من جهة الأم[2].

إذ حينما طرح عليه هذا الموضوع نجده يتميز على الآخرين بالشكل الذي يعكس تمكنه في ميدان الإفتاء، فهو لا يجيب بالطريقة التي اعتاد عليها من سبقوه، وإنما كانت طريقته تعتمد على أسلوب منهجي متدرج في الإجابة وأدوات الإقناع له. إذ نجده يجيب على السؤال بالإيجاب أو تأييد الفتوى، ويسند الإجابة إلى استعراض المرجعيات الدينية بعمومها ومن تم تحديد رموزها، حينما ذكر العلامة ناصر الدين أبو علي المشدالي، وفي ذات الوقت ساق من اعترض على ذلك، وذكر أبا إسحاق بن عبد الرفيع[3]، حين قال: "الحمد لله وحده يثبت للمذكور شرف النسب من جهة الأم ويحترم بحرمة الشرفاء ويندرج في سلكهم، ويثبت ذلك له ولذريته، هذا هو الذي اختاره

---

[1]- فلاق محمد، "البحث اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد التلمساني"، ص: 307.

[2]- للاطلاع على نص الفتوى، ينظر: الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص ص: 193-207.

[3]- **أبو إسحاق الربعي التونسي** (ت:**734هـ/1333م**): أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد الرفيع القاضي. ولد بتونس في ربيع الأول سنة 639هـ/1241م، كان فقيها، نظارا، أصوليا، من الأئمة الكبار، مدرسا، مفتيا، خطيبا. أخذ عن عدد من المشايخ، منهم ابن الغماز. ومن طلبته: محمد بن جابر الوادي آشي وابن مرزوق الخطيب، وغيرهما. وله مؤلفات، منها: السهل البديع في شرح التفريع، معين الحكام وغيرها. ينظر: العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج: 1، ص: 23.

وبه أفتى علماؤنا التلمسانيون من أصحابنا المعاصرين وأشياخهم وأشياخ أشياخهم، وبه أفتى رئيس البجائيين، خاتمة المجتهدين في زمانه الإمام العلامة ناصر الدين أبو علي المشدالي[1].

وحكي أن الإمام العلامة رئيس التونسيين في زمانه أبو إسحاق بن عبد الرفيع أفتى بخلافهم"[2]. إلا أنه انتقد من سبقوه في الفتوى بالرد من دون تقديم السند الدقيق في ذلك، وأكد على ضرورة تقديم الأسانيد الواضحة والأكيدة بما يضفي المصداقية في الإجابة، حين قال:" لكن ما وقع إلي من فتاوى أصحابنا إنما رأيته مجرد الإعلام بالحكم من غير إبداء مستند لأحد منهم إلا علي سبيل الإجمال. ولعمري أنه من شأن المفتين قديماً وحديثاً، فإنهم لم يزالوا يفتون من غير إبداء المستند، لاسيما المقلد المحض فإنه لا يفيده أن عين هذه المسألة ما لم نطلع فيها على نصوص المتقدمين إلا بالترجيح حسن ألا تخلو من الاستدلال، فلذلك آثرت ذكر شيء من الاستدلال مع الحكم، لاسيما وقد اضطربت الآراء فيها، فأقول وبالله التوفيق وهو المستعان سبحانه وتعالى دليل ما ذكروه من الحكم ينتجه قياس من الضرب الأول من الشكل الأول، وهو أبين شكل، وهو كل من كانت أمه شريفة النسب فهو من قرابة رسول الله (ﷺ) نسبا، فهو شريف النسب شرعا وعرفا"[3].

ولكن، علينا التذكر دائما، وبحكم الخلفية الدينية لابن مرزوق الحفيد، فإن الأرضية المعرفية التي يستند عليها هو النص القرآني أولا، وقبل كل شي، ليكون منطلقا أساسيا للاجتهاد في الرأي، استنبطانا لمعناه، واستكناها لأسرار تشريعه، واستخلاصا لما عنه منطوقه توسيعا لمفاد النص القرآني على ضوء من منطقه، بما يستغرق كافة طاقاته الدلالية- اللغوية والعقلية عل حد سواء- وهذا يعني أن ابن مرزوق يمتاز باعتماده أرضية النص القرآني، منطلقا أساسياً لاجتهاده برأيه فيه ليتقي بذلك مواقع الغلط في التفسير أو الخطأ المنهجي في الاجتهاد، ليكون استبطان دقائق معاني النص في ضوء ظاهره لا يناقضه، وهذا أصل منهجي عتيد يجمع بين منطق اللغة، ومنطق المعاني، كما

---

[1] **ناصر الدين أبو علي المشدالي (ت:731هـ/1330م)**: أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق بن سدرمان بن فلاح بن تميم بن فائد بن يعلى الزواوي المشدالي البجائي، ولد في زواوة سنة 631هـ/1233م، كان فقيها م متقنا، برز في الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية والمنطق وغيرها من العلوم، درس في مسقط رأسه ثم رحل مع أبيه إلى المشرق الإسلامي صغيرا، وأقام في القاهرة قرابة العقدين من الزمن، ومن أبرز شيوخه هناك: العز بن عبد السلام، الشرف المرسي والواسطي المجتهد أبو إسحاق بن مضر وغيرهم. ونظرا لعلمه وتمكنه في العلوم وصل إلى درجة الاجتهاد. ومن أبرز تلاميذه: ابن مرزوق الخطيب. له مؤلفات منها: شرح رسالة أبي زيد. مات في سنة 731هـ، وكان عمره مائة سنة. ينظر: العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج: 4، ص ص: 361-362. التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 247-249.

[2] الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص: 194.

[3] الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص: 194.

نرى، وهو ما أشار إليه الإمام الغزالي بقوله: "لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج إلى تكرير"[1].

وهناك ميزة أخرى استأثر بها ابن مرزوق الحفيد في منهجه العلمي، تتصل بأصل المنطق اللغوي، أن ما زخرت به موسوعة تفسيره من التآليف اللغوية القيمة التي تعكس ما انطوى عليه القرآن الكريم، من حقائق المعاني واستجلاء أسراره –بما هي مقومات هدايته وتشريعه ومقاصده– فكانت تلك التآليف التي تزخر بها موسوعته –وقد أحيت كثيرا من المفردات والشواهد القديمة– غير مقصودة لذاتها، كي لا ينقلب التفسير مجلى لقضايا اللغة وقواعد النحو، وبذلك يستتر المعنى القرآني في تضاعيفها، أو ينتفي على النحو الذي يرى في بعض التفاسير الأخرى، بحيث تجد فيها كل شي إلا التفسير، ولعل أوضح مثال على ذلك الإشادة الكبيرة التي حظيت بها تآليف ابن مرزوق الحفيد في مجال التفسير.

إن تمكن ابن مرزوق الحفيد من أدوات اللغة مكنه وأعانه في فهم متطلبات وآليات التفسير، ولذا أهم ما كان يعنيه هو توجيه تفسيره توجيها علميا يجلى به حقائق التنزيل وأسرار الهداية الإلهية، بما يقربها إلى النفوس البشرية، باعتبار أن من أبرز خصائص النص القرآني أنه يخاطب النفس الإنسانية حيثما وجدت. ومن خلال ما تقدم يمكننا تحديد بعض النقاط الأساسية التي امتاز بها المنهج المتبع من قبل ابن مرزوق الحفيد في مؤلفاته، وهي:

1. اختيار العنوان المناسب للموضوع بحيث يشد انتباه القارئ ويحفزه على قراءة الموضوع، والعنوان الجيد يكون معبرا عن الفكرة الأساس للموضوع.
2. المقدرة على تحديد النقاط التي يحتاج فيها الحصول على معلومات تفصيلية وعميقة حولها لتوضيحها والإلمام بتفاصيلها.
3. تحديد المصطلحات حسب اختصاصها وعلمها، الواردة في الموضوع والتأكد على علمه بها، وتعريفاتها وبيان معانيها.
4. تدعيم آرائه في ما يكتب بآراء ومواقف مساندة له،. وحرصه على ترجيح الآراء، والتركيز على نقل المشهور والموثوق منها، بما يعزز من مصداقية الرأي الذي يستخلصه في كتاباته.

[1]– الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**. تق: بدوي طبانه، مكتبة كرياطه فوترا، د.ت.ن، ج: 1، ص: 290.

5. التوسع في نقل آراء الآخرين إذا استدعى الأمر ذلك، مع بيان وإقران كل رأي بمبعثه وعلته وقوته، ونقدها إذا استدعى الحال ذلك، فضلا عن تحري الدقة والتأكد بما استعان به.
6. تناول عناصر الموضوع بالتفصيل والتوضيح وكتابة كل عنصر بشكل بين وواضح ومستقل.
7. تسلسل الأفكار وسلامة اللغة والتعبيرات بمعنى سلاسة الانتقالات عنده بما لا يجعل القارئ في حيص بيص من أمره وهو يقرأ.
8. تلخيص النقول بما لا يفقد النص والفكرة الانتقالات الطبيعية.
9. كان متواضعا في إبداء آرائه وعدم إدعاء المعرفة التامة[1]، كما لا نجده عدائيا اتجاه أي رأي يختلف معه، وهذه صفة من صفات العالم المسلم المتزن والملتزم. فهو كان يبتعد كل البعد عن التجريح بمن لم يوافقه الرأي أو الفكرة. وهذه صفة يجب أن يتحلى بها الكاتب لكي لا يقع في شرك الإساءة وإنكار ما للغير من جهد.
10. تنوعت لديه صيغ الاقتباس بما يفيد العمل، فإن تطلب الأمر شعرا أشعر، وإن تطلب حديثا ذكر، وإن تطلب تفسيرا فسر، وهكذا حتى يطمئن من كونه قد أوصل الفكرة إلى غايتها المرجوة، بمعنى أنه كان يسعى إلى جعل النص سهلا ممتنعا يمكن لأي كان إن يفهم مغزاه ويطلع على خبايا. وهذه حسب رأينا هي ميزة الكاتب الناجح، الذي يقدم كتاباته للكل وليس لنخب بعينها تستفيد منها وغيرهم.

خلاصة القول، أراد ابن مرزوق الحفيد من خلال كتاباته أن يحقق فكرة: حتمية الإفادة وتحقيق المرام من يطلع على كتبه من أراد يتفقه في العلم وصناعة الكلام. ومن هنا نجده ينوع في الآليات والوسائل المنهجية في مؤلفاته، حسبما يفترض ذلك التغيير والتنويع. فهو لم يقف جامد متسمرا أمام سياق واحد من الآليات الكتابية والتوظيفات المنهجية، وإنما كان يتنقل وفق معطيات العمل وما يطرأ من تغير أثناء مرحلة الانجاز. وكان يكتب وفق حالة تدريجية يرتقي ويهبط فيها حسبما يتطلب الأمر ذلك، فهو يشرح ويسترسل فيه إن كان ذلك مجديا والعكس صحيح، وهو يوضح ويفسر المعاني وبيانها إن كان ذلك يصب في خدمة العمل، فضلا عن ترجيحه للأقوال

[1] وخير دليل على ما يؤكد هذه الخصلة في شخص الحفيد وتجذرها في سلوكه العلمي، ما أشار إليه ابن مريم في كتابه، حين قال: "بعد ذكره قصة مالك أنه سئل عن أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين: لا أدري بقوله وجنة العالم لا أدري ما نصه، ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة وكثر استعمالها غير شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق". ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص: 207.

والآراء والاعتناء بها بما يجعله يحافظ على سياق عمله وبيان فكرته، إضافة لتماسك أفكاره وآراءه. وغيرها من الأمور التي تميز بها منهجه في الكتابة، وهو الذي وضعه في خانة التميز والبروز في ميادين العلم والمعارف.

وأخيرا، يتضح لنا من أن شيخنا الجليل ابن مرزوق الحفيد قد اختط لنفسه منهجا علميا ثابتا، يتنوع وفق معطيات العلم الذي يكتب فيه، حينما يحدد الموضوع أو ما يريد بحثه من مسائل، والغاية من وراء ذلك، ثم يجمع مادته اللازمة، فإذا كتب جاءت مقسمة، مرتبة حافلة بأقوال أهل العلم في كل مسألة، مع ذكر قائلها، والمصدر الذي استقاه منه.

ثانيا: الأسلوب والبناء اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد

إن الكتابة على الكتابة والكلام على الكلام مسألتان صعبتان، لأن الكلمة هي معجزة الإنسان، لكنها معجزة أضحت مألوفة ومأنوسة، فهناك سحر في تزاوج الحروف لتصبح كلمات، والكلمات تغدو عبارات، وتزاوج العبارات يقودنا إلى الموضوعات ذات الصفحات التي تؤلف المجلدات حتى تصل إلى المكتبات التي تضم الكتب المتضمنة بالخبرات والأفكار الواردات والشاردات، فالكلمة عدة الكاتب يتصرف بها حسبما يمليه عليه فكره وخياله ومزاجه وذوقه، ويخلق منها نصاً، يهدف من ورائه الفائدة من المعاني المطروحة فيها، ويتجلى ذلك في قول عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ/1078م): "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"[1].

وهنا نستطيع القول، لا يستطيع أي إنسان مارس الكتابة إيصال جميع المعاني المتقدة في ذهنه إلى المتلقي لهذه الكتابة؛ إلا إذا امتلك موهبة لافتة وفكرا وقادا، وفي هذا السياق، كتب عبد القاهر الجرجاني قائلا: "إن المعاني كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه، ثم ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل

[1] – الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي، **أسرار البلاغة**. تع: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني للنشر، ط1، 1991، ص: 4.

عليه ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كل من دنا من أبواب الملوك فتحت له"[1].

إن الحديث السابق، يعكس بصدق حقيقة الشعور لدى الباحث حين يتناول بالكتابة الأسلوب[2] والبناء اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد ومصادره، والتي استقاها من ثقافته المتنوعة، وتجربته الطويلة، هذه التجربة تتعمق وتتوزع في عالم الكتابة والتأليف لتشكل نسيجا من الإبداع والفكر والثقافة والتجربة، بحيث تتمازج وتتحد ويصعب تحليلها وتجزئتها وفصلها؛ لأنها متماسكة بقوة وصادرة عن إنسان متوقد الذهن، حاد الذكاء، بارع في الكتابة والتصنيف. وارتبط ذلك بأسلوب لغوي متميز في الكتابة. وهنا أستعين مرة أخرى بما قاله عبد القاهر الجرجاني: "إلا أن الأسلوب غيره، وهو أن المعنى إذا أتاك ممثلا، فهو في الأكثر ينجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه"[3].

إن نظرة عامة على الكتابات التي قدمها ابن مرزوق الحفيد نجدها متنوعة في موضوعاتها؛ تتوزع بين العلوم النقلية والعقلية، وحتى أننا نجده يتشعب داخل العلم الواحد بدراسات متنوعة ومختلفة. ولكن العامل المشترك بين هذه المؤلفات، هو: حسن استخدامه اللغة للتعبير عن الموضوع، ففي مجال كتاباته في علوم القرآن نجده يستخدم لغة ترتقي إلى مستوى المجال الذي يكتب فيه، فهو يستخدم لغة عالية الجودة يستلهما بصيغ جمالية مما ورد في محكم الكتاب والسنة النبوية الشريفة. وهذا مرتبط بفكره وثقافته العلمية الواسعة، التي تنوعت مصادرها وتعددت مواردها العلمية، وفي هذا تعلق مجاهدي صباح بالقول: "ونلحظ ذلك جليا في معظم مطارحاته وتحليلاته اللغوية لنص المنظومة، كما نلحظها تظهر في قدراته على التنوع في الشواهد وحسن

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 141.

[2]- الأسلوب في اللغة يعني الطريق، وعنق الأسد والشموخ في الأنف، وجمعها أساليب. وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني، بالقول:" والأسلوب الضرب في النظم والطريقة فيه". ينظر: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، ص: 98. الجرجاني، المصدر السابق، ص: 43.

[3]- الجرجاني عبد القاهر، المصدر السابق، ص: 139.

توظيف إياها، فقد برع ابن مرزوق في الشاهد الذي استدل به في شرح أبيات المنظومة، فاستشهد بالقرآن الكريم، وبالأحاديث النبوية، وبالأبيات الشعرية وبالأقوال"[1].

إن البراعة الإنشائية التي تمتع بها ابن مرزوق الحفيد جعلته في كتابته قادر على إيصال المعاني بأدق عبارة وأسلسها في صنعة خفية ينعم بها القراء ولا يدرك أسرارها إلا أولو الألباب من المختصين. وذلك لقدرته على الانتقال ما بين الكتابة ذات المغزى الكثيف العميق والكتابة ذات النثر السلس المتوازن. وهذا ما جعله يقدم مؤلفات تنال الاهتمام والتقدير، وفي هذا الصدد كتب محمد العمري بخصوص أفضل من شرح النصوص الدينية التي تتعلق بمدح الرسول(ﷺ)، وهو يقدم لكتاب" المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل لمحمد الإفراني"، وصف كتاب ابن مرزوق الحفيد إظهار صدق المودة في شرح البردة على أنه: "من أحسن الشروح منهجا ومادة"[2].

إن الأسلوب اللغوي الذي اتبعه ابن مرزوق في كتاباته كان يسمو في ميدانه لما توفر فيها من تصور منهجي وتذوق فني بلاغي، فعلى سبيل المثال كانت شروحاته تمتاز بذوق بلاغي عال للنص المشروح، فقد جمع ما بين الشرح اللغوي وشرح المعاني، وفي هذا يشير محمد فلاق قائلا: "إن تأثير هذا المنحى في تكوين الشخصية العلمية لابن مرزوق ظاهر وقوي لكنه ليس الخلفية المعرفية الوحيدة التي ينطلق منها في إنتاجاته، فقد كان لاطلاعه الواسع على أمهات الكتب المشرقية في سائر الفنون أثر كبير في نماء فكره وثقافته"[3].

وهذا التميز في الأسلوب اللغوي لم يأت من فراغ، وإنما هو مرتبط بما اتسعت به قريحته اللغوية، التي استندت في أساسها على أرضية راسخة من الإلمام والإتقان لعلوم اللغة العربية. وتظهر الكتابات التي قدمها تمكنه من اللغة العربية، وإلمامه بها. ومن هنا، كان من الطبيعي أن يكون أسلوبه اللغوي على مستوى عال من الرصانة العلمية، مما أضاف إلى كتاباته بعدا آخر من الأهمية. إذ كان ابن مرزوق الحفيد بارعا في البناء اللغوي والبراعة عكسه اهتمامه الكبير بها في

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 46. وللتفاصيل بشكل موسع عن هذا الموضوع، ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 46-50.

[2]- الإفراني محمد، **المسلك السهل**، ص: 19.

[3]- فلاق محمد، "البحث اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد التلمساني"، ص: 306.

كتاباته، حيث أظهر ملكات كبيرة فيه، فهو حريص على تقنيات البناء اللغوي للنص، وعالجها بالشكل الذي يعكس عمق الدراية والمعرفة اللغوية عنده.

ومن هنا، فهو لم يترك في هذه المسألة أي جانب من جوانب المضامين اللغوية التي يجب معالجتها في تشكيله للنص، فاهتم في ضبطه صرفيا ومعنويا وغيرهما من المستدركات اللغوية التي تعزز من قيمة النص المكتوب من الناحية اللغوية، فعلى سبيل المثال اهتم بمسألة الضبط الصوتي للفظ، وفي هذا كتب الطاهر بن علي معلقا: "حرص أن تنطق اللفظة بشكل سليم، فضبطها بالشكل مثل قوله: حسب يحسب بكسر العين في الماضي والمضارع هو شاذ، ونقل في التسهيل أن فيه الفتح أيضا والقياس في كل فعل مكسور العين في الماضي أن يفتح عين مضارعه إلا ما شذ بالكسر"[1]. ثم يضيف في مناسبة أخرى، حينما يعلق بالضبط الصرفي ،فيقول: "اهتم بالصرف للكلمة المشروحة وما يلحقها من تغيرات كالإعلال، والإبدال، واللواحق، والزوائد والحذف"[2].

ولم يتوقف ابن مرزوق الحفيد في اهتمامه بالبناء اللغوي للنص عند حدوده اللفظية والصرفية فحسب، وإنما اهتم كثيرا بالجانب النحوي، وعليه نجده، يستعين بالنحو من أجل إيضاح النص المشروح باعتبار الدلالة النحوية عاملا مساعدا على الفهم، واستقرار المفهوم العام للفظ، فهو يطبق القاعدة النحوية الصحيحة على اللفظ، ويعرض خواصها من الشواهد والأمثلة[3]. بينما ركز على المضامين البلاغية للنص، واعتبرها من المسائل الهامة ووضعها في مقدمة الأولويات التي تساعد في اكتمال بنية النص. وعليه نجده يمزج بين الضرورة، وطبيعة العلم، وتجليات الفن، وبين تقرير القواعد، وجلب الشاهد، وقد أتى على ذكر الكثير من المصطلحات البلاغية في الشرح والتحليل، وأقام موازين نقدية استنبطها من تعليلات موفقة مما جعلها تزخر بمعارف فنية، ودراية كافية بمدركات الأدب المختلفة[4].

وهذا الأسلوب اللغوي الذي اتبعه ابن مرزوق الحفيد نجده في جميع كتاباته على الرغم من تنوعها واختلاف طبيعتها. وفي هذا السياق نستشهد بما قالته صباح مجاهدي من تحقيقها لكتابه

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: الطاهر بن علي، ص: 180.

[2]- المصدر نفسه، ص: 180.

[3]- الطاهر بن علي، "مضامين شروح البردة"، ص ص: 116-117.

[4]- المرجع نفسه، ص ص: 121-122.

المفاتيح المرزوقية: "لقد بدأ ابن مرزوق الشرح بالمقدمة الواردة في المتن، منطلقا في ذلك من شرح وتحليل أربعة قضايا حوتها المقدمة، وهي الشعر، والنظم، والفرق بينهما، ثم الوزن، وعلم العروض. إذ ضبط لكل من هذه المصطلحات مفاهيمها ودقائقها المتصلة بها، مستندا على مجموعة غنية وقيمة من نقول وآراء العلماء المشهورين في اللغة العربية والأدب العربي"[1].

وعليه، يمكننا القول من أن ابن مرزوق الحفيد كون ثروة لغوية في مختلف الاتجاهات، كبيرة ومتلاحمة، لا نستطيع تفكيك روابطها، لأنها وردت في إطار خطوات متماسكة مرتبطة بمضامينها الخاصة. إذ تمكن من الجمع ما بين البعد النظري والتطبيقي لعلوم اللغة العربية. وكان هدفه من وراء ذلك، هو توفير الأجواء المثالية لتذوق النص وإدراك مكنوناته. وهذا الأمر جعله يتميز في مسألة البناء اللغوي، ويضيف إلى كتاباته بعدا آخر إلى جانب الأبعاد الفكرية والثقافية الإبداعية. وفي هذا تقول مجاهدي صباح: "وقد وشح ابن مرزوق هذا التحليل بالكلام العربي الفصيح من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن الشعر والنثر، ليتمثل في كتابه الأسلوب العلمي الدقيق القائم على العرض، والشرح، والتمثيل ثم الاستنتاج"[2].

ومن هنا، لنا أن نتصور أن ابن مرزوق الحفيد امتاز بسمة تشترك فيها مؤلفاته كلها هي حسن استخدامه للغة العربية للتعبير عن موضوع كل مؤلف منها، ففي الكتب التي تخص الحديث يستخدم اللغة الخاصة بالحديث، فهي مصبوغة بصبغة ونكهة خاصة بما في هذا العالم من أهمية دينية وتأثير إيماني في شخص المتلقي، فهو يستخدم ألفاظ وعبارات مناسبة للموضوع، ويأتي بالأمثلة والأدلة لكتاب لهم باعهم ومكانتهم في هذا الميدان، وهو ما جعله "تاج المحدثين وقدوة المحققين"[3].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 44.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 44.

[3]- الثعالبي عبد الرحمن، **الرحلة**، ص: 115.

المبحث الثالث: مصادره

لا يمكن للكاتب من أن يكتب دون الرجوع إلى المصادر ليستقي منها المادة الأولية التي تزوده بالنصوص الكفيلة بكتابة متن الموضوع المنشود، فعملية الكتابة تقوم عليها، ولذلك اشترط على الكاتب أن يتأكد من توافر مصادر كافية قبل الشروع في عمله. وفيما يتعلق بهذه الآلية عند ابن مرزوق الحفيد، يمكن أن نعتبرها واحدة من نقاط التميز التي جعلته يحتل المرتبة العلمية التي عرف بها. ومن خلال البحث في ما اعتمد واتكل عليه في كتاباته، نجد حجم الاجتهاد في اختيار مصادره على اختلاف أنواعها، وهذا النجاح في عملية الاختيار والانتقاء تعكس أيضاً سعة علمه وقدرته على تجميع معلوماته. ومن خلال هذا المبحث سنعمل على تسليط الضوء على هذه المسألة عبر مناقشة قدرته في توظيف المصادر وبيان إسنادها وطبيعتها.

أولا: قدرة ابن مرزوق في توظيف المصادر وإثراء مؤلفاته:

لقد بلغت المصادر التي اعتمد عليها ابن مرزوق الحفيد في وضع مؤلفاته المئات، إن لم نقل الآلاف، وهذا يجعلنا نؤكد على أنه العالم النهم والمنهمك في دهاليز العلم والمعرفة، لكي يتمكن من جلب ما يمكن أن يجعله قادرا على تقديم صورة لغوية وعلمية مميزة، هي التي جعلت معاصريه قبلنا في حالة من الانبهار به وبمؤلفاته وإطلاق أروع التعليقات التي ربما لم ينلها أحد من قبل.

وهذا يعكس سعة إطلاعه على أمهات الكتب في المغرب والمشرق الإسلاميين في سائر الفنون والعلوم، والتي كان لها أثر كبير في بناء فكره وثقافته. ويعدد لنا فلاق محمد هذه السعة التي كانت عليها الحفيد، حين يقول:" إذ درس كتب اللغة والنحو والبلاغة والنقد والمنطق وعلم الكلام وأصول الفقه والحديث وتفسير القرآن والتصوف وبعض العلوم التجريبية وأحصى مسائلها وقضاياها"[1]. وهذا الكم الكبير من العلوم والفنون الدينية منها والأدبية والعلمية، تجعلنا مقتنعين من أن ابن مرزوق الحفيد له خزين كبير من مصادر المعلومة يستند عليه في مراحل التأليف والكتابة.

[1]- فلاق محمد، "البحث اللغوي عند ابن مرزوق"، ص: 305.

إن الاعتبارات التي تجعلنا نضع ابن مرزوق الحفيد في خانة العظماء هو ذلك الإنتاج الوفير والضخم نوعا لا كماً، والذي أعطى الأصالة والتميز لدور علماء المغرب الإسلامي في مضاهاة علماء المشرق الإسلامي، وهذا يتجلى مثلا في قيمة ما قدمه من مؤلفات راقية، وضعته في مقامات العلم العالية، وقد كان لكتبه في المشرق الإسلامي من الأهمية والاهتمام ما يعكس حقيقة ذلك، فهي محل طلب ومتابعة العلماء. وهذا يجعلنا نستذكر ما أشار إليه أحد أئمة المالكية وهو أبو عبد الله الحطاب[1]، حين قال: "وشرح الفصلين الأولين من كلام العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني، ولم أر أحسن من شرحه، لما اشتمل عليه من تفكيك عبارة المصنف، وبيان منطوقها ومفهومها، والكلام على مقتضى ذلك من جهة النقل، ولكنه عزيز الوجود، مع أنه لم يكمل، ولا يقع إلا في يد من يظن به، حتى لقد أخبرني والدي أنه كان عند بعض المكيين كراس من أوله، فكان لا يسمح بإعارته، ويقول: إن أردت أن تطالعه فتعال إلي"[2].

وطبيعة المؤلفات التي وضعها كانت تحتاج تنوعا في المصادر، كما ذكرت قبل قليل، فعلى سبيل المثال تشير مجاهدي صباح في سياق كلامها عن مصادر ابن مرزوق الحفيد في كتابه "المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"، فتقول:" إن طبيعة كتاب المفاتيح المرزوقية القائمة على شرح متن من المتون العلمية، في علم العروض والقافية، تستدعي من الشارح استقاء مادته من أمهات الكتب اللغوية والعروضية على حد سواء، لأننا نجده في شرحه هذا أمام شرح وتفسير لمعاني ودلالات مفردات النظم وعباراته من جهة، وبين شرح وتفصيل لمسائل وقضايا

---

[1]- **أبو عبد الله الحطاب (902-954هـ/1497-1547م)**: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسن الرعيني الطرابلسي المالكي، الشهير بالحطاب، فقيه مالكي. ولد واشتهر بمكة سنة 902هـ/1497م. وصفه التنبكتي في الكفاية: "كان إماما علامة محققا بارعا حافظا حجة ثقة نظارا جامعا ورعا صالحا متعبدا". تتلمذ على يد والده، وكذلك على يد عبد القادر النويري، المحب أحمد النويري وغيرهم. له العديد من المؤلفات، منها: قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين في الأصول، تحرير الكلام في مسائل الإلتزام، هداية السالك المحتاج في مناسك الحج، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل في فقه المالكية. توفي بطرابلس الغرب في 9 ربيع الثاني سنة 954هـ/1547م. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص ص: 227-230. الزركلي، المرجع السابق، ج: 7، ص: 286 .

[2]- الحطاب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المغربي، **مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل**. تع: محمد يحيى بن محمد الأمين بن أبوه الموسوي اليعقوبي الشنقيطي، تص وتح: دار الرضوان للنشر، نواكشوط، دار الرضوان للنشر، 2010م، ط1، مج: 1، ص: 3.

علمي العروض والقافية من جهة أخرى، ومن ثم كان التنوع في المصادر مطلوبا لشرح متن الخزرجية شرحا دقيقا، وهو ما تجلى في كتاب المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"[1].

وإزاء تنوع مؤلفات ابن مرزوق الحفيد تنوعت مصادره حسب طبيعة الغاية التي يريدها من وراء تأليف أي كتاب، وفي ذات الكتاب –المفاتيح المرزوقية–، تعلق مجاهدي صباح على هذه المسألة بالقول: "فمن خلال تتبعنا لكتاب المفاتيح المرزوقية، نستطيع التعرف بوضوح على جملة المصادر التي تزود منها الشيخ لشرح النظم وفتح مقفلاته، فقد كان يحيل إلى معظم من نقل عنهم أو استعان بآرائهم المرصوصة في كتبهم"[2]. ثم تضيف ممتدحة ابن مرزوق الحفيد في مصداقيته في الإشارة إلى مرجعية كلامه عبر الإشارة إلى مصادر نقوله، حين تقول: "ونجد ابن مرزوق الحفيد في أغلب نقوله من هذه المصادر يلتزم أحياناً بأخذ النص كاملا من أصله، مشيرا صراحة إلى ذلك بذكر اسم المصدر، أو مكتفيا باسم مؤلفه أحياناً أخرى، محددا نهاية النص المنقول بعبارة (انتهى) التي يضعها عادة للفصل بين النصوص المنقول وبين شرحه هو"[3].

ومن خلال هذا العرض الموجز، يتجلى لنا جانب من جوانب الإبداع والمقدرة التي امتاز بها ابن مرزوق الحفيد في عالم التأليف. إذ أبان لنا عن قدرات عالية في توظيف المصادر التي اعتمد عليها بما يجعله قادر في الوصول للغايات المرجوة من التأليف، وفي ذات الوقت يُمكن المطلع على فهم مظان وخفايا عمله بما لا يجعله في حالة لبس أو وهم.

ثانيا: أسانيده في مصادره:

إن طبيعة وتكوين ابن مرزوق الحفيد العلمي والمنهجي، فرض عليه أن يعمل جاهدا على الوصول إلى أعلى مستوى من الأسانيد الصحيحة لما قرأه من مؤلفات وكتب في مختلف العلوم والمعارف التي أجادها في حياته. ومن تتبع مسيرته العلمية تلك، يجد قد اجتهد في الوصول إلى أقربها من المؤلف قدر الإمكان، واستند على مشايخ ذا سمعة وهمة كبيرتين. وكذلك تبين لنا من أنه لم يتوقف عند رواية أي من الكتب والمصنفات التي اطلع عليها على شيخ واحد، وإنما اجتهد في

---

[1]– ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، د وتح: مجاهدي صباح، ص: 44.

[2]- المصدر نفسه، ص : 45.

[3]- المصدر نفسه، ص: 46.

الجمع بين أكثر من رواية. وهذا التعدد كان يعطي المصداقية التي يجب أن تكون لدى العالم عند الحديث في العلم الذي يريد. وهكذا لم يتردد وهو الذي عرف بجميل الخلق، أن يستمع ويستزيد ممن هم أقرانه بغاية الفائدة والاستزادة من العلم.

ولكن محاولاته في الوصول إلى الروايات الأقرب من مؤلف الكتاب، لم تكن تتوج بتحقيق الغاية المرجوة، إذ نجده قد استمع للعديد من الشيوخ من دون أن يذكروا أسانيدهم عند رواية المصنفات المختلفة. وقد أشار ابن هلال السجلماسي في فهرسته إلى هذه الإشكالية، وقدم جردا ضم خمسة عشر (15) شيخا من شيوخ ابن مرزوق الحفيد، كان قد أخذ عنهم وذكروا أسانيدهم، حين قال: "الذين أفردناهم بالذكر هنا[1] هم الذين روى عنهم المصنفات، وأفصحوا بأسانيدهم فيها إلى مصنفيها"[2]. وقد أشار أيضا إلى أن المشايخ الذين أجازوا ابن مرزوق الحفيد ولم يذكروا أسانيدهم فيما حملوا أو أجازوه فيه كثيرون، حين قال: "وأما الأئمة الذين أخذ عنهم وأجازوه الإجازة العامة أو الخاصة، ولم نطلع الآن على أسانيدهم فيما حملوا أو أجازوا فيه فكثير، وكذا من إجازة كتبا إجازة عامة"[3].

ومن خلال ما ذكرنا، فإن مسألة الأسانيد وتحديد مسار الإسناد إلى صاحب المصنف كانت من القضايا التي تنبه إليها ابن مرزوق الحفيد، وهو يجتهد ويبحث عن الأفضل والأحسن لما يريد. ومن خلال الجدول رقم (1) تتجلى ملامح الرغبة التي سعى من أجلها في رحلاته العلمية. وعلى ما يبدو لنا، أن مسألة الإجازة عنده لم تتخذ بعدا كميا على حساب النوع، وإنما غايته كانت الجمع والمزاوجة بين الكم والنوع للوصول إلى الغاية الأسمى، وهي الإلمام التام بما في المصنف الذي يسعى إليه من جميع الأوجه. وتتجسد الفكرة هنا في الأبيات الشعرية التي كتبها زين الدين بن العراقي، وهو أحد شيوخه حين قال[4]:

---

[1]- ينظر الجدول رقم: (1)، ص: 283.

[2]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 42.

[3]- المصدر نفسه، ص: 43.

[4]- نقلا عن: السخاوي شمس الدين الشافعي، **فتح المغيب بشرح ألفية الحديث**. تق وتح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ، مج: 2، ص: 22.

وَيَنْبَغِـــي تَأَمُّـــلُ الإِجَازَةِ فَحَيْثُ شيـــخُ شيخهِ أَجَازَهُ

بِلَفْظِ مَا صَحَّ لَدَيْهِ لم يخط ما صح عندَ شيخهِ منه فقط

وعليه فإن ابن مرزوق الحفيد، اجتهد في عمله وأصر في رغبته في الوصول إلى الأجود والأفضل من المشايخ ليس عبر الاستشارة أو الاستماع فقط، وإنما بالتجريب والملاحظة. وهذا ما جعله يحظى بالمواصفات التي ضمنت له المكانة العلمية المميزة والمحترمة أيضا. وفي هذا يقول ابن هلال السجلماسي[1]:

مَنْ كُلُّ مَن حَلَّت حَـــلاَّهُ زَمَانُهُ وَعَلَتْ مَعَانِيهِ عُلُـــوَّ الحَاجِبِ

وَسَمَتْ منْهُ سَمَاءُ الفِكْرِ فَطَلَعَـتْ شَمْسُ العُلُومِ عرية عَن حَاجِبٍ

الجدول رقم: (1)

أسماء المشايخ ممن ذكروا أسانيدهم وأماكن إقامتهم لابن مرزوق الحفيد[2]

ت	الأسماء	المكان	الطريقة
1	ابن مرزوق الخطيب	تلمسان	لقاء ورواية وسماع
2	أبو عثمان سعيد العقباني	تلمسان	لقاء ورواية وسماع
3	أبو عبد الله محمد بن عرفه	تونس	لقاء ورواية وسماع
4	أبو العباس أحمد القصار	تونس	لقاء ورواية وسماع
5	نور الدين النويري	مكة المكرمة	لقاء ورواية وسماع
6	برهان الدين إبراهيم المؤذن الصوفي	مكة المكرمة	لقاء ورواية وسماع
7	زين الدين عبد الرحيم بن العراقي	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
8	نور الدين علي بن صالح الهيثمي	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
9	سراج الدين عمر ابن الملقن	القاهرة	لقاء ورواية وسماع

[1]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 39.

[2]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص ص: 39-43.

10	سراج الدين عمر بن صالح البلقيني	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
11	شرف الدين محمد ابن الكويك	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
12	تقي الدين محمد بن حاتم الشافعي	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
13	جمال الدين عبد الله بن هشام الانصاري	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
14	شمس الدين محمد الغماري	القاهرة	لقاء ورواية وسماع
15	بهاء الدين عبد الله المخزومي الدماميني	الإسكندرية	لقاء ورواية وسماع

وسنقوم هنا، باستعراض بعض الكتب التي حاز بها على الإجازة وبيان من أجازوه بها بالإسناد، لنرى طبيعة التنوع من حيث المكان والزمان، بما أضاف إليه من اعتبار وثقة عند الرواية والحديث بها:

1- كتاب ثلاثيات الإمام البخاري [1]:

يعتبر كتاب ثلاثيات البخاري للإمام البخاري من المؤلفات المهمة في علوم الحديث، وارتباطه الوثيق بقضايا قصر الإسناد في الحديث عن الرسول (ﷺ)، ومن منطلق الأهمية التي تمتع بها هذا المؤلف حرص ابن مرزوق الحفيد على الحصول على الإجازة فيه واستماعه وإسماعه لمن هم في مصاف الثقات في حفظه. وقد حاز على الإجازة فيه من أكثر من شيخ، وهم[2]:

- برهان الدين إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم بن يوسف المؤذن الدمشقي، إسماعاً في مكة المكرمة.
- سراج الدين أبو الحفص عمر بن علي بن الملقن، سماعا عليه لقطع منه وأجازه لجميعه.
- ابن مرزوق الخطيب (جده) إجازة.
- تقي الدين محمد بن أحمد بن حاتم إجازة.

[1] – اشتهر البخاري من بين أصحاب الكتب الستة (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن ابن ماجة، مسند أحمد) بإكثاره من الأحاديث الثلاثية، وقيل أن عددها بلغ اثنين وعشرين (22) حديثا، وغالبها عن طريق مكي بن ابراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه)، وقد جمعها الحافظ ابن حجر في مصنف مستقل. ينظر: أبو شهبة محمد بن محمد، **أعلام المحدثين**. القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، د.ت.ن، ص ص: 133-134.

[2] – البلوي، المصدر السابق، ص: 226.

وفيما يخص مسار الإسناد لهؤلاء الذين أخذ عنهم ابن مرزوق الحفيد رواية ثلاثيات البخاري، فقد أشاروا جميعهم بالسماع أو الإجازة عن شهاب الدين أحمد الحجار، ولبيان الآليات التي تجري بها عملية الإسناد سنحاول توضيحها من خلال النموذج الآتي[1]:

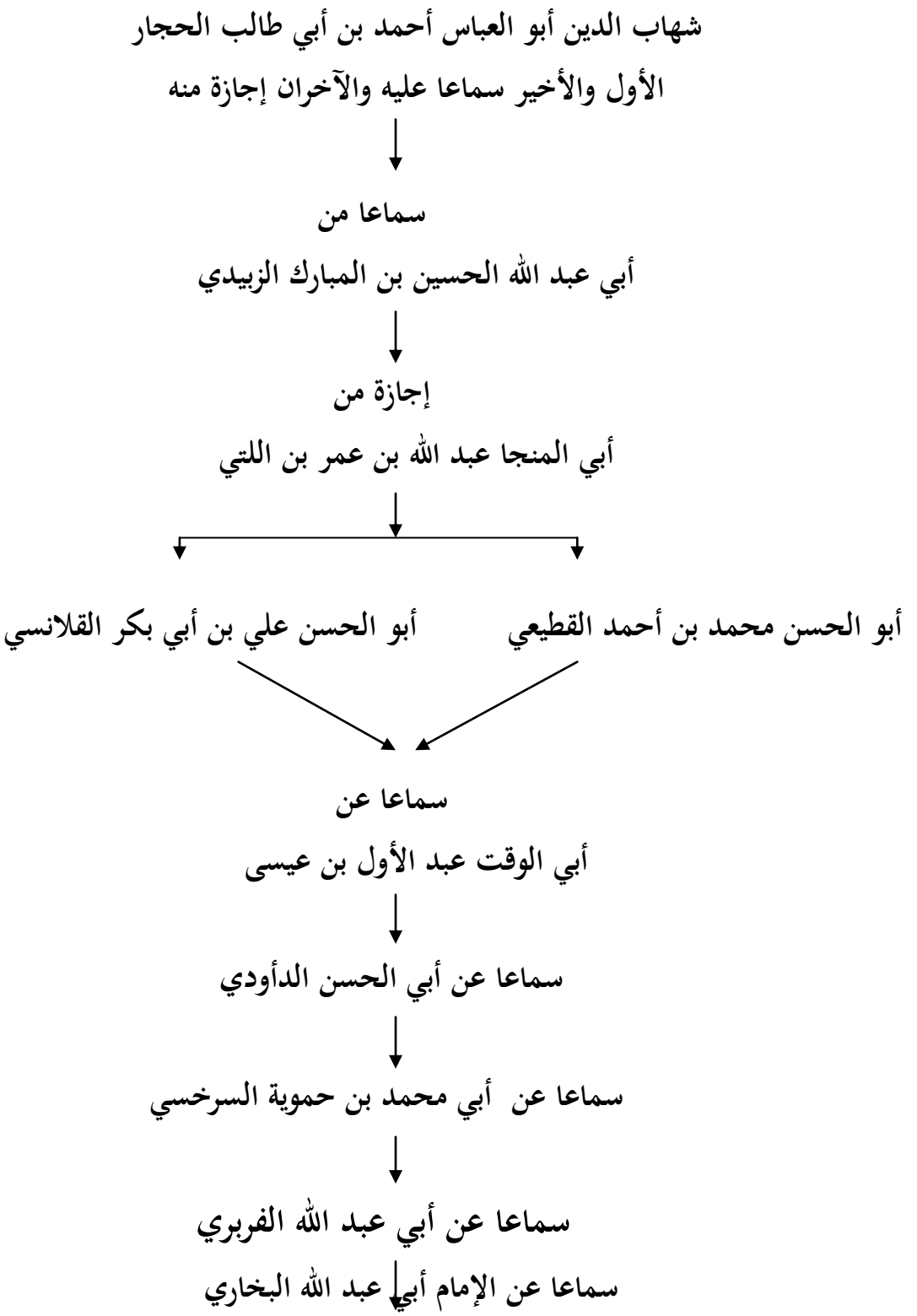

[1]- المصدر نفسه، ص ص: 226-227.

2- كتاب الموطأ:

لا تخفى أهمية كتاب الموطأ بالنسبة لأي عالم من علماء المسلمين في مجال علم الحديث، لاسيما في المذهب المالكي، ونظرا لأهميته تلك حرص ابن مرزوق الحفيد على تعلمه، وتعليمه من بعد، ولذا تنوعت مصادر الاستماع عنده لكتاب الموطأ. ونذكر مما يذكر في ذلك من إسناد:

- قراءته على قاضي القضاة مفتي المسلمين نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري في مكة المكرمة في عشر جلسات آخرها في يوم الثلاثاء 8 ذي قعدة 792هـ/1390م، وحاز على الإجازة رواية عنه وجميع ما يجوز روايته عنه[1].
- قراءته على المسند المعمر بهاء الدين أبي محمد عبد الله المخزومي الشافعي في مدينة الإسكندرية في أواسط شوال سنة 793هـ/1391م، وقد ناوله إياه وأجازه له جميع ما يجوز له عنه روايته[2].
- أخذه إجازة عن جده ابن مرزوق الخطيب، رواية عن شيخه يحي بن أبي الفتوح المصري، إذ عرف عن ابن مرزوق الخطيب تنوع أسانيده وقوتها، ولم يكن ابن مرزوق الحفيد قد تجاوز عمره ستة عشر سنه عندما أجازه جده[3].
- الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن العراقي.
- الحافظ نور الدين أبو الحسن علي الهيثمي.
- محب الدين محمد بن هشام[4].

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص: 274.

[2]- المصدر نفسه، ص: 277.

[3]- المصدر نفسه، ص ص: 278-280. ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص ص: 43-45.

[4]- المصدر نفسه، ص: 279.

3- كتاب الشفا للقاضي عياض[1]:

وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض يعتبر من الكتب المهمة في مجال السيرة النبوية، وكتب معلقا في باديته قائلا: "إعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفعمة بجميل ذكر المصطفى، وعد محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه"[2]. ومن هذه الأهمية التي يتمتع بها الكتاب نجد ابن مرزوق الحفيد قد اهتم بالتزود به والإجازة في قراءته وإقرائه. ونذكر مما يذكر في ذلك من إسناد[3]:

- شيخ الإسلام نور الدين علي النويري سماعا عليه.
- شرف الدين أبو طاهر محمد بن الإمام عز الدين أبي اليمن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك، قراءة عليهم من أوله إلى قوله: "وحصرت الكلام"، ومن قوله في آخره: "انتهى القول بنا فيما حزرناه إلى خاتمته" ومناولة لجميعه.
- جده ابن مرزوق الخطيب إجازة.
- سراج الدين بن الملقن إجازة معينة منه.
- أبو العباس أحمد بن مرزوق (والده).
- أبو الطاهر محمد بن مرزوق (عمه).

---

[1]- **القاضي عياض (496-544هـ)**: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي. عالم في الحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، فقيه عالم بالأصول، و تبحر في علوم العربية، حافظا لمذهب مالك، شاعر أديب. ولد في سبتة في شهر شعبان 496هـ، رحل إلى الأندلس وعاش هناك قرابة 30 سنة، وأخذ عن علمائها، من أمثال: الطرطوشي الوليد بن الرشيد. له العديد من المؤلفات منها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وغيرهما. مات في في جمادي الآخرة سنة 544هـ. ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 46-51.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص: 13.

[3]- البلوي، المصدر السابق، ص: 281.

4- كتاب العمدة لابن رشيق:

كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده هو كتاب في نقد الشعر مع مقدمة مفصلة عن فن الشعر عموماً. والعمدة هو الكتاب الذي حمل اسم ابن رشيق[1] وجعله خالداً بين أدباء العرب. وتضمن الكتاب مجموعة من الأبواب معظمها في نقد الشعر وصناعته وتاريخه، وما يتصل به من مباحث الوزن والقافية، والصور الفنية التي تتصل بفن القول عموماً وفن الشعر بخاصة. ووصفه السيوطي في كتابه بغية الوعاة، من أنه: "العمدة في صناعة الشعر، الأنموذج في شعراء قيروان، والشذوذ في اللغة، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها، وغير ذلك"[2]. ولأهمية هذا الكتاب عكف ابن مرزوق الحفيد نيل الإجازة به واستخدامه كمصدر من مصادره التي يعتمد عليها في مؤلفاته وللتدريس به أيضا، وذلك عن طريق[3]:

- شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن الملقن إجازة منه.
- مسند الديار المصرية شرف الدين أبو الطاهر محمد بن أبي اليمن الربعي إجازة منه.
- ابن مرزوق الخطيب (جده) إجازة منه.

5- كتاب صحيح مسلم:

يعتبر كتاب صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج من أصح الكتب بعد صحيح البخاري، وصحيحه كان بعد صحيح البخاري فاستفاد من سابقه وعدل على صحيحه، حتى مكث في كتابته ستة عشر عام، وأحاديث صحيح مسلم منتقاة من أكثر من 300.000 حديث كان يحفظها الإمام المسلم، فوضع في صحيحه أصحها حتى بلغ عدد أحاديث الصحيح 4.000 حديث، وحرص ابن مرزوق الحفيد على تقوية أسانيده في هذا الكتاب الهام، لاسيما وأن

---

[1]- **ابن رشيق القيرواني**: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، شاعر نحوي أديب عروضي. ولد في المحمدية سنة 390هـ/1000م. وتتلمذ على عدد من علماء عصره منهم: أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري وغيرهم. وترك حوالي الثلاثين كتاباً في الأدب والنقد واللغة والشعر، منها: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، الشذوذ في اللغة وطراز الأدب وغيرهم. ينظر: الحموي ياقوت، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م، ج: 2، ص ص: 861-865.

[2]- السيوطي، المصدر السابق، ج:1، ص: 504.

[3]- البلوي، المصدر السابق، ص: 284-285.

الحديث وعلومه من أهم المجالات التي عكف على التدريس والكتابة بها، واستند على عدد كبير من المشايخ في هذا الكتاب من أجل الإجازة والمناولة، وهم[1]:

- سراج الدين أبو الحفص بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني وقد أجازه.
- سراج الدين أبو الحفص بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري. قرأ عليه ابن مرزوق جميع صحيح مسلم في عدة جلسات استماع، كان آخرها في العشر الأخيرة من شهر رمضان سنة 793هـ/1391م، وذلك في سطح جامع الحاكم في القاهرة.
- أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن العراقي وأجازه.
- نور الدين ابو الحسن علي بن ابي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح الهيثمي وأجازه.
- شرف الدين أبو الطاهر محمد بن الكويك الربعي قرأ عليه أربعة أجزاء وأجازه فيهم.
- تقي الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد الشافعي الأنصاري أجازه.

ثالثا: طبيعة مصادر ابن مرزوق ومجالاتها

إن طبيعة مؤلفات ابن مرزوق الحفيد، وتركزها في ميدان التفسير وعلوم القرآن والحديث الشريف، فإنه من الطبيعي أن يستقي معلومات من القرآن والسنة قبل غيرهما من المصادر، ولا يخفى أن الاقتباس من القرآن الكريم وتضمين الأحاديث النبوية، له في الإبلاغ والإقناع ما للقرآن والحديث من قوة وتأثير، فإيراد الآيات القرآنية في موضع الاستشهاد يضفي طابع الصدق والقوة على الخطاب، فالآيات شهادات لا ترد، فكلام ذي العزة المكين لا يتسرب إليه الشك من بين يديه ولا من خلفه[2]. ولكن هذا، لا يعني عدم الاستعانة بمصادر أخرى مهمة في اختصاصها وذات قيمة، لتكون رافدا يستقي من خلاله ابن مرزوق الحفيد أفكاره ويوسعها لتكون ذات ثمر وفائدة.

ومن هذا المنطلق، يتحتم علينا استعراض اليسير مما استخدمه ابن مرزوق الحفيد في مجال التأليف من أجل بيان هذا التنوع الذي حرص على توافره شيخنا الجليل. فالغاية التي سعى لإدراكها من خلال الاطلاع على ما اطلع عليه من مصادر تمكن من تحقيقها عبر عدد من

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص ص: 286-290.

[2]- لحلو مريم، **إسماع الصم**، ص: 61.

المؤلفات التي عانقت كلماتها عقول قرائها وحركت قلوبهم شوقا في مناولة جميع مؤلفاته، ونتيجة ذلك، تهافت طلبة العلم والمشايخ سعيا ورائها للاطلاع والاستفادة منها. وعلى سبيل المثال، هناك إشارة أوردها ابن غازي في شرحه لمختصر خليل على اطلاعه على بعض من كتاب المنزع النبيل، وكان على ما يبدو نادر الوجود وكثر الطلب عليه، حين كتب يقول: "وقد كان صاحبنا الفقيه المحصل أبو العباس الونشريسي-حفظه الله تعالى- لما بلغه عني هذا التعقب أتاني بجزء من وضع الإمام العلامة أبي عبد الله بن مرزوق على هذا المختصر، استخرجه من خزانة من هو به ضنين وأطلعني عليه"[1]. وإن دلت هذه الحادثة على شي، فإنما تدل على كثرة الاقبال على مؤلفاته، وحرص مقتنيها على حفظها. ولبيان هذا التنوع المصدري الذي اعتمد عليه ابن مرزوق الحفيد في إنجاز مؤلفاته المتنوعة، يمكننا ذكر البعض منها للتعرف طبيعتها وفهم مقدار السعة والتنوع التي حرص عليه ابن مرزوق الحفيد، وذلك من خلال ما ورد ذكره في المصادر التي أشارت إليه، وهي:

أ- التفسير وعلوم القرآن والقراءات:

استعان الشيخ ابن مرزوق الحفيد في تدعيم مؤلفاته بعدد كبير من المصادر التي تخص علوم التفسير والقرآن والقراءات، وهي من المصادر الهامة، والتي لا يمكن إغفالها، ونذكر منها:

1. كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم الزمخشري.
2. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.
3. متن الشاطبية "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" للقاسم الشاطبي.
4. الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري (ت:731هـ/1330م)[2].
5. كتاب التذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي.

---

[1]- ابن غازي، **شفاء الغليل**، ص ص: 128-129.

[2]- **ابن بري (660-731هـ/1261-1330م)**: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين الرباطي التازي التسولي الأصل، المعروف بابن بري، ولد بتازة ونشأ وترعرع بها، كان فقيها متقنا راوية كاتبا بليغا بارعا فرضيا نحويا لغويا عروضيا ماهرا في العربية مقدما في القراءات والوثائق، وله معرفة بعلم التفسير والحديث. وأخذ العلم عن شيوخ فضلاء، منهم: والده محمد بن بري التازي، أبو جعفر أحمد الغرناطي وابن حمدون الشريشي. وتعتبر منظومته التعليمية "الدرر اللوامع" من أفضل ما نظم في القراءات، فتصدوا لها بالشرح والتعليق، فبلغت شروحها خمسين شرحا. من مؤلفاته: مختصر شرح الإيضاح لابن أبي الربيع، شرح تهذيب المدونة لأبي سعيد البراذعي لم يكمله، توفي بتازة. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 1، ص ص: 346-347.

6. غريب الحديث لابن قتيبة (ت:276هـ/889م).

ب- الحديث وشروحه ومصطلحه

1. الموطأ للإمام مالك بن أنس.
2. صحيح البخاري.
3. البحر المحيط في تفسير القرآن لأبي حيان محمد الغرناطي (ت:745هـ/1344م).
4. ابن الصلاح في الحديث والمنهاج للغزالي[1].
5. سنن الترمذي.
6. سنن أبي داود
7. عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس[2].

ت- علوم اللغة العربية:

وفي علوم اللغة العربية اختزنت ذاكرة ابن مرزوق الحفيد على عدد كبير من أهم مصادر هذه العلوم، والتي نجدها في كتاباته بشكل واضح وبين، ومنها:

1. كتاب سيبويه.
2. كتاب ألفية ابن مالك.
3. كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني.
4. المفصل في علم العربية للزمخشري.
5. كتاب الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح لابن أبي الربيع السبتي الأندلسي[3].

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 102.

[2]- **ابن شاس (ت: 616هـ/1219م)**: أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي السعدي المصري المالكي شيخ المالكية في مصر. من شيوخه: عبد الله بن بري النحوي وأبو يوسف يعقوب المالكي. مارس التدريس في المدرسة المالكية بمصر، ومن طلبته: أبو اسحاق إبراهيم المنذري وأبو محمد عبد الله المنذري. ومن مؤلفاته: تحرير الاقتضاءات والفصول في تجريد علم الأصول، كرامات الأولياء. ينظر: السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج: 1، ص: 454. الذهبي، المصدر السابق، ج: 22، ص ص: 99-100.

[3]- **ابن أبي الربيع السبتي الأندلسي (599-688هـ/1202-1289م)**: أبو الحسين عبد اللّه بن أبي جعفر بن أحمد بن عبيد اللّه بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي الأمَوي العثماني الأندلسي الإشبيلي، وقد ذكر السيوطي من أنه: "إمام أهل النحو في زمانه"، وعرف عنه جودة التأليف ودقة النظر وبروزه في العلوم العربية والفقه وأصوله والقراءات والفرائض.

6. كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام[1].
7. كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه.
8. شرح الكافية[2] لابن مالك.
9. كتاب الأصول في النحو لابن السراج النحوي البغدادي.
10. أجناس التجنيس لأبي منصور الثعالبي.

ث- علوم الفقه وأصوله:

وهي من المجالات التي برز فيها ابن مرزوق تدريسا وتأليفاً وإفتاءاً، ومن هنا كانت مصادره تمتاز بالتنوع والتعدد، لاسيما في الفقه المالكي. إلا أننا نجده لا يقولب فكره في دائرة الفقه المالكي، وإنما يطلع على المذاهب الأخرى. ومنها نذكر:

1. كتاب المختصر الفرعي لابن الحاجب.
2. كتاب التفريغ لابن الجلاب.
3. البيان والتحصيل لابن الرشد.
4. التنبيه للشيرازي (من الفقه الشافعي).
5. كتاب الوجيز في فقه الإمام الشافعي لأبي حامد الغزالي.
6. كتاب مختصر القدوري في الفقه (من كتب الحنفية) لأبي الحسين القدوري[3].

ولد في إشبيلية. ومن شيوخه: أبو بكر محمد بن عبد الله الأنصاري الإشبيلي، أبو بكر محمد بن نبيل الغافقي الإشبيلي وأبو العباس أحمد السَّبتي وغيرهم. ومن طلبته: إبراهيم الغافقي وأبو القاسم بن الشاط وغيرهما. من مؤلفاته: الملحق، القوانين، شرح سيبويه، شرح الجمل للزجاج. مات بسبتة يوم 16 صفر 688هـ/1289م. ينظر: السيوطي، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 125-126. ابن القاضي، المصدر السابق، ج: 3، ص ص: 70-72.

[1]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 424.

[2]- أرجوزة تتألف من 2.757 بيت، وقد أشار المؤلف إلى ذلك في نهاية فصل الآلة، حين قال: "أبياته ألفان مع سبعمائة وزيد خمسون ونيف أكمله"، وهي من أهم الأراجيز النحوية، قسمها إلى ستة وستين بابا، واثنين وستين فصلا. ينظر: ابن مالك جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، **تاج اللغة وصحاح العربية**. تح وتق: عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، دار المأمون للتراث، ط1، 1982، ص: 16-17.

[3]- **أبو الحسين القدوري (ت: 428هـ/1036م)**: أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي القدوري. انتهت إليه بالعراق رئاسة الحنفية، وعظم وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة جريء اللسان، مديما للتلاوة. ومن شيوخه: عبيد الله بن محمد الحوشب ومحمد بن علي بن سويد المؤدب. ومن تلاميذه: القاضي أبو عبد الله الدامغاني. توفي وله ست وستون سنة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج: 27، ص ص: 575-576.

7. مختصر الخرقي (من كتب الحنابلة) لأبي القاسم الخرقي.
8. كتاب المحصول في علم الأصول لفخر الدين الرازي.
9. كتاب قواعد الأحكام في إصلاح الأنام لعز الدين السلمي.
10. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني.

ج- المعاجم:

اعتمد ابن مرزوق على عدد من المعاجم اللغوية في شرح وتوضيح الغامض من المفردات والمصطلحات، وهذا الاستخدام هو جزء من منهجية ابن مرزوق الحفيد في بيان مصادر معلوماته. وهذه المعاجم كثيرة ومتعددة، ومنها نذكر:

1. معجم العين للخليل أحمد الفراهيدي.
2. معجم تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي [1].

خلاصة القول، ومن خلال هذا العرض السريع والمختصر لبعض ما اعتمد عليه ابن مرزوق الحفيد من مصادر في كتاباته، نجد فيها التنوع والشمول في اتجاهات ومشارب المؤلفين، فهو لم يقتصر على القديم على حساب الحديث، والعكس صحيح، ولكن يبدو أن الذي دفعه في الاعتماد على هذا الكتاب أو ذاك قيمته العلمية التي تعزز من آراءه واستنتاجاته العلمية.

من خلال هذا الفصل اتضحت لنا، طبيعة القدرات الذهنية والفكرية والثقافية التي تميز بها شيخنا ابن مرزوق الحفيد، مما جعله ينوع مجالات التأليف عنده، فهو لم يختص في مجال معين من العلوم، وإنما طرق أبواب ما استطاع منها. ومن هنا، اتضح لنا تميزه في علوم الحديث والتفسير والفقه والأصول وعلوم اللغة العربية. وهذا التنوع في الإنتاج وتعدد مجالات فرض عليه، كما اتضح لنا، إيجاد الأدوات المنهجية القادرة على الاستجابة لدواعي التأليف المتنوع عنده. وعزز ذلك بخزين لغوي كبير عزز به تميزه من خلال الأسلوب واللغة التي يكتب بها، فهو سلك مسالك راقية في الأسلوب والبناء اللغوي شهد له بها القاصي والداني. وهذا التميز الفكري والثقافي لم يكن

---

[1] **إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (332-393هـ)**: ويكنى أبا نصر من شيوخه أبو يعقوب الفارابي، أبو سري محمد الأصبهاني وأبو سعيد السيرافي. ويعتبر من أعلام العرب المسلمين في ميدانه. اذ يعتبر مدرسة في فن المعاجم، وسار على منواله العديد من مؤلفي المعاجم من أمثال: الفيروز أبادي في القاموس المحيط، وابن منظور في لسان العرب وغيرهم. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج: 5، ص: 157.

ليتحقق لولا الرصيد الكبير والمتنوع من المصادر التي اعتمد عليها في رفد مؤلفاته بما كان يقدمه من آراء وأفكار.

الفصل الخامس

آثار ابن مرزوق الحفيد المخطوطة

المبحث الأول: كتاباته في العلوم العقلية

المبحث الثاني: كتاب الفرائض في شرح فرائض خليل

المبحث الثالث: مؤلفاته في علم الحديث

المبحث الرابع: التأليف في علم العقيدة

تمهيد:

إن الإنتاج الغزير الذي قدمه ابن مرزوق الحفيد لم ينل الاهتمام الكافي من قبل الباحثين على الرغم من الأهمية التي يحتلها هذا الرجل في تاريخ العلم والمعرفة في منطقة المغرب الإسلامي، ونتيجة ذلك لم يتم تحقيق العديد من مخطوطاته. ونظرا، لكون عنوان هذا البحث يركز في شطره الثاني على تراثه، فإنه صار لزاما علينا التعريف بما قدمه شيخنا ابن مرزوق الحفيد من كتابات في شتى المجالات، عسى ولعل يفتح ذلك بابا يشجع الباحثين على ولوج هذا الميدان، وسنحاول من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على الإنتاج الفكري الذي تركه عالمنا في عدد من المجالات العلمية، على صعيد العلوم النقلية أو العقلية، إذ سنحاول تقديم الإيضاحات والشروحات التي تعكس قيمة هذه الأعمال وأهميتها في مجال اختصاصها.

المبحث الأول: كتاباته في العلوم العقلية

من المجالات الإبداعية التي برز فيها ابن مرزوق الحفيد، هي تلك الكتابات التي وضعها في ميدان العلوم العقلية، ومن خلال هذا المبحث سنحاول تسليط الضوء على ثلاث من تلك الكتابات التي تخص علمي الميقات والمنطق.

أولاً: أرجوزة "المُقْنِعُ الشَّافِي" في علم المقيات:

يعد كتاب المقْنِعُ الشافي من الأعمال التي تفخر بها المكتبة الإسلامية، وذلك لما تضمنه الكتاب من قيمة وفائدة علمية كبيرة. وسنحاول من خلال الصفحات القادمة تقديمه بالشكل الذي يعكس قيمته وأهميته في مجال علم المواقيت، وفائدته في مساعدة الإنسان المسلم في عباداته، وحياته اليومية.

1. علم المواقيت وعلاقته بالعبادات:

علم المواقيت من العلوم التي كانت تعتبر مهمة في حياة المجتمعات الإسلامية، لاسيما وأنها مرتبطة بالحياة اليومية والعبادات، والذي وجد حضورا واهتماما في التقليد العلمي الإسلامي على عهد حكم دولة المماليك في مصر والشام في القرن السادس الهجري (13م)، وهو من العلوم الجديدة في الساحة العلمية العربية الإسلامية، يرتبط بما تتطلبه ممارسة الشعائر الدينية من معارف فلكية، وبالأخص حساب رؤية الهلال ووسائل مراقبته بالمشاهدة والرصد، وتمييز أوقات الصلاة وحساب اتجاه القبلة في الأماكن المختلفة[1].

ورغم أن هذه المسائل شكلت منذ بداية العلم في الإسلام موضع اهتمام العلماء والفلكيين، فإن إفراد علم الميقات بها وقصره عليها لم يحصل إلا في فترة متأخرة، ولم تحفظ لنا المصادر علما بهذا الاسم قبل القرن الخامس الهجري (11م). وعلى الرغم من قلة الدراسات حول

[1]- وضع العديد من العلماء العرب المسلمن مؤلفات في هذا العلم، نذكر منهم: كتاب المواقيت لأبي العباس ابن القاضي (ت:335هـ/946م)، وكتاب يواقيت المواقيت لأبي عبد الله محمد بن القاسم الأندلسي (ت:598هـ/1201م) وغيرهم كثر. ينظر: جراح بن نايف الفضلي، **كتاب اليواقيت في علم المواقيت للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت:684هـ) دراسة وتحقيق**. رسالة ماجستير غير منشورة في الفقه، قسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1428هـ، ص 29-33.

نشأة وتطور علم الميقات، فإنه من الواضح والمؤكد أن ظهور هذا الفرع التطبيقي الأصيل في الفلك الإسلامي جاء استجابة لاحتياجات اجتماعية فرضتها ممارسة ركنين من أركان الدين الإسلامي، ألا وهما الصلاة والصوم، ويعرف محمد العربي الخطاب علم الميقات بالقول: "علم يتوصل به إلى معرفة أزمنة الأيام- نهارها وليلها- ومعرفة أحوالها وكيفية التوصل إليها لضبط أوقات العبادات، وتوخي جهتها، ومعرفة الطوالع والمطالع من أجزاء البروج ومن الكواكب التي منها منازل القمر، مقادير الظلال، الارتفاعات وانحراف البلدان بعضها عن بعض ومستواها"[1].

وإذا كان علم المواقيت قد استقل عن علوم الفلك والأزياج[2] بسبب أغراضه المرتبطة بإقامة الشعائر الدينية، إلا أنه بقي يستمد من بحوث الرياضيين والفلكيين والجغرافيين وأصحاب الأزياج والراصدين، وكان عدد من علماء المسلمين ذوي الاطلاع الواسع بالعلوم الشرعية وتضلع بالفقه فاكتملت عندهم القدرة على التأليف في علم المواقيت أو اختراع الآلات الرصدية واستعمالها لضبط أوقات العبادات وتعيين حهة القبلة[3].

ونظرا لارتباط هذا العلم بالشعائر الدينية، فقد أثر وجوده على بنية النظام المسير للمساجد، ففي بداية عهد الدولة الإسلامية، كان يعتمد على المؤذن في تحديد أوقات الصلاة. ولكن مع تطور علم الميقات ظهرت مهنة المؤقت في خدمة المسجد، فهو المسؤول عن تحديد الساعات ليلا ونهارا، وضبط أوقات الصلاة، وترقب الأهلة. وهكذا، نجد أنه مع تطور علم المواقيت برزت مهنة جديدة لم يكن لها وجود من قبل في المساجد لاسيما في المدن الكبرى. وأول إشارة وردت عن المؤقتين في بلاد المغرب الإسلامي تعود إلى القرن السابع الهجري (13م)، حيث

---

[1]- محمد العربي الخطابي، **علم المواقيت أصوله ومناهجه**. د.م.ن، 1986، ص: 3.

[2]- **الأزياج**: ومفردها الزيج، وهو العلم المختص في تحديد مقادير حركة الكواكب السيارة، ومعرفة كل منها بالنسبة إلى فلكه وإلى فلك البروج، كما يساعد في الاطلاع على حركة الكواكب وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها، وتشريقها وتغريبها، فضلا عن بيان اتصالها بعضها البعض، وظهورها واختفائها من حيث الزمان والمكان. ينظر: التهانوي محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تح: رفيق العجم وعلي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1996م، ج: 1، ص: 917.

[3]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص: 4.

أشار علي الجزئاني في كتابه جني زهرة الآس إلى وجود المؤقتين وإلى وجود غرفة خاصة بهم في جامع القرويين تضم كافة الوسائل اللازمة لهم لممارسة عملهم[1].

وفيما يخص اهتمام أهل المغرب الإسلامي بهذا العلم، ومن منطلق إيمانهم وتمسكهم بتعاليم دينهم الحنيف، فقد تلقفوا هذا العلم. واجتهد الكثير منهم فيه، ومن المؤلفات التي نالت شهرة كبيرة في المنطقة كتاب رسالة في العمل بالإسطرلاب لأبي القاسم أحمد بن عبد الله الغافقي القرطبي الشهير بابن الصفار (ت:426هـ/1034م)، وكذلك أبو علي الحسين بن أبي جعفر بن يوسف بن باص الأسلمي الملقب بالسلعلع (ت:710هـ/1316م) الذي اخترع آلة رصدية متطورة سماها "الصفيحة الجامعة"، وألف كتابا شرح فيه أجزاءها وأغراضها وطريقة استعمالها[2]، ويأتي كتاب "جامع المبادئ والغايات في علم الميقات" لأبي علي شرف الدين الحسن بن علي بن عمر المراكشي (ت:660هـ/1261م) في مقدمة المصنفات التي وضعت في هذا العلم[3]، كما وضع ابن مرزوق الخطيب الجد مؤلفا حمل اسم "كتاب في التنجيم". وهناك أسماء أخرى تميزت في هذا الميدان مثل: محمد بن عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي الفاسي (ت:639هـ/1241م) الذي عرف بعلو كعبه في علم الميقات والنجوم. ومحمد بن أحمد بن أبي يحيى الحباك التلمساني (ت:867هـ/1462م) الذي يعد من أهم أعلام علم الفلك خلال القرن التاسع الهجري (15م)، وقد ألف العديد من الكتب، من أشهرها: رسالة بعنوان "النيل المطلوب في العمل بربع الجيوب" وهي في علم الإسطرلاب، وكتاب "تحفة الأحباب في عدد السنين والحساب" وكتاب "شرح كتاب المستطيل واليسارة في تقويم اليسارة" لابن هلال. ونتيجة الاهتمام بعلم الميقات من جانب المغاربة، وضعوا عنه العديد من الأرجوزات[4]، ومنها نذكر: أرجوزة "بغية الطلاب في علم الإسطرلاب" تتألف من 171 بيتاً لابن الحباك التلمساني، ومحمد بن يوسف السنوسي تلميذه، الذي قد قام بشرح أرجوزة شيخه في شرح سماه: "عمدة ذوي الألباب ونزهة الجلباب في شرح بغية الطلاب في

---

[1]- الجزئاني علي، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**. تح: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1991م، ص: 51.

[2]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص: 7.

[3]- جراح بن نايف الفضلي، المرجع السابق، ص: 30.

[4]- **الأرجوزات**: مفردها أرجوزةٌ، وجمعها أراجيزُ و أُرجوزات، والأرجوزة في الشعر العربي قصيدة من بحر الرجز، وهو شعر يسهل في السمع ويقع في النفس لخفّته، كما أنه نوع من أنواع الشعر يكون كل مصراع منه مفردًا وتسمى قصائده أراجيز. والأرجوزة غير القصيدة، لأن القصيدة يكون البيت فيها مكونًا من مصراعين، والشعر العربي كله إما رجز وإما قصيد. ينظر: لعرج المهدي، **الأرجوزة: النشأة والمفهوم**. دمشق، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م، ص: 12.

علم الإسطرلاب"، وأبو الحسن القلصادي الذي ألف كتاب في علم الفلك سماه "هداية النظار في تحفة الأحكام والأسرار"، وكتاب "شرح رجز أبي إسحاق بن فتوح الأندلسي"، وكتاب "شرح رجز أبي مقرع" وأرجوزة أحمد بن محمد زكري المانوي التلمساني (ت:899هـ/1493م) التي حملت اسم "حساب المنازل والبروج".

خلاصة القول، يمكننا اعتبار أن حاجة المسلمين، مع اتساع نطاق الأعمال والعمران، إلى معرفة اوقات العبادات وتحديد المناسبات الدينية وغيرها منن الامور الروحية واليومية، والتي لها علاقة بحياتهم، هي التي شجعت العلماء المسلمين، ومنهم علماء المغرب الاسلامي، على الاهتمام بهذا الميدان العلمي الهام والمطلوب.

2. كتاب المقنع الشافي وأهميته في علم الميقات:

من خلال ما ذكر ظهرت لنا أهمية علم الميقات في حياة المسلمين، وهذه الأهمية هي التي دفعت بالعديد من علماء المسلمين للاشتغال به وتقديم الفائدة المرجوة منه، وبمرور الوقت تطور هذا العلم وصعب فهمه على العديد ممن أرادوا معرفته، ونتيجة لذلك تفنن أهله من العلماء في تسهيل المنال لمن يريد، فقدموا ما قدموا من نتاج علمي في هذا المجال. ومثلما أدلى بدلوه في مختلف العلوم، كان ابن مرزوق الحفيد مساهما في هذا العلم، إذ ساهم بدوره في العمل من أجل تسهيل المدارك وتبسيط المفاهيم، فجاء ثمرة ذلك كتابه "المقنع الشافي".

وتعتبر أرجوزة "المقنع الشافي"، الذي سوف نستعرضها وندرسها، رجزا تعليميا جد مهم في علم الميقات، إذ سعى مؤلفها ابن مرزوق الحفيد إلى تسهيل عملية إفهام وإدراك خبايا هذا العلم لمن يريد فهمه، فقام بشرح الكثير من الأمور التي تتعلق بالمواقيت، والتي كان يصعب على الكثير فهمها، ومن هنا وضع رجزه هذا بأسلوب سهل وسلس للمطلع عليه، وحوت أبيات الرجز كل ما يتعلق بهذا العلم، بأسلوب أدبي ولغوي جميل ومتناسق، وما الأبيات التي تضمنها الأرجوزة إلا دليل واضح على قدرته العلمية، وهو الذي قال في العلم وأهميته: "...كان العلم أشرف المطالب والمكاسب وأسنى المطالب وأكرم المواهب وأرفع المراتب"[1]. وبالتالي فإن رجز المقنع الشافي يعتبر إضافة مهمة في علم الميقات لا يمكن تجاهلها في وقتها. وذلك لكونه إضافة علمية

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 224.

على قدر كبير من الأهمية عكست المكانة التي كان يتمتع بها علماء المغرب الأوسط، ودعم من مكانة مدينة تلمسان كحاضرة للعلم وحاضنة للعلماء.

أ. وصف المخطوط:

لقد تمكنت من الحصول على نسختين من كتاب "المُقْنِعُ الشافي" واحدة من الجزائر والأخرى من المملكة المغربية، وعند الاطلاع عليهما تبين أن فيهما من الاختلاف الشيء القليل، ولكن النسخة المغربية هي الأسلم والأحسن من حيث اللغة ونوع الخط وحتى الأبيات فقد سقطت بعض الأبيات من النسخة الجزائرية كالبيت الذي يذكر فيه ابن مرزوق الحفيد عنوان كتابه[1]، ولكن للأسف هي مبتورة الآخر، والنسختين معا غير مسجلتين بالعنوان الأصلي فالأولى "أرجوزة في الميقات" والثانية "قصائد في علم الفلما".

النسخة الجزائرية:

هي نسخة مصورة عن النسخة الأصلية الموجودة بالمكتبة الوطنية بالحامة بالعاصمة، وتحمل عنوان "**أرجوزة في الميقات**"، ومصنفة تحت الرقم التسلسلي: 2.165، وتاريخ نسخها هو 28 شعبان 1300هـ/18 جوان 1883م، وهي عارية من اسم الناسخ ومكان النسخ، تقع في 38 ورقة وجه وظهر. والنسخة تبدأ بـ: "قال الشيخ الإمام سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله ورضي عنه وأعده علينا من بركاته آمين.

قَالَ ابنُ مَــرْزُوق محُمَـدٌ وَقَدْ سَأَلَ مِنْ مَوْلاَهُ عَوْنًا ذَا مَرَد
الحَمْدُ للهِ القَدِيمِ البَـارِي مُكَــوِّرُ اللَّيْــلِ عَلَى النَّهَــارِ[2]

وآخرها: "انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل بمنه وكرمه على كاتبه كان الله له وتولاه وأسكنه من جنته فردوسه، وأظله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ونجاه من الفزع الأكبر احتفى هو له آمين يا رب العالمين. ووافق الفراغ يوم الخميس ثامن عشر جوان سنة 1883 الموافق

[1]- للمقارنة ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **مخ أرجوزة في الميقات**. الجزائر، المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، تحت رقم: 2165، و: 3. ابن مرزوق الحفيد، **مخ قصائد في علم الفلما**. الرباط، المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، ضمن مجموع رقم: ج 910 (و266- و325)، و: 4.

[2]- للاطلاع على الورقة الأولى من الكتاب ينظر الملحق رقم: (5)، ص: 447.

لثالث عشر شعبان الأبرك سنة 1300".هـ[1]. والورقة الأولى من المخطوط ابتدئها المؤلف بالبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" مكتوبة على يمين الورقة، وعلى يسارها كتبت التصلية "صل الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله"، أما الورقات السبع التي تليها فكتبت التصلية مرة على اليمين وأخرى على اليسار، وفيما يخص المتن كتب بمداد أسود، وبخط مغربي وسط واضح وسهل القراءة، وأما عنوان المخطوط والعناوين الأخرى وبعض الكلمات كتبت بمداد أحمر، والنص خال من الزخارف سواء داخله أو خارجه[2].

النسخة المغربية:

هي نسخة مصورة عن النسخة الأصلية الموجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط، وتحمل عنوان "**قصائد في علم الفلما**"، ضمن مجموع رقمه: ج 910 (و266- و325)، تقع في 30 ورقة وجه وظهر أي 60 صفحة ولكن الورقة الأخيرة مبتورة. والنسخة تبدأ بـ:"قال الشيخ الإمام سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله ورضي عنه وأعده علينا من بركاته آمين.

قَالَ ابنُ مَــرْزُوق مُحَمَـدٌ وَقَدْ سَأَلَ مِنْ مَوْلاَهُ عَوْنًا ذَا رَشَدٍ
الحمد لله القديم البـاري مُكَــوِّرُ اللَّيْـــلِ عَلَى النَّهَــارِ[3]

وآخرها:

ذَا الشَّهْرُ نُورٌ لِلْبَهَارِ يَظْهَرُ وَنَرْجِسٌ يَتْلُوهُ ..يُوخَذُ
ثُمَّ يَكْبُرُ اللَّـوْزُ نُــورُهُ بَدَا وَأَوَّلُ دَكا...طَابَ محتدا[4]

بداية الأرجوزة ابتدئها المؤلف بـ: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما"، أما فيما يخص المتن فقد كتب بخط واحد، مغربي، واضح

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ أرجوزة في الميقات**، وللاطلاع على الورقة الأخيرة من الكتاب ينظر الملحق رقم: (6)، ص:448.

[2]- أوراق المخطوط في حالة جيدة، ذات حجم مستطيل، 18×21سم، وورقاته كاملة وسليمة ذات لون أصفر لا انقطاع بها ولا بياض. وعدد أسطر ورقات المخطوط كل واحدة منه ما بين 18-22 سطرا، عدد الكلمات فتراوح ما بين ثمان إلى تسع كلمات في السطر الواحد. وللانتقال من ورقة إلى أخرى توجد تعقيبة الكلمة، ولتسهيل ترقيم المخطوط كتبت أرقامه بقلم رصاص من قبل أصحاب الحفظ والأوراق كلها مرقمة ترقيما تسلسليا.

[3]- للاطلاع على الورقة الأولى من الكتاب ينظر الملحق رقم: (7)، ص: 449.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ قصيدة في علم الفلما**، وللاطلاع على الورقة الأخيرة من الكتاب ينظر الملحق رقم: (8)، ص: 450.

وسهل القراءة، وكُتب المتن كله بمداد أسود في حين حُركت بعض الأبيات بالمداد الأحمر، والنص كله خال من الزخارف سواء داخله أو خارجه، وعلى الحاشية تصويبات لبعض الكلمات[1].

ب. صحة عنوان المخطوط ونسبته إليه:

صحة العنوان:

من الأمور التي يتفق عليها المختصون في علم تحقيق المخطوطات عند دراسة أي مخطوط هو عنوانه، فهو أول عنصر يجب أن يعتني بتحقيقه وضبطه، ومن هنا، فإن مسألة ضبط عنوان المخطوط كان لا بد منها، فمخطوط الجزائر لا يتضمن أي إشارة إلى عنوانه لأن البيت الذي ذكر فيه عنوانه سقط من الرجز، ولعل غياب العنوان في الورقة الأولى والأخيرة من المخطوط هو الذي دفع بالعاملين بقسم المخطوطات الحامة بأن يجتهدوا ويضعوا له عنوان "أرجوزة في الميقات"، ولكن وفقا لما ورد في كتب التراجم من أمثال: السخاوي، التنبكتي، المقري وابن مريم نجدهم يذكرونه بعنوان "المُقْنِعُ الشافي"[2]، وفي النسخة المغربية نجد البيت الناقص والذي يذكر فيه الحفيد عنوان أرجوزته:

سَمَّيْتُهُ بِالمُقْنِـعِ الشَّافِيَ لِمَـنْ أَرَادَ عِلْم الوَقتِ مِنْ أَهْلِ السُّنَنِ[3]

ولابد من الإشارة هنا، إلى كون ابن مرزوق الحفيد كان دقيقا في اختياره لعناوين مؤلفاته، وكان كثير التمعن فيها، وتعلق صباح مجاهدي على هذه المسألة بالقول: "إن التمعن في عناوين ابن مرزوق المختلفة يلاحظ تلكم السمة البيانية في اختياره لأسماء مؤلفاته"[4]. وعليه، فإن تسميته لكتابه بـ"المقنع الشافي" هو دلالة على الإتقان والحرفية، التي تجعله قادرا على مطابقة عنوان الكتاب بمضمونه، إذ يشعر القارئ من خلال العنوان بمقدرته على الوصول للمبتغى بأقل جهد ممكن.

---

[1]- ورق المخطوط في حالة جيدة، ذو حجم مستطيل 20×17سم، وورقاته كاملة وسليمة ذات لون أصفر لا انقطاع بها ولا بياض. عدد الأسطر 25 سطرا، أما عدد الكلمات فهي تسع كلمات في السطر الواحد، وللانتقال من ورقة إلى أخرى توجد تعقيبة الكلمة، ولتسهيل ترقيم المخطوط كتبت أرقامه بقلم رصاص من قبل أصحاب الحفظ والأوراق كلها مرقمة ترقيما تسلسليا.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50. التنبكتي، المصدر السابق، ص. 507. المقري، **نفح الطيب**، مج: 5، ص: 429، ابن مريم، المصدر السابق، ص 210.

[3]- **مخ قصائد في علم الفلما**، و: 4.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، د وتح: مجاهدي صباح، ص: 40.

نسبة المخطوط إلى مؤلفه:

مما لا شك فيه أن نسبة المخطوط إلى مؤلفه ذات أهمية بالغة وفائدة عظيمة، وليس من قبيل التحذلق العلمي فحسب، وإنما التأكد من ذلك هو مسألة تمنح القارئ الثقة التامة بما دُون فيه من مادة علمية، وتتوثق عرى هذه الثقة أو تضعف تبعا للمكانة العلمية التي بلغها ذلك المصنف، ومدى نبوغه في ذلك المجال من العلوم، وذيوع صيته بين أهل العلم الذي ألف فيه. ومن هنا، فإن مسألة نسبة الكتاب إلى مؤلفه على قدر كبير من الأهمية لاسيما في مجال البحث التاريخي. ومن خلال ما سبق من قول، فإنني أقول من أن هذا مخطوط المقنع الشافي يعود لشيخنا ابن مرزوق الحفيد، فقد نسبه إلى نفسه وهذا في البيت الأول من الرجز:

قَالَ بـــنُ مرْزُوق مُحَمَّدُ وَقَـــدْ سَأَلَ مِنْ مؤْلاَه عَوْنًا ذا مَرَد[1]

وفي البيت رقم 73 من القصيدة ذكر ابن مرزوق الحفيد عنوان أرجوزته بشكل واضح وصريح، حين قال:

سَمَيْتُهُ بِالمقْنِـــعِ الشَّافِيَ لِمَـــنْ أَرَادَ عِلْم الوَقتِ مِنْ أَهْلِ السُّنَنِ

بالاضافة إلى ذلك، في النسخة المغربية ورد في الورقة الأولى منها أن هذه الكراريس أخذها ابن عالمنا الكفيف إلى محمد بن غازي وذكر بأنه ابن "ناظمها محمد بن مرزوق"[2]، وهذا تأكيد من الكفيف على أن رجز المقنع هو من نظم والده، يضاف إلى هذا أن مترجميه نسبوه إليه أيضا، وأذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر جملة من المصادر التي أكدت بأن المخطوط يعود له:

- ذكره السخاوي في الضوء اللامع: "أرجوزة في الميقات سماها المقنع الشافي" [3].
- أشار القرافي إليها: "وأرجوزة في الميقات سماها المقنع الشافي"[4].
- أشار ابن مريم إليه: "أرجوزة في الميقات سماها المقنع الشافي في ألف وسبعمائة بيت"[5].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ أرجوزة في الميقات**، و: 1. **مخ قصائد في علم الفلما**، و: 2. وردت في النسخة الجزائرية "مرد" في حين وردت في النسخة المغربية "رشد".

[2]- **مخ قصائد في علم الفلما**، و: 1.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج:7، ص: 50.

[4]- القرافي، المصدر السابق، ص: 154.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

- وذكره المقري في كتابه النفح: "ورجز في الميقات سماه المقنع الشافي مشتمل على ألف وسبعمائة بيت"[1].

ج. دوافع التأليف:

لقد ألف ابن مرزوق الحفيد أرجوزته المقنع الشافي في علم الميقات، لبيان أهمية هذا العلم وفائدته للمسلمين أولا، وقد ذكر الأسباب التي دفعته لوضع نظمه هذا، وقبل ذلك تكلم عن حكمة خلق الليل والنهار وعن الشمس والقمر والكواكب وكيف أنها تساعد في معرفة حساب السنة والأشهر، ومعرفة القبلة، وذكر بأن معرفة علم الوقت فرض على المقلد والمفتي لأنه به يعرف وقت الصلاة والصيام والحج والعمرة للبيت الحرام، ومعرفة الأشهر الأخرى والمواسم، وكله من الكتاب والسنة، ورغم ذلك "فقلَّ من تَراهُ يُعنَى بهذا العلم بل ازْدَراهُ"، ومعرفة الوقت مهمة جدا فبها يعرف وقت الصلاة وشهر الصيام والجاهل من لا يعرف الأوقات فقد يفطر في رمضان إذ لا يعرف ليله من صبحه. ولهذه الأسباب قرر الحفيد نظم أرجوزته رغم أنه قد صنفت كتب في هذا العلم، ولكنها صعبة الفهم، فأراد بنظمه هذا تبسيطها لطالب العلم والمبتدئ والمسافر وصاحب الحرث والفلاحة والزرع وأهل الطب والملوك والتاجر وحتى الصعلوك في عبارات سهلة.

وَحِينَ شَاهَدْتُ الَّذِي وَصَفْتُ تَحَرَّكَتْ نَفْسِي لِمَا نَظَمْتُ
وَكَانَ قَدْ صُنِّفَ فِي ذَا العِلْـــمِ قَوَاعِـــدُ فَعَسُـــرتْ لِلْفَهْـمِ
إِذْ لاَ يُثـــيرُ حُكْـــمَ جُزْئِيَاتِـهِ مِنِ القَـوَاعِدِ سِوَا الأَثْبَـاتِ
فَاخْتَـــرْتُ أَنْ أَنْظُمَ جُزْئِيَاتِهِ مُعَدَّلَـةً عَن صَعْـبِ كُلِيَاتِهِ
فِي رِجْزٍ حُلوٍ غَرِيبِ الشَّكْلِ سَهْلِ العِبَارَاتِ بِكُلِّ شَكْـلِ
لَيْـــسِ بِهِ مِنْ لَفْظٍ إِلاَّ لِمَـا يَحْتَاجُ لا فُضُولَ فِيهِ يَحْتَمِي[2]

وكذلك أراد بيان أهمية اختلاف الليل والنهار في حياة الإنسان في عباداته وعمله، فالتغير في مواعيد الصلاة على سبيل المثال مرتبط بذلك، وهذا ينجر على بقية العبادات الأخرى، كما

[1]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 429.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ قصائد في علم الفلما**، و: 4.

نجده يبرز أن اختلاف المواقيت له أثره في اختلاف أشهر السنة من حيث المناخ وطبيعة المزروعات والمنتجات الفلاحية التي تنتج خلال تلك الأشهر.

ومن خلال هذه الأرجوزة أراد ابن مرزوق الحفيد بيان مقدرته العلمية على الولوج في أي ميدان من ميادين العلم والمعرفة، وهو الأمر الذي يعكس قيمته العلمية في زمانه، وترجمة لقدراته وإمكانياته التي لا تقتصر على جانب معين من العلوم. فقد اشتملت على طرف من العلم، ودقائق من الفقه، وأسرار من النظر والفكر العقلي والنقلي تجلى بها الصدور والمجالس، ويمتاز بها الفضلاء الأعيان، وتعد من محاسن الزمان. وهنا نشير إلى ما قاله التنبكتي فيه: "كان-رحمه الله- آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام الأكمل على الفنون بأسرها"[1].

د. منهجه وأسلوب الكتابة:

يتميز ابن مرزوق الحفيد بأسلوبه الكتابي وهو الفقيه المتبحر في أكثر من ميدان، فهو لم يخرج عما هو سائد من تقنيات كتابة الأرجوزة في عصره، ويتضح لنا من أنه قد استفاد مما كتب من الأرجوزات فيما سبق بما يغني عمله، ويجعله بمستوى الغاية التي يسعى إليها من وراء كتابة هذه الأرجوزة. وقد نهج في هذه الأرجوزة منهجا بناه على تقسيمها إلى اثني عشر جزءا أي بما يقابل أشهر السنة الإثنا عشر، مستندا من خلالها إلى آيات الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة ونتيجة لذلك جاءت الأرجوزة لتفي بأغراضها من حيث تنبيه وتوجيه المسلم نحو الطريق الصحيح بما يخص العبادات وأمور العمل وغيرها من الجوانب. ولقد تمكن من خلال هذه الأرجوزة من استثمار خزنة الكبير من العلوم المتنوعة، مثل علوم اللغة والبلاغة والأدب، ونراه يزاوج ما بينها وبين جواهر معاني القرآن الكريم ودرر الحديث النبوي الشريف، مضمنا إياه ما اختزن من علم الميقات وبقية العلوم الأخرى التي تقترب من هذا الميدان.

هـ. مصادر المخطوط:

لم يذكر صاحبنا ابن مرزوق الحفيد المصادر التي اعتمد عليها في كتابة الأرجوزة، ولكننا يمكن أن نستشف بعضا منها من خلال قراءتها، والتي يمكن تحديدها بالشكل الآتي:

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 500.

1. القرآن الكريم، والتي ورد فيه آيات عن تعاقب الليل والنهار، كما هو الحال في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ﴾[1]، وفي سورة الفرقان يقول الباري عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[2] وغيرها من الآيات وهي كثر.
2. الأحاديث الشريفة ذات العلاقة بتعاقب الليل والنهار والأيام والعمل.
3. وأغلب الظن أنه اعتمد على جملة من كتب علمي الميقات والفلك، ولكنه لم يشر إلى عناوينها بشكل مباشر.
4. كما اعتمد على المعاينة الشخصية.

و. القيمة العلمية للمخطوط:

إن مخطوط المقنع الشافي يعد من المصنفات المهمة التي وضعت تحت مظلة علم الميقات، وهو أحد العلوم الهامة في حياة المجتمعات الإسلامية، لاسيما وأنها مرتبطة بالحياة اليومية وبالعبادات، وبما تتطلبه ممارسة الشعائر الدينية من معارف فلكية، وبالأخص حساب رؤية الهلال ووسائل مراقبته بالمشاهدة والرصد، وتمييز أوقات الصلاة وحساب اتجاه القبلة في الأماكن المختلفة. وأهمية المخطوط مرتبط أيضا بقيمة مؤلفه ابن مرزوق الحفيد، ذلك العالم والشيخ الذي نال من الشهرة ما فاق حدود المعقول، ومن هنا فإن المخطوط مهم في ميدانه بسطا وتحليلا وإتقانا وشمولا لمادة هذا العلم، فهو كتاب وفق ما يبدو لي، تشتد إليه حاجة المبتدئ ولا يستغني عنه المنتهي، وقد ألف عالمنا هذا الرجز على عادة كثير من علماء عصره ومن سبقوهم، حيث كانوا يلجؤون إلى هذا النمط من التأليف لقناعتهم من سهولة حفظه، وأيسر في ضبط مسائل العلم، وأنه طريقة مثلى للإيجاز والاختصار.

كما أن أرجوزته مهمة أيضا لأصحاب الحرث والفلاحة، فهو بعد ذكره للشهر وتسميته بالرومي والسرياني، ومطالع النجوم والكواكب فيه، وطبيعة مناخه من أمطار وكمية تساقطها ووقتها، وطبيعة الريح في ذلك الشهر أو شدة الحر، ثم يذكر بعدها نوع الزرع أو النبات أو الشجر الذي يغرس أو يزرع فيه "فوتد الزيتون والرمان يغرس في شهر يناير" ، كما أنه يذكر فائدته سواء

[1]- سورة آل عمران، الآية: 190.

[2]- سورة الفرقان، الآية: 62.

كان شجرا أو ثمرا أو بذورا وهو ما يفيد أهل الطب، وإن صادف وأن ذلك الشهر عرف حدثا تاريخيا ما يذكره لنا. وطبق هذا على كامل أشهر السنة الاثني عشر، فذكر كل شهر وما يحدث فيه وما يميزه عن غيره من الأشهر، وهذا دليل على قوة ملاحظته.

مثلا عند حديثه عن شهر جانفي يذكره باسم "يناير" واسمه بالسرياني كانون الآخر، وأن فيه ثلاث أنواع من النوء الأول يسمى "نوء الذراع" وهو مبارك محمود ويدوم خمسة أيام[1]، والثاني يدعى "نوء النثرة" يدوم سبعة أيام ويبدأ تساقطه يوم السابع عشر من الشهر وفيه تحبل الإبل:

الثَّانِي من الأَنْوَاءِ وَهُوَ نُوءُ النَثْرَةِ

لِسَبْعِ عَشْرَةَ قَدْ خَلَـتْ نُـــوءٌ مُبَارَكٌ لَنَا لِنَثْرَةِ
مُدَتُـــهُ سَبْعٌ مِنَ اللَّيَـالِي تَصِفُهُ العَرَبُ بِخَيْرِ حَالِ
أَوْسَطُ أَوْقَاتِ نِتَاجِ الإِبِلِ إِنْ قَدَّرَ اللهُ لَهَا بِالحَبَـلِ[2]

ومن الأحداث التاريخية التي ذكرها في رجزه بأن عام الفيل كان في شهر فبراير، وأن مولد المسيح عبد الله عيسى بن مريم كان في شهر دوجنبر وهو أعظم يوم عند النصارى حسب زعمهم[3].

خلاصة القول أن هذا تامؤلف جاء حسبما أرى رجزا جميلا يفي بالغرض والغاية التي وضع من أجلها، وفلح ابن مرزوق في نظمه لغزارة علمه وقيمته، عاكسا من خلاله تجربته ودرايته للعلوم العقلية والنقلية.

ثانيا: كتاباته في علم المنطق

من المجالات العلمية التي كتب فيها شيخنا ابن مرزوق الحفيد علم المنطق، إذ قدم لنا عملين علميين لا يمكن تجاوزهما عند الحديث عن علم المنطق وأهميته في منطقة المغرب الإسلامي، وهما: "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل"[4]، والذي اختصر في أرجوزة سماها "كنز الأماني والأمل

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ قصائد في علم الفلما**، و: 6.

[2]- المصدر نفسه، و: 8.

[3]- المصدر نفسه، و: 15، 60.

[4]- **مخ نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل**. الرباط، المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، رقم: 460 د.

في نظم ما للخونجي من الجمل"[1]، وهذان المؤلفان ما زالا من المخطوطات التي لم تنالا بعد الاهتمام والتحقيق. ومن خلال هذا المبحث سوف سنسلط الضوء على ماهية علم المنطق، فضلا عن إلقاء نظرة سريعة على الخونجي وأهميته في ميدان علم المنطق في الفكر الإسلامي، ومن ثم دراسة المخطوطين بشكل الذي يفي الغاية المرجوة من وراء ذلك.

1. علم المنطق وتوجهات العلماء المسلمين فيه:

علم المنطق هو العلم الذي يبحث عن القواعد العامة للتفكير الصحيح. ويهدف إلى التعريف والاستدلال ومناهج البحث ومن هنا، فهو يهيئ لنا قواعد التعريف وقواعد الاستدلال والقواعد المنهجية أو طريقة البحث العلمي، بمعنى آخر هو يعلمنا كيف نعرِّف الأشياء تعريفاً يبين حقيقتها ويوضح معناها، ويعلمنا كيف نستدل على صحة الفكرة أو خطئها، وكيف نبحث المعلومات بحثا منظماً يبعد البحث عن العقم أو الوقوع في الخطأ.

وقد عرف الفلاسفة العرب المسلمين علم المنطق وفق آليات محددة الغرض من وراء إتقان هذا العلم ليكون مدخلا للعلوم العقلية. فهذا الفارابي[2] يعرفه على أن: "صناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي من شأنها أن تُقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط في المعقولات، والقوانين التي يمتحن بها المعقولات ما ليس يؤمن أن يكون قد غلط فيه غالط"[3]. ووضع ابن سينا[4] في كتابه الإشارات والتنبيهات تعريفا دقيقا لعلم المنطق، حين كتب يقول:

---

[1]- **مخ كنز الأماني والأمل في نظم ما للخُونجي من جمل**. الرباط، المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، رقم: 3236 د.

[2]- **الفارابي (260-339هـ/874-950م)**: أبو نصر محمد بن طرخان، ولد في فاراب عام 260هـ/874م، يعتبر من أكبر فلاسفة المسلمين، ويُعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو المعلم الأول. من مؤلفاته: الفصوص، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها وغيرها. مات في دمشق عام 339هـ/950م. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج: 7، ص: 20.

[3]- الفارابي نصر الدين، **إحصاء العلوم**. بيروت، مركز الإنماء القومي، 1991، ص: 13.

[4]- **ابن سينا (370-428هـ/980-1037م)**: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ولد في مدينة بخارى عام 370هـ/980م، التي نشأ وتعلم فيها، وبعدها طاف البلاد الإسلامية وناظر العلماء ونال شهرة واسعة، وهو الطبيب والفيلسوف الذي شغل مكانة هامة في الفكر الإسلامي، له العديد من أشهر مؤلفاته: القانون، الإشارات والتنبيهات. مات في مدينة همذان في عام 428هـ/1037م. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج: 2، ص ص: 241-242.

"المراد من المنطق أن يكون لدى الإنسان آلة قانونية تعصمه مراعاتها من أن يضل في فكره"[1]. في حين وصفه ابن خلدون في مقدمته، على أنه: "هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في حدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس"[2].

وسماه المسلمون علم المنطق لأن النطق يطلق على اللفظ وعلى إدراك الكليات وعلى النفس الناطقة، ولما كان هذا العلم يقوي الأول ويسلك الثاني مسلك السداد، ويحصل بسببه كمالات الثالث، اشتق له اسم منه وهو المنطق. وعليه، إن المنطق هو علم القواعد التي تجنب الإنسان الخطأ في التفكير وترشده إلى الصواب، فموضوعه أفعال العقل من حيث الصحة والفساد[3]. ويعتبر أرسطو الذي كان مهتما به للرد على السوفسطائيين، أول من وضع أسس هذا العلم وجعله ركيزة الفكر الإنساني، ومن هنا، كانت قواعد المنطق عند أرسطو مقدمة للعلوم أو آلة لها، فكان يسمى "الأورغانون" أي الآلة، وأصبح يعرف عند الفلاسفة: "بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر". فإذا كان المنطق في نظر أرسطو هو قانون للفكر ومنظم لعملياته وضابط لصحيحة من فاسده، وهو وحده الذي يصلح آلة للفلسفة والعلوم.

واهتم به فلاسفة المسلمين فكان له تأثير كبير في العالم الإسلامي حيث سماه العرب بعلم المنطق تارة وبعلم الميزان تارة أخرى[4]، ويظهر ابن سينا أهمية المنطق في التفكير الصحيح حين يقول: "المنطق علم يتعلم منه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة"[5]، ويضيف قائلا: "وكل تحقيق يتعلق بترتيب الأشياء حتى منها إلى غيرها، بل بكل تأليف، فذلك التحقيق يحوج إلى تعريف المفردات التي يقع فيها الترتيب والتأليف"[6]. وسماه ابن سينا خادم العلوم إذ ليس مقصودا بنفسه، بل هو وسيلة إلى العلوم فهو كخادم لها، واعتبره

---

[1]- ابن سينا أبو علي، **الإشارات والتنبيهات**. شر: نصير الدين الطوسي، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط3، د. ت.ن، ق: 1،ص: 117.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 644.

[3]- التهانوي محمد علي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 44.

[4]- التهانوي محمد علي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 44.

[5]- ابن سينا، المصدر السابق، ق: 1، ص: 127.

[6]- المصدر نفسه، ق: 1، ص: 129.

الفارابي رئيس العلوم لنفاذ حكمه فيها[1]، أو بقوله عنه: "فصناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تُقوم العقل وتسدد الإنسان نحو الطريق الصواب ونحو الحق". ويعتبر محمد الغزالي تاريخيا أول من أدخل المنطق اليوناني إلى الأصول الإسلامية بشكل عريض وواضح، والأرجح أنه لم ينحرف في إدخاله للمنطق على العلوم الإسلامية، بل كان غرضه تقوية الاستدلال الإسلامي وضبطه، وإحداث طفرة جديدة في علنية التعارض الثقافية بين الأصالة والفكر الغربي اليوناني، ووسمت المنطق باليقين الإسلامي[2].

لقد ساهم الغزالي في توثيق الرابطة بين علمي المنطق والكلام، إذ ينبغي على المتكلم أن يكون في مقدوره تقدير قوة الآراء المتعارضة، ووزن الحجج هو مادة موضوع المنطق، فهو الذي يميز الحجة الصحيحة من الحجة الجدلية، كما يميز الحجج الإقناعية والمغالطة والشعرية. وهكذا أصبح المنطق بصورة متزايدة مسلما به على أنه أداة أساسية لعلم الكلام، كما هو كذلك بالنسبة للفروع الأخرى من المعرفة[3].

ونتيجة تراكمات التجربة التي تحصل عليها الفلاسفة العرب المسلمين، تغيرت الصورة النمطية لكتاباتهم منذ القرن الخامس الهجري (11م)، فهي لم تعد مثلما كانت مجرد شروحات وتفسيرات لما كتب أرسطو وشراحه من بعده من اليونانيين، وإنما أخذت بعد جديدا من حيث الاستقلالية في الفكرة والتعبير، وتعتبر رسائل ابن سينا من بين أول وأفضل نتاج ظهر وفق هذا الاتجاه المستقل. وحتى حينما عاد أسلوب الشروح مرة أخرى بصورة قوية في القرنين السابع والثامن الهجريين (13-14م)، لم يرجع أهل المنطق من العرب المسلمين إلى الرسائل الأرسطية ليجدوا موضوعا جديرا بالشرح، بل انصبت شروحهم على ملخصات ابن سينا والكتب التي وضعها تابعوه ومقلدوه، وقد أحدث هذا الاتجاه تغيرا مناظرا في مجرى دراسة المنطق وتعلمه، وهو الانتقال

---

[1]- التهانوي محمد علي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 44.

[2]- الغزالي أبو حامد محمد، **القسطاس المستقيم الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن**. تع: محمود بيجو، دمشق، المكتبة العلمية، 1994م، ص: 8.

[3]- ريشر نيقولا، **تاريخ علم المنطق عند العرب مراحله مدارسه وسجل شامل بفلاسفة المنطق ومؤلفاتهم**. تر وتع: محمد مهران، منشورات أسمار، باريس، د ت ن، ص ص: 179-180.

من هدف إتقان الرسائل الأرسطية إلى استيعاب كتاب مدرسي معين لأحد كتاب المنطق من العرب المسلمين[1].

لقد وصل علم المنطق لبعد تكاملي في بداية القرن الثامن الهجري (14م)، وفي هذا الصدد كتب المستشرق نيقولا ريشر معلقا على هذه الظاهرة، بالقول: "بالنسبة للفترة ما بعد 1300م، لأننا هنا بإزاء تماثل كبير إلى أقصى حد، ولا أقول جمودا، فخلال الجزء الأكبر من هذه الفترة كانت جميع الأعمال العربية في المنطق تبدو وكأنها قد قطعت من نسيج واحد، فلم نعد نتعامل مع مواد جديدة في عرض المنطق، بل مع مجرد تنقيح لمناقشات قائمة، يعالج نفس الموضوعات المألوفة بنفس الطريقة المألوفة ويعيد معالجتها بنفس هذه الطريقة"[2].

أما الفائدة من علم المنطق، فمن الواضح أن جميع العلوم هي نتاج التفكير الإنساني ومن الواضح أيضا أن الإنسان حينما يفكر قد يهتدي إلى نتائج صحيحة ومقبولة، وقد ينتهي إلى نتائج خاطئة وغير مقبولة. فالتفكير الإنساني إذن معرض بطبيعته للخطأ والصواب ولأجل أن يكون التفكير سليما، وتكون نتائجه صحيحة، أصبح الإنسان بحاجة إلى قواعد عامة تهيئ له مجال التفكير الصحيح متى سار على ضوئها. والعلم الذي يتكفل بوضع وإعطاء القواعد العامة للتفكير الصحيح هو علم المنطق، فإذن حاجتنا إلى دراسة علم المنطق شيء ضروري لابد منه وذلك لأجل أن يكون تفكيرنا العلمي صحيحا وذا نتائج مقبولة، ومن هنا عدّ علم المنطق: الأساس الوحيد والمنطلق الأول لجميع المعارف البشرية. يضاف إليه: أننا بتعلمنا قواعد المنطق نستطيع أن ننقد الأفكار والنظريات العلمية فنتبين أنواع الخطأ الواقع فيها وأن نتعرف على أسبابها. وبمعرفتنا لقواعد المنطق نستطيع أيضا أن نميز بين المناهج العلمية السليمة والتي تؤدي إلى نتائج صحيحة وبين المناهج العلمية غير السليمة والتي تؤدي إلى نتائج غير صحيحة. ونستطيع كذلك على ضوء فهمنا لقواعد المنطق أن نفرق بين قوانين العلوم المختلفة، وأن نقارن بينها ببيان مواطن الالتقاء والشبه بينها ومواطن الاختلاف والافتراق[3].

---

[1]- ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص: 181.

[2]- المرجع نفسه، ص: 211.

[3]- التهانوي محمد علي، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 45-47.

خلاصة القول أن القيمة الدراسية لعلم المنطق هي بتوفره على تكوين قدرة التفكير السليم في البحث والنقد وتقييم الآراء والأفكار وتقدير الأدلة والبراهين في مختلف مجالات الفكر الإنساني.

2. أهمية كتابات الخونجي[1] في علم المنطق:

لقد شكل القرن السابع الهجري (13م) تاريخا مفصليا في نمو كتابات الفلاسفة العرب المسلمين، إذ شهد هذا القرن حيوية كمية في هذا الميدان، وكان للخونجي مساهمة فيه[2]، فقد ساهم في تطور علم المنطق بشكل لا يمكن تجاهله أو إنقاص قيمته، وكان أحد طلبة العالم فخر الدين الرازي، وكتب ابن خلدون يظهر أهمية ومكانة الخونجي في علم المنطق، قائلا: "وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد، وله في هذه الصناعة كتاب كشف الأسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق اخذ بمجامع الفن وأصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به"[3]، وكتب عنه السبكي في طبقاته، يقول: "وله اليد الطولى في المعقولات"[4]، في حي قال عنه ابن كثير من أنه: "الحكيم المنطقي البارع في ذلك"[5].

قدم لنا الخونجي العديد من المؤلفات في هذا العلم، منها: الموجز في المنطق وهو كتاب مختصر في علم المنطق، الجُمل وهو كتاب صغير في علم المنطق ولكنه نال شهرة كبيرة في العالم الإسلامي، وكان موضوعا لشروح عديدة، وأشار ابن مرزوق الحفيد على أنه انتهى من تأليفه في مكة المكرمة عام 624هـ/1226م، كشف الأسرار في غوامض الأفكار وهي رسالة في المنطق على

---

[1]- هي تعريب لبلدة في بلاد فارس (عراق العجم) تدعى المنجي وفق ما ذكره ابن مرزوق الحفيد في تقديمه للمؤلف. ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل**، و: 1.

[2]- ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص: 203.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 647.

[4]- السبكي، **طبقات الشافعية**، ج: 8، ص: 105.

[5]- ابن كثير أبو الفداء الدمشقي، **البداية والنهاية**. بيروت، مكتبة المعارف، ط7، 1988م، ج: 13، ص: 175.

غاية من الأهمية[1]، وأشار ابن مرزوق إلى أهمية هذا الكتاب بالقول: "الذي لم يسبق مثاله ولم ينسج على منواله"[2] كما شرح مقالة ابن سينا[3].

ومن خلال هذا التقديم الموجز تتضح لنا الأهمية التي تمتعت بها كتابات الخونجي في علم المنطق، وهذا ما جعل ابن مرزوق الحفيد يتأثر بكتاباته، لاسيما بعدما أن نال الإجازة بها في مصر، وأن يجتهد في تقديم الشرح لكتاب الجمل وكتابة ملخص له في شكل أرجوزة. وقد امتدح ابن مرزوق الخونجي في مقدمة كتابه شرح الجمل، حين قال: "إن أفضل ما صنف فيه من الكتب والمختصرات وأنقى ما ظهرت فيه من فوائد منتشرة في كتاب الجمل للإمام الأوحد العلامة فضل الدين بن عبد الله محمد بن يامور بن محمد عبد الملك الخونجي"[4].

3. مؤلفاته في علم المنطق:

وعند الحديث عن مكانة علم المنطق في منطقة المغرب الإسلامي، لا يمكننا تجاهل واحد من بين أهم أعلامه، وأعني هنا شيخنا ابن مرزوق الحفيد، وهو يعتبر من أعلام هذا العلم في القرن التاسع الهجري (14م)، وقد أشار المستشرق ريشر إلى كون ابن مرزوق الحفيد يعتبر في مصاف البارزين في ميدان الكتابة في علم المنطق خلال هذه الفترة[5]. وإن كانت الفترة التي عاصرها ابن مرزوق الحفيد من مراحل تراكمية علم المنطق في الحضارة العربية الإسلامية لم تأت بجديد، إلا أن أعلامها تميزوا بالإنتاج الوفير وامتلاك أدوات العلم، وهنا نقتبس ما قاله المستشرق ريشر نيقولا، حين قال: "كانت جميع الأعمال العربية في المنطق تبدو وكأنها قد قطعت من نسيج واحد، فلم نعد نتعامل مع مواد جديدة في عرض المنطق، بل مع مجرد تنقيح لمناقشات قائمة، يعالج نفس الموضوعات المألوفة بنفس الطريقة المألوفة، ويعيد معالجتها بنفس هذه الطريقة"[6]، ومن هذا المنطق المنطق كانت كتابات ابن مرزوق اخذ طابع الشروح والتوضيح أحيانا والاختصار والتلخيص أحياناً أخرى.

---

[1]- ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص: 438.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 1. للاطلاع على الورقة الأولى منه، ينظر: الملحق رقم: (09)، ص: 451.

[3]- ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص: 438.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 1.

[5]- ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص: 218.

[6]- المرجع نفسه، ص: 211.

والمؤلفات التي وضعها ابن مرزوق في علم المنطق اعتمدت على كتاب الجمل الذي وضعه الخونجي، وهي التي سوف نقوم بدراستها، فضلا عن مؤلف آخر وضعه عن التفتازاني[1]، لم نتمكن من تصويره لأنه مازال في قسم الترميم. ويمكن دراسة ما قدمه ابن مرزوق الحفيد في هذا الميدان كما يلي:

أ. كتاب نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل:

يحمل كتاب "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل" في مضمونه أهمية كبيرة من حيث كونه إضافة أخرى تظهر قدرات ابن مرزوق الحفيد في امتلاك ناصية العلم والرسوخ فيها، فضلا عن أنها دليل آخر على أن الصلات العلمية بين المشرق والمغرب الإسلاميين كانت قائمة بلا أدنى عقد أو إحساس بالنقص، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار المكانة العلمية التي كان يتمتع بها ابن مرزوق الحفيد في منطقة المغرب الإسلامي، والتي ساهم من خلالها في تعزيز مفهوم الاتصال والتواصل وهذا الكتاب لهو دليل على ذلك.

صحة عنوان المخطوط ونسبته إليه:

من خلال مقدمة المخطوط نجد أن ابن مرزوق يذكر عنوان الكتاب على النحو التالي: "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل"[2]، كما أشار إليه عدد ممن ترجموا له، فقد أشار إليه السخاوي: "والجمل للخونجي وسماه منتهى الأمل"[3]، أما ابن مريم ذكره: "وشرحه لجمل الخونجي سماه نهاية الأمل في شرح الجمل"[4]، وأشار إلى ذات العنوان التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج ولكنه ولكنه ناقصا من كلمة "كتاب" مضيفا كلمة "الخونجي"، حين قال: "ونهاية الأمل في شرح جمل

---

[1]- **التفتزاني (722-791هـ/1322-1389م)**: هو سعد الدين مسعود بن عمر من العلماء المسلمين الذين عرفوا في ميدان الفلسفة والنحو والكلام، ولد في خراسان سنة 722هـ/1322م، وعرف عنه غزارة الإنتاج، ونالت مؤلفاته شهرة واسعة، إذ نالت شروحه أهمية كبيرة في علم المنطق، واعتبره العديد من الكتاب من أنه يمثل مرحلة انتقالية بين القديم والحديث، ومن مؤلفاته: تهذيب المنطق والكلام، شرح الرسالة الشمسية وشرح إيساغوجي. وتوفي عام 791هـ/1389م. ينظر: ابن القاضي، **درة الحجال**، ص:297. ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص ص: 486-487.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 1.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 51.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

الخونجي"[1]؛ وذات الأمر حدث حينما ذكره المقري في النفح ناقصا من كلمة "كتاب" ولكنه أضاف بعد العنوان الذي وضعه بين مزدوجتين الإشارة إلى كتاب الجمل للخونجي، حين ذكره قائلا: "نهاية الأمل في شرح الجمل أي كتاب الجمل"[2]، في حين أشار الشوكاني في كتابه البدر الطالع إلى كتاب ابن مرزوق على أنه مختصر وأخطأ أيضا في ذكر مؤلف كتاب الجمل على أنه الجويني في حين هو الخونجي[3].

خلاصة القول، أن الاختلافات في ذكر عنوان الكتاب لا تعني الشيء الكثير، ولكونها قريبة من عنوان الذي ذكره ابن مرزوق الحفيد بنفسه في متن مخطوطه، ولكننا وجدنا أنه من الضروري أن نأخذ بالعنوان الذي ذكره ابن مرزوق فهو الأدق. وفيما يخص نسبة الكتاب إليه، فعلى ما يبدو لي أنه من وضع ابن مرزوق الحفيد، إذ أن ذات المصادر التي ذكرناها في تثبيت عنوان الكتاب، هي ذاتها تؤكد على أنه هو مؤلفه.

دوافع التأليف:

لقد حدد ابن مرزوق الحفيد دوافع تأليفه للكتاب من خلال مقدمته التي وضعها له، وهي تتمحور في الأمور التالية:

- إعجابه بتآليف الخونجي والتي اعتبرها على مستوى عال من الجودة، وذلك حينما كتب يقول: "وله رحمة الله تواليف حسنة التصنيف كثيرة التفنن"[4].
- محاولته إبراز القيمة العلمية لكتاب الجمل للخونجي وأهميته بين النتاجات الصادررة في علم المنطق، وفي هذا يقول: "وكتاب الجمل هذا وإن صغر حجمه فقد كثر علمه ولغموض اللفظ وخفية رموز ألفاظه تخلف عن الاشتغال به كثير"[5].
- محاولته الجمع بين شرحين لاثنين من كبار علماء المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري (14م)، وهما: أبو عبد الله الشريف التلمساني وأبي عثمان سعيد

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 7، ص: 429.

[3]- الشوكاني، **البدر الطالع**، ج: 2، ص: 120.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 1.

[5]- المصدر نفسه، و: 2.

محمد العقباني، وكتب ابن مرزوق الحفيد، يقول: "فشرحه جماعة من العلماء وأكابر من الفضلاء، وإن من أجل ما وضع عليه شرحي شيخ شيوخنا حائز قصب السبق في زمانه المبرز في العلوم حينئذ بين (غير مفهومه) وأقرانه العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني[1] برد الله ضريحه وأسكنه من أعلا الجنان فسيحه، وشيخنا وحيد زمانه وفريد عصره بقية العلماء الراسخين وارث الفضلاء المجتهدين أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني[2] أمتع الله ببقائه وزاد من علوه وارتقائه، وطرقهما مختلفة وإن كانت مقاصدهما مؤلفته، فرأيت أن أجمع بينهما باختصار وأؤلف بين ما تضمنا من الفوائد الكثيرة الانتشار"[3].

- كما شكلت الرغبة العلمية لدى ابن مرزوق في تقديم عمل مميز يضعه في مصاف من ساهموا في الارتقاء بعلم المنطق دافعا في كتابة هذا الشرح، حين قال: "وأضيف إلى ذلك على ما صحت به قريحتي الجامد من الذكر بحيث يلوح أو تقدير فائدة حسبما يراه الناظر فيه"[4].

---

[1]- **أبو عبدالله الشريف التلمساني (710–740هـ/1310–1339م)**: هو محمد بن أحمد بن علي الإدريسي، ويعرف بأبي عبد الله الشريف، ولد سنة 710هـ/1310م في أسرة علم وتقوى وشرف وصلاح وحسن تدين. ظهرت نجابته وقدراته الذهنية ومواهبه الفكرية منذ صغره، فتعلم القراءات عن الشيخ أبي زيد بن يعقوب، ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن مشايخها شتى الفنون، وفي سنة 740هـ/1339م ارتحل إلى تونس ولقي بها مجموعة من المشايخ واستفاد منهم ثم عاد إلى مسقط رأسه تلمسان، فقضى جل أوقاته في تدريس العلم.ومن شيوخه: القاضي ابن هدية القرشي، القاضي أبو عبد الله التميمي وأبو موسى المشدالي. ومن تلامذته: أبو زيد بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب. من مؤلفاته: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول وشرح جمل الخونجي. توفي ليلة الأحد رابع ذي الحجة سنة 771هـ/ 1370م. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ص ص: 70–83. ابن مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج: ، ص: 311.

[2]- **أبو عثمان سعيد العقباني (720–811هـ/1320–1408م)**: هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، القاضي الفقيه المالكي المحقق النظار، ولد في تلمسان عام 720هـ/1320م، ولي قضاء تلمسان وبجاية وسلا ومراكش، وكان يلقَّب برئيس العلماء والعقلاء، من تآليفه: شرح الحوفية في الفرائض، شرح الجمل للخونجي وشرح على ابن الحاجب الأصلي. توفي في تلمسان سنة 811هـ/1408م. ينظر: ابن مخلوف، المرجع السابق، ص:331. الزركلي، المرجع السابق، ج: 3، ص: 101.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 2.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 2.

المنهجية وأسلوب الكتابة:

عند الحديث عن منهجية وأسلوب الكتابة الذي اتبعه ابن مرزوق الحفيد في شرحه لكتاب الجمل للخونجي، يتطلب منا أولا الإشارة إلى صعوبة اللغة التي تستخدم في الكتابة في ميدان علم المنطق، وهذا ما يفسر تعدد شروحه، مثل بقية الكتابات الأخرى في هذا الميدان، وذلك من أجل تبسيط الفكرة لإيصالها إلى أكبر عدد من طلبة العلم والمهتمين بهذا العلم.

لقد تضمن الكتاب في أوله مقدمة تعرض فيها ابن مرزوق الحفيد للعديد من الأمور التي لها علاقة بطبيعة العمل وآلية انجازه، ويمكن تحديدها بما يلي:

- أشار ابن مرزوق الحفيد في بداية المقدمة إلى فضل الله عز وجل على البشر وما حباهم به من علم، كما بين قيمة العلم في حياة الإنسان وأهميته.
- بين أهمية علم المنطق.
- أشار إلى مكانة كتاب الجمل للخونجي، حين قال: "إن أفضل ما ضيف به من الكتب المختص وأنقى ما ظفر به من القواعد المنتشرة كتاب الجمل للإمام الأوحد العلامة أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن يامور بن حمد بن عمر الخونجي"[1].
- عرف باختصار بتاريخ الخونجي وأبرز أعماله.
- حدد تاريخ تأليفه للكتاب سنة 624هـ/1226م[2].
- كما أشار إلى اعتماده في شرحه للكتاب بشكل كبير على شرحي أبي عبد الله الشريف التلمساني وأبي عثمان سعيد بن محمد العقباني[3]، وعلى ما يبدو لي من خلال تصفح المخطوط أن ابن مرزوق قد تأثر كثيرا بما ورد من آراء وأفكار في هذين الشرحين، ونالا من اهتمامه ومتابعته الكثير، وهو ما شكل دافعا له في شرحه لكتاب الجمل، لاسيما وأن المصادر تشير إلى تدريسه لهذين الشرحين في مجالسه العلمية.

---

[1]- المصدر نفسه، و: 1.

[2]- المصدر نفسه، و: 2.

[3]- ذكر المجاري هذا الشرح من ضمن ما تلقاه من العقباني خلال تتلمذه على يديه. ينظر: المجاري، المصدر السابق، ص: 129.

- حدد في مقدمة الكتاب آلية استخدامه لبعض المصادر في شرحه، حين قال: "وأشير في الغالب إلى ما اختص به الأول (يقصد الشريف التلمساني) من كلام بعبارة قيل وإلى ما اختص به الثاني (العقباني) بعبارة قال بعضهم"[1]. في حين كان يشير إلى الخونجي بعبارة قال. في حين كان يبدأ حديثه في الشرح باستعمال كلمتي (قلت) أو (أقول).
- ومن خلال المقدمة شرح ابن مرزوق الحفيد طريقة معالجته لما ورد في كتاب الجمل وحدد الآليات اللازمة في شرح وتفسير الغامض مما ورد فيه، وفي هذا كتب قائلا: "وعادتي في هذا المجموع أردت أولا شرح اللفظ في الجملة ثم أتكلم في تنبيهات بعرض ما لدي على ما يحتاج إليه من فضله لمن شاء الاقتصار منه على شرح اللفظ على ما هو به بقاءه، ومن ابتغى ما وراء ذلك بلغ من الأمل منتهاه"[2].
- حدد عنوان الكتاب، حين قال: "وسميته نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل"[3].
- وفي نهاية مقدمة الكتاب كانت خاتمتها، والتي تمنى فيها أن يكون قد وفق في تقديم الشرح بالشكل الذي يفيد الآخرين، ودعا من يقرأ شرحه أن لا يستعجل في حكمه إلا بعد التأني في القراءة، إذ قال: "وإلى الله أتضرع في التوفيق والهداية إلى سواء الطريق والمسؤول ممن جبل على الإنصاف طبعا وملئ من جوانبه الحكم عقلا وسمعا، أن ينعم النظر فيما يقرع سمعه ولا يجعل الإسراع إلى تخطئة الصواب طبعه فإن الحق يعرف الرجال لا بشهرة الصيت وتقادم الآجال، وحسبنا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى"[4].

وبعد المقدمة يبدأ ابن مرزوق الحفيد شرحه وتفسيره لمضمون كتاب الجمل، وكانت البداية انطلاقا من تحديد مفاهيم ودلالات في النص، حين قال: "أقول وبالله أستعين تفسير كلامه يتوقف على معرفة دلالة اللفظ ومعرفة الوضع فالوضع تخصيص اللفظ بأن يراد من سماعه على المعنى..."[5].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 2.

[2]- المصدر نفسه، و: 2.

[3]- المصدر نفسه، و: 2.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 2.

[5]- المصدر نفسه، و: 2.

وبعد الاطلاع على نص المخطوط يتضح لنا أن ابن مرزوق الحفيد لم يكن متزمتاً بآرائه لوحده، وهذه صفة العلماء الحقيقيين، وإنما كان يعزز آرائه بمن سبقوه في العلم والمعرفة بدقائق الميدان، ومن هنا كانت استعانته بأعلام هذا العلم بينة وواضحة، زادت من قيمة شرحه وأهميته العلمية في زمانه، فهو إلى جانب من أشار إليهم في مقدمته في الاعتماد عليهم، استعان بآخرين وبين آرائهم من حيث توافقه معهم أو اختلافه. ومن بين ما يمكن الإشارة إليه، عدم توافقه مع الكشي في أحد الأمور فهو لا يذهب به مذهب سوء و إنقاص، وإنما يستخدم المفردة التي تحافظ على مكانة وقيمة أحد علماء المسلمين في هذا الميدان، وهو ما يؤكد ما ذهب غليه في خاتمة مقدمته للكتاب، حينما يقول: "وزعم الكشي"[1].

كما جاءت لغة ابن مرزوق الحفيد في ثنايا هذا المخطوط لغة مبسطة ومسترسلة بعيدة عن التكلف، بمعنى ابتعاده عن المحسنات اللغوية، وهذا لا يعني ضعف قدرته اللغوية أو نضوب معينه اللغوي بأي حال من الأحوال. إذ علينا أن لا ننسى من أنه يمتلك كل صفات التميز والإبداع اللغوي، وذلك بشهادة من عاصره وتتلمذ على يديه، ويتجلى هذا التميز والرقي اللغوي والعلمي في ذات الوقت بما كتبه القلصادي، وهو أحد طلبته، حين قال: "سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي (ﷺ)، حل كنف العلم والعلاء، وجل قدرة في الجلة الفضلاء، قطع الليالي ساهرا، وقطف من العلم أزهرا فأثمر وأورق، وغرب وشرق، حتى توغل في فنون العلم واستغرق إلى أن طلع إلى الأبصار هلالا لأن المغرب مطلعه، وسما في النفوس موضعه وموقعه، فلا عليك أن ترى أحسن من لقائه، ولا أسهل من إلقائه، لقي الشيوخ الأكابر، وبقي حمده معترفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المحابر"[2]. في حين كتب قرينه ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة، يقول: "ونعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والخلق والوقار والمعرفة والأدب التام"[3].

---

[1]- المصدر نفسه، و: 130.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 101.

[3]- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج: 3، ص: 362.

مصادر المخطوط:

أما عن مصادر كتابه نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل، فهي عديدة ومتنوعة لمؤلفين يشهد لهم في علم المنطق بالتميز والرقي في الفكر والكتابة. ومن الطبيعي هنا، أن يستدل بكتابات الخونجي نفسه، إلى جانب الاستعانة بما ورد في شرحي أبي عبد الله الشريف التلمساني والعقباني. كما استعان بآراء الشيخ أبي عبد الله الآبلي[1]، والذي اعتبره واحدا من أهم من كتبوا في هذا العلم[2] واعتبره من الشيوخ الأشياخ واستند إلى آرائه في بعض شرحه للكتاب[3].

ومن بين من استعان بهم أيضا الفيلسوف اليوناني أرسطو[4]، واستعان بما قال وكتب ابن سينا في تفسير ما أراد توضيحه في هذا الشرح[5]. وممن استعان بهم أيضا الكاشي[6] العديدة[7]، كما استعان بآراء ابن عرفة[8] والكوفي الذي شرح هو الآخر كتاب الجمل للخونجي[9]، كما

---

[1]- **الآبلي (681–757هـ/1282–1356م)**: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، الشهير بالآبلي. ولد في تلمسان عام 681هـ. ونشأ في كفالة جده القاضي محمد بن غلبون وأخذ عنه، فشب على حب العلم ورغب فيه، وتتلمذ على يد علماء كبار من أمثال: أبي الحسن التنسي وأبي موسى بن الإمام. سافر إلى المشرق الإسلامي لطلب العلم وأداء فريضة الحج، ولقي هناك العديد من العلماء كابن دقيق العيد وغيره، ثم عاد إلى تلمسان ثم غادرها إلى المغرب ولزم بمراكش العالم أبا العباس بن البنَّاء فتضلع عليه في المعقول والحكمة والتعاليم، واستقر بعدها بفاس فاختصه السلطان أبو الحسن المريني واحتباه بمجلسه الخاص ثم سافر إلى تونس وعمل في التدريس. من تلامذته: ابن عرفة، ابن خلدون، ابن مرزوق الخطيب وأبو عثمان العقباني. رافق السلطان أبا عنان في أربع سنوات الأخيرة من حياته حتى توفي بفاس. ينظر: المقري، **النفح**، ج:7، ص ص: 271–274. التنبكتي، **الكفاية**، ج: 2، ص ص: 54–58. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج: 3، ص ص: 428–430.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 64.

[3]- المصدر نفسه، و: 66، 80.

[4]- **أرسطو (ت: 322 ق.م)**: فيلسوف وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطق وعدد من الفروع الأخرى للمعرفة الخاصة. ولد في تراقيا في 348 ق.م، وذهب إلى أثينا وفي عام 366 ق.م دخل أكاديميتها وفيها تميز، وكان من أشهر تلامذة أفلاطون. انتقد نظرية هذا الأخير والخاصة بالصور المفارقة (المثل)، وأسس مدرسته الخاصة في أثينا عام 335 ق.م، من مؤلفاته والتي لم يصلنا منها إلا 47 مؤلفا: ما بعد الطبيعة، المقولات، التحليلات الأولى، التحليلات الثانية والمغالطات السفسطائية. وفي نهاية حياته سافر إلى مدينة خلقيس حيث توفي سنة 322 ق.م . ينظر: بدوي عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج: 1، ص: 98.

[5]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 33، 77، 108، 157.

[6]- **الكاشي زين الدين (1180–1268م)**: أحد علماء العرب المسلمين في المنطق، اشتهر خلال القرن 7هـ/13م، ولد في مدينة كاشان في بلاد فارس عام 1180م، وتتلمذ على يد أحد أهم رموز علم المنطق في الحضارة الاسلامية فخر الدين الرازي. ومن أشهر أعماله: المنهاج المبين (رسالة في المنطق)، الأبيات البينة (قصيدة شعرية في المنطق)، مقدمة الحكمة والمنطق. وتوفي عام 1268م. ينظر: ريشر نيقولا، المرجع السابق، ص ص: 436–437.

[7]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 34، 130.

[8]- المصدر نفسه، و: 68، 116، 118.

[9]- المصدر نفسه، و: 65.

استعان بما ألفه ابن الحاجب، وهو الذي شرح له المختصر الفرعي وغيرها من المصادر التي ساعدته الآراء التي تضمنها في شرح كتاب الجمل للخونجي.

القيمة العلمية المخطوط:

فيما يخص جديد المخطوط، فقد صاغ ابن مرزوق الحفيد مؤلفه هذا على عادة علماء عصره ومن والاهم، حيث كانوا يلجؤون إلى شرح المختصرات، وذلك ظنا منهم، على ما يبدو لي أهمية القيام بذلك بما يمكن طلبة العلم من فك شفرات الاختصار التي قد تكون مفرداتها صعبة الفهم. وعلى الرغم من صعوبة علم المنطق والمفردات التي تستخدم فيه إلا أن غزارة علم ابن مرزوق وطول باعه في مختلف مجالات العلم ، نجده لم يكتف بيان مكنونات كتاب الجمل، وإنما سعى إلى تضمين شرحه الكثير من المسائل والجزئيات التي تخص علم المنطق، والتي جاءت مقرونة بأدلتها تصريحا أو تلميحا، حتى جاء هذا الشرح نسيجا فريدا في مقامه، متناولا بالتأصيل والتحليل كل دقائق كتاب الجمل وعلم المنطق معا.

وتتجلى القيمة العلمية التي تضمنها الكتاب، والتي تعكس قدرة ابن مرزوق الحفيد في علم المنطق عامة، وفي هذا الكتاب خاصة، ما أشارت إليه محققة كتاب المتجر الربيح في شرح الجامع الصحيح لابن مرزوق، قالت: "تأثره بعلم المنطق الذي هو علم بالقوانين التي تعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة بالماهيات والحجج المفيدة للتصديقات"[1].

وصف المخطوط:

وهي نسخة متوفرة في المكتبة الوطنية المغربية بالرباط، ومصنفة تحت الرقم التسلسلي: د 460، وعدد أوراقها بلغ 159 ورقة، في حين عدد سطور الورقة الواحدة 26 سطر، ومتوسط كلمات السطر هو 23 كلمة، الخط الذي كتب به المخطوط هو المغربي غير مقروء صغير الكلمات، بالإضافة إلى ذلك وضعية المخطوط لا تساعد على تسهيل مهمة الباحث في قراءته إلا بصعوبة وبعد جهد كبير، واستخدم المداد الأسود والأحمر في عملية النسخ. والنسخة هذه تبدأ: "بسم الله الرحمن الرحيم ...وصلى الله على سيدي ونبينا ومولانا محمد النبي الكريم وآله وأصحابه

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 172.

وسلم كثيراً كثيرا ... الحمد لله العالم بخاصيات الأمور والمطلع على مكنونات الصدور الذي خلقنا لمعرفته وتوحيده وجعلنا بما ركب فينا من العقل "[1]. والمخطوط مبتور الآخر، وتشير آخر ورقة منه: "من الطرفين نحو إما أن يكون الاثنان قد جاؤوا وإما أن يكون عددا أو قوله قصد ومانعة الجمع بكذب الطرفين نحو قوله ربي"[2].

ب.أرجوزة كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل:

إن كتاب الجمل للخونجي يعد من بين أهم المصنفات في علم المنطق بسطا وتحليلا واتقانا وشمولا لمادة هذا العلم. واستطاع ابن مرزوق الحفيد، في شرحه للكتاب، ومن خلال أرجوزته كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل من إظهار قدراته العلمية واللغوية ومدى استطاعته في توظيف ذلك في تقديم أي عمل علمي بعدة أوجه. وهذا الكتاب نموذج على هذه القدرات التي امتلكها ابن مرزوق، ومن خلال دراسة هذه الأرجوزة يمكننا تبيان ما يلي:

صحة عنوان المخطوط:

يشير ابن مرزوق الحفيد إليه بعنوان "كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل"، وهذا لا يدع مجالا للشك من تسميته ما دام ورد في نصه[3]. وأن كان هناك من ذكره بما يخالف هذا الاسم إذ أشار التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج على أنه نظم جمل الخونجي[4]، في حين سماه المقري في نفح الطيب باسم: "حرز الأماني"[5]. أما السخاوي فلم يذكر هذا الكتاب في عداد مؤلفات ابن مرزوق الحفيد[6].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نهاية الأمل**، و: 1.

[2]- المصدر نفسه، و: 159. للاطلاع على الورقة الأخيرة منه، ينظر: الملحق: رقم (10)، ص: 452.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل** ، و:1 .

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[5]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 429.

[6]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 51.

دوافع التأليف:

لقد ألف ابن مرزوق الحفيد أرجوزة كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل، تلخيصا لشرحه كتاب الجمل للخونجي. وعلى ما يبدو لي، أنه أراد تسهيل عملية الاطلاع على الكتاب ومعرفة وبيان جوانب الأهمية فيه، وإيصال ذلك إلى أكبر عدد ممكن من المهتمين وطلبة العلم. كما سعى إلى بيان أهمية هذا العلم والفائدة الكبيرة التي يوفرها للعالم، إلى جانب بقية العلوم النقلية والعقلية الأخرى، ولكنه في ذات الوقت أظهر خطورة هذا الجانب على المسلم إن لم يكن يفقه ويدرك تلك الخطورة، حين يقول[1]:

يَقُولُ مَنْ لَمْ يُعْدَم الإيمَانَ قَطُ ... نَجْلُ ابنِ مَرْزُوق وبالفَضْلِ انبسَطَ

الحَمْـــــدُ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمَا ... بِهِ مِنَ الفَضْـــلِ الكَثِيرَ الحكَـمَـا

ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى النُّـــورِ المبِينِ ... مُحَمَّدُ الهَادِي إِلَى الحَـــقِّ اليَقِيـنِ

وَآلِـــهِ وَصَحْبِـــهِ وَسَلَّـــمَ ... وَبَعْـــدُ فَالمنْطِـــقُ لِلْعَقْـــلِ نَمَـــا

مُمَيِّـــز الخَطَإِ مِنَ الصَّـــوَابِ ... بِنِعَـــمِ الـــة تَجُـــولُ كُـلَّ بَـابٍ

كَالفِقْـهِ والأَصْلَيْـن[2]والتَّفْسِيرِ ... وَفِي الحَدِيـــــثِ القَمِـــرِ المنِيـرِ

وَغَيْرِهَا فَوَاجِبٌ علَى اللَّبِيـــبِ ... تَحصِيلُهَا لِنَيْلِ ذَا الوَصْفِ العَجِيبِ

وَوَضَعُوا فِيـــــهِ مِنَ الكُتُبِ ... لَيْسَ يُعَـــدُّ كَثْرَة ..... [3] مَا

المنهجية وأسلوب الكتابة:

يتميز ابن مرزوق الحفيد في أسلوبه الكتابي وهو الفقيه المتبحر في أكثر من ميدان، فهو لم يخرج عما هو سائد من تقنيات كتابة الأرجوزة في عصره، ويتضح لنا من أنه قد استفاد مما كتب من الأراجيز فيما سبق بما يغني عمله، ويجعله بمستوى الغاية التي يسعى إليها من وراء كتابة هذه الأرجوزة. وقد نهج في هذه الأرجوزة منهجا بناه على تقسيمها إلى اثني عشر جزءا، أي ما يقابل أشهر السنة الاثني عشر، مستندا من خلالها إلى آيات الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة ونتيجة

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ كنز الأماني**، و: 1.

[2]- التوحيد وعلم أصول الدين. ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **مخ كنز الأماني**، و: 1.

[3]- لم نتمكن من قراءتها.

ذلك جاءت الأرجوزة تفي بأغراضها من حيث تنبيه وتوجيه المسلم نحو الطريق الصحيح بما يخص العبادات وأمور العمل وغيرها من الجوانب.

ولقد تمكن ابن مرزوق الحفيد من خلال هذه الأرجوزة استثمار خزنة الكبير من العلوم المتنوعة، مثل علوم اللغة والبلاغة والأدب، ونراها يزاوج بين بينها وبين جواهر معاني القران الكريم ودرر الحديث النبوي الشريف، مضمنا إياه ما اختزن من علم الميقات وبقية العلوم الأخرى التي تقترب من هذا الميدان.

مصادر المخطوط:

أما عن مصادر الأرجوزة، ولكونها هي اختصار لشرحه لكتاب الجمل للخونجي، فمصادرها هي نفس مصادر الشرح، فضلا عن الزاد اللغوي الذي حاز عليه الحفيد وقدرته الأدبية في الكتابة والتأليف.

القيمة العلمية للمخطوط:

لقد جاء رجز "كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل" رجزا جميلا بليغا وافيا بالغرض الذي توخاه ابن مرزوق الحفيد من وراء تأليفه، وإن كان من الهدف من وراء تأليفه هو الاختصار والإيجاز لكتاب الجمل للخونجي وشرحه الذي وضعه له "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل". إلا أن ابن مرزوق لغزارة علمه وطول باعه في شتى العلوم، ومنها علم الفلك، لم يكتف فيه بما هو تقليدي ومتعارف عليه، وإنما أظهر الدراية والمعرفة الشاملة بالعلم والكتاب معا. وعليه جاء هذا الرجز موفيا بالغرض مفيدا في موضوعه، وتمكن من خلاله شيخنا من الإفاضة والإسهاب فيما يتعلق بكل مسألة من المسائل التي وردت في كتاب الجمل.

ومما لا ريب فيه، أن هذا الرجز له مكانته الرفيعة بين المصنفات التي ألفت في علم الفلك، إذ تمكن ابن مرزوق بجزالة اللفظ وسهولة المعنى وانتقاء العبارة وسلاسة الأسلوب وبراعته وبلاغته من أن يقدم هذا العمل متكاملا متميزا يعكس من خلاله قيمة كتاب الجمل للخونجي، وأن يظهر أهمية علم الفلك في حياة المسلمين، على الرغم من صعوبة هذا العلم واصطلاحاته.

وهناك مسألة هامة، لابد من الإشارة إليها هنا، أن قيمة الكتاب ترتبط بالخلاف الذي كان قائم بين علماء المنطق العرب المسلمين وعلماء الكلام ومساندة الصوفية لهم، ولكون ابن مرزوق كان في آرائه مخالفا للتصوف ويحارب توجهاته، فاننا نرى أن تأليف الكتاب من قبله يدخل في إطار الخلاف والصراع الفكري بين الطرفين[1].

وصف المخطوط:

وهي النسخة المتوفرة في المكتبة الوطنية بالرباط، بقسم المخطوطات، ضمن مجموع يحمل رقم: د 3236، وتبدأ من و 214 إلى و 223، وعدد أوراقها بلغ 10 أوراق، وعدد أبياتها 193 بيتا، في حين عدد سطورها لم يكن منتظما، نجد في صفحات 17 سطرا وفي صفحات أخرى 20سطرا. أما الخط الذي كتب به المخطوط هو الخط المغربي ضعيف، كتبت بحبر أسود، ولكن هذه النسخة كانت سيئة جدا، وذلك باعتراف ناسخها، والذي أشار في نهاية نسخه للمخطوط، بالقول: "نسخة صعبة الخط كثيرة التحريف قد عششت فيها الأرضة وباض فيها السوس"[2].

والنسخة تبدأ بالنص الآتي: "صلى الله على آله وصحبه وسلم، بزغت شمس وبدر في سماء. وبعد، فالمنطق للعقل نما"[3]، وبعدها البسملة والصلاة على الرسول محمد (ﷺ)، وهي نسخة تامة، لكنها عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه.

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 202.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ كنز الأماني**، و: 10. للاطلاع على الورقة الأخيرة منه، ينظر: الملحق رقم: (12)، ص: 454.

[3]- المصدر نفسه، و: 01. للاطلاع على الورقة الأولى منه، ينظر: الملحق رقم: (11)، ص: 453.

المبحث الثاني: كتاب الفرائض في شرح فرائض خليل:

من المجالات التي اهتم بها ابن مرزوق الحفيد علم الفرائض، وهو العلم الذي يتعلق بموضوع الميراث وعلاقته بالدين الإسلامي. ولكونه مالكيا حريصا على مذهبه، عمل على خدمة هذا المذهب بكل جوارحه. ونتيجة ذلك، اختار مختصر خليل وهو واحد من أهم المختصرات التي وضعت في الفقه المالكي. وجهود ابن مرزوق الحفيد في هذا المجال تنقسم إلى عمليين كبيرين في قيمتهما، متفاوتين في حجميهما. وهما، كتابي "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل"، وكتاب "شرح فرائض خليل". وخلال هذا المبحث سوف نركز على هذا الأخير بدراسة نقدية.

أولا: أهمية علم الفرائض[1] في حياة المسلمين:

علم الفرائض من أجل العلوم الإسلامية وأرفعها قدراً[2]، لأن الله تعالى هو الذي تولى قسمة الفرائض بنفسه، وأعطى كل ذي حق حقه، فأنزل في كتابه الكريم بيان ذلك، في ثلاث آيات من سورة النساء[3]، وقد بينت هذه الآيات بالتفصيل نصيب كل وارث، من النصف، الربع، الثمن، الثلثين، الثلث والسدس. وجاءت السنة النبوية المطهرة مكملة وموضحة ومبينة لما جاء بالقرآن الكريم، وحثت على تعلم هذا العلم، وحسبنا في ذلك تنويهاً بشأن هذا العلم، واستنهاضاً للهمم في دارسته قول الرسول الكريم(ﷺ) فيما رواه عنه أبو هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال

---

[1]- وأحيانا يسمى علم المواريث، لأن المواريث والفرائض لفظان مترادفان وهما عبارة عمن يرث بالفرض أو بالفرض والتعصيب. ينظر: السطى أبو عبد الله محمد بن سليمان، **شرح مختصر الحوفي**. د وتح: يحيى بوعرورو، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2009م، مج: 1، ص ص: 83-84. بن الطاهر الحبيب، **الفقه المالكي وأدلته**. بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط5، 2007م، ج: 4، ص: 300.

[2]- عن أهمية الفرائض في القرآن الكريم، ينظر: الفرضي أبو حطيم عبد الله بن إبراهيم الخبري، **كتاب التلخيص في علم الفرائض**. تح: ناصر بن فنخير الفريدي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1415هـ، ج: 1، ص ص: 41-42.

[3]- سورة النساء، الآيات: 7-14.

رسول الله (ﷺ): "تعلموا الفرائض وعلموها فإنه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي"[1].

إن للفرائض معنيين: أحدهما لغوي والثاني إصطلاحي. أما المعنى اللغوي فَرائِض (اسم)، وهي الفَرَائِضُ جمع فَرِيضَة. والفَرض عند جمهرة اللغويين تعني ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، ويكفر جاحده ويعذب تاركه. والفريضة في اللغة تعني التقدير[2]. أما اصطلاحا: الفَرِيضَةُ : ما أَوجبه الله على عِباده من حدوده التي بينها بما أمر وما نهى عنه. وفي موضوعنا تعني ما ثبت بدليل مقطوع كالكتاب والسنة والإجماع[3].

وعلم الفرائض علم يعرف به الورثة ما يستحقون من الميراث وموانعه وكيفية قسمته بينهم. وقد عرفه ابن عرفة كما يلي: "علم الفرائض قلب الفقه المتعلق بالإرث وعلم ما يوصل لمعرفة قدر ما يجب لكل ذي حق في التركة"[4]. ويعلق الحبيب بن الطاهر على هذه المسألة بالقول: "وعلم المواريث أو علم الفرائض علم قرآني، لأن القرآن ورد به، وتولى الله تعالى تقدير الفرائض وبيان أحكامها"[5]. وأصحاب الفرائض: أصحاب الفروض الورثة الذين لهم أنصبة مقدرة في القرآن أو في السنة أو بالإجماع، وهم اثنا عشر شخصا: الزوج، الزوجة، الأب، الأم، الجد الصحيح، الجدة الصحيحة، البنت، بنت الابن، الأخ للأم، الأخت الشقيقة، الأخت لأب، الأخت لأم[6]، وهذا يعني أن الغاية من هذا العلم هي إيصال كل ذي حق إلى حقه من التركة[7].

---

[1]- أخرجه ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**. تح: محمد فواد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1975م، ج: 2، ص: 908. الدارقطني علي بن عمر، **سنن الدارقطني**. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001م، ج: 3، ص: 308.

[2]- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**. تح: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، د.ت.ن، ص: 139.

[3]- المصدر نفسه، ص: 139. السطي، المصدر السابق، ص: 84-86، 91.

[4]- ابن عرفة محمد الورغمي التونسي، **المختصر الفقهي**. تص تع: حافظ عبد الرحمن محمد خير، دبي، مؤسسة خلف أحمد الحبتور، ط1، 2014م، ج: 10، ص: 521.

[5]- بن الطاهر الحبيب، المرجع السابق، ص: 300.

[6]- ابن عرفة الورغمي، **المختصر**، ج: 10، ص ص: 526-530.

[7]- الفرضي، المصدر السابق، ص: 40. بن الطاهر الحبيب، المرجع السابق، ص: 301.

وهناك من العلماء من يرى أن الفرائض جزء من علم الفقه، ولكن خصوصية مسائله وإجراءاته جعل منه يبدو علما مستقلا، وهنا نستعين بما قاله ابن عبد السلام حين قال: "علم الفرائض شريف، وهو وإن كان جزء من علم الفقه ولكنه لما امتزج الحساب[1] به في نظر الناظر، صار كأنه علم مستقل، فلذلك أفرد له العلماء تواليف"[2]. ومن أشهر صحابة الرسول (ﷺ) في علم الفرائض هم أربعة: علي بن أبي طالب، ابن عباس، زيد وبن مسعود، ولم يتفق هؤلاء في مسألة إلا ووافقتهم الأمة، وما اختلفوا إلا وقعوا فردای ثلاثة في جانب وواحد في جانب[3]. ومن بعدهم تطور هذا العلم وأخذ استقلاليته وخصوصيته، ويعلق يحيى بوعرورو محقق كتاب شرح مختصر الحوفي للسطي، على هذه المسألة بالقول: "حتى جاء عصر الأئمة المجتهدين فتوسعوا في أبحاثه ووطدوا أصوله وفرعوا فروعه، وعلم الميراث يعتبر من أبواب الفقه وغالبا ما يكون في نهاية الأبواب الفقهية، وبعض العلماء أفردوا هذا العلم بالتصنيف والترتيب"[4].

خلاصة القول، إن اهتمام المسلمين في هذا العلم مرتبط بمقتضيات الدين الحنيف ومكانته في الكتاب والسنة فضلا أهميته في تنظيم العلاقات الاجتماعية، ومن هنا جاء الاهتمام به مترادفا مع هذا التوجه، فقد كان هذا العلم ميدانا واسعا، تبارت فيه الأفهام والرؤى في تفسير الدلالات في النصوص، واستخراج المسائل وتحديد الأحكام. وفيما يخص منطقة المغرب الإسلامي فقد اهتم المغاربة بهذا العلم اهتماما كبيرا، حيث تناولوه بالتحليل والتأليف وأبدعوا في ذلك غاية الإبداع. ومنها ما هو في سياق دراستنا ، وأعني هنا كتاب "شرح فرائض خليل".

ثانيا: كتاب تقييد شرح فرائض خليل:

من الأمور التي واجهتنا في دراسة مخطوط تقييد شرح فرائض خليل، هي مسألة هل هو كتاب قائم بذاته أم أنه جزء من كتاب المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل. ومن خلال تتبع الكتابين من حيث الأسلوب وطريقة تقديم وشرح كتاب المختصر خليل

---

[1]- للاطلاع والتفاصيل عن العلوم العددية التي لها علاقة بعلم الفرائض. ينظر: السطي، المصدر السابق، ص ص: 162-172.

[2]- نقلا عن: ابن عرفة الورغمي، **المختصر**، ج: 10، ص: 522.

[3]- السلمان عبد العزيز المحمد، **الكنوز الملية في الفرائض الجلية**. د.م.ن، د.ت.ن،، ص: 4.

[4]- السطي، المصدر السابق، ج: 10، ص: 89.

من أنهما عملان مستقلان من حيث الإصدار، ولكنهما متكاملان من حيث المضمون، ولكن الأسبقية في الكتابة ترجع إلى كتاب شرح فرائض خليل، إذا ما علمنا أهمية علم الفرائض في منطقة المغرب الإسلامي فقد نال اهتماما كبيرا من قبل العلماء.

ومن هذا المنطلق، فإن ابن مرزوق الحفيد وضع تقييد في شرح فرائض خليل لما هذا الأمر من أهمية وحاجة يومية على صعيد النشاط التدريسي أو صعيد احتياج الأهالي لتفسيرات هم بحاجة إليها، وهو الفقيه المفتي الذي تشد إليه الرحال. وفي انتظار إنجاز بقية شرح خليل انطلاقا من أول أبوابه، وهي باب الطهارة. وما يؤكد ذلك، أن كتاب شرح فرائض خليل لم يكن ابن مرزوق الحفيد قد اتبع العرف المنهجي المتعارف عليه من قبل علماء عصره، وأعني أن المخطوط يفتقر إلى مقدمة تبين عنوانه ودوافع تأليفه ومصادره وغيرها من المعلومات[1]. وهو ما يؤكد وجهة نظرنا من أن ابن مرزوق الحفيد وضع في حسبانه، مسألة شرح مختصر خليل كاملا فيما بعد، بمعنى أن مشروع الشرح كان قائما، وهو ما تحقق بالفعل، حينما وضع كتاب المنزع النبيل الذي شرح فيه الطهارة في مجلدين[2].

ومن خلال ما سبق، يمكننا القول من أن كتاب شرح فرائض خليل لم يكن منتجا بمعنى المنتج الرسمي الموافق لما أنتجه ابن مرزوق الحفيد، وإنما كانت الغاية منه العمل المهني، بشقيه التدريس والإفتاء، وما يؤكد حقيقة ما نذهب إليه هو الاختلاف في ذكر الكتاب بعنوانه الصحيح، فقد أشار إليه القلصادي في رحلته، حين قال: "فقرأت عليه بعض كتابه في الفرائض"[3]، ونقل ذات الكلام ابن مريم في بستانه[4]. ولكن هناك من أشار إلى كون فكرة تكاملية الكتاب، كتابي المنزع النبيل وشرح فرائض خليل، وأعني هنا ما أشار إليه القرافي في ديباجه، حين قال: "وقد اختصر[5] من شرح ابن مرزوق لمختصر الشيخ خليل قطعة من باب

---

[1]- ينظر بداية مخطوط تقييد على شرح فرائض خليل، الملحق رقم: (13)، ص: 455.

[2]- القرافي، المصدر السابق، ص:215. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[3]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 102.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[5]- يقصد به أبا عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي الشهير بالراعي (ت: 853هـ/1450م). ينظر: القرافي، المصدر السابق، ص: 215.

القضاء إلى آخر الكتاب ووقفت على ما اختصره"[1]. وكذلك أشار التنبكتي إلى هذه التكاملية في شرح كتاب مختصر خليل، حين كتب يقول: "وأما ما لم يكتمل من تأليفه فالمتجر الربيح والسعي الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح –صحيح البخاري– وروضة الأديب في شرح التهذيب، والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل شرح منه الطهارة في مجلدين ومن الأقضية لآخره في سفرين في غاية الإتقان"[2].

والدليل على ما نذهب إليه، ما أشار إليه ابن مرزوق الحفيد نفسه في كتابه شرح فرائض خليل، حين قال: "واعلم إننا لا نحتاج إلى نسبة مسايل الفرايض من هذا الكتاب إلى غيره من الكتب كما هو دأبنا في غير هذا الباب لأن أكثر مسايل الفرائض يجمع عليها منصوصه في الكتاب والسنة"[3]. أي أن ابن مرزوق الحفيد كان يعتبر شرحه للفرائض هو جزءا مكملا لما شرحه لمختصر خليل. وهذا يدفعنا إلى القول وبحذر من أن المنزع النبيل وشرح الفرائض هما كتاب واحد. وقد تكون مسألة شروعه في شرحه باب الفرائض أولا ومن ثم شرحه باب الطهارة ثانيا، وعدم استكماله لبقية الكتاب قد أخلط الأمور، وجعل من جعل يراهما كتابين مختلفين.

ومن هنا، فإن تضارب ذكر طبيعة وشكل كتاب شرح فرائض خليل من قبل من ترجموا لابن مرزوق الحفيد هي التي تدفعنا للقول، من أن الكتاب كانت غايته مهنية بالدرجة الأولى، وأعني هنا التدريس والإفتاء. وأهمية كتاب مختصر خليل كونه المختصر الأهم في الفقه المالكي، فهو يعتبر آخر حلقة في سلسلة المختصرات لأمهات المذهب المالكي، مع رغبة ابن مرزوق في اقتحام المجالات الصعبة، هي التي حفزته على كتابة المنزع النبيل بالصورة التي تتوافق مع مقدرته العلمية وسعيه لتقديم شرحا يعكس قدرته العلمية والفقهية في خفايا المذهب المالكي. وهذا ما جعل المنزع النبيل يأخذ بعده العلمي والفقهي الصحيح، فهو كتاب متكامل الأركان من حيث المنهجية العلمية والغاية الشخصية لابن مرزوق.

---

[1]– المصدر نفسه،ص: 215.

[2]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[3]– ابن مرزوق الحفيد، **مخ تقييد على شرح فرائض خليل**، و: 3.

1. صحة عنوان المخطوط:

تذكر المصادر التي تناولت حياة ابن مرزوق الحفيد وما قدمه من أعمال على أن عنوان المخطوط هو "كتاب في الفرائض"[1]، ولكننا من خلال المخطوط وتحديدا في الصفحة الأخيرة منه المخطوط 93 يشير الناسخ إلى عنوان المخطوط تحت مسمى "**تقييد في شرح فرائض خليل**"، حين كتب يقول: "كمل تقييد شرح فرائض خليل من شرح الإمام العالم العلامة الشهير سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله"[2]، وقد يكون عدم احتواء المخطوط على مقدمة له من قبل المؤلف قد جعل البعض يخطأ في الإشارة إلى المسمى، ولكننا يجب أن نأخذ في عين الاعتبار أن الاسم الدقيق هو "تقييد في شرح فرائض خليل".

2. المنهج وأسلوب الكتابة:

إن من أهم ما يتوخى الباحث عند دراسته للعمل ما هو التعرف على المنهج المتبع من قبل المؤلف، وعند ذاك سوف يسهل عليه مسألة فهم الغايات والأهداف التي سعى إليها المؤلف، ومن ثم يتمكن من فك شفرات استخداماته الاصطلاحية واللغوية والفكرية وغيرها من الأمور التي تظهر للدارس تمكنه في عمله. ومن خلال كتاب شرح فرائض خليل نجد أن ابن مرزوق الحفيد قد اختلف عما سار عليه في بقية مؤلفاته، إذ افتقر العمل للمقدمة التي يقدم من خلالها رؤيته للكتاب ومنهجه وغير ذلك من الأمور التي اعتدنا عليها في مقدمة كل كتاب. وهذا ما جعلنا في حيص بيص من أمرنا، وفرض علينا جهدا مضاعفا لفهم أبعاد الرؤية المنهجية التي اتبعها عالمنا.

وكما هو معتاد على شيخنا ابن مرزوق في الكتابة، إذ اتبع منهجا علميا محكما، فهو لم يكتف بشرح ما قاله خليل وبيان غاياته من ذلك، وإنما على تصحيح المسائل بالاعتماد على النقل والدليل من مصادر الفقه المالكي وبقية المذاهب الأخرى[3].

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 97. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 297. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 208.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ تقييد على شرح فرائض خليل**، و: 93. للاطلاع على الورقة الأخيرة منه، ينظر: الملحق رقم: (14)، ص: 456.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ تقييد على شرح فرائض خليل**، و: 29.

على العموم، لقد استدل ابن مرزوق بالشواهد القرآنية والحديث النبوي وآراء من سبقوه في توضيح الاصطلاحات وتحديد المفاهيم الفقهية والشرعية بخصوص الفرائض وغيرها من الأمور، فهو كان يكثر من العودة إلى مؤلفات من سبقه في تناول موضوع الفرائض في كتاباتهم من أجل الاستفادة والاستئناس بما كتبوا، وذلك عبر الإتيان بالأمثلة منهم والاستناد إليه[1]، وحين يشرح مسألة يعزز ما يقول ببعض الحوادث والأخبار[2]، ومن ثم إبداء رأيه فيما كان يريد قوله، فضلا عن استدلاله ببعض القواعد الفقهية والأصولية في المذهب المالكي، ومن خارجه، فهو لم يتردد في ذكر حتى الآراء المخالفة للمذهب[3].

ولكننا، نجده يبقي على أهمية كتاب مختصر خليل، واستكماله للموضوع إن صح التعبير، بالقول: "واعلم أننا لا نحتاج إلى نسبة مسايل الفرايض من هذا الكتاب إلى غيره من الكتب كما هو دأبنا في غير هذا الباب، لأن أكثر مسايل الفرائض يجمع عليها منصوصه في الكتاب والسنة"[4]. ومن الأمور التي يمكن ملاحظتها في منهجية ابن مرزوق الحفيد في كتابه شرح فرائض خليل تمييزه لما يقوله خليل بشكل واضح ومباشر، حينما يقول (قوله) [5]، ولقوله بـ: (قلت) [6].

3. مصادر الكتاب:

اعتمد ابن مرزوق الحفيد على عدد كبير من المصادر، نذكر على سبيل المثال: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكتب الحديث الموطأ والصحاح والسنن، وكتب الفقه والتفسير وغيرها من المؤلفات الفقهية التي تخدم علم المواريث[7].

---

[1]- المصدر نفسه، و: 17، 19 ، 29، 30.

[2]- المصدر نفسه، و: 11 .

[3]- المصدر نفسه، و: 8، 23، 24.

[4]- المصدر نفسه، و: 3.

[5]- المصدر نفسه، و: 1، 3، 6، 9، 10.

[6]- المصدر نفسه، و: 2 ،4، 7، 11.

[7]- ذكرنا العديد منها في الفصليين الثالث والرابع من الدراسة.

4. القيمة العلمية للمخطوط:

عند الحديث عن هذا الكتاب، فإننا لا يمكن أن نتجاهل مسألة أهمية الكتاب مستمدة من قيمة كتاب مختصر خليل، وتتجلى قيمة المختصر فيما قاله ابن غازي: "إن مختصر الشيخ خليل بن إسحاق من أفضل نفائس الأعلاق وأحق ما رمق بالأحداق، وصرفت له همم الحذاق، إنه عظيم الجدوى، بليغ الفحوى مبين لما به الفتوى، وما هو المرجع الأقوى، قد جمع الاختصار في شدة الضبط والتهذيب، وأظهر الاقتدار في حسن المساق والترتيب، فما نسج أحد على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله"[1]. ومن هنا، فإن كتاب ابن مرزوق يعتبر موسوعة في علم الفرائض، وذلك لكونه نجح في شرح ما غمض وصعب مما ورد في شرح خليل، وذلك عبر الاستعانة بأهم الكتابات التي ظهرت من قبل وضع المختصر وبعد وضعه.

ولا يمكننا تجاهل مسألة هامة أخرى، وهي قدرة ابن مرزوق الحفيد وإمكانياته في امتلاك جميع خبايا هذا العلم، أي الفرائض، مكنته بشكل واضح من جمع أطراف هذا الموضوع الواسع والمتشعب، فقد نجح في جمع كل ما يتعلق بالمواريث من مختلف المشارب الفقهية، وهي واسعة ومتعددة. وفي ذلك، ضمَّن كتابه الكثير من الشروحات والتصويبات والاستنباط وغيرها من الأمور التي جعلت كتابه من بين الأعمال المهمة التي قدمها. وقد أشاد الكتاب بما قدمه من عمل متميز يعكس مقدرته العلمية ونبوغه في هذا الميدان، فكتب القرافي معلقا بالقول: "ووقفت على ما اختصره، وهو يدل على شرف هذا الشرح وكونه في الذروة العليا"[2]. في حين أشار التنبكتي إلى قيمة الكتاب بالقول: "ومن الأقضية لآخره في سفرين في غاية الإتقان، والتحرير والاستيفاء والتنزيل لألفاظ الكتاب والنقول لا نظير له"[3]. وهذا يذكر بصدق ما قاله القلصادي وهو يصف يصف شيخه ابن مرزوق، حين قال: "وكان له بالعلم عناية تكشف بها العماية، ودراية تعضدها الرواية، ونباهة تكسب النزاهة"[4].

---

[1]- القرافي، المصدر السابق، ص: 74.

[2]- المصدر نفسه، ص: 215.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 102.

وهكذا، نجد أن كتاب ابن مرزوق لا يخلو من التنبيهات والفروع والفوائد، إذ اهتم كثيرا بذكر الأقوال وإحالتها إلى أصحابها وتوجيهها في الاتجاه الذي يخدم الفكرة التي يعمل على تأصيلها، والتنبيه إلى ما في المذهب من آراء وشروح تخدم علم الفرائض.

5. وصف المخطوط:

النسخة التي اعتمدنا عليها في هي نسخة مصورة عن النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط قسم المحفوظات، ضمن مجموع تحت رقم: د 2833 (و235– و329)، وعدد أوراقه 48 ورقة، والنسخة عارية من ذكر الناسخ ومكان النسخ. وتبدأ بـ:"بسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على نبينا ومولانا وعلى آله وصحبه وسلم...قال الشيخ الفقيه العالم الجليل العلامة الكبير المتفنن الشهير سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله ورضى عنه ونفعنا به وجعلنا يوم القيامة نقتدوا به آمين"[1]، وآخرها: "كمل تقييد شرح فرائض خليل من شرح الإمام العالم العلامة الشهير سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله"[2].

الورقة الأولى من المخطوط ابتدئها المؤلف بالبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم"، مكتوبة على يمين الورقة وعلى يسارها فقد كتبت التصلية "صل الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله". أما فيما يخص المتن فقد كتب بخط واحد، مغربي، واضح وسهل القراءة على طريقة المصحف المغربي، حيث تُنقط الفاء من أسفل والقاف من الأعلى بنقطة واحدة. وكُتب عنوان المخطوط والعناوين الأخرى وبعض الكلمات بالمداد الأحمر أما المتن بمداد أسود، والنص خال من الزخارف سواء داخله أو خارجه.

[1]– ابن مرزوق الحفيد، **مخ تقييد على شرح فرائض خليل**، و: 1.

[2]– المصدر نفسه، و: 30. وللاطلاع على الورقة الأخيرة من الكتاب ينظر الملحق رقم: (14)، ص: 456 .

المبحث الثالث: مؤلفاته في علم الحديث

من بين العلوم الشرعية التي نالت اهتماما كبيرا من جانب ابن مرزوق الحفيد تأليفا وتدريسا هو علم الحديث، إذ قدم عددا من المؤلفات في هذا العلم، والتي تعد مبتكرة وجديد في هذا المجال، وسنقوم بدراسة كتابين منها وهما اللتان تمكنا من الحصول عليهما.

أولا: أرجوزة الحديقة:

تعد أرجوزة "الحديقة" واحدة من الأراجيز التي كتبت في علم الحديث، وهي على الرغم من صغر حجمها، إلا أنها مهمة في ميدانها، فهي تنفع الناس خير نفع في علم له من الأهمية والضرورة في حياتهم، إذ عكست الأرجوزة قدرة عالمنا في إظهار إمكانياته المنهجية والعلمية في ميدان علم الحديث، والحديقة هي الأرجوزة الصغرى التي اختصر فيها أرجوزته الكبرى والتي تعرف اختصارا بـ: "الروضة" والتي نظم فيها كتاب ابن صلاح وزاد عليه بعضا من ألفيتي ابن ليون والعراقي[1] وسماها "روضة الأعلام بعلم أنواع الحديث السام".

1. وصف المخطوط:

هي نسخة مصورة عن النسخة الأصلية المتوفرة بالخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط، ضمن مجموع يحمل رقم: 10852، وعدد أوراقها 15 ورقة أي 29 صفحة، وعدد الأبيات فيها هو 569 بيت، نسخت بتاريخ 27 رمضان 962هـ/1554م من قبل محمد بن أحمد الوفاء التلمساني، وقد نسخها لنفسه من نسخة نسخت لابن مرزوق الحفيد[2].

بدايته: "بسم الله الرحمن الرحيم فصلى الله على موكلنا محمد وآله وصحبه وسلم...قال الشيخ والإمام العالم العلامة الصدر الأوحد المؤلف الأعرف المحقق الأكمل سيدنا أبو عبد الله محمد بن مرزوق، أبقى الله بركته ونفع به بمنه وفضله آمين"[3].

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، وللاطلاع على الورقة الأخيرة من الكتاب ينظر الملحق رقم: (16)، ص:458.

[3]- المصدر نفسه، و: 1. للاطلاع على الورقة الأولى منه، ينظر: الملحق رقم: (15)، ص: 457.

ويختتم المخطوط بما يلي[1]: "صلى الله على محمد وسلما رب السموات ورب الأرض في هذا الدنيا ويوم العرض انتهت حديقة الإمام العالم العلامة فريد عصره وحيد دهره مولانا أبي عبد الله سيدنا محمد بن أحمد بن مرزوق نظر الله وجهه...نسخها كاتبها لنفسه من نسخة نسخت من نسخة المؤلف نفعه الله بالعلم وحشرنا واياه في زمرة المتقين آمين آمين آمين رب العالمين يوم 27 رمضان المعظم 962هـ، وكتب محمد بن أحمد الوفاء التلمساني، أمَّن الله روعه في الدارين وجمع شمله بجاه سيد الثقلين، والحمد الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى....خمس وثلاثون".

الورقة الأولى من المخطوط ابتدئها الناسخ بجملة غير واضحة إذ أكلتها الأرضة[2] ثم تليها البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم"، مكتوبة على يمين الورقة وعلى يسارها كتبت التصلية "صلى الله على مولانا محمد وءاله وسلم". أما فيما يخص المتن فقد كتب بخط واحد، مغربي وسط والنص مشكول. وكُتب عنوان المخطوط والعناوين الأخرى والمتن بمداد أسود، والنص خال من الزخارف سواء داخله أو خارجه[3].

وانتهى ابن مرزوق من أرجوزته سنة 822هـ/1418م بالمدينة المنورة خلال زيارته الثانية للحجاز، وهو يستدرك القول في نهاية القصيدة إلى الإشارة من أنه إن لم يبدأ بكتابتها في المدينة، فإنه متأكد من الانتهاء منها فيها ذلك العام، حيث كتب يقول: "فكملت والحمد لله على ما منَّ من أنعامه وخولا"[4]. ثم أتم القصيدة بأخر بيتين حين قال[5]:

الفَاتِحُ الثَانِي مَع العِشْرِيـــنِ بَعْدَ ثَمَـــانِ مَاَية بَقِينَا

إِن لم تَكُن بِطيبَة قَدْ نُظِمَتْ فإِنَّها لَعَلَهَا قَد انْتَهَتْ

وهذه النسخة تعتبر من النسخ القريبة إلى عهد ابن مرزوق، إذ أشار ناسخها محمد بن أحمد الوفاء التلمساني من أنه نسخها من نسخة نسخت من نسخة المؤلف، وتاريخ نسخها يؤكد

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 29.

[2]- المصدر نفسه، و: 19، 20، 23، 24، 25.

[3]- ورق المخطوط في حالة يرثى لها إذ أكلت الأرضة جوانبه كلها، يقع في 15 ورقة وجه وظهر أي 29 صفحة، ذات حجم مستطيل، وورقاته كاملة ذات لون أصفر. وعدد أسطر ورقات المخطوط كل واحدة منه ما بين واحد وعشرين إلى ثلاثة وعشرين (21-23) سطرا. أما عدد الكلمات فتراوح ما بين خمس عشرة إلى سبع عشرة كلمة في السطر الواحد. ولتسهيل ترقيم المخطوط كتبت أرقامه بقلم رصاص من قبل أصحاب الحفظ، والأوراق كلها مرقمة ترقيما تسلسليا.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 28.

[5]- المصدر نفسه، و: 28.

ذلك، وهو في يوم 27 رمضان المعظم 962هـ الموافق 14 أوت 1554م. وهي اختصار للأرجوزته الكبرى الروضة، وفي هذا يقول ابن مرزوق:

فِيهَا غَرَسْتُ رَوْضَتِي لما يَنَعَتْ ثُمَّ انْتَقَيتُ هَـذِهِ الحَديقَة

فَهيَ حَدِيقةُ العُلُومِ الفَاخِـرَةِ يُجْنَى بِهَا من ثَمَرَاتِ الآخِرَةِ[1]

2. صحة عنوان المخطوط ونسبه اليه:

أ. صحة عنوان المخطوط:

من خلال مقدمة الأرجوزة نجد أن ابن مرزوق يذكر عنوانها "الحديقة"[2]. ولكن على ما يبدو أن القائمين على شؤون المخطوط في المكتبة الوطنية المغربية أصابهم اللبس في التسمية، وذلك حينما كتبوا العنوان بالشكل الآتي: "حديقة العلوم الفاخرة"، وذلك من وحي القراءة الخاطئة لما ورد في نص الأرجوزة والخلط بين الاسم والغاية التي أشار إليهما ابن مرزوق فيها، قائلا[3]:

فِيهَا غَرَسْتُ رَوْضَتِي الأَنِيقَة ثُمَّ انْتَقَيتُ هَـذِهِ الحَديقَة

فَهيَ حَدِيقةُ العُلُومِ الفَاخِـرَةِ يُجْنَى بِهَا من ثَمَرَاتِ الآخِرَةِ

وتأكيدا على ما ذهبنا إليه، هو ذكر عنوان الحديقة في التراجم التي ترجمت لابن مرزوق الحفيد، إذ أشار السخاوي إلى أنها الحديقة، حين قال: "ورجز في علوم الحديث سماه الروضة واختصره في رجز أيضا وسماه الحديقة"[4]. بينما أشار إليها البلوي في ثبته قائلا: "وله تصانيف عديدة مفيدة، نظما ونثرا، فمن منظوماته: الروضة المذكورة والحديقة مختصر منها"[5]. أما القرافي فقد أكد هو الآخر على صحة عنوان المخطوط، حين قال: "ورجز في علوم الحديث سماه الروضة واختصره في رجز أيضا سماه الحديقة"[6]، في حين ذكرها ابن مريم: "ورجزان في علم الحديث الكبير

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 1.

[2]- المصدر نفسه، و: 1.

[3]- المصدر نفسه، و: 1.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50.

[5]- البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

[6]- القرافي، المصدر السابق، ص: 154.

الكبير سماه الروضة جمع فيه بين ألفيتي ابن ليون والعراقي واختصاره سماه الحديقة"[1]. وأشار إلى ذات العنوان التنبكتي ولكنه زاد معلومة جديدة لم ترد عند من سبقه ممن ترجموا لابن مرزوق بخصوص أن الحديقة هي اختصار لألفية العراقي، حين قال: "ورجزان في علوم الحديث الكبير سماه الروضة جمع فيه بين ألفيتي ابن ليون والعراقي ومختصر الحديقة اختصر فيه ألفية العراقي"[2]؛ وأكد المقري على أن عنوان الأرجوزة هو الحديقة، حين أشار إليه قائلا: "ومن علم الحديث أجوزته الحديقة"[3].

ومن خلال ما سبق، نجد إجماعا ممن ترجموا لابن مرزوق على أن عنوان الرجز هو "الحديقة" بما لا يقبل الشك، وأنهم متفقون على أنها اختصار لأرجوزة الروضة. ولابد من الإشارة هنا، إلى مسألة هامة تنطبق على جميع مؤلفات ابن مرزوق الحفيد وليس الحديقة فحسب، هو المقدرة العالية لابن مرزوق في اختيار عناوين مؤلفاته، إذ أننا نجده عناوين مؤلفاته شاملة وجامعة لفكرة الموضوع، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن طريقته ومنهجيته في التأليف فيها من التميز والراقي الكثير. وتعلق صباح مجاهدي في تحقيقها لكتابه المفاتيح المرزوقية على هذه الخاصية بالقول: "فعنوان الكتاب كان جامعا مانعا من خلال مفرداته الموحية والدالة دلالة صريحة على مضمون الكتاب"[4]. وفي الحديقة يظهر هذه المقدرة في الإبداع حينما يقدم لنا الروضة ليجتز منها الأحسن ويضعه في الحديقة.

ب. نسبة المخطوط للمؤلف:

إن مسألة نسبة أرجوزة الحديقة إلى ابن مرزوق الحفيد هي أكيدة، وهذا يتجلى في ذكر الناسخ لها عند انتهائه من كتابتها، حين قال: "صلى الله على محمد وسلما رب السموات ورب الأرض في هذا الدنيا ويوم العرض، انتهت حديقة الإمام العالم العلامة فريد عصره وحيد دهره

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

[3]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 7، ص: 424.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 40.

مولانا أبي عبد الله سيدنا محمد بن أحمد بن مرزوق نظر الله وجهه"[1]. وكذلك ما قاله ابن مرزوق الحفيد في مقدمة الأرجوزة، حين قال[2]:

يقول راجي العفو وهو موقن محمد بن أحمد بن مرزوق

بالإضافة إلى هذا وذاك، فإن كتب التراجم التي ترجمت لابن مرزوق الحفيد أجمعت على أنها من تأليفه، حينما ذكرت في باب أعماله ومؤلفاته[3].

3. دوافع التأليف:

ولعل اسمها يدل على الغرض الذي كتبت من أجله، فهي تغني طالب العلم والراغب بالمعارف عن الكثير فيما إذا أراد الاطلاع على ماهية علم الحديث، والإلمام بمضامينه وفروعه المتعددة، وفي هذا يقول ابن مرزوق في حديقته قائلا[4]:

الحَمْـــــــدُ لله مُنيلُ المنة بأن هَدَانَا لِعُلـــــومِ السُّنَةِ
صلي عَلى صَاحِبِهَا وسلما وصحبهِ والتَّابِعِينَ لـه وَسَلَمَا
فإنَّها مرقى الوَرَى إلى الزلف والعِصمة المنجى له في التَّلَف

كما أنه ألفها ليختصر بها منظومته "روضة الإعلام" أو "الروضة الكبرى" لمن أراد الاختصار فيقرأها وينتفع بها، لأنه قلل من الأمثلة فيها عكس الروضة، وجاءت كلماتها سهلة ممتعة وسريعة الحفظ. وهو ما صرح به بنفسه في حديقته:

فَمَنْ لَه عَلَى الكَثِيرْ الاقْتِراح فَلْيَقصِد الرَّوضَةَ إِذْ فِيهَا انْشِرَاحْ
وَمَن يَمِلْ بطَبْعِهِ للاخْتِصَارِ يَكُـــن لَهُ عَلَى الحَدِيقة اقْتصَارْ

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 29.

[2]- المصدر نفسه، و: 1.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50. البلوي، المصدر السابق، ص: 293. القرافي، المصدر السابق، ص: 154. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506. المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 424.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، ورقة: 1.

4. منهجه:

إن البحث في منهج المؤلف من أهم ما يتوخاه الباحث الدارس لأي عمل كتبه غييره، خاصة إذا كان للكاتب أكثر من مؤلف واحد، وهو ما ينطبق على شيخنا ابن مرزوق الحفيد، والأهمية هنا، تكمن فيما إذا عرف منهج المؤلف سهل عليه فهم نصوصه ومعرفة مظانه، ومن ثم يتمكن من معرفة دلالة مصطلحاته وغاياتها. ومن هذا المنطلق، حاولت الكشف عن منهج ابن مرزوق الحفيد من خلال أرجوزة الحديقة لعلي أوفق في غرضي هذا وأقدم قراءة موفقه في منهجه.

لقد بدأ ابن مرزوق الحفيد رجزه بمقدمة عرف فيها بالمؤلف والمؤلَف والغاية من التأليف، ويظهر من المقدمة أنه كان حريصا على بيان أهمية علم الحديث في حياة المسلم، وفي ذات الوقت، أراد إبراز قيمة وأهمية الأرجوزة الأم أي الكبرى، التي اختصر منها رجز الحديقة. لذا حاول أن يقدم لنا باختصار ما تضمنته من شمائل ومحاسن تفقه الناس في علم الحديث، لاسيما وأنها اختصار لاثنين من أهم ما كتب في هذا العلم، ألفيتي ابن ليون والعراقي. ومن شدة الاهتمام بروضته قرر اختصارها والتسهيل على من يريد الاطلاع عليها بسير ودون إطالة. مؤكدا على أهمية الاطلاع عليها إن كانت مختصرة أم بأكملها، وفي هذا يقول[1]:

الحَمْـــــــدُ لله مُنيلُ المنة	بأن هَدَانَا لِعُلـــــومِ السُّنَـةِ
صلي عَلى صَاحِبِهَا وسلما	وصحبهِ والتَّابِعِينَ لـه وَسَلَمَـا
فإنَّها مرقى الوَرَى إلى الزلف	والعِصمة المنجى له في التَّلَف
فِيهَا غَرَسْتُ رَوْضَتِي الأَنِيقَة	ثُمَّ انْتَقَيتُ هَـذِهِ الحَديقَـــة
فَهيَ حَدِيقةُ العُلُومِ الفَاخِـرَةِ	يُجْنَى بِهَا من ثَمَرَاتِ الآخِـــرَةِ

ولأجل تسهيل الاطلاع على الأرجوزة، قام ابن مرزوق الحفيد بتقسيمها إلى عدة أجزاء، وكل عنوان كان يعني حالة معينة مستقلة بذاتها إلا أنها في النهاية تشكل السياق العام للأرجوزة. وهذه الأجزاء كانت تحت العناوين التالية:

1. علم الحديث وأقسامه.

[1] – ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 1.

2. الكتب والضبط[1].
3. من علم الحديث وأقسامه وما يتعلق بذلك[2].
4. المرفوع والمسند والمتصل والموقوف والمقطوع.
5. المرسل والمنقطع والمفصل والعنعنة.
6. التدليس والشاذ والمنكر والإفراج وزيادة الثقة.
7. المعلل والمضطر والمروج والموضوع والمقلوب.
8. من يقبل أو يرد[3].
9. صفة الرواية[4].
10. آداب المحدث والطالب[5].
11. غريب لفظ الحديث وناسخه وتصحيفا ومختلفه وخفي الإرسال فريد الإسناد.
12. معرفة الصحابة (ﷺ).
13. الغريب والعزيز والمشهور والمسلسل.
14. الإخوة والأخوات والسابق واللاحق ومن لم يروي عنه إلا واحد.
15. معرفة التابعين ورواية الكبير عن الصغير.
16. المؤتلف والمختلف.
17. من له نعوت ومفرد العلم والأسماء والكنى والألقاب[6].
18. المتفق والمختلف والمعترف.
19. مركب المتشابه ومقلوبه والنسب لغير الأب والخلاف الظاهر والمبهم[7].
20. المواليد والوفيات.
21. الثقات والضعفاء والمخلطين والطبقات.

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 2.
[2]- المصدر نفسه، و: 4.
[3]- المصدر نفسه، وو: 5-9.
[4]- المصدر نفسه، و: 16.
[5]- المصدر نفسه، و: 17.
[6]- المصدر نفسه، وو: 19-24.
[7]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، و: 25.

22. والطبقات للرواة تعريف بالسن والأخذ وفيما صنفوا الموالى والأوطان والبلدان[1].

واندرج تحت كل عنوان من العناوين الاثنين والعشرين عدد من الأبيات الشعرية التي تشرح مضمون العنوان والغاية منه. وكان للجزء الذي خص عنوان (من يقبل أو يرد) العدد الأكبر من الأبيات التي بلغت (132) بيتا، وهو أمر طبيعي أن يحظى هكذا موضوع باهتمام ابن مرزوق الحفيد، لكون موضوع القبول والرد من أهم القضايا التي تطرح في علم الحديث، وهنا يؤكد ابن مرزوق الحفيد مرة أخرى علو كعبه في هذا الميدان ومقدرته، ومن بين ما قاله[2]:

وصف الذي يقبل عدل ضابط ينضاف حافظ وهو ضابـــط
من كان من حفظ يحدث ومن يروي من الكتاب المؤتمـــــن
وعالـــــــــم معاني الألفاظ أن يروي بالمعنى إلى الحفـــاظ
والعدل والإسلام والعقل وقـــد بلغ ذو مبردة .... [3] فقـــــد
زكاة عدلان وعدل الواحـــــد او جرحه صح خلاف الشاهد
مشتهر التعديل لا يزكـــــــى وحامل العلم لبعض يحكـــى

5. مصادره:

ونظرا لكون أرجوزة الحديقة هي اختصار لأرجوزة أكبر منها، فإن المصادر التي استند عليها ابن مرزوق في كتابة الأرجوزة هي ذاتها التي اعتمد عليها في الروضة. وفي مقدمتها نظم ابن صلاح وألفيتي الزين العراقي وابن ليون، ومقدمة ابن صلاح والإلماع للقاضي عياض[4].

6. قيمته العلمية:

مما لاشك فيه أن هذه الأرجوزة لها مكانتها وقيمتها بين المصنفات التي ألفت في علم الحديث، إذ كان هذا الرجز عملا يؤكد مرة أخرى علو كعب ابن مرزوق الحفيد في زمانه، ويؤكد

---

[1]- المصدر نفسه، وو: 26-28.

[2]- المصدر نفسه، و: 5.

[3]- الكلمة غير واضحة.

[4]- للتفاصيل ينظر: دراسة كتاب روضة الإعلام في الفصل السادس.

أن ما وصف به من صفات تنطبق عليه تماما. إذ تمكن من كتابة هذا الرجز بفنيات عالية وقدرات مميزة، إذ امتاز بجزالة اللفظ وسهولة المعنى وانتقاء العبارات وسلاسة الأسلوب وبراعة النظم وبلاغته، وهذا من حيث الألفاظ وتراكيبها. وأما من حيث موضوعه فقد امتاز ابن مرزوق باستيعاب مسائل علم الحديث أصولا وفروعا مقيسا وشاذا. والأكثر من هذا، فإن ما ذكرناه من مميزات امتاز بها العمل يضاف إليه قدرته على الاختصار وتمكنه من ذلك.

إن عملا بهذا المستوى من الرقي والاستيعاب، حينما نتتبع الآلية التي قسم فيها ابن مرزوق الحفيد للرجز تدل دلالة تامة عن وعيه ودرايته وتمكنه في علم الحديث، فهو حينما يفرز، على سبيل المثال، بين الثقات من رواة والضعفاء والمخلطين والطبقات، فهو على تصور تمام واطلاع بطبقات الرواة، الذين حددهم من التعريف بهم بالسن والأخذ[1]. لقد أجاد من خلال هذا الرجز وأبان عن قدرته في جمع أطراف الموضوع، بالرغم من شساعته وتشعبه، وجمعه من مظانه المختلفة والمتفرقة حيث جمع أطراف العلم بدءا من أقسامه وضبطه وأصوله وصورة المحدث وصفاته وغيرها من الأمور. وهكذا أجاد ابن مرزوق الحفيد وأعطى إضافة جديدة في علم الحديث يكمل بها إضافاته الأخرى.

ثانيا: كتاب نور اليقين في شرح حديث أولياء الله الصالحين

لما كان علم الحديث رواية ودراية من أجل العلوم الشرعية قدرا، وأعظمها شرفا وفخرا، فقد حظي هذا العلم باهتمام العديد من العلماء حفظا وشرحا وتدريسا وتعليقا، إذ أن أحاديث الرسول محمد (ﷺ) لها أهمية كبرى في في حياة المسلم، تكتسبها من طبيعة علاقتها بالنص القرآني من جهة، ومن جهة أخرى من حيث قيمتها في ذاتها باعتبارها منهج حياة لمن يريد الالتزام والطريق القويم. ومن هنا، ومن خلال دراستنا لآثار ابن مرزوق الحفيد، نجد اهتمامه الكبير بعلم الحديث، وخير دليل على ذلك، هو مجموع ما ألفه في هذا العلم الشريف[2]، ولا يخرج كتاب نور اليقين في شرح حديث أولياء الله الصالحين عن هذا المسار الذي اختطه عالمنا لنفسه. ومن خلال هذا المبحث سنحاول تقديم قراءة مركزة للمخطوط وبيان أهم ما فيه من مكامن البيان وشمائل ومحاسن العلم.

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ الحديقة**، وو: 27-28.

[2]- انظر الفصل السابق والفصل الحالي.

1. وصف المخطوط:

وهي نسخة متوفرة في مكتبة المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، ومصنفة تحت الرقم التسلسلي: 153/80، وعدد أوراقها بلغ 49 ورقة، في حين عدد أسطر الورقة الواحدة 25 سطر، ومتوسط كلمات السطر هو 15 كلمة، وكتب المخطوط بخط المغربي مقروء وواضح الكلمات، بالإضافة إلى ذلك وضعية المخطوط جيدة مما سهل من مهمتنا في القراءة والتمحيص. واستخدم الحبر الأسود والأحمر في عملية النسخ. وتم الانتهاء من نسخها أواخر شهر رمضان عام 898هـ/1492م، ولم يذكر اسم الناسخ واكتفى بالإشارة إلى نفسه إبهاما: "على يدي" لعل الورقة الأخيرة مبتورة[1].

والنسخة هذه تبدأ: "بسم الله الرحمن الرحيم...وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما...قال الشيخ الفقيه الإمام المتفنن العلامة الناسخ الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني رحمه الله تعالى"[2]. ولابد من الإشارة هنا، إلى أننا لم نجد في كل المخطوطات الخاصة بابن مرزوق الحفيد التي اطلعنا عليها خلال فترة البحث، تشير إلى اسمه بهذا التفصيل والتحديد الدقيق. وعلى ما يبدو لي، أن ناسخ المخطوط كتب اسمه كاملا لعدة أسباب، منها: التفريق وإبعاد شبهة الالتباس على من يطلع على مخطوطاته نتيجة تشابه الأسماء بين أبناء البيت المرزوقي، إذ كان هذا البيت قد جاد ويجود بأعلام كبار. بينما كانت نهاية المخطوط: "وكمل بحمد الله ومنته والصلاة على سيدنا محمد وآله وأزواجه وذريته وكان الفراغ من نسخه في أواخر شهر رمضان المعظم عام ثمانية وتسعين وثماني ماية على يدي"[3].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 49.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 1. للاطلاع على الورقة الأولى، ينظر: الملحق رقم: (17)، ص: 459.

[3]- المصدر نفسه، و: 49. للاطلاع على الورقة الأخيرة، ينظر: الملحق رقم: (18)، ص:460.

2. صحة عنوان المخطوط ونسبته لمؤلفه:

إن صحة عنوان الكتاب نور اليقين في معرفة أولياء الله الصالحين ونسبته للشيخ ابن مرزوق الحفيد قد أكده عدد من الدلائل والقرائن التي لا يمكننا بعد الاطلاع عليها من قول عكس ذلك، وهي:

- اسم المؤلف قد كتب في الورقة الأولى من المخطوط: "قال الشيخ الفقيه الإمام المتفنن العلامة الناسخ الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني رحمه الله تعالى"[1].
- الإشارة إلى عنوان الكتاب في المقدمة التي كتبها ابن مرزوق للكتاب، حين يقول: "وسميته بنور اليقين في شرح حديث أولياء الله الصالحين"[2].
- اتفق جميع من ترجموا لابن مرزوق على نسبة هذا الكتاب له، إذ أشار إليه السخاوي قائلا: "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين تكلم فيه على رجال المقامات كالنقباء والنجباء والبدلاء"[3]. وذات الكلام كرره القرافي في كتابه من دون تغير[4]. في حين أشار ابن مريم إليه بالقول: "ونور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين تأليف ألفه في شأن البدلاء تكلم فيه على حديث في أول حلية أبي نعيم"[5]، وأخذ عنه التنبكتي ذات الكلام[6]، في حين أشار المقري إلى كلمة (نور) بصيغة الجمع، حين قال: "أنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"[7]. في حين ذكره كل من البلوي والكتاني بـ: "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"[8]. مما سبق، يتضح لنا أن

---

[1]- المصدر نفسه، و: 1.

[2]- المصدر نفسه، و: 2.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج:7، ص ص : 50-51.

[4]- القرافي، **توشيح الديباج**، ص: 154.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[6]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507.

[7]- المقري، **نفح الطيب**، ج: 5، ص: 249.

[8]- البلوي، **الثبت**، ص: 293. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج:1، ص: 525.

نسبة الكتاب إلى ابن مرزوق الحفيد لا غبار ولا خلاف عليها، فالإجماع حاصل في كتب من ترجموا له، فضلا عما ورد في الكتاب ذاته من إشارات تؤكد ذلك.

3. دوافع التأليف:

لقد حدد ابن مرزوق الحفيد دوافع تأليف كتابه من خلال المقدمة التي وضعها، وهي تتمحور في الأمور التالية:

- بيان أهمية المعارف في حياة الإنسان بعد أن من الله عليه بذلك، ولاسيما الأولياء منهم، حيث يقول: "الحمد لله الذي من على الإنسان بمزايا المعارف والإحسان واختص أولياءه بالتوكل إليه بشواهد الامتنان"[1].
- إظهار أهمية علم الحديث وضرورة معرفته بالنسبة للمسلم العالم والبسيط، إذ ذكر ابن مرزوق الحفيد حديث رسول الله (ﷺ) بخصوص أهمية التمسك بالكتاب والسنة، حين قال: "كتاب الله وسنة نبيه المقول فيهما تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما[2] بهما[2] سلك الله بنا صراطهما المستقيم نهجهما المبين القويم". وهو القائل أيضا في مقدمة شرحه للحديث: "اعلم وفقنا الله أن علم الحديث علم لا يرد شارحه ولا يضاهى إذ ذكر من فضائله بعض ما يحضرني في ذلك وكفى حديث المصطفى شرفا وقد دل على فضله الكتاب والسنة وإجماع الأمة"[3].
- أهمية الحديث موضوع الشرح، واستشكال فهمه من قبل علماء عصره، وفي ذلك كتب يقول: "ولما جرى في بعض المجالس المعدة لقراءة الحديث رسول الله (ﷺ)حديث تقصر الأفهام عن إدراك ما دونه، وتقف عند لفظه فحول العلماء ولا يعدونه".
- كما شكلت الرغبة العلمية لدى ابن مرزوق في تقديم عمل مميز يضعه في مصاف من ساهموا في الارتقاء بعلم الحديث دافعا في كتابة هذا الشرح، حين قال: "وكنت ممن بلغه خبره (أي الحديث) فأظهرت ما سنح به الخاطر من فوايده"[4].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 1.

[2]- يقصد به الحديث الآتي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرّقا حتى يردا على الحوض". أخرجه مالك مرسلاً، والحاكم مسنداً وصححه. ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**. الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص ص: 30-31.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 1.

[4]- المصدر نفسه، و: 2.

- أراد من خلال التأليف التقرب إلى الله تعالى زلفى ، وهو الذي ختم حديثه في مقدمة الكتاب، بالقول: "وإلى الله أرغب في التوفيق في القول والعمل والعصمة من الخطأ والزلل إنه ولي التوفيق والهداية إلى سواء الطريق"[1].

4. المنهجية وأسلوب الكتابة:

عند الحديث عن منهجية وأسلوب الكتابة الذي اتبعه ابن مرزوق الحفيد في شرحه لكتاب: "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"[2] يتطلب منا الإشارة أولا إلى مصداقية الكاتب حينما يتعامل مع المصادر ومسألة الاطلاع عليها، وكم نحن بحاجة إليها في زماننا هذا، فقد أشار ابن مرزوق الحفيد إلى أنه لم يطلع على الحديث من كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء بشكل مباشر، إنما اطلع عليه بطريقة غير مباشرة عبر من يوثق به، وجاء هذا التنبيه في نهاية الشرح، حين قال: "وهذا آخر ما قصدنا ذكره في شرح هذا الحديث الكريم مع أننا لم نطلع على نصه في أصل الحلية كما تقدم وإنما نقلناه من خط من يوثق به"[3].

على العموم، تضمن الكتاب مقدمة عامة لخص من خلالها الغاية والهدف من وراء تأليفه وعنوانه، في حين قسم ابن مرزوق الحفيد شرحه للحديث إلى ثلاث أقسام: المقدمة، الواسطة والخاتمة، ففي المقدمة التي قسمها هي الأخرى إلى فصلين، الأول تحت مسمى: (علم الحديث)، وفيه تناول بالحديث عن أهمية العلم ومكانته في نفوس المسلمين، وضرورية تعلمه وتعليمه من

---

[1]- المصدر نفسه، و: 2.

[2]- نص الحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْخَلْقِ ثَلاثمِائَةٍ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلِلَّهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ أَرْبَعِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام، وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ سَبْعَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَلِلَّهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ خَمْسَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام، وَلِلَّهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ ثَلاثَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مِيكَائِيلَ، وَلِلَّهِ فِي الْخَلْقِ وَاحِدًا قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ. فَإِذَا مَاتَ وَاحِدٌ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاثَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاثَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الْخَمْسَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الْخَمْسَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ السَّبْعَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ السَّبْعَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الأَرْبَعِينَ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الأَرْبَعِينَ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاثمِائَةِ. فَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاثمِائَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِنَ الْعَامَّةِ. فَبِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمْطِرُ وَيُقِيتُ وَيَدْفَعُ الْبَلاءَ"، قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: كَيْفَ بِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيتُ؟ قَالَ: لأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِكْثَارَ الأُمَمِ فَيَكْثُرُونَ، وَيَدْعُونَ عَلَى الْجَبَابِرَةِ فَيُقْصَمُونَ، وَيُسْتَسْقَوْنَ فَيُسْقَوْنَ، وَيَسْأَلُونَ فَيُنْبَتُ لَهُمُ الأَرْضُ، وَيَدْعُونَ فَيُدْفَعُ بِهِمْ أَنْوَاعُ الْبَلاءِ. ينظر: الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج: 1، ص ص: 8-9.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 49.

خلال الاستعانة بما ورد من أحاديث نقلها عن علماء ثقاة، والذي بدءه بالقول: "أعلم وقفنا الله أن علم الحديث علم لا يدرك شأوه ولا يضاهى"[1].

أما الفصل الثاني من المقدمة، الذي حمل مسمى (فيما يحتاج طالب الحديث إلى معرفته) حرص من خلاله على تقديم شرح ملخص عن ألقاب الحديث، والتي أشار إلى ثلاثين منها، وذكر من أنها أكثر من ذلك ولكنه اقتصر على المشهور منها، وأشار على من يريد الاطلاع عليها كلها بالعودة إلى قصيدة أبي العباس بن فرج الإشبيلي[2] نزيل دمشق، بالقول: "هذا وقد بقيت ألقاب كثيرة غير أن ما ذكرناه هو المشهور المتداول على ألسنتهم ولا بد لطالب الحديث من معرفة هذه الألقاب وقد جمعها الإمام أبو العباس فرج الإشبيلي نزيل دمشق في أبيات له[3] وأحسن فيها وهي قصيدة مشهورة"[4]، وذكرها جميعها باختصار مستعينا بالأسانيد والدلائل في تدعيم رائيه في ذلك. كما أشار إلى أهمية الإسناد وأنواع الأحاديث ونقلته، وختم حديثه بالإشارة إلى مكانة أبي نعيم الأصفهاني صاحب الحديث المشروح حين قال: "وإن الحافظ أبا نعيم من الطبقة الأولى الذين هم حجة على من خالفهم ويقبل انفرادهم فهو إذ لا يخرج عن كونه حجة"[5].

أما الواسطة فقد خصصها لشرح الحديث الشريف، وبعد ذكره للحديث كاملا، تعامل مع نصه عبر تبويبه تبويبا تدريجيا، ويقدم شرحه مدعما بالأمثلة والتنبيهات والتشبيهات بما يجعل الغاية من الشرح واضحة وبينه. وقد اجتهد ابن مرزوق كثيرا في شرح الحديث إلا انه استند على من

---

[1]- المصدر نفسه ، و: 2.

[2]- **أبو العباس بن فرح اللخمي الإشبيلي**: شهاب الدين أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد الشافعي، ولد في إشبيلية سنة 625 هـ/1227 م ونشأ وترعرع فيها، ثم هاجر إلى القاهرة ومنها إلى دمشق واستقر فيها. وهو فقيه شافعي ومن علماء الحديث النبوي، وله ثلاث مؤلفات، هي: شرح الأربعين للنووي، مختصر خلافيات البيهقي في الخلاف بين الحنفية والشافعية وأشهرها، منظومة القصيدة الغرامية في ألقاب الحديثK)وتوفي في دمشق سنة 699هـ/1300م. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج: 1، ص ص: 194-195.

[3]- وهي القصيدة الغرامية في ألقاب الحديث قصيدة غزلية رائعة وشيقة، ليسهل على الطلاب حفظها بطريقة سلسلة وسهلة . وتعد بحق من أعجب القصائد وأنفسها، فقد اعتنى بها كثير من العلماء فشرحوها ودرسوها وأفردوا شرحها في مصنفات كثيرة، قال المقري:" وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم. ويقول في مطلعها:

غَرَامِي صَحِيحٌ وَالرَّجَا فِيكَ مُعْضَلُ وَحُزْنِي وَدَمْعِي مُرْسَلٌ وَمُسَلْسَلُ

وَصَبْرِيَ عَنْكُمْ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ وَذُلِّيَ أَجْمَلُ

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، وو: 5-6.

[5]- المصدر نفسه، و: 8.

سبقوه في هذا العلم وخفاياه، ومن هنا نجد تنوعا في الآراء ووجهات النظر، ولكنه بخبرته وقدراته يسوق الحجة والرأي إلى ما كان يريد والغاية التي ينشد. وليفصل بين كلام الرسول (ﷺ) وكلامه، حدد كلمة (قوله) لحديث الرسول (ﷺ)، في حينما يكون كلامه كلمة (أقول) أو (قلت)، وكان ينتقل انتقالا سلسلا بين فقرات الحديث حتى استكماله.

بينما تضمنت الخاتمة هي الأخرى فصلين، خصص الأول منها بالحديث عن: إثبات الكرامة والفرق بينها وبين المعجزة. وكتب في مستهله قائلا: "اعلم أنه ربما يخطر ببال أن ما تقدم في الحديث المذكور في اتصاف بعض الخلق من البشر بصفات النبوءة إنما يستقيم على تقدير ثبوت الكرامة وهو أمر مختلف فيه"[1]. أما الفصل الثاني من المقدمة، فقد جاء في تفضيل الأنبياء على الملائكة، وكتب في بدايته يقول: "لعل أيضاً تتشوف إلى ذلك لما أوهمه ظاهر الحديث عن العكس وإن كنا قد أزلناه"[2].

ومن خلال ما تم عرضه بخصوص منهجية ابن مرزوق في هذا الكتاب، يمكننا تسجل بعض الملاحظات العامة حولها، وهي:

- استدلال ابن مرزوق الحفيد من الكتاب والسنة النبوية في تعضيد ما يذهب إليه من آراء والأمثلة في الكتاب كثيرة.
- اهتم أيضا بذكر الأقوال وعزوها وتوجيهها لأصحابها، وكان لا يتوانى في ذكر أكثر من آية وحديث شريف وأقوال وأبيات شعرية من أجل تثبيت فكرة أو توضيحها[3].
- اشتمل الكتاب على عدد من التنبيهات والتشبيهات بما يساعد على إيصال الفكرة والغاية منها [4].
- كان يفصل بين كلامه وكلام من يستعين به، ذلك بوضع كلمة (انتهى) [5].

---

[1]- المصدر نفسه، و: 47.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 48.

[3]- المصدر نفسه، و: 14، 22، 32.

[4]- المصدر نفسه، و: 6،9،11، 19،25، 29، 41.

[5]- المصدر نفسه، و: 8 ،18

- لم يكن ابن مرزوق الحفيد متزمتاً بآرائه أو قطعيا وإنما على العكس حرص كل الحرص في عدم الاستعجال في إطلاق الأحكام، ويستخدم المفردات ذات الوقع الهادي وليس المفردات التي قد تحدث ردات فعل سلبية من المتلقي[1].
- كما جاءت لغته لغة مبسطة ومسترسلة من دون أن نجد فيها أي تكليف، وهذه هي عادته في جميع كتاباته، فهو لا يستعمل الصعب والثقيل من الكلم فالغاية التي يسعى إليها هو التخفيف والتسهيل. ومن هنا، امتازت كتاباته بالسهولة والبساطة ولكنها تعكس في كوامنها قوة التعبير ورصانة الأسلوب. واستعان بآراء النحويين والبيانيين وساق الأمثلة كما هو الحال في موضوع الفصل والوصل[2].

5. مصادره:

اعتمد ابن مرزوق الحفيد خلال عملية شرحه في كتاب (نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين) على عدد كبير من المصادر التي تنوعت اختصاصاتها وتعدد مشاربها، وأصحابها ممن يشهد لهم بالتميز والرقي كل حسب اختصاصه، ونذكر منها:

1. القرآن الكريم.
2. الحديث النبوي الشريف.
3. كتب الحديث على اختلاف اختصاصاتها:

- معالم السنن (شرح سنن أبي داود) لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطاب. والشهير بـ "الخطابي".
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.
- تقييد المهمل وتمييز المشكل لأبي علي الحسين بن محمد الغساني.
- المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج لمحي الدين يحي بن شرف النووي.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد عبد البر القرطبي الأندلسي.

---

[1]- المصدر نفسه، و: 12.

[2]- المصدر نفسه، و: 22.

- إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم) لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري.
- مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن سلام القضاعي.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي.
- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد القزويني.
- صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- الأربعين في الحديث لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي.
- المسند لأحمد بن حنبل.
- سنن الترمذي (الجامع الكبير) للترمذي.
- كتاب الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ "الخطيب البغدادي".
- مقدمة ابن صلاح (معرفة أنواع الحديث) لأبي عمرو عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الشهير بـ "ابن صلاح".
- غريب الحديث لابن قتيبة .
- المغازي لأحمد بن إسحاق.

4. كتب اللغة والنحو:

- تفسير الكشاف عن الحقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.
- صحاح تاج اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري.

5. الشعر:

- الشاعر زهير بن أبي سلمى.
- الشاعر امرؤ القيس.
- الشاعر أبو العباس بن فرج الاشبيلي.
- الشاعر اليزيدي

6. الأقوال المأثورة:

- الحجاج بن يوسف الثقفي.
- أبو موسى الأشعري.
- أحمد بن حنبل.
- الدار قطني

6. القيمة العلمية المخطوط:

فيما يخص القيمة العلمية للكتاب أظهر ابن مرزوق الحفيد من خلاله معرفته وإلمامه بخبايا علم الحديث، ويمكننا القول أنه على معرفة كبرى به جرحا وتعديلا، واضطرابا وتعليلا، صحة وسقما. وكيف لا، وهو الذي يجمع حول المخالف والموافق على مكانته ومساهمته في علم الحديث، فهو نشر من أقسام علم الحديث تدريسا وتصنيفا وتشجيعا وتعليقا ما عجز عنه غيره، وفي ذلك تشهد تصانيفه على تميزه ومكانته. كما نتمثل من خلال الكتاب شجاعة ابن مرزوق الحفيد على الإقدام على شرح واحد من أهم الأحاديث الشريفة التي اثارت جدلا وإشكالا لدى جمع من العلماء، ولاسيما المعاصرين له، مثلما أشار بالقول:"أبدى فيه بعض العلماء الفضلاء الحاضرين وجوها من الإشكال"[1]. ونتيجة ذلك، نجح ابن مرزوق الحفيد في تقديم الإضافات التي جعلت هذا الكتاب يحظى بالأهمية والمتابعة.

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ نور اليقين**، و: 2.

المبحث الرابع: التأليف في علم العقيدة:

من المجالات التي اهتم بها ابن مرزوق الحفيد، ووضع احد مصنفاته فيه، هو العقيدة، وهي إحدى مجالات علم أصول الدين، وبما أن شرف العلم يكون بحسب شرف المعلوم، فمهما كان المعلوم أشرف وأثره في النفس أعمق كان العلم المتعلِّق به أشرف، والعمل بمقتضاه أنفع، ولما كان أشرف المعلومات العلم بذات الله تعالى وصفاته وجب أن تكون معرفته وتوحيده أشرف العلوم، وذلك هو علم أصول الدين. وتقديراً لهذا قد انتدب علماء الإسلام في التأليف في هذا العلم الشريف، وتركوا فيه مُؤلفات هي مِن مفاخر الحضارة الإسلامية بحق. ومن المؤلفات التي كتبت في هذا العلم، ما كتبه ابن مرزوق الحفيد، وإن كان عملا وجيزا، وهي عبارة عن رسالة مختصرة في هذا العلم. وفي سياق حديثنا عن الآثار المخطوطة لهذا الشيخ الجليل، كانت هذه الرسالة واحدة من المخطوطات التي تحصلنا عليها. وسنقوم بدراستها وقبلها في إلقاء الضوء على علم العقيدة كأحد علوم أصول الدين.

أولا: علم العقيدة:

هو علم العقيدة، والعقيدة لغة: تدل مادة عقد في مختلف استعمالاتها على معاني التوكيد والتوثيق والإبرام، سواء كان ذلك في الجانب الحسى أو الجوانب المعنوية. ومنها قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾[1] أي ،أقسمتم به مع النية التامة والقصد الكامل، ومنها قوله تعالى ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾[2] ومن هنا جاءت كلمة عقيدة لتدل على ما يدين الإنسان به، ويعقد عليه القلب والضمير[3]. واصطلاحا: كلمة عقيدة تتسع في المحيط الإسلامي لتدل على "فعل الاعتقاد" نفسه حينا، ولتدل على محتوى الاعتقاد وموضوعاته حينا، ولتدل على العلم الذي يتكفل

---

[1]- سورة المائدة، الآية: 89.

[2]- سورة البقرة، الآية: 235.

[3]- ابن منظور، المصدر السابق، ص ص: 296-300. الفيروز أبادي، المصدر السابق، مج: 3، ص ص: 327-328.

ببيان الأمرين جميعا حينا آخر. ومن هنا يمكن تعريفه من أنه: "علم يبحث فيه عن العقائد الدينية المكتسبة من الأدلة اليقينية"[1].

ومن هنا، فإن علم العقيدة، وهو ما يسمى أيضا علم التوحيد أو علم أصول الدين فهو العلم الذي يتكفل ببيان الاعتقاد والمعتقدات معتمداً في ذلك على العقل والنقل جميعا، ولعل هذا الملحوظ هو ما حدا بعلماء العقائد إلى الإصرار على أن تكون معرفة أحكام العقل الثلاثة الوجوب والاستحالة والجواز من أهم المهمات لمن يتصدى للبحث في هذا العلم، بل لقد سماها البعض قاعدة الدين[2]. وإذا كان هذا العلم كما يرى بعض علماء العقائد هو العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، فإن هاتين الوظيفتين -إقامة الحجج ودفع الشبه- لا يمكن النهوض بهما إلا لمن أحكم أصول الشرع وأصول العقل جميعا، ومن أجل هذا المعنى فقد عرفه بعض علماء العقائد بتعريف مشابه، وهو أنه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية.

خلاصة القول، إلى أن علم العقيدة أعظم العلوم الشرعية، لأنه علم يبحث في معرفة الله تعالى، والإيمان به وبرسله، والإيمان باليوم الآخر، وما يتعلق بهذه الأصول من المسائل العقدية الكثيرة، فلا غرو أن يحظى هذا العلم الشريف باهتمام المسلمين وعنايتهم عبر القرون[3]. وواحد منهم كان شيخنا ابن مرزوق الحفيد مصنفات في هذا العلم، وهي كتاب "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقييد"[4].

---

[1]- المالكي إبراهيم بن أحمد المارغني الزيتوني، **طالع البشرى على العقيدة الصغرى**، إ: نزار حمادي، تونس د.م.ن، 2012، ص: 66.

[2]- الجويني، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**. تح تع تق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1950، ص ص: 12- 16.

[3]- الطريف يوسف بن علي، **تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة مناهجه ومصنفاته**. الرياض، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص: 15.

[4]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 154. البغدادي، **هدية العارفين**، ج: 2، ص: 192. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 498.

لم يكن ابن مرزوق الحفيد الوحيد في تلك المرحلة من كتب في علم العقيدة، بل شاركه في ذلك بعض معاصريه، نذكر منهم: الشيخ محمد بن العباس العبادي التلمساني ألف كتاب الدرة المشيدة في شرح المرشدة، والشيخ محمد بن يوسف السنوسي ومن كتبه التي وضعها في هذا المجال، كتاب عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد[1]. وهي على ذات المنحى الذي سلكه ابن مرزوق الحفيد في كتابه عقيدة أهل التوحيد كما أشار الحفناوي في كتابه تعريف الخلف[2]. وأحمد بن عبد الله الزواوي صاحب النظم في علم الكلام المسمى كفاية المريد في علم التوحيد والشهير بـ"الجزائرية"، وهي منظومة لامية تزيد على 400 بيت، شرحها الشيخ السنوسي وسمى شرحه "العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد"، وألف ابن زكري عصريّ السنوسي محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد وهي منظومة تزيد على 1.500 بيت.

ثانيا: كتاب عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد:

هو من المؤلفات الوجيزة الجليلة للشيخ ابن مرزوق الحفيد، فهو عبارة عن رسالة مختصرة في علم العقيدة. وأراد من خلالها بيان القدر الذي ينبغي على المكلف[3] تحصيله في دلائل الإيمان للخروج من ضيق التقليد فيه إلى سعة العلم والمعرفة واليقين، لاسيما وأن الله عز وجل أمرنا بطلب العلم، وبالنظر والتدبر الموصل إلى العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

[1]- والمعروفة أيضا بالعقيدة الكبرى سار فيها على أسلوب عقيدة الشيخ ابن مرزوق الحفيد، وقد شرحها بنفسه.

[2]- الحفناوي، **تعريف الخلف**، ج: 2، ص: 626.

[3]- المكلف وفق ما قال المختصون في علم العقيدة: هو ما يثبت في حق الله عز وجل، وهو قسمان عام ومفصل، فالعام: أن يعرف ويعتقد أن كل كمال فهو واجب لله تعالى، والتفصيل أن يعرف ويعتقد بالصفات العشرين الواجبة. ويلزمه أن يعرف ما يستحيل في حق الله تعالى، والتفصيل بالاعتقاد بأضداد الصفات العشرين الواجبة. ويلزمه أن يعرف بما يجوز في حق الله عموما وتفصيلا. ينظر: فودة سعيد عبد اللطيف، **تهذيب شرح السنوسية أم البراهين**. عمان، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2004، ص ص: 31-35.

تُبْصِرُونَ(21)﴾ [1]. وعليه، إن للعقيدة دور مميز في حياة المسلمين إيمانا وسلوكا فهي الأساس ومن حقها أن تكون لها الاولوية، ومن الواجب على المسلم أن يكون اعتقاده مبنيا على ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله(ﷺ) فهما المصدران اللذان يعول عليهما في هذا الشأن.

1- وصف المخطوط:

وهي نسخة متوفرة بالخزانة الحسنية في الرباط، ومصنفة تحت الرقم التسلسلي 12080، عدد أوراقها ثلاث (3) ورقات أي ست (6) صفحات، في حين عدد أسطر الورقة الواحدة 21 سطرا، ومتوسط كلمات السطر (11) كلمة، كتبت بخط مغربي مقروء واضح، وحالة المخطوط جيدة، واستخدم المداد الأسود والأحمر في عملية النسخ، ولكن لم يذكر اسم الناسخ ولا مكان النسخ[2].

بدأ المخطوط بالبسملة: "بسم الله الرحمن الرحيم...وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم...قال الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المالكي رحمه الله تعالى ونفع به آمين"[3]. وكانت نهايته: "وفقنا الله وإياك لطاعته عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد، وصل الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين"[4].

2- صحة العنوان ونسبته لمؤلفه:

من الطبيعي أن يتحرى الدارس في مسألة صحة عنوان المخطوط ونسبته للمؤلف، وفيما يخص صحة عنوان المخطوط "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة

---

[1]- سورة الذاريات، الآية: 20-21.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيدة أهل التوحيد**، و: 3. للاطلاع على الورقة الأولى منه، ينظر: الملحق رقم: (19)، ص: 461.

[3]- المصدر نفسه، و: 1. للاطلاع على الورقة الأخيرة منه، ينظر: الملحق رقم: (20)، ص: 462.

[4]- المصدر نفسه، و: 3.

التقليد"، ونسبته لابن مرزوق الحفيد قد أكدته عدد من الدلائل والقرائن التي نلخصها بما يلي:

- اسم المؤلف كتب في الورقة الأولى من المخطوط: "قال الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المالكي رحمه الله تعال ونفع به آمين"[1].
- كما ذكر عنوان المخطوط في نهايته: "وفقنا الله وإياك لطاعته عقيد أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"[2].

اتفاق من ترجموا لابن مرزوق على نسبة هذا الكتاب له، والتأكيد على أنه هو مؤلفه، وفي مقدمة هولاء تلميذه عبد الرحمن الثعالبي، الذي وضعه في مصنفاته التي درسها عنه، وذكر العنوان بالشكل الآتي: "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"[3]، وأشار السخاوي اليه قائلا: "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"[4]. وذات الكلام كرره نصاً القرافي من دون تغيير[5]، في حين أن ابن مريم ذكره قائلا: "ومن تأليفه عقيدته المسماة عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"[6]. وأشار إليه التنبكتي: "له أيضا عقيدته المسماة عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد، وعلى منحاه بنى السنوسي عقيدته الصغرى"[7]. وأشار إليه المقري في كتابه "ومن تآليفه أيضا عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"[8].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيدة أهل التوحيد**، و: 1.

[2]- المصدر نفسه، و: 3.

[3]- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 60.

[4]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51.

[5]- القرافي، المصدر السابق، ص: 155.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[7]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 506- 507. **كفاية المحتاج**، ص: 298.

[8]- المقري، **نفح الطيب**، ج:5، ص: 430.

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا أن نسبة الكتاب إلى ابن مرزوق الحفيد لا غبار ولا خلاف عليها، فالإجماع حاصل في كتب من ترجموا إليه، فضلا عما ورد في الكتاب ذاته من إشارات تؤكد ذلك.

3- دوافع التأليف:

لم يكن هذا المخطوط بالحجم الذي يسمح للمؤلف على ما يبدو أن يحدد من خلاله الآليات المنهجية وغيرها التي اعتدنا عليها في فيما صنف من تصانيف. فهو رسالة أراد من خلالها ابن مرزوق الحفيد بيان حدود مقدار ما ينبغي على المكلف تحصيله في دلائل الإيمان للخروج من ضيق التقليد[1] فيه إلى سعة العلم والمعرفة واليقين، حيث يقول: "أيها المقلد في الإيمان فإنك تخرج من التقليد بأن تنظر في أقرب الأشياء إليك وهو نفسك قال الله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[2] فتعلم ضرورة أن لك صانعا لاستحالة أن توجد نفسك "[3].

كما حاول من خلاله، المخطوط، إظهار أهمية العقيدة وضرورة معرفتها بالنسبة للمسلم إن كان عالماً او إنسان بسيط، ولاسيما وأن أول آية في القرآن الكريم تحث على العلم وبها أمر إلهي للرسول (ﷺ) بأن يقرأ ويعلم أمته القراءة، قال تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5) ﴾[4]. ويوضح أن الأمر هنا للرسول (ﷺ) بأن يقرأ ما يوحى إليه أو ما نزل عليه أو ما أمر بقراءته، فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو الذي امتاز به أبو البرية آدم على

---

[1]- المقلد هو من اعتقد الواجبات والجائزات ونفى المستحيلات في حق الله تعالى بلا دليل، اي انه جزم جزما مطابقا للحق بلا دليل، وذلك كأن يتلقى العقائد الواجبة من غيره بلا دليل. ينظر: فودة سعيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص: 30.

[2]- سورة الذاريات، الآية: 21.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيدة أهل التوحيد**، و: 1.

[4]- سورة العلق، الآيات: 1-5.

الملائكة. وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، قيل: الإنسان هنا آدم (عليه السلام) علمه أسماء كل شيء حسب ما جاء به القرآن في هذه الآية فلم يبق شيء إلا وعلم سبحانه آدم اسمه بكل لغة وذكره آدم للملائكة كما علمه، وبذلك ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت حجة الله على الملائكة وامتثلت الملائكة للأمر لما رأت من شرف الحال وجلال القدرة وسمعت من عظيم، وفي هذا يقول ابن مرزوق الحفيد: "هذا الصانع لا يرى لا أول لوجوده لأنه لو كان لوجوده أول لكان مسبوقا بالعدم فيكون أيضاً هو حادثا وقد تقدم لنا أن الحادث لا يوجد نفسه فيحتاج أيضاً هو على تقدير حدوثه إلى موجود وذلك الموجود أن كان لا أول لوجوده فهو الإله وغلا"[2].

خلاصة القول، إن الدافع الذي حركة ابن مرزوق الحفيد، على ما يبدو لي، هو حرصه على أهمية بناء أسس العقيدة على الدليل الشرعي الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة، أو برهان عقلي صحيح المادة والصورة، وفي هذا يقول ابن مرزوق الحفيد: "فإذا كل ما يمكن في العقل وجوده وعدمه فهذا الصانع قادر عليه إذ لا اختصاص لك من بين سائر الممكنات بشي زائد على الإمكان من حيث صلاحيتك لتعلق القدرة بك"[3].

4- المنهجية والأسلوب:

مثلما اعتدنا على الآليات المنهجية التي اعتمدها ابن مرزوق الحفيد في كتاباته السابقة ماعدا خطبة الكتاب، وهذا على ما يبدو لي، ناتج عن صغر حجم العمل. فلا يمكننا وضعه في خانة المؤلفات الكبيرة التي وضعها ابن مرزوق الحفيد، إلا أن الموضوع هو في غاية الأهمية، ومن هنا تأتي أهمية العمل الذي تنعكس من خلاله شخصية ابن مرزوق الحفيد الحريصة على أمور الدين، وسعيه إلى تنبيه الآخرين إلى الأخطاء التي يقعون فيها. وهو الذي عرف بـ:"مجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والأهواء الزائفة الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته "كما أشار ابن مريم في بستانه[4]. وهكذا، حاول ابن مرزوق الحفيد عبر منهجيته المعتادة وأسلوبه

---

[1]- سورة العلق، الآية: 1.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيدة أهل التوحيد**، و: 1.

[3]- المصدر نفسه، و و: 1-2.

[4]- المصدر نفسه، و: 1.

الكتابي أن يصل إلى أهم غرض في هذا الموضوع إلا وهو تصحيح المسائل العقائدية التي شابها ما شابها من اختلال في الفترة التي عاشها.

5- المحتوى:

يحاول ابن مرزوق الحفيد من خلال هذا المخطوط بيان الطريق الصحيح للمكلف في حفظ مسائل العقيدة بالشكل الذي لا يصل به إلى طريق التقليد، فالمعرفة الواجبة تعني حصولها عن معرفة الدليل، وفي هذا كتب ابن مرزوق وهو يحدد صفات الذات الإلهية، والتي اعتبرها ثابتة وغير قابلة للتغير، حين يقول: "إن جميع صفاته تعالى قديمة ولا يجوز عليه أن يتصف بشيء من الحوادث لأن ذلك الوصف الحادث إن كانت الذات لا تتحقق بدونه فهي حادثة لأن ما يتعلق بدون الحادث حادثة وقد بينا أن الله تعالى قديم وإن كانت تتحقق بدونه فليس ذلك من أوصاف الإلهية فلا يصح اتصافه به" [1].

كما أشار ابن مرزوق إلى أن وحدانية الله قائمة ولا تقبل الجدال والشك، حين قال: "هذا الصانع لا يكون إلا واحدا لأنه لو كان له شريك وأراد أحدهما أن يحرك جسما في وقت وأراد الآخر أن يسكن في ذلك الوقت بعينه فإن نفذت إرادتهما معا أدى إلى اجتماع الحركة والسكون في الوقت الواحد وذلك محال، وإن لم تنفذ إرادتهما معا لزم أن يكون الجسم لا متحركا ولا ساكنا وذلك محال" [2]. وأكد على إرادته في الخلق فقال: "هو الذي إذا أراد قد واقعا لم يلزم منه محال لذاته فإذا قدرنا وقوع تخالفهما رجعنا إلى الدليل الأول، وبهذا الدليل نستدل على أن خالق أفعال العباد هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون﴾[4] فهذا دليل على وحدانيته تعالى" [5].

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيد أهل التوحيد**، و: 2.

[2]- المصدر نفسه و: 4.

[3]- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، سورة الأنبياء، الآية: 22.

[4]- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون﴾، سورة غافر، الآية: 62.

[5]- ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، و: 4.

وأظهر ابن مرزوق الحفيد من خلال هذا المخطوط مقدار الثواب من الخلق لعباده يكون على قدر الطاعات والعقاب على قدر المعاصي، كما أشار إلى قدر الخالق في قلب تلك المفاهيم إن شاء حيث كتب يقول: "فالثواب منه على أفعال الطاعات والعقاب على أفعال المعاصي عدل ولو شاء الله تعالى لعاقب المطيع وأثاب العاصي لكنه تعالى أخبر أنه لا يفعل، وتفضلا منه وامتثالا به أخبر أن الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه يغفر إن شاء جميع المعاصي إلا الكفر قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾"[1]. كما حدد بعضا من الأمور التي يجب أن يؤمن بها المكلف، والتي تدل على حسن العقيدة وبعدها عن التقليد، واعتبرها بالجائزات، وهي[2]:

- الملائكة خلقهم الله.
- الايمان بالرسل ومهامهم.

وهكذا، نجد أن ابن مرزوق الحفيد قدم الخلاصة التامة لمن يريد أن يحتاط لدينه ويرحم نفسه من أن يسلك طريق التقليد في العقيدة ومسائلها، لأنه طريق غير مأمون في الحال ولا في العاقبة والمآل، بل ينبغي عليه سلوك طريق النظر الصحيح فيها على النهج الذي أشار إليه القرآن وفصله علماء التفسير والأصول والحديث في كتاباتهم.

6- مصادره:

كل ما اعتمد عليه ابن مرزوق الحفيد من مصادر في كتابة هذا الكتاب هو القرآن الكريم، إذ استعان بعدد من الآيات القرآنية التي تؤكد على عقيدة التوحيد، وتأخذ بيد المكلف نحو الطريق الصواب بعيدا عن التقليد. ومنها نذكر:

- سورة القصص.
- سورة غافر.
- سورة الأنبياء.
- سورة النساء.

---

[1] - ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيد أهل التوحيد**، و: 4. سورة النساء، الآية: 48.

[2] - المصدر نفسه، و: 5.

7- أهمية المخطوط:

كما هو معلوم، إن لكل كتاب مميزات يختص بها عن غيره من الكتب، إن كانت المميزات سلبية أم ايجابية، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى عدة أمور منها ما يتعلق بشخصية المؤلف، فهي تظهر من خلال العمل وطريقة دراسته للقضايا المطروحة أو طريقة معالجة المعضلات التي يتصدى لها في العمل. ولهذا، فإن شخصية المؤلف تبين لنا مستوى الكتاب ومدى تمكنه من الموضوع الذي يكتب فيه. ومن خلال هذا التقديم، نستطيع القول أن العمل الذي قدمه ابن مرزوق يظهر قوة ورصانة شخصية العلمية ومقدرة في معالجات القضايا الهامة والحساسة.

لقد حاول ابن مرزوق الحفيد من خلال كتابه عقيد أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد بيان ما ينبغي أن يحصل عليه الإنسان من دلائل الإيمان للخروج من ضيق التقليد إلى سعة العلم والمعرفة واليقين. إذ اعتبر التقليد على أنه الأخذ بالقول غير المعصوم بلا حجة. وفي هذا يقول: "اعلم أن جميع صفاته تعالى قديمة ولا يجوز عليه أن يتصف بشي من الحوادث لأن ذلك الوصف الحادث إن كانت الذات لا تتحقق بدون فهي حادثة لأن ما يتعلق بدون الحادث وقد بين أنه تعالى قديم وإن كانت تتحقق بدونه فليس ذلك الوصف من أوصاف الإلهية فلا يصح اتصافه به"[1]. ومن هنا، تبرز أهمية الكتاب والفائدة التي يقدمها والقيمة العلمية والدينية له.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب من المؤلفات الصغير في حجمها إلا أنها كبيرة من الناحية العلمية. فالموضوع الذي يخوض فيه ابن مرزوق الحفيد مهم جدا ويتعلق بعلم الأصول، فمسائل العقيدة اختلف حولها العلماء في حكم المقلد تقليدا صحيحا، ويستعرض عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي هذه المسألة وهو يقدم لكتاب ابن حنبل المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، حين كتب يقول: "لم ينشأ النزاع في المسائل العقدية في عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان لثباتهم على هذا المبدأ، لكن لما ظهر من لم يكتف بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ﷺ) نشأ

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ عقيد أهل التوحيد**، و: 2.

النزاع والاضطراب، عندها لم يجد علماء السلف بدا من إيضاح الأمور وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله(ﷺ)"[1].

ويذهب أبو عبد الله محمد السنوسي إلى أبعد من هذا ، وهو يقدم لكتابه العقيدة الصغرى أم البراهين، عن أهمية الكتابة في علم العقيدة، وهو الذي أثر فيه ابن مرزوق الحفيد[2]. حين قال: "أهم ما يشتغل به العاقل اللبيب في هذا الزمان الصعب أن يسعى فيما ينقذ به مهجته من الخلود في النار، وليس ذلك إلا بإتقان عقائد التوحيد على الوجه الذي قرره أئمة أهل السنة العارفون الأخيار، وما أندر من يتقن في هذا الزمان الصعب الذي فاض فيه بحر الجهالة وانتشر فيه الباطل أي انتشار ورمى من كل ناحية من الأرض بأمواج إنكار الحق وبغض أهله وتزيين الباطل بزخرف النار"[3].

وتتجلى أهمية المخطوط من جهة أخرى، في تأثر علماء آخرين بأسلوبه، مثلما حدث للسنوسي الذي بني عقيدته الصغرى[4] على ذات المنحى التي نحى به ابن مرزوق عقيدته. وكذلك، لابد من الإشارة هنا، إلى أن ابن مرزوق الحفيد عكف على كتابة مصنفات أخرى في علم العقيدة، وإن لم نتمكن من التحصل عليها، إلا أنها تندرج في ذات السياق والأهمية الدينية والعلمية التي اعتدنا عليها في كتاباته، وهي: كتاب "الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات"، وقد ورد لدى القرافي بعنوان "الآيات البينات في وجوه"[5] وكتاب آخر حمل عنوان "الآيات الواضحات في بيان وجه دلالة المعجزات"[6].

---

[1]- **المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد بن حنبل في العقيدة**. جمع تح در: الأحمدي عبد الإله بن سلمان بن سالم، الرياض، دار طيبة، ط1، 1991م، ج: 12، ص: 3.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص ص: 506-507. الحفناوي، **تعريف الخلف**، ص: 626.

[3]- السنوسي، شرح أم البراهين، د.م.ن، مطبعة الاستقامة، ط1، 1351هـ، ص: 6.

[4]- السنوسي، شرح أم البراهين.

[5]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 498. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 202.

من خلال ما تطرقنا إليه في هذا الفصل من مؤلفات لابن مرزوق الحفيد، وهي غير محققه، نجدها تبرز المكانة الكبيرة والمتميزة التي كان عليها ابن مرزوق، فقد أظهرت لنا تنوعا في الإنتاج، الذي شمل مجالات علمية عدة. وقد أثبت ابن مرزوق الحفيد من خلالها عن إمكانيات وقدرات كبيرة تنم على حالة الرقي والتطور الدائم الذي كان عليه في مجال التأليف.

الفصل السادس

نماذج من كتابات ابن مرزوق الحفيد المطبوعة

المبحث الأول: تآليف ابن مرزوق الحفيد الفقهية

المبحث الثاني: مؤلفاته اللغوية

المبحث الثالث: إسهامات ابن مرزوق الحفيد في علم الحديث

تمهيد

عرفت كتابات ابن مرزوق الحفيد قبولا من العلماء، ناهيك عن تلاميذه وعامة الناس، فأثار ذلك القبول والإعجاب، اهتماما تجسد في شيوع كتاباته في بلدان مختلفة، تدلنا كثرتها في الخزائن. وهذه الأهمية والاهتمام لم تأت من فراغ، بقدر ما هي انعكاس واضح لمكانته وقدراته، فقد اجتهد في طرق جميع أبواب العلوم، وفي هذا الشأن يقول التنبكتي: "...ذو المناقب العديدة والأحوال الصالحة العتيدة...معدن العلم وزناد الفهم وكيمياء السعادة وكنز الإفادة"، وهذا التنوع الكبير في علومه ومعارفه جعله قبلة لطلبة العلم، وفي هذا الصدد يقول تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني: "شيخنا الإمام العالم العلم جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا، راسخ القدم، رافع لواء الإمامة بين الأمم، ناصر الدين بلسانه وبيانه وبالعلم، محيي السنة بفعاله ومقاله وبالشيم، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الأقوم...ذو الرواية والدراية والعناية، ملازم للكتاب والسنة على نهج الأئمة المحفوظين من البدع في زمن من لا عاصم فيه لأمر الله إلا من رحم...إمام الأئمة وعالم الأئمة الناظر للحكمة ومنبر الظلم، سليل الصالحين وخلاصة مجد التقي والدين...حجة الله على العلم والعالم، الجامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة، متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد"[1].

والمتمعن في عناوين مؤلفاته يلاحظ السمة المشتركة التي تجمع بينهم، وهي السمة البيانية في اختياره لعناوينها، ومنها نذكر: "إسماع الصم في إثبات الشرف للأم"، "الغاية القرطاسية في شرح الشقراطيسية"، "نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين"، "المتجر الربيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح" وغيرها من العناوين. ومن هنا يمكن القول أن عالمنا كان يسعى إلى التميز الإبداعي بدءا بالعنوان ووصولا إلى المضمون والمحتوى، وهذا يعطي دلالة صريحة وواضحة على أن اختياراته تعكس جهودا مميزة في هذا الاتجاه. على العموم، إن ما تركه ابن مرزوق الحفيد من كتابات كثيرة وعديدة، منها ما زال مخطوطا والبعض تم تحقيقه ودراسته، وإن تفاوتت ما بين المتقن من عدمه، وسنحاول من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على مؤلفاته المحققة التي تمكنا من الوصول إليها.

المبحث الأول: تآليف ابن مرزوق الفقهية

[1]- التبكتي، المصدر السابق، ص: 502.

لم تقتصر جوانب الإبداع عند ابن مرزوق الحفيد على جانب معين من العلوم، وإنما كان من الدراية والمعرفة بما جعله يتشعب في مختلف مجالات العلوم العقلية والنقلية التي كانت منتشرة في زمانه، وهو الذي وصفه المقري بالقول: "الراعي في كل علم مرعاة الخصيب، حجة الله في خلقه"[1]. وهو الذي وصف كالبحر لغزارة علمه كما قال الفقيه أبو إسحاق الزواوي، الذي كتب يقول: "حضرت يوما مجلس الشيخ سيدي محمد بن مرزوق فرأيته بحرا في كل علم لا ساحل له تلازمت مجلسه وتركت مجلس سيدي قاسم (يقصد العقباني)"[2]. إن رجلا بهذه المواصفات لن يصعب عليه من العلم شيء، كان من الطبيعي أن يلج ميدانا مهما من ميادين العلوم الشرعية، وذا علاقة بحياة المجتمع الإسلامي. ومن هنا ترك لنا ابن مرزوق شرحا لواحد من أهم مصادر الفقه المالكي، وهو كتاب "مختصر خليل"، إذ استطاع أن يقدم لنا إبداعاً ذو أهمية بالغة في المذهب المالكي، وفي الصفحات القادمة سنتناوله بالدراسة.

أولا: علم الفقه من مجالات تميز ابن مرزوق الحفيد

الفقه هو أحد العلوم الإسلامية المهمة، الذي يبحث في معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وهو من أجل العلوم قدرا، وأرفعها شأنا، لأنه يوصل إلى معرفة أحكام الله تعالى في الحلال والحرام، والجائز والممنوع، ويرشد الإنسان إلى المعرفة المنهج الإلهي في السلوك الفردي والاجتماعي، ويعبد الطريق السوي لتنظيم علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بربه في العبادات، وعلاقته بأخيه الإنسان في المعاملات، ويرسم الخط القويم لتحديد علاقة الأفراد مع بعضهم، رؤوساء ومرؤوسين، كبارا وصغارا، رجالا ونساء، حكاما ومحكومين، قضاة ومدعين، علماء ومتعلمين، عمالا وأرباب عمل[3].

وفي هذا الميدان من العلوم، قدم لنا ابن مرزوق الحفيد عددا من الأعمال المتميزة التي جعلته يشكل علامة فاصلة في الكتابات الفقهية في عصره. وهنا أشير إلى ما ذكره التنبكتي بخصوص مكانة ابن مرزوق الحفيد في مجال الكتابة الفقهية، حين قال: "أما الفقه فهو فيه مالك، ولازمه فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام لقال له: تقدم فلك العهد والولاية وتكلم فمنك يسمع

[1]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 420.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص: 82.

[3]- خلاف عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**. مكتبة الدعوة الاسلامية، د.ت.ن، ص ص: 11-12.

فقهي ولا محالة أو ابن القاسم لأقر به عينا، وقال له: طالما دفعت عن المذهب عيبا وشيئاً، أو أدرك الإمام المازري لكان من أقرانه الذي معه يجاري أو الحافظ ابن رشد لقال له: هلم يا حافظ الرشد، أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة، أو القرافي لاستفاد من قواعده المقررة"[1].

والمؤلفات التي قدمها لنا ابن مرزوق الحفيد تنوعت ما بين شروح لفقهاء سبقوه، أو إجابات على بعض الأسئلة الفقهية التي وردت إليه وغيرها من الأعمال، وهي كالآتي: كتاب "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل"، كتاب "إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم"، كتاب "اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"، كتاب "الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي"، كتاب "روضة الأريب ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب"، كتاب "الروض البهيج في مسائل الخليج"، كتاب "شرح المختصر الفرعي" لابن الحاجب وكتاب "النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص"وغيرها من الكتب.

إن هذا الكم من المؤلفات إن صغر أو كبر حجمها تظهر لنا مدى الدور الذي ساهم به ابن مرزوق الحفيد في تطوير ميدان الدراسات الفقهية إن صح التعبير بمنطقة المغرب الإسلامي.

ثانيا: كتاب المنزع النبيل في شرح مختصر خليل:

1- أهمية كتاب مختصر خليل في الفقه المالكي:

يُعد "مختصر الشيخ خليل" للشيخ خليل[2]، من أشهر المختصرات الفقهية على المذهب المالكية، بل ربما كان أشهرها على الإطلاق في القرون المتأخرة، ويشهد لذلك عناية العلماء به

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 500.

[2]- **خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب** (ت:**776**هـ/**1374**م): ويلقب بالشيخ خليل الجندي ويكنى بأبي المودة وأبي الضياء. ومن أبرز شيوخه: الشيخ المنوفي، الشيخ ابن الحاج، ابن عبد الحق الدلاصي وابن لاجين الأغري الشافعي الرشيدي أخذ عنه العربية والأصول، وسمع الحديث على ابن الهادي والحافظ بهاء الدين عبد الله بن محمد بن خليل المكي، وكان خليل مدرسا بالصالحية بعد شيخه المنوفي، وعُين بعدها مدرسا للفقه المالكي بالمدرسة الشيخونية سنة 757هـ/1356م وهي أكبر مدرسة بالقاهرة وقتها، ومن أهم مؤلفاته: التوضيح، شرح ألفية ابن مالك ومناسك خليل فضلا عن الأشهر بينهم وهو المختصر.

وعكوف طلاب العلم على حفظه ودراسته، وتلقيهم له بالقبول. وكتب ابن غازي في مقدمته لشرح كتاب مختصر خليل يصف قيمة الكتاب في ميدانه، قائلا: "فإن مختصر الشيخ العلامة خليل بن إسحاق من أفضل نفائس الأعلاق، وأحق ما رمق بالأحداق، وصُرفت له همم الحذّاق، إذ هو عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، مبين لما به الفتوى، أو ما هو المرجح الأقوى، قد جمع الاختصار في شدة الضبط والتهذيب، وأظهر الاقتدار في حسن المساق والترتيب، فما نسج أحد على منواله، ولا سمحت قريحة بمناله"[1].

في حين يكشف لنا أبو عبد الله الخطاب مكامن قوته ونقاط قوته، قائلا: "مختصر الشيخ العلامة ولي الله خليل بن إسحاق الذي أوضح به المسالك إذ هو كتاب صغر حجمه وكثر علمه وجمع فأوعى وفاق أضرابه جنسا ونوعا واختص بتبيين ما به الفتوى وما هو الأرجح والأقوى لم تسمح قريحة بمثله ولم ينسج على منواله إلا أنه لفرط في الإيجاز كاد يعد من جملة الألغاز"[2].

من خلال ما سبق، نال مختصر خليل اهتماما كبيرا من قبل فقهاء المالكية، فقد عكفوا عليه شرقا وغربا، وأصبح كل عالم من هؤلاء يسعى لأجل بيان مسائله وما لم يذكره، لاسيما وأن المختصر اقتصر على القضايا الهامة التي يتعين النظر فيها، ومن هنا جاء الاهتمام به وشرح مرات عدة. وتتجلى قيمة الكتاب فيما ذهب إليه عالمنا حين قال: "فاختصر غاية الاختصار فيما جمع وألف، وسلك طريق التحقيق بما صنف وثقف، فقرب الشاسع وضم الواسع، وكثر الفوائد ورد الأوابد وقيد المطلق، واقتصر من التأويل على المحقق، ونبه على كثير من مشكلات المدونة، وأتى من غرائب النوازل وطرف الفتاوى بأمور مستحسنة، مقتصرا في كل ما أورده على المشهور وما عليه الفتاوى في مذهب مالك تدور، وكثر العلم الكثير الجرم اليسير، ليكون على وجه الدهر خزانة للغني والفقير"[3].

اختلف حول تاريخ وفاته، ولكن الراجح هو سنة 776هـ/1374م. للتفاصيل ينظر: ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ج: 1، ص ص: 385-386. ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، سفر: 2، ص:86. ابن مريم، البستان، ص ص: 97-100.

[1]- ابن غازي محمد بن أحمد العثماني المكناسي، **مختصر خليل ومعه شفاء الغليل في حل مقفل خليل**. د وتح: أحمد عبد الكريم نجيب، القاهرة، نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 2008م، ج: 1، ص: 111.

[2]- الحطاب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المغربي، **مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل**. نواكشوط، دار رضوان للنشر، 2010م، مج: 1، ص: 1.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 226.

لقد نال كتاب مختصر خليل عناية فقهاء المالكية في جميع البلاد الإسلامية، وتناوله هؤلاء شرحا وتحشية وتعليقا حتى زادت على المائة، ومن أهم الشروح عليه مواهب الجليل في شرح مختصر خليل لأبي عبد الله الحطاب (ت:953هـ/1546م)، ومواهب الجليل للأجهوري (ت:1066هـ/1655م)، وشرح مختصر خليل لعبد الباقي الزرقاني (ت:1109هـ/1697م)، ميسر الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل (ت:1277هـ/1860م) وغيرها من الشروحات فضلا عما لم يكتمل من شروح، وأعني هنا كتابه "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل".

2- صحة عنوان الكتاب ونسبته لمؤلفه:

ليس هناك أدنى شك من صحة عنوان الكتاب، فقد نسبه الحفيد لنفسه حين كتب قائلا: "فهذه طريقة ينتفي معها فيما يفنى به الارتياب، وتطمئن النفس بالحكم وإن كان فيها إسهاب، وسميته بـ"المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل"[1]. كما أشار إليه من ترجموا له، كالسخاوي في الضوء اللامع، القرافي في توشيح الديباج، ابن مريم في بستانه، التنبكتي في نيل الابتهاج، المقري في نفح الطيب وكذا الثعالبي في تفسيره إلى كون عنوانه هو "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل"[2]. فضلا عن بعض من استعان به أو أشار إلى أهميته، كما فعل الحطاب في مواهب الجليل حين أشار إلى قيمة وأهمية المنزع النبيل ومقدرة مؤلفه، قائلا: "وشرح الفصلين الأولين من كلام العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**،، ج: 1، ص: 229.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 51. القرافي، المصدر السابق، ص: 155. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507. المقري، المصدر السابق، ص: 430. الثعالبي، **تفسير الثعالبي**، ج: 1، ص: 16.

التلمساني"[1]، وأشار الشاعر محمد النابغة بن عمر الغلاوي في قصيدته بوطليحية إلى نسبة الكتاب إلى ابن مرزوق الحفيد، حين قال[2]:

وَاعْتَمَــدُوا مُخْتَصَــرَ ابنِ عَرَفَــةَ كَذَا ابنَ مَرْزُوق وَعَن مَنْ عَرَفَهُ
بِشَرْحِهِ للشَّيْخِ [3] مَا إِن عَمَّمَهُ لَكِنَّـــــهُ سَرْوَلَـــهُ وَعَمَّمَـــهُ

3- دوافع التأليف:

من أبجديات الكتابة أن يكون هناك دوافع ومحفزات تحرك الباحث وتدفعه لكتاب ما كتبه، وقد يعبر عنها في مقدمته، وقد يظهر بعضها في ثنايا العمل، ومن هذا المنطلق لم يكن ابن مرزوق الحفيد ببعيد عن هذا الكلام، فمن الطبيعي أن تكون هناك دوافع حركته نحو ذلك، ومنها:

- أهمية العلم ومكانته في المجتمع، ولاسيما العلوم المرتبطة بالدين وشرائعه، حيث كتب يقول: "فلما كان العلم أشرف المطالب والمكاسب وأسنى المطالب، وأكرم المواهب وأرفع المراتب، ولاسيما علم دين الله وشرائعه مما أمر به ونهى عنه وحض عليه على لسان نبيه، وهو علم الفقه الذي جعل مقدار مطواعه وأبيه لا يقف على تحقيقه إلا الفحول المتضلعون من الفروع والأصول، الجامعون بين المعقول والمنقول"[4].
- إعجاب ابن مرزوق الحفيد بتآليف الشيخ خليل، والتي اعتبرها على مستوى عال من الجودة.
- محاولته لإبراز القيمة العلمية لكتاب مختصر خليل وأهميته بين النتاجات الصادرة في علم الفقه، وفي هذا يقول: "اختصر غاية الاختصار فيما جمع وألف، وسلك طريق التحقيق بما

---

[1]- الحطاب، **مواهب الجليل**، ج: 1، ص: 3.

[2]- الغلاوي محمد النابغة بن عمر، **بوطليحية**. تح ود: يحيى بن البراء، بيروت، المكتبة المكية، ط2، 2004م، ص ص: 81-82.

[3]- يقصد الشيخ خليل بن اسحاق.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص ص: 224-225.

صنف وثقف، فقرب الشاسع وضم الواسع، وكثر الفوائد ورد الأوابد وقيد المطلق واقتصر من التأويل على المحقق، ونبه على كثير من مشكلات المدونة، وأتى من غرائب النوازل وطرف الفتاوى المستحسنة"[1].

4-منهجه وأسلوبه:

لقد وظف ابن مرزوق الحفيد في شرحه لكتاب المختصر كافة الإمكانيات والقدرات التي تحلى بها، فهو يعلم مدى أهمية هذا الكتاب بالنسبة للمذهب المالكي، وهو ما فرض عليه مسؤولية الخروج به إلى حالة الإيضاح والفهم من دون أي تشويه للقيمة العلمية التي يتمتع بها الكتاب. ومن هنا، أبدع في تسليط الضوء على المسائل، متبعا أدوات البحث والنظر والمقارنة والترجيح، يخرج بها الفقه من نطاق الالتزام، ويكشف اللثام عن الترجيحات والاختيارات التي انفصل عليها صاحب المختصر، ببيان ما فيها من الأنظار الأصولية، والتحقيقات الفقهية، بجمع الأصول التي اعتمد عليها خليل، وفحص ما فيها من الأقوال، ووضعها على بساط التعليل والتأصيل، ثم عرضها في معرض التعليق على عبارة خليل والتحقيق لها بذلك.

لقد أفصح ابن مرزوق الحفيد عن المنهجية التي اتبعها في شرح الكتاب في مقدمته، حين قال: "ولما كان فهمه لا يستقل لكل أحد بنفسه، نقله- لقصده به الفتوى- مفتقرا لأنسه، تاقت نفسي إلى شرح غامض لفظه وعزو مسائله إلى محلها من الأصول المعتمدة"[2]. ولتحقيق هذا الغرض عمل ابن مرزوق الحفيد -لسهولة الاستيعاب والفهم- على تقسيم نص المختصر إلى مقاطع، ثم يقوم بشرح ألفاظه الغامضة معتمدا على معاجم اللغة العربية، وإلى إعراب بعض التراكيب منبها على ما فيها من إشكالات، ثم يبين المعنى الإجمالي لذلك المقطع، متعرضا لكل المعاني التي تحتملها ألفاظ المختصر منطوقا ومفهوما. ومن ثم يقوم بعد ذلك، بتصحيح المسائل، فيورد نصوص أئمة المذهب المتقدمين منهم والمتأخرين، ويستقصي في ذلك، ثم يقابل بين هذه النصوص ويستخرج من خلالها القول المشهور الذي تنبغي الفتوى به على مذهب مالك، مبينا مدى موافقة خليل له[3].

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 1، ص: 226.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 186.

[3]- المصدر نفسه، ج: 1، ص ص: 186-187.

5- مصادره:

اعتمد ابن مرزوق الحفيد في شرحه لكتاب مختصر خليل على كم هائل من المصادر توزعت على علوم وفنون شتى، وهذا يدل على جديته في العمل وسعة إطلاعه ومعرفته للمصادر وآلية توظيفها. ففي التفسير وعلوم القرآن استخدم الكشاف للزمخشري، وكتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية وكتاب الشاطبية في علم القراءات لأبي القاسم الشاطبي.

أما في علم الحديث وشروحه ومصطلحه فقد اعتمد على عدد من المصادر منها: الموطأ للإمام مالك بن أنس، صحيح الإمام البخاري، صحيح الإمام مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، القبس في شرح موطأ مالك لابن العربي، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض وكتاب علوم الحديث لابن صلاح في حين استعان في الفقه المالكي بالمدونة برواية سحنون، وكتاب مختصر ما ليس في المختصر لابن شعبان (ت:355هـ/965م)، وكتاب التفريغ لابن جلاب، وكتاب التهذيب في اختصار المدونة للبرادعي(ت:438هـ/1046م)، وكتاب المقدمات الممهدات لابن رشد الجد، وكتاب شرح التفريع للشرمساحي(ت:669هـ/1270م)، شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي لابن عمران البجائي. وفي علم الكلام فقد استعان بكتاب محصل الأفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين للرازي (ت:606هـ/1209م)، وفي البلاغة كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ت:626هـ/1228م)[1]، وغيرها من المصادر الأخرى التي مكنته أن يقدم عملا متكاملا يكافئه ما قدمه خليل في مختصره.

6- القيمة العلمية الكتاب:

يمكننا القول أن القيمة العلمية لكتاب "المنزع" نلاحظها من كثرة ثناء العلماء عليه، ونقلهم منه، وتعويلهم عليه في شروح المختصر المتأخرة وغيرها من كتب الفقه المالكي، وما ذلك إلا للخصائص التي امتاز بها الكتاب، والمنهج الرصين المتبع من قبل ابن مرزوق الحفيد في كتابته. وخير مثال على ما ذكره الحطاب في شرحه لمختصر خليل، حين كتب يقول: "...ولم أر أحسن

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص ص: 190-201.

من شرحه، لما اشتمل عليه من تفكيك عبارة المصنف، وبيان منطوقها ومفهومها، والكلام على مقتضى ذلك من جهة النقل، ولكنه عزيز الوجود، مع أنه لم يكمل..."[1].

وإن دل هذا الكلام على شي، إنما يدل على عناية ابن مرزوق الحفيد بالمختصر عناية بالغة، فينتقد ويوجه ويصحح مواضع منه معتمدا في ذلك على المقابلة بين نسخه تارة والرجوع إلى المصادر التي اعتمدها خليل تارة أخرى. ومن الأمور الأخرى التي تظهر أهمية المنزع النبيل وقيمته العلمية، حفظه لكثير من نصوص المتقدمين، الذين ضاعت كتبهم فيما ضاع، وما لم يضع فإنه لم يسلم من التحريف والتغيير[2].

وتتجلى هذه الأهمية والقيمة العلمية للكتاب، ما ذكره الخطاب بهذا الخصوص، حين قال: "ولكنه عزيز الوجود مع أنه لم يكمل، ولا يقع إلا في يد من يظن به، حتى أخبرني والدي أنه كان عند بعض المكيين كراس من أوله، فكان لا يسمح بإعارته، ويقول: إن أردت أن تطالعه فتعال إلي"[3].

ولأهمية كتاب المنزع النبيل قام الشيخ الراعي[4] باختصاره وهو أحد تلاميذ ابن مرزوق[5]، وذكر القرافي من أنه وقف على ما اختصره، وعلق بقوله: "وقد اختصر من شرح ابن مرزوق لمختصر الشيخ خليل قطعة من باب القضاء إلى آخر الكتاب ووقفت على ما اختصره، وهو يدل على شرف هذا الشرح، وكونه في الذروة العليا"[6]. وهذا يعني أن شرح ابن مرزوق الحفيد لمختصر

---

[1]- الحطاب، **مواهب الجليل**، ج: 1، ص: 3.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 202-203.

[3]- الحطاب، المصدر السابق، ج: 1، ص: 3.

[4]- **الراعي (782-853هـ/1380-1449م)**: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي، ولد في غرناطة، ونال علومه بها، وفي عام 825هـ/1421م رحل إلى الحجاز وبعدها استقر بالقاهرة حتى وفاته. قرأ الفقه والأصول والعربية على عدد من المشايخ، منهم: أبو جعفر الأندلسي، ابن الحفار وابن مرزوق الحفيد وغيرهم. من مؤلفاته: شرح ألفية ابن مالك، شرح كتاب القواعد في النحو للقاسم بن سعيد العقباني. ينظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 9، ص ص: 203-204. المقري، المصدر السابق، ج: 2، ص ص: 694-699.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507. الراعي شمس الدين محمد بن محمد الأندلسي، **إنتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك**. بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1981م، ص: 57.

[6]- القرافي، المصدر السابق، ص: 215.

خليل يعد من الشروحات المعتمدة في الفتوى وفق المذهب المالكي، وسبق وأن أشرنا إلى ما ذكره الغلاوي في قصيدته بوطليحية[1]. وأشار ابن غازي في شرحه لمختصر خليل إلى اطلاعه على بعض من المنزع النبيل، وكان على ما يبدو نادر الوجود، حين كتب يقول: "وقد كان صاحبنا الفقيه المحصل أبو العباس الونشريسي- حفظه الله تعالى- لما بلغه عني هذا التعقب أتاني بجزء من وضع الإمام العلامة أبي عبد الله بن مرزوق على هذا المختصر، استخرجه من خزانة من هو به ضنين وأطلعني عليه"[2].

ثالثا: كتاب انتهاز[3] الفرصة في محادثة عالم قفصة:

من المؤلفات التي أنجزها الشيخ ابن مرزوق الحفيد خلال مسيرته العلمية، كتاب "انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة"، وهو من الكتب التي يمكن اعتبارها مماثلة للمراسلات التي تتم ما بين المشايخ بخصوص بعض القضايا، وهي ظاهرة كانت موجود في العصر الوسيط الإسلامي. واشتمل الكتاب على مسائل متنوعة علوم مختلفة، منها: الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم، أرسلت إلى ابن مرزوق الحفيد من قبل عالم تونسي يدعى أبو يحي أبو بكر بن عقيبة القفصي[4]، القفصي[4]، وقد أجاب عليها ابن مرزوق، وهذه الإجابات تشكل مضمون الكتاب.

1- المخطوط:

[1]- الغلاوي، المصدر السابق، ص ص: 81-82.

[2]- ابن غازي، **شفاء الغليل**، ص ص: 128-129.

[3]- خلال دراسة هذا الكتاب جرى الاعتماد على نسخة من المخطوط الأصلي، والذي عنوانه مطابق لعنوان المبحث، في استخدام هذا المخطوط سنذكره باسم "انتهاز الفرصة". ونسخة أخرى محققة من قبل سقساق أحمد حملت عنوان: "اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"، سنشير إليه باسم "اغتنام الفرصة". ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **مخ انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة**. الخزانة العامة، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: ك 429. ابن مرزوق الحفيد، **اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة**. د وتح: سقساق أحمد، شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المالك السعدي، تطوان، 2008/2007م.

[4]- **ابن عقيبة القفصي**: من علماء قفصة المعروفين، كان عالما بارعا ورجلا صالحا، تتلمذ على يد علماء كبار في تونس، من أمثال: ابن عرفة والغبريني وغيرهما. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 635.

وهي نسخة متوفرة في المكتبة الوطنية المغربية في الرباط بقسم المخطوطات، ومصنفة تحت الرقم التسلسلي: 429 ك، وعدد أوراقها بلغ 212 ورقة وجه وظهر أي 424 صفحة[1]، في حين يشير سقساق أحمد إلى أنها 210 ورقة[2]، علما من أنه ذات المخطوط المستخدم من قلبنا وقبله. ولكن على ما يبدو أن سقساق أحمد لم يتأكد من المخطوط وعدد أوراقه، فبعد قيامنا بتصفح المخطوط تبين لنا وجود خلل في ترقيم صفحاته، وفق ما يلي:

- عدم انتظام تسلسل الصفحات من 107 الى 109، إذ جاءت الورقة 109 قبل ورقتي 107 و108[3].
- وجود ورقتين بلا ترقيم في المخطوط، وهما الورقة 137 و151، علما بأنهما غيير واضحتين بشكل كبير[4].

نسخت من قبل محمد بن مبارك يوم الإثنين 11 جمادي الثانية 1147هـ/ 7 نوفمبر 1734 في مدينة فاس[5]، وتبدأ: بـ"الحمد لله الذي يقذف بالحق علام الغيوب، الذي يؤلف بين ما تتلاقى من القلوب، خالق الأرواح أجناد مجند"[6]. بينما كانت نهايتها: "كمل اغتنام الفرصة بمحادثة عالم قفصة بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل"، وكتب على حاشية الورقة "في الأصل انتهاز"[7].

2- صحة عنوان المخطوط ونسبته لمؤلفه:

أ- صحة العنوان:

---

[1]- ينظر الورقة الأخيرة من المخطوط والتي تشير إلى أنها رقم 212. ينظر: الملحق رقم: (22)، ص:464.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **اغتنام الفرصة**، تح: سقساق أحمد، ص: 69.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ إنتهاز الفرصة**، و و: 107-109.

[4]- المصدر نفسه، و : 137،151.

[5]- للاطلاع على الورقة الأولى من المخطوط، ينظر الملحق رقم (21)، ص:463. ابن مرزوق الحفيد، **مخ انتهاز الفرصة**، و: 212.

[6]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ انتهاز الفرصة**، و: 1. للاطلاع على الورقة الأولى منه، ينظر: الملحق رقم: (21)، ص:463.

[7]- المصدر نفسه، و: 212. للاطلاع على الورقة الأخيرة منه، ينظر: الملحق رقم: (22)، ص: 464.

من الأمور التي يتفق عليها المختصون في علم تحقيق المخطوطات العربية عند دراسة أي مخطوط هو عنوانه، فهو أول عنصر يجب أن يعتنى بتحقيقه وضبطه[1]. ومن هنا، فإن مسألة ضبط عنوان مخطوط انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة يحتاج للتوقف عنده قليلا، إذ حدث استشكال في ذكر العنوان من قبل سقساق أحمد، وذلك حينما ذكره بعنوان: "اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"، فغير كلمة "انتهاز" وجعلها "اغتنام". وسبب هذا الاستشكال يرجع إلى عدم اهتمامه في التأكد من صحة عنوان المخطوط بين ما ورد في مقدمة الكتاب وإشارة الناسخ محمد بن مبارك. إذ أشار ابن مرزوق الحفيد في مقدمة كتابه إلى عنوانه، كما يلي: "وسميته انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة"[2]، في حين أشار الناسخ في نهاية المخطوط إلى أن الكتاب اسمه "اغتنام الفرصة بمحادثة عالم قفصة"[3]، حين كتب :"كمل اغتنام الفرصة بمحادثة عالم قفصة"[4] لم يغير يغير الكلمة فحسب، وإنما حذف (في) ووضع بدلها (ب).

وبالإضافة إلى ذلك أشار كل من السخاوي والقرافي اللذان ترجما للحفيد –وهما الأقرب إليه زمنيا– ذكروا اسم الكتاب بعنوان: "انتهاز الفرصة..."[5]، في حين أشار كل من: ابن مريم والتنبكتي والمقري إلى أن العنوان هو: "اغتنام الفرصة..."[6]، وعلى الرغم من ذلك، أرى بأن العنوان الأدق هو "انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة"، والأسباب واضحة وفي مقدمتها أن المؤلف هو من ذكره.

ب– نسبة المخطوط إلى مؤلفه:

---

[1]– عسيلان عبد الله بن عبد الرحيم، **تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل**. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1994م، ص ص: 235-237.

[2]– ابن مرزوق الحفيد، **انتهاز الفرصة**، و: 4.

[3]– مسألة خطأ الناسخ طبيعية جدا ترجع إلى عدة أسباب منها: عدم الكفاءة والدراية وقلة التجربة، كما يمكن وضعها في باب التعمد والخلط. ينظر: التونجي محمد، **المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات**. بيروت، عالم الكتب، د.ت.ن، ص ص: 167-171.

[4]– ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، و: 212.

[5]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 149.

[6]– ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 429.

مما لاشك فيه أن نسبة كتاب ما إلى مؤلفه ذو أهمية بالغة وله فائدة كبيرة، فهو ليس من قبيل الترف العلمي، كما يتصور البعض، أو مما لا طائل من ورائه ذلك أن التأكد من ذلك يمنح المطلع عليه الثقة والاطمئنان بما دون فيه من مواد علمية، وتقوى هذه الثقة أو تضعف تبعا للمكانة العلمية التي بلغها ذلك المصنف ومدى نبوغه في ذلك المجال من العلوم وذيوع صيته بين أهل الفن الذي ألف فيه[1]. وفيما يخص كتاب "إنتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصه"، فقد نسبه المؤلف لنفسه[2]، ونسبه إليه كل من ترجم له كابن حجر والسخاوي والتنبكتي والبلوي وابن مريم باختلاف ذكرهم للعنوان.

3- دوافع التأليف:

وضع هذا الكتاب للرد على الأسئلة المتنوعة التي أرسلها إليه عالم قفصة أبو يحيى أبو بكر بن عقيبة القفصي، وقد تكون هذه الإجابة الطبيعية وفق ما ورد في مقدمة الكتاب، حين قال: "وبعد فقد ورد علي من أبو يحي أبو بكر بن عقيبة. مسايل وقعت له حفظه الله"[3]. وعلى ما يبدو، إن ابن مرزوق الحفيد رأى من الأهمية ضرورة عرض الأسئلة والإجابة على جميعها، وجعل باب الاستزادة مفتوحة، ولاسيما وأن طبيعة المسائل كانت ذات فائدة.

4- منهجه وأسلوب الكتابة:

إن مسألة معرفة منهج المؤلف تعتبر واحدة من أهم المسائل التي يجب مراعاتها عند دراسة أي كتاب، ومن أهم ما يتوخاه الدارس لكتبه غيره خاصة إذا كان كاتبه له التميز والباع والسمعة مثل ابن مرزوق الحفيد. ومن هنا، يمكننا القول، إذا عرف منهج المؤلف سهلت عملية فهم نصوصه ومعرفة مظانه وبالمحصلة التعرف على دلالات مصطلحاته. ومثلما جرت العادة، أن يلمح المؤلف في مقدمة مؤلفه لبعض الخصائص المنهجية التي اتبعها في تأليفه، وذلك من شأنه أن يساعد المطلع على رسم صورة مقربه لطبيعة الدراسة وكيفية طرحها ومعالجتها، وهذا ما يمكن

---

[1]- عسيلان عبد الله، المرجع السابق، ص ص: 237-241. المنجد صلاح الدين، **قواعد تحقيق المخطوطات**. بيروت، دار الكتاب الجديد، ط7، 1987م، ص: 15.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ إنتهاز الفرصة**، و: 5.

[3]- المصدر نفسه، و: 2.

القارئ على رسم صورة مسبقة للعمل يستطيع من خلالها تكيف قراءته للكتاب وفق نسق معين يساعده على إدراك خبايا الموضوع المدروس.

ومن خلال هذا البعد، وضع ابن مرزوق الحفيد مقدمة من ثلاث صفحات إستطرد من خلالها الخطوط العامة لكتابه[1]. فعلى سبيل المثال، بين لنا الآلية التي سيقوم من خلالها بالإجابة على الأسئلة التي أرسلها ابن عقيبة القفصي إليه، وذلك بذكر السؤال أولا ومن ثم يجيب عليه بالتفصيل مستعينا بما تمكن به من أسانيد وأقوال، حين يقول: "فأوردت لفظه بكماله وتكلمت بما أعلم أنه أقل ما يخطر بباله"[2]، والأكثر جمالا أن شيخنا لم يظهر تعاليا في كلامه، وإنما كان يحاول الظهور بصورة المتواضع وهي من صفات العلماء، حين قال: "وتكلمت بما أعلم أنه أقل ما يخطر بباله"[3].

وعند التمعن في قراءة ورقات الكتاب، نجد أن ابن مرزوق الحفيد اختار منهجا يتلاءم والغرض الذي كان يرمي إليه من وراء تأليف كتاب كهذا، والتي يمكن تلخيصها بما يلي[4]:

- عرض عناصر السؤال.
- إسناد الكلام لصاحبه، والمواد إلى مصادرها.
- ترجيح رأي على رأي آخر.
- التعقيب على أقوال العلماء.
- الحكم والفصل في بعض آراء وأقوال العلماء الذين استعان بهم في كتابه لدرجة استنكارها.
- إحالة القارئ إلى ما سبق ذكره.
- ذكره للاختلافات بين علماء المذهب.
- التدقيق في دلالة اللفظ والاحتكام إلى اللغة.

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ انتهاز الفرصة**، و و: 1-3.

[2]- المصدر نفسه، و: 3.

[3]- المصدر نفسه ، و: 3.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **اغتنام الفرصة**، د وتح: سقساق أحمد، ج: 1، ص ص: 90-97.

5- مصادره:

اعتمد ابن مرزوق الحفيد في الإجابة على الأسئلة التي وردت إليه على كم متنوع من المصادر، والتي ساعدته في تقديم الإجابات الشافية والوافية، وهذه المصادر يمكن إدراج بعض منها، وفق ما يلي:

- القرآن الكريم.
- كتب التفسير: ككتاب تفسير ابن عطية عبد الحق الغالب (ت:518هـ/1124م) "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي (ت:604هـ/1207م) وتفسير الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري.
- كتب الحديث منها: صحيح البخاري، وسنن أبي داود.
- كتب الشارحة للحديث مثل: كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم) لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي الأندلسي.
- كتب الفقه مثل: كتاب المدونة الكبرى لمالك بن أنس، وكتاب البيان والتحصيل لابن رشد الجد.
- كتب الأصول، ومنها: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني، وكتاب منتهى الوصول والأمل لابن الحاجب.
- كتب اللغة والنحو، ومنها: تلخيص المفتاح للقزويني، وفقه اللغة لأبي منصور الثعالبي.
- كتب الطبقات ومنها: طبقات الفقهاء للتاج السبكي (ت:771هـ/1369م)[1].

6- القيمة العلمية للكتاب:

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **اغتنام الفرصة**، د وتح: سقساق أحمد، ج: 1، ص ص: 80-91.

لا يختلف اثنان على أن أي كتاب ينتج له قيمة وفائدة، إلا أن مستوياتها تختلف وعلى درجات، وحسبما رأينا، فإن قيمة الكتاب تحددها مكانة الكاتب وطبيعة الميدان الذي يكتب فيه وطبيعة المتلقي، وفيما يخص كتاب "انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة" فهو كتاب قيم وعلى مستوى من الأهمية، ومن أولى مسلمات هذه القيمة العلمية طبيعة المصادر التي اعتمد عليها، لاسيما وأنه استند على أهم مصادر المذهب المالكي المتقدمة الذكر، ومن أمثال: المدونة الكبرى لأبي محمد بن رشد الجد، والتفريع لابن جلاب وغيرهما كثر اشرنا إلى البعض منها من قبل.

أظهر ابن مرزوق الحفيد من خلال كتاب هذا مقدار الثقافة التي يتمتع بها، إذ أبرز من الإمكانيات والقدرات العلمية، ما يجعلنا نصفها من أنها كانت متنوعة وموسوعية، وفي هذا يعلق سقساق أحمد محقق الكتاب، على هذه المسألة، قائلا: "كان ذا ثقافة متنوعة موسوعية، جامعا لأمهات كتب المذهب المالكي المتقدمة والمتأخرة، وبهذه الحصيلة العلمية شحذ ذهنه فبلغ القدرة على تأليف كتابه المشهور هذا"[1].

وتتجلى قيمة الكتاب في حالة التنوع في توجهاته، فيصف السخاوي في كتابه الضوء اللامع، بالقول: "وهو عبارة عن أجوبة على مسائل علمية في الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم وردت عليه من المشار إليه"[2]، ومن هذا يظهر لنا مدى تفوق ابن مرزوق الحفيد في المزج بين أكثر من علم في بوتقة واحد ليخرج لنا عملا متميزا، ففي هذا الكتاب يمزج بين التفسير والعقيدة والأصول والفقه واللغة"[3]. وهكذا، يظهر لنا فكرا يمنحه قدرا ومكانا في الوسط الثقافي والعلمي ليس في تلمسان فحسب بل في بلاد المغرب الإسلامي إن لم يكن في المشرق الإسلامي أيضا.

رابعا: تميزه في فقه النوازل:

إن كتب النوازل والمسائل والفتاوي كثيرة تكاد تعد ولا تحصى، ولها فائدة عظيمة خاصة في الدراسات التاريخية، فهي تمدها بالكثير من النوازل التي تصب في باب فقه المعاملات وحتى

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **اغتنام الفرصة**، د وتح: سقساق أحمد، ج: 1، ص: 106.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 51.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، السابق، ج: 1، ص: 106.

العبادات، والتي يستطيع الباحث أن يستخلص منها مادة غزيرة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية، فقد استفاد المستشرق الفرنسي جاك بيرك (Jaques BERQUE) من نوازل المازوني فقد كتب دراسة عن الحياة الاجتماعية بالمغرب خلال القرن 9هـ/15م من خلالها[1].

وتعد نوازل ابن مرزوق الحفيد واحدة من تلك النوازل التي نستطيع من خلالها وضع دراسة تاريخية، مثلا نازلته "الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي" التي أصدرها في 09 ربيع الثاني 812هـ/1409م –قام بدراستها بن معمر محمد– تتحدث عن مسألة جواز النسخ في الكاغد الرومي من عدمه باعتبار أنه نجس، هل يجوز أم لا يجوز النسخ ؟ بعد استعراض الحفيد لنص النازلة ثم لأقوال المعارضين للنسخ والمجوزين له، ومناقشته لكل الآراء وضع كتابه الدليل المومي، ورغم كونه كتابا فقهيا ولكنه حمل بين طياته معلومات تاريخية وإن كانت قليلة عن صناعة الورق بالمغرب الأوسط. وأن صناعته كانت مزدهرة ومنتشرة في المغرب الأوسط وغيره من بلدان المغرب الإسلامي قبل عصر عالمنا، ولكن في الوقت الذي تواصلت فيه صناعته في الأندلس والمغرب الأقصى في القرون اللاحقة للموحدين، نجدها توقفت في المغرب الأوسط وتحديدا في مدينة تلمسان، فاضطر الناس لاستيراد الورق الأجنبي ومن هنا ظهرت إشكالية طهارته من عدمها، فجاءت هذه الفتوى لتوضيح الجانب الشرعي في المسألة مبطلة هذه الدعوة وقائلة بطهارة الورق الرومي[2].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة ومنها نازلة الشرف من جهة الأم، فالدارس لتاريخ الإفتاء الإسلامي لا يقف على نازلة الشرف من جهة الأم إلا بعد حلول الثلث الأول من القرن الثامن الهجري (13م)، وتحديدًا عام 726هـ/1325م. لما كثر الجدل بين علماء المغرب الإسلامي حول إمكان وصف من كانت أمُّه شريفة وأبوه ليس شريفا. ومن خلال الرجوع إلى المصادر المعتمدة التي أصَّلت للنازلة فقهياً، نجد الفقهاء قد تفرقوا إلى مذهبين، مذهب أنكر أصحابه الشرف من قِبل الأم، وتمثل في فقهاء تونس ومن وافقهم، ومذهب أثبت أصحابه ذلك وتمثل في فقهاء بجاية وتلمسان ومراكش ومن وافقهم. ولما كان المذهب المالكي هو المذهب السائد حينها، فإن أكثر

[1]– قندوز ماحي، **فَتاوى أبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد التلمساني**، ص: 24-25.

[2]– بن معمر محمد، "صناعة الورق وتجارته في المغرب الأوسط"، ص ص: 12-17.

هؤلاء الفقهاء بحثوا النازلة على ضوء ما خلَّفه الإمام مالك دون غيره من أئمة المذاهب، ومن مدونات فقهية يمكن القياس عليها، ومنهم من سكت عن الإفتاء في النازلة لمجرد أن الإمام مالكاً لم يتكلم فيها، ومنهم من بذل جهداً واسعا في معالجة النازلة دون الابتعاد عن مذهب الإمام مالك. وفي هذا الاتجاه، كان ابن مرزوق واحدا ممن أدلوا بدلوهم حاسما قضية النسب من جهة الأم، فألَّف في النازلة كتابا بعنوان "إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قبل الأم"، ومن خلال الصفحات القادمة سنقوم بدراستها وبيان قيمتها.

1. فقه النوازل وأهميته في بلاد المغرب الإسلامي:

يعد فقه النوازل واحد من المجالات التي تهم الحياة اليومية للمسلمين، ونال هذا الجانب اهتماما منقطع النظير من جانب أهل المغرب الإسلامي، لكونه عدّ ضرورة من ضروريات الحياة، فهو يمس انشغالات الناس الدينية والدنيوية، واستحضار الحكم الشرعي فيها، وإيجاد الأجوبة اللازمة لها.

وقبل الولوج في تفاصيل هذا الموضوع، علينا تعريف "النوازل" لغة واصطلاحا، لاسيما وأن الفقهاء لم يكن اختيارهم لهذا اللفظ –النازلة– عبثا، بل قدم هذا اللفظ نفسه كفعل يعكس طبيعة الواقع المنتج للنازلة دون أن يشير إلى نازلة بعينها. والنوازل لغة، هي جمع نازلة، ومصدرها "نزل"، وأشار ابن فارس في معجمه إلى أنها تعني: "كلمة صحيحة تدل على هبوط شي ووقوعه"[1]، في حين قال ابن منظور: "والنازلة: الشديدة تنزل بالقوم"، وقال: "والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس"[2].

وعليه، يمكن القول أن النازلة مرتبطة بالمصيبة المؤثرة في المجتمع، مع التأكيد على شدتها وإلا لما صح تسميتها نازلة، إذن فالنازلة واقعة لها أثر شديد على الإنسان سواء كان فردا أو جزءا

[1]– ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**. تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ج: 5، ص:417.

[2]– ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**. بيروت، دار صادر ، د.ت.ن، مج: 11، ص: 659.

من كتلة اجتماعية معينة. ومن هذا المعنى اللغوي أخذت واصطلحت النوازل الفقهية، فيقال: نزلت نازلة فرفعت إلى فلان ليفتي بها[1].

أما اصطلاحا، النازلة تعني المسائل والقضايا الدينية والدنيوية تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها. وقد أخذ المسلمون، بعد موت الرسول (ﷺ) وانقطاع الوحي، يلجؤون إلى الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة يسألونهم عن أحكام هذه النوازل، فكان هؤلاء يلتمسون لها نصا في كتاب الله أو سنة رسوله، يمكن أن تندرج النازلة تحته، فإذا وجدوه وقفوا عنده، وإلا اجتهدوا في استنباط أحكام تساير سياق القرآن والسنة ولا تخالف روح الشريعة الإسلامية التي تلقوها مباشرة من فم رسول الله (ﷺ) قرآنا يتلى وحديثا يروى[2].

وعليه، فإن النوازل تطلق بشكل عام على المسائل والوقائع التي تستدعي حكما شرعيا، وهي بهذا المعنى تشمل جميع الحوادث التي تحتاج لفتوى تبينها، سواء أكانت الحوادث مكررة أو نادرة الحدوث، وإن كانت قديمة أم مستجدة[3]. كما أن خصائص تتميز بها النوازل، وهي: الواقعية، بمعنى ارتباطها بقضايا وقعت ونزلت بالفعل، وتتجلى هذه الواقعية في الفقه المالكي بشكل واضح؛ كذلك تمتاز بالتجدد، وتنوع التآليف فضلا عن الطابع المحلي، وهي التي اعتبرها محمد حجي من أنها الأبرز في مميزاتها حين قال: "ظاهرة الطابع المحلي في كتب النوازل من أبرز مميزاتها، فهي لا تبقى سابحة في المطلق كما هو حال كتب الفقه العامة، وإنما تحدد مسائلها في المكان والزمان والموضوع بحسب ما تأتي به الأسئلة التي تبنى عليها"[4]. ولقد تطور فقه النوازل وتنوعت مقاصده، فضلا عن أنها اصطبغت كتب النوازل بصبغة المذهب الذي يتمذهب به المفتي،

---

[1]- رشيد باقة، **نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي–جمعا ودراسة وتحليلا–**. مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة باتنة، 2013/2012م، ص: 15.

[2]- حجي محمد، **نظرات في النوازل الفقهية**. الرباط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1999م، ص ص: 12-11.

[3]- أبو البصل عبد الناصر موسى، "المدخل إلى فقه النوازل". ضمن أعمال ندوة النوازل الفقهية وأثرها الفتوى والاجتهاد، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2001م، ص: 602.

[4]- حجي محمد، المرجع السابق، ص ص: 55-59.

وتعددت أسمائها فسميت: النوازل والفتاوى، وهما الاسمان الشائعان في الغالب، كما دعيت بالمسائل، الأسئلة، الأجوبة والجوابات، الواقعات، المسائل والقضايا[1].

على العموم، إن أشهر النوازل الفقهية في الغرب الإسلامي كلها تنتمي جغرافيا للمغرب الأوسط، سواء التي وصلت إلينا كاملة أو التي وصلتنا داخل المجاميع الكبرى، هذه الأخيرة التي قدمت لائحة طويلة لفقهاء المغرب الأوسط ينتمون إلى المذهب المالكي، كما ينتمون إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وعلاقة الفقه المالكي بمجتمع المغرب الأوسط، إذ اختزلت أسئلة وأجوبة أظهرت تفاعلا عميقا مع أحوال المجتمع وهمومه وقضاياه ما أعطى للمذهب المالكي بعده المغربي[2]. وبصفة عامة اختص المغاربة بفقه النوازل، وعرف المغرب الإسلامي بغزارة التأليف في هذا الفن، ومنذ دخول المذهب المالكي بلاد المغرب الإسلامي كانت الفتوى تنطلق منه، وكان العلماء المفتون كلهم مالكية[3].

2. دواعي الاهتمام بالنسب الشريف:

لقد اهتم أهل المغرب الإسلامي بالنسب الشريف والشرفاء، ومن هنا جاء اهتمام وعناية حكام وأهل المغرب الإسلامي بالشرفاء فبوأتهم المكانة اللائقة بنبل نسبهم. وهذا الاهتمام تبلور بشكل واضح بعد انهيار الدولة الموحدية، حيث أصبح من الواضح أن الاهتمام بالشرفاء وإدعاء الشرف أحياناً أصبح يدخل ضمن أولويات الاختيارات السياسية للدولة، اعتبارا لما لهذا الإجراء من أهمية في تقوية جانب هذه الدولة، وتسويغ توسعاتها وتحصينها من الداخل في مواجهة طاقات اجتماعية—دينية متوثبة تتمثل في تيار التصوف. وكان الحذر والاحتياط منه، قد بدأ منذ أواخر

---

[1]- حجي محمد، المرجع السابق، ص: 30. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي، **فتاوى ابن رشد**. تق وتح وجمع وتع: المختار بن الطاهر التليلي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1987م، س: 1، ص ص: 35-42.

[2]- لواتي دلال، "نوازل المغرب الأوسط ملاحظات منهجية حول التطور الكمي للإفتاء خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين". في كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، قسنطينة، دار البهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011م، ص: 62.

[3]- قندوز ماحي، فتاوى أبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد، ص ص: 8-9.

حكم المرابطين، ومنذ ذلك الوقت وهو يشكل إحدى أهم المعطيات السياسية بالغرب الإسلامي[1].

إذ عدت ظاهرة الشرف من المظاهر الدينية والسياسية والاجتماعية البارزة التي قفزت إلى المشهد كرهان إقناع ودعامة قوية في تثبيت مشروعية السلطة وضمان استمرارها وفرض وجودها داخل التراتب الاجتماعي وفعاليته، فأكسبت الشرفاء مكانة أدبية ومادية مرموقة[2]. ولقد ارتبط هذا الاهتمام بالنسب الشريف بالسلطة الحاكمة لدوافع عدة، وقبل ذلك لابد من الإشارة هنا إلى أن تسابق حكام المغرب الإسلامي على إبداء اهتمامهم بالشرفاء وتقريبهم، وأعتبر ذلك مطلباً سياسياً، وارتبط أول ما ارتبط بالحفصيين إذ كان الأمير المستنصر الحفصي أول من وظف ذلك، وأعقبه المرينيون، ولكننا نجد أن الزيانيين اهتموا بهذا الأمر كثيرا، وعملوا على تقريب الشرفاء، إذ ارتبط ذلك بتراجع قوة الدولة الزيانية لاسيما في القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي[3].

والدارس لتاريخ الإفتاء الإسلامي لا يقف على نازلة "الشرف من جهة الأم"[4] إلا بعد حلول الثلث الأول من القرن الثامن الهجري (14م) وتحديدًا عام 726هـ/1325م، حينما كثر الجدل بين علماء المغرب الإسلامي حول إمكان تسمية من كانت أمه شريفة، وأبوه ليس شريفا، وبالرجوع إلى المصادر المعتمدة التي أصلت للنازلة فقهيا، نجد الفقهاء قد تفرَّقوا إلى مذهبين، مذهب أنكر أصحابه الشرف من قبل الأم، وتمثل في فقهاء تونس ومن وافقهم، ومذهب أثبت أصحابه ذلك وتمثل في فقهاء بجاية وتلمسان ومراكش ومن وافقهم. ولما كان المذهب المالكي المذهب السائد وقتها فإن أكثر هؤلاء الفقهاء بحثوا النازلة على ضوء ما خلَّفه الإمام مالك، دون

---

[1]- محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/ 12-15م)**. الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الأول، 1999م، ص 239.

[2]- بونابي الطاهر، "خطاب الشرف في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط: مقاربة في مستوياته ضمن النوازل والمناقب والتاريخ". في كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، ص: 144.

[3]- فتحة محمد، المرجع السابق، ص ص: 246-247.

[4]- وكانت من عادة العرب تسمية من كانت أمه أشرف من أبيه بـ"المذرع"، كما في قول الفرزدق:

إِذَا بَاهِلِي تَحَتَهُ حَنْظَلِية لَهُ وَلَد مِنْهَا فَذَاكَ المذَرَّعُ

عبد العزيز المحمد السلمان، **الأسئلة والأجوبة الفقهية المقرونة بالأدلة الشرعية**. د.م.ن، ط14، 1425هـ، ج: 5، ص: 365.

غيره من أئمة المذاهب، ومن مدونات فقهية يمكن القياس عليها، ومنهم من سكت عن الإفتاء في النازلة لمجرد أن الإمام مالكا لم يتكلم فيها، ومنهم من فرغ الجهد والوسع في معالجة النازلة دون الابتعاد عن مذهب الإمام مالك[1].

من خلال ما سبق من عرض، لقد تصدرت مدينتي تلمسان وبجاية المشهد في مسألة إثبات النسب الشريف، إذ وجدت هذه المسألة صداها في فتاوي البجائيين والتلمسانيين ما يناهز نصف قرن من الزمن (758-815هـ/1356-1412م)[2]، وعليه، فقد اجتهد هؤلاء على الرغم أن نازلة الشرف من جهة الأم لم يحفظ فيها عن الإمام مالك شيء، فدرسوها على ضوء الاجتهاد المخول به في الشريعة، وذلك عن طريق إلحاقها بمباحث النسب والوقف والوصية التي حُفظ عن الإمام مالك فيها الكثير، وأجاب عنها جيلان من الفقهاء وتم الاعتناء بتسجيل شهادة عدلين عقب كل فتوى، وهذا أمر قليلا ما كان يحصل في كتب الفتوى[3]. وهذا الأمر كان يكتسي أهمية كبيرة في مخيال المعاصرين[4]، ومن فقهاء تلمسان جاء فقيهان كانت لهما الصدارة في إثبات النازلة والحكم بشرف ولد الشريفة، الأول هو: أبو عبد الله الشريف (ت:771هـ/1369م) الذي قال: "والشرف حاصل من وجوه ثلاثة: الرحم والنسب والصهر لولد بنت الرجل وإن تفاوتت مراتبها"، والثاني تلميذه ابن مرزوق الحفيد الذي ألَّف في النازلة كتابًا موسوم بـ "إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قِبَلِ الأم" أملاه سنة 818هـ/1415م[5].

على العموم، إن موضوع الشرف حظي بتصانيف تناولته أحياناً بشكل مستقل، وأحياناً ضمن أعمال أعم، وتعرضت كتب النوازل أيضاً لهذا الموضوع في قضايا مختلفة، تحمل هم الدفاع عن قضية واستعملت في ذلك أساليب متشابهة. وقد ركزت بدورها على رصد مناقب هذه الفئة وأحصت بيوتاتها واستعملت حججا وأدلة تشابه من أجل ذلك[6]. واعتنى الكثير من الفقهاء في في المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي بالإفتاء في هذه النازلة، وأقدم من أدلى بدلوه فيها فقهاء

---

[1]- سليمان بن الحسن القراري، "الشرف من جهة الأم بين النفي والإثبات". ص: 2، مقال في الشبكة العالمية للمعلومات:
http: www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-109359.htm

[2]- حول مناقشات فقهاء تلمسان وبجاية ينظر: الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص ص: 193-236.

[3]- لحلو مريم، المرجع السابق، ص: 45.

[4]- فتحة محمد، ص ص: 253-255.

[5]- سليمان بن الحسن القراري، المرجع السابق، ص: 3.

[6]- فتحة محمد، المرجع السابق، ص: 247.

بجاية منذ عام 726هـ/1325م[1]، ومنذ ذلك التاريخ توالت التآليف للإجابة على هذا السؤال الذي أثار جدلا واسعا في القرنين السابع والثامن الهجريين.

3. كتاب إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قبل الأم:

أ. نسخ المخطوط المعتمدة:

اعتمدت المحققة مريم لحلو على نسخة موجودة بالخزانة العامة في الرباط تحت رقم: 1783، وذكرت أن خطأ وقع من قبل مسؤولي الخزانة العامة حينما نسبوا المخطوط لأبي القاسم بن محمد بن السراج الأندلسي، وأرجعت سبب ذلك، بقولها: "وغالب الظن أن مرد هذا الخطأ هو وجود فتوى ابن السراج في ذيل فتوى ابن مرزوق"[2]. كما أشارت إلى بعض مميزات النسخة[3] التي استخدمتها، بالقول: "هذه النسخة خالية من الطرر ومن علامات الترقيم، غير مشكولة الكلمات، كما أن الناسخ للمحافظة على استواء الأسطر كان يضيف حرف (هـ)، ومما يدل على أن الناسخ لم يكن من ذوي العلم ورود الأخطاء الكثيرة والمتنوعة التي تعتري عمله"[4].

ب. دوافع تأليف الكتاب:

تعتبر قضية النسب الشريف من جهة الأم من القضايا الفقهية العالقة والشائكة في منطقة المغرب الإسلامي في الفترة التي عاشها ابن مرزوق الحفيد، وأراقت الحبر الكثير، ولم يكن منطقيا أن لا يكون للحفيد رأي فيها، فقد كانت له فتاوى منتشرة شرقا وغربا، كما أنه وصف بشتى الأوصاف والألقاب التي تنم على علو كعبه ومكانته بين جمع علماء عصره، ليس على صعيد تلمسان، وإنما بلاد المغرب الإسلامي بعمومها[5]، لاسيما وأن الفترة التي عاشها كانت فترة خطيرة خطيرة في تاريخ المغرب الإسلامي، إذ اشتد الصراع على الحكم بين الدول المتجاورة من جهة، وظهور الخطر الصليبي من جهة أخرى.

---

[1]- لحلو مريم، المرجع السابق، ص ص: 40-49.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **إسماع الصم**، ص: 70.

[3]- هذه الفتوى موجودة في كتاب المعيار للونشريسي في الجزء الثاني عشر منه، والفتوى موجودة في إطار الحديث عن موضوع إثبات الشرف من طرف الأم، للإطلاع عليها، ينظر: الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص ص: 193-207.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **إسماع الصم**، ص ص: 70-71.

[5]- فتحة محمد، المرجع السابق، ص ص: 253-255.

وعلى الرغم من عزوف ابن مرزوق الحفيد عن ذكر الأسباب والدوافع التي دعته لوضع مؤلفه، فإن المسألة بينة ولا تحتاج إلى ذلك كونها واحدة من النوازل التي وجهت للعديد من علماء الأمة من أجل الإجابة عليها. وهنا أستغرب الآلية التي طرحتها محققة الكتاب بخصوص هذا، حين قالت: "إن ابن مرزوق عزف عن ذكر دوافعه واكتفى بالإجابة المباشرة باختصار"[1].

ج. الأسلوب والمنهجية:

لم تكن المنهجية التي اتبعها ابن مرزوق الحفيد في الكتاب مختلفة عن الأسس التي اتبعها في مؤلفاته، باستثناء ما أشارت إليه لحلو مريم: "ما عدا في خطبة الكتاب"[2]، إذ نهج في كتابه هذا منهجا بناه على مقدمة وعشرة فصول، كل فصل يستند إلى أصل فقهي متين، خصوصا لما ألحق النازلة بمباحث الوقف والوصية كي يستدل على ثبوت الشرف من جهة الأم، فأبان عن لياقة في الاحتجاج قلّ نظيرها، إضافة إلى جملة من الأحاديث التي اعتمدها لدلالتها على ثبوت الشرف من جهة الأم وامتاز أسلوب كتابته بالإقناع، فقرع الحجة بالحجة، واستعمل الدليل العقلي والشرعي الذي يعكس في الوقت نفسه المستوى الفكري والعلمي للمؤلفين. وكثيرا ما كان يستعمل الفنقلة (فإن قلت... قلت...) أسلوبا، وقد يعود هذا الأسلوب إلى تكوينه العلمي وميله المنطقي القائم على الإقناع والتأثير، ذلك بأنه ظل يخاطب من موقف المؤثر المنظر في مجال العلوم العقلية والفتاوى[3].

د. مصادر الكتاب:

لا يختلف اثنان على أن أهم المصادر التي يعتمد عليها في النوازل الفقهية هو القرآن والسنة النبوية في المقام الأول، وهذا ما اعتمده ابن مرزوق الحفيد، ولا يخفى أن الاقتباس من القرآن الكريم وتضمين الأحاديث النبوية له في الإبلاغ والإقناع ما لهما من قوة وتأثير. ومن الطبيعي أن تكون لفتوى أستاذه أبي عبد الله الشريف تأثيرها عليه[4]، واعتمادها كمصدر يستند

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **إسماع الصم**، ص: 57.

[2]- المصدر نفسه، ص: 59.

[3]- المصدر نفسه، ص: 60.

[4]- للاطلاع على الفتوى ينظر: الونشريسي، **المعيار**، ج: 12، ص ص: 207-221.

عليه، وهو القائل: "والشرف حاصل من وجوه ثلاثة: الرحم والنسب والصهر لولد بنت الرجل، وإن تفاوتت مراتبها"[1]. ومن المصادر الأخرى التي اعتمد عليها ابن مرزوق الحفيد، أشارت إليها المحققة فقد اعتمد على تفسير الزمخشري، صحيحي البخاري ومسلم والجامع الصحيح للترمذي، كما اعتمد على نقول من المدونة والشفا للقاضي عياض، وظل الغمامة لابن أبي الخصال وجامع مسالك ابن عربي[2].

هـ. جديد الكتاب:

إن السيرة والسمعة التي تمتع بها ابن مرزوق الحفيد في زمانه جعلت منه منارة من منارات العلم والمعرفة والثقة التي تفرض على الكل وضعها في مكانها اللائق. وعلينا أن نتذكر أن مخطوط "إسماع الصم في إثبات الشرف للأم" يتناول موضوعا كانت له أهمية قصوى في تاريخ الدول المتعاقبة التي حكمت المغرب الإسلامي، إذ كان النسب الشريف له أهمية كبرى في تقوية أركان ونفوذ الحاكمين على اختلاف رتبهم ودرجاتهم، وما كان هذا النسب الشريف يمنح لحامله من امتيازات معنوية ومادية.

ولهذا فإن الجديد الذي جاء به الحفيد في هذا المخطوط يمثل الخط الذي سار عليه فقهاء تلمسان في مجال تأكيد فتوى أحقية الشرف من قبل الأم. وتأكيدا على ذلك، أستعين هنا بما أشار إليه مصطفى الغديري في سياق تقديمه لتحقيق لحلو مريم بالقول: "وأهمية الموضوع لا تكمن في اتفاق الفقهاء أو اختلافهم في القضية، وإنما تتجلى في درجة ازدهار التأليف في هذا الموضوع ذاته، وما عكس ذلك من نضج فكري ومنهجية علمية عالية في المناظرة والحوار بين الفقهاء والمفكرين على اختلاف مشاربهم الثقافية والعلمية"[3].

و. القيمة العلمية للكتاب:

هناك من المعطيات التي تجعلنا نعتبر هذا المخطوط مهما في مجال اختصاصه، ويتمتع بالقيمة العلمية الرفيعة التي تفرض علينا الاعتراف أن هذا المخطوط ذو قيمة علمية عالية جدا،

---

[1]- سليمان بن الحسن القراري، المرجع السابق، ، ص: 3.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **إسماع الصم**، ص: 62.

[3]- المصدر السابق، ص ص: 11-14.

وهذه المعطيات مرتبطة بشخص ابن مرزوق الحفيد وأسرته، ففيما يخص أسرة المزارقة تعتبر واحدة من أعرق الأسر التي عرفها المغرب الإسلامي وليست تلمسان لوحدها. وأما المعطى الذي يخص الحفيد نفسه، فهو ما ذكره أبو عبد الله التنسي عند الحديث عن مزايا أستاذه، أي ابن مرزوق الحفيد، حين قال: "إن إمامنا مالكا سئل عن أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين: "لا أدري"، وجنة العالم لا أدري ما نصه: ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها غير شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن مرزوق"[1].

من خلال ما سبق يتجلى لنا أن تاريخ وتكوين ابن مرزوق الحفيد فرض عليه عدم الخوض في أمور غير دقيقة، وهو الذي أشار إليه أبو الحسن القلصادي بالقول: "قطع الليالي سهرا، وقطف من العلم أزهارا، فأثمر وأورق، وغرب وشرق، حتى توغل في فنون العلم واستغرق، إلى أن طلع للأبصار هلالا لأن الغرب مطلعه"[2].

[1]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 426.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص: 99.

المبحث الثاني: مؤلفاته اللغوية:

أولا: بروزه في علمي العروض والقافية:

كلما ولجنا مجال من المجالات العلمية التي كتب فيها الشيخ ابن مرزوق الحفيد يشدنا فيها ذات الإعجاب والإبهار الذي كنا عليه في ما سبقه، وهكذا يجعلنا في استمرارية الإعجاب عند قراءة أي شي صدر منه، وهذا الأمر ينطبق على ما قدمه في مجال علمي العروض والقافية، وذلك من خلال كتابه "المفاتيح المرزوقية في حل واستخراج خبايا الخزرجية" الذي شرح فيه نظم "الرامزة الشافية في علم العروض والقافية"[1] لصاحبها ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي.

1- ماهية علمي العروض والقافية:

العروض هو واحد من العلوم اللغوية المهمة، وعرفه حاجي خليفة على أنه: "علم يبحث عن أحوال الأوزان المعتبرة" ثم يزيد على ذلك، بالقول: "وهو علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة من حيث وزنها"[2]، أو كما أشار ابن عباد على أنه "هو ميزان الشعر، به يعرف مكسوره من موزونه، كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه"[3]. والمعروف أن علم العروض وضع دفعة واحدة على يد العالم العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي[4]، في القرن الثاني الهجري (8م)، ويذكر ابن خلكان من أن: "أن الخليل كان إماما في علم النحو، وانه هو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرا، ثم زاد الأخفش بحرا واحداً

---

[1]- وذكرها حاجي خليفة باسم "عروض الخزرجية"، وعلق عليها بالقول: "قصيدة الرامزة في العروض والقوافي قصيدة منظومة في البحر الطويل للإمام ضياء الدين أبي محمد الخزرجي". وذكر ممن ذكرهم في شرحها: طاهر بن الحسن بن حبيب الحلبي، ومحمد بن أبي بكر الدماميني وآخرون. ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ص: 1135-1136.

[2]- المصدر نفسه، ص: 1133.

[3]- ابن عباد الصاحب أبو القاسم إسماعيل، **الإقناع في العروض وتخريج القوافي**. تح: محمد حسن آل ياسين، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.ن ص: 3.

[4]- إميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م، ص: 5.

وسماه الخبب"، كما يذكر أن الخليل كان له معرفة بالإيقاع والنغم، وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض، فأنهما متقاربان في المآخذ"[1]. ويذكر إميل بديع يعقوب أن علم العروض يختلف عن بقية العلوم الأخرى فهو لم يمر بمراحل من التطور وإنما اتخذ شكله النهائي منذ النشأة الأولى، وبهذا الخصوص يقول: "فهو لم يتطور كباقي العلوم العربية، عبر الزمن وعلى أيدي العلماء والمختصين، ولذلك اتخذت مصطلحات هذا العلم شكلها النهائي منذ النشأة الأولى. والناظر في هذه المصطلحات يرى أنها كثرة كاثرة بالنسبة إلى ضيق المساحة التي يشغلها علم العروض ضمن علوم اللغة العربية، كما يرى أنها تدل على ترف لغوي توصل إليه علمائنا العرب القدماء نظرا إلى شدة إقبالهم على العربية شعرا ونثرا"[2].

أما علم القوافي، فهو العلم الذي يبحث فيه عن تناسب أعجاز البيت وعيوبها وغرضه تحصيل ملكة إيراد الأبيات على إعجاز متناسبة خالية عن العيوب التي ينفر عنها الطبع السليم على الوجه الذي اعتبره العرب، وغايته الاحتراز عن الخطأ فيه ومبادئه مقدمات حاصلة من تتبع إعجاز أشعار العرب[3]. وإذا كان الخليل بن أحمد الفراهيدي هو من سبق العرب في وضع قواعد علم العروض، فإن أبا عمرو بن العلاء قد سبق غيره في وضع أسس علم القوافي وقواعده، حيث وضع لها الأسماء والمصطلحات الخاصة بها.

لقد احتل ابن العلاء مكانة مرموقة بين علماء عصره، لاسيما وأنه أحد القراء السبعة المشهورين، فضلا عن كونه عالما باللغة العربية ونحوها، وقد تحدث عن مكانته وعلو شأنه أبو بكر بن مجاهد، حين قال: "كان أبو عمر بن العلاء مقدما في عصره، عالما بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم واللغة، وإمام الناس في العربية، وكان مع علمه باللغة وفقهه بالعربية متمسكا بالآثار، ولا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة، وكان حسن الاختيار غير مكلف، وكان في عصره بالبصرة جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوا مبلغه، وإلى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم"[4].

---

[1]- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.ن، مج: 2، ص: 244.

[2]- إميل بديع يعقوب، المرجع السابق، ص: 5.

[3]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ص: 1305-1306.

[4]- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، **تهذيب التهذيب**. حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1327هـ، ج: 12، ص ص: 179-180.

وعلى الرغم من الأهمية التي يتمتع بها علمي العروض والقافية، إلا أنهما لم ينالا من الاهتمام والعناية والتأليف بالمقارنة بما ناله علمي الصرف والنحو، وهذا مرتبط بصعوبتهما، ويعلق على هذه المسألة أبو الحسن العروضي بالقول: "علم مستغنى عنه، بدليل أن ثعلب أبو العباس كان واحدا في عصره وفريدا في دهره، ولم يكن يحسن العروض ولم يضره ذلك، فجعل أبا العباس سببا لزهده فيه، ولو ذهب الناس حتى يزهدوا في العلوم لأن أحمد بن يحيى لم يكن يحسنها ولم ينظر فيها، لترك الناس علما كثيرا"[1].

ومن هنا جاءت أهمية ولوج ابن مرزوق الحفيد هذا الميدان الصعب، والذي يدل دلاله واضحة على علو كعبة ومكانته العلمية في هذا الميدان، وما اختياره لـ"الرامزة الشافية في علم العروض والقافية" لصاحبها ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي لدلالة على قدرته الكبيرة وإتقانه لعلمي العروض والقافية، وتمكن نتيجة ذلك أن يبرع في تقديم عمل أدبي على مستوى عال من الإتقان والمقدرة العلمية والأدبية، والذي يشكل إضافة كبيرة في هذا الميدان.

2- المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية

أ- نسخ المخطوط:

كما هو معروف في ميدان التحقيق أنه كلما زاد عدد النسخ المخطوطة أعطى ذلك اطمئنانا للمحقق في إنجاز عمل أكثر دقة وقربا إلى النص الأصلي للكتاب، ومن هذا المنطلق، ساعد تعدد نسخ المخطوط والتي بلغت ثلاث، وهن موجودات في كل من الجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية، وهي نسخ خطية تامة، وبخط نساخ مختلفين[2].

---

[1]- العروضي أبو الحسن أحمد بن محمد، **الجامع في العروض والقوافي**. تح: زهير غازي زاهد وهلال ناجي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1996م، ص: 35.

[2]- النسخة الأولى متوفرة في المكتبة الوطنية في الحامة، قسم المخطوطات تحت رقم 2544، وعدد أوراقها 176 ورقة، وتاريخ نسخها هو 890هـ/1485م. والنسخة الثانية موجودة بالمكتبة الوطنية العامة، قسم المخطوطات في الرباط تحت تصنيف 2410 د، عدد أوراقها 481 ورقة، والناسخ وهو محمد بن إبراهيم، وتاريخ الانتهاء من نسخها كان في يوم العاشر من شوال 1055هـ/ 28 نوفمبر 1645م. أما الثالثة فهي النسخة الموجودة في مكتبة جامعة الملك سعود في الرياض، قسم المخطوطات تحت تصنيف 489، وعدد أوراقها 270، والناسخ هو محمد بن علي بن تاج الدين. ينظر: ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص ص: 55-59.

ب- عنوان الكتاب ونسبته للمؤلف:

ورد العنوان في متن المقدمة التي وضعها ابن مرزوق لكتابه، كما ورد في كتب التراجم من أمثال: السخاوي، المقري، ابن مريم، التنبكتي والمقري وفق ما ذكرناه سابقا[1]. وفي شرحها لعنوان الكتاب كتبت محققته مجاهدي صباح، تقول: "سمى ابن مرزوق كتابه بالمفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية على عادته في إبداع أسامي وعناوين الكتب، ففي عنوانه هذا دلالة صريحة وواضحة توحي إلى طريقة ابن مرزوق ومنهجه المتميزين في شرحه للقصيدة الخزرجية"[2]، ثم تسكتمل حديثها، لتقول: "فعنوان الكتاب كان جامعا مانعا من خلال مفرداته الموحية والدالة دلاله صريحة على مضمون الكتاب أولا، ثم على جهد ابن مرزوق الفريد والمتميز عن غيره ممن شرحوا الرامزة"[3]. أما عن مسألة نسبة الكتاب إلى ابن مرزوق الحفيد، فإن المسألة لا خلاف عليها، لاسيما وأن التراجم التي أشارت إلى عنوان الكتاب ذكرت مرجعيته لابن مرزوق الحفيد.

ج- دوافع التأليف:

إن الدافع الذي حرك ابن مرزوق الحفيد إلى تأليف كتابه المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، كان من أجل شرح المنظومة المسماة بـ"الرامزة الشافية في علم العروض والقافية" في علمي العروض والقافية لصاحبها ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الخزرجي. ومن خلال مقدمة الكتاب يحدد لنا الحفيد الدواعي التي حركته من أجل تأليفه، والتي يمكن تحديدها بالأمور التالية[4]:

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص:50. المقري، المصدر السابق، مج: 5، ص 429. ابن مريم، المصدر السابق، ص 210. التنبكتي، المصدر السابق، ص: 507.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 40.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 40.

[4]- المصدر نفسه، ص ص: 38-39.

أ. تعظيم اللسان العربي وبيان قدره ومكانته، التي اكتسبها بنزول أرقى وأبلغ خطاب وكتاب، جعله الله هدى ورحمة للمتقين، فزادت اللغة العربية به دقة وجمالا وبيانا، وانتظم به الخطاب العربي، المنظوم منه والمنثور على قواعد وقوانين لا تتبدل ولا تتزلزل.

ب. دعوته إلى المساواة بين علم النحو وعلم العروض في المعرفة.

ت. تأليف الكتاب هو دلالة صريحة تؤكد لنا إحساسه بقيمة متن الرامزة الشافية في علم العروض والقافية.

د- مصادره:

إن طبيعة كتاب "المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية" القائمة على أساس شرح متن من المتون العلمية والتعليق عليها وبيان أهميتها ودقتها، فرض على ابن مرزوق الحفيد استقصاء مادته العلمية من مصادر شتى لغوية كانت أم عروضية. وتعلق هنا مجادي صباح على هذا المسألة بالقول: "إن طبيعة كتاب المفاتيح القائمة على شرح متن من المتون العلمية في علم العروض والقافية، تستدعي من الشارح استقاء مادته من أمهات الكتب اللغوية والعروضية على حد سواء لأننا نجده في شرحه هذا أمام شرح وتفسير لمعاني ودلالات مفردات وعبارات من جهة، وبين شرح وتفصيل لمسائل وقضايا علمي العروض والقافية من جهة أخرى، ومن ثم كان التنوع في المصادر مطلوبا لشرح متن الخزرجية وهو ما تجلى وتحقق في كتاب المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"[1]، ومن جملة المصادر التي اعتمد عليها ابن مرزوق الحفيد في إنجاز تعليقه على هذا المتن، نذكر[2]:

- معجم تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، وهو المعجم الذي اعتمد عليه اعتمادا كلية في شرح كل مفردات الرامزة الخزرجية.
- الكتاب لسيبويه.
- كتاب التسهيل لابن مالك .
- العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة لأبي بكر الدماميني.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لأبي المعالي عبد المتعال الصعيدي.

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 44.

[2]- المصدر نفسه، ص ص: 45-46.

- شرح الكافية لابن مالك.
- الجامع لابن طريف.
- التذكرة لأبي علي الفارسي.
- كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني.

هـ- القيمة العلمية للكتاب:

يعد كتاب المفاتيح المرزوقية إضافة علمية لا تقدر بثمن، فهو كتاب قيم في علم العروض والقافية، إذ لم يحظ هذا بما حظيت به المكتبة النحوية من المصنفات والدراسات، وتعلق مجاهدي صباح على قيمة الكتاب بالقول: "يمثل كتاب المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، إضافة علمية هامة في مجال البحث والدراسات اللغوية التراثية، حيث تكمن أهميته بالإضافة إلى كونه كتاب متخصص في واحد من علوم اللغة العربية وهو علم العروض والقافية، في كونه لعالم جزائري من القرن الثامن الهجري، لم يشهد له مثيل في سعة علمه وثقافته وفي إسهاماته العلمية المتميزة، التي جعلت منه إماماً من أئمة المشرق والمغرب العربيين"[1].

وقيمة الكتاب يمكن تحديدها من كونه كتابا تعليميا مفيدا وضروريا، وساهم ابن مرزوق الحفيد من خلاله في شرح وتذليل كثير من القضايا العروضية العميقة، التي ربما تستصعب على فكر كثير من الباحثين والمتخصصين، فالكتاب كما هو معروف هو شرح لمتن من المتون العروضية، وأعني هنا الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية، والتي حوت في أبياتها كل ما يتعلق بهذين العلمين، إذا كان لابن مرزوق الحفيد الفضل الكبير في فك مقفلات هذا المتن وشرح رموزه، بطريقة علمية وافية، حيث كان في معالجته يتوقف عند كل مسألة عروضية ويعالجها معالجة دقيقة، مكننا من الاطلاع على آراء العلماء حولها، مستعرضا تلك الآراء والنصوص بطريقة سلسة جذابة، قائمة على المناقشة والاستنتاج، والتنبيه على مختلف القضايا، التي لم يقدمها الناظم في شكلها التام وإبراز الخفي منها، غير مغفل إبداء آراءه وتصوراته[2].

ثانيا: مساهمته في علوم اللغة العربية:

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، ص: 41.

[2]- المصدر نفسه، ص: 41.

لولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة ولا نشأت مدنية. ومن هنا، جاء الاهتمام من قبل العلماء العرب المسلمين بالعلوم التي تدرس اللغة العربية موضوعا له، وأشار ابن خلدون في مقدمته إلى قيمة اللغة وأهميتها في حياة الأمم، حين قال: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلابد أن تصير ملكة متكررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[1].

1- مكانة علوم اللغة العربية عند المسلمين:

اللغة هي أقدم المصطلحات، قيل عن أبي زيد الأنصاري: "كان أبو زيد أحفظ الناس للغة"[2]، والمقصود هنا بكلمة اللغة "مجموع مفردات ومعرفة دلالاتها"[3]، وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر، لذا عد سيبويه والمبرد من النحاة، بينما عد الأصمعي من اللغويين، وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدة قرون وأصبح (اللغوي) هو الباحث في المفردات جمعا وتصنيفا وتأليفا. وهذا التعريف على إيجازه يتضمن معظم الجوانب التي اتفق عليها المحدثون في تعريف اللغة. فهو يشير إلى الوظيفة التعريبية للغة، ويفصح أيضاً عن كون اللغة اجتماعية، أي انه لا توجد إلا في أحضان جماعة لغوية معينة يتعاملون بها تعبيرا عن أغراضهم، وأهم شي في هذا التعريف هو ما قرره في أن (اللغة أصوات)[4].

وعليه، لا ترمي دراسة اللغة إلى أغراض عملية، فالباحث اللغوي يدرس اللغة لغرض الدراسة نفسها، فهو يدرسها دراسة موضوعية، تستهدف الكشف عن حقيقتها؛ فليس من موضوع دراسته، أن يحقق أغراضا تربوية أو أية أغراض عملية أخرى، فهو لا يدرسها بغرض

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 753.

[2]- نقلا عن: حاتم صالح الضامن، **علم اللغة**. بغداد، بيت الحكمة، د.ت.ن، ص: 31.

[3]- محمود فهمي حجازي، **أسس علم اللغة العربية**. القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 2003م، ص ص: 7-10.

[4]- حاتم صالح الضامن، المرجع السابق، ص ص: 31-32.

الارتقاء بها مثلا، أو تصحيح جوانب منها، أو القضاء على عوج فيها، فإن عمله يجب أن يقتصر على وصفها وتحليلها، بطريقة موضوعية[1].

واللغة العربية وعلومها من الأمور التي أبدى العلماء العرب المسلمين اهتماما منقطع النظير فيها، وكيف لا يكون هذا الاهتمام وهي اللغة التي نزل بها القران الكريم، ووردت بها سنة المصطفى (ﷺ)، وهناك من الآيات الكريمة التي تشير إلى ذلك الكثير، ومنها قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]. وما دامت هذه مكانتها، فإن تعلمها وتعليمها من الدين، يقول ابن تيمية: "ومعلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا"[4]. وقد أكد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله على أهمية اللغة العربية عند أهل العلم والعامة أيضا[5]. وأشار إلى قول الشافعي: "من حفظ القرآن عظمت قيمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم"[6]، كما أشار إلى مكانة علوم اللغة العربية ، واستعان بقول الشعبي: "النحو في العلم كالملح في الطعام"[7].

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن علم اللغة يبحث في مجالات التي تخص: دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة؛ ودراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يعرف بـ "علم الصرف"؛ إلى

---

[1]- رمضان عبد التواب، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**. القاهرة، الشركة العالمية للطباعة، 1997م، ص: 9.

[2]- سورة يوسف، الآية: 2.

[3]- سورة الزخرف، الآية: 3.

[4]- نقلا عن: العلياني علي بن نفيع ، **عقيدة الإمام الأزهري صاحب كتاب تهذيب اللغة**. الرياض، دار الوطن، ط1، 1997م، ص: 67.

[5]- ابن عبد البر أبو عمر يوسف، **جامع بيان العلم وفضله**. تح: أبو الأشبال الزهيري، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1994م، ص ص: 787-791.

[6]- المصدر نفسه، ص: 1134.

[7]- المصدر نفسه، ص: 1133.

جانب دراسة نظام الجملة، من حيث ترتيب أجزائها، واثر كل جزء منها في الآخر، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض وطريقة ربطها، وهو ما يمكن دراسته ضمن النحو، وهو العلم الذي يختص كذلك في دراسة دلالة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، والحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه، وغير ذلك[1].

ومن هنا، فإن الله سبحانه وتعالى قد فرض على كل من آمن به تعلم جزء من العربية، وبهذا تكون العربية فرض عين على كل إنسان بقدر ما يقيم به ألفاظ الفاتحة، وبقدر ما يتقن به التكبير والتشهد والسلام في الصلاة، فهذا القدر من العربية فرض عين على كل مسلم، ولا يسع مسلم جهله، واختلف الناس في تحديد هذا القدر؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[2].

2- مساهمته في الارتقاء باللغة العربية:

شهدت منطقة المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة المغرب الأوسط خاصة، ازدهارا فكريا وأدبياً، كما أشرنا من قبل، ففي ظلال الدولة الزيانية زخرت بعطاءات علمية وأدبية، جادت بها قرائح العلماء والأدباء والشعراء في ميادينهم المتعددة، واشتهر بكثرة التأليف في مختلف الفنون. فنجد تعدد جوانب الأدب فيه، وكثرة المشتغلين به، حيث نجد عددا هائلا ممن له صلة بنوع من أنواع العلم، ساهم بمزاولة الأدب شعرا أو نثرا، فليس هناك عالم عرف بعلو كعبه في علوم الحديث أو التفسير أو الفقه أو اشتهر بالطب أو غير ذلك، إلا ونجد له قطعا أدبية كثرت أو قلت، ناهيك عمن احترف الأدب وعاش في كنفه. فلم يكن يتصور لعالم من العلماء أن تكتمل أسبابه في العلم إلا إذا عالج نفسه في اصطناع الأدب، وكانت له مشاركة في قول شعر، أو إنشاء شيء من الكلام المسجوع.

ومن خلال ما سبق، نجد أن ابن مرزوق الحفيد أبدع في الأدب، وهذا الإبداع لم يكن من حيث الكم، وإنما يظهر لنا تمكنه في هذا العلم ومقدرته على التحكم به وتوظيفه بالشكل الذي يظهر أنه مثلما وصف من قبل معاصريه ومن كتبوا عنه، فهذا التنبكتي يصفه: "الأستاذ المقرئ

[1]- رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص ص: 10-12.

[2]- سورة المزمل، الآية: 20.

النحوي اللغوي البياني العروضي"[1]. وفي هذا يعلق فلاق محمد، قائلا: "إن ابن مرزوق يستعرض للفظة الواحدة مادتها المعجمية المتعددة، من حيث هي حزمة واحدة تسهم بمجموع أفرادها في تشكيل معنى اللفظة وتحديده، وتتحول هذه الحزمة بدورها إلى جزء أساس في بناء أكبر هو معنى البيت الشعري أو مجموعة الأبيات، بحيث ينضبط الكل في تناسب"[2].

ولقد قدم لنا ابن مرزوق الحفيد عدد من المصنفات في هذا المجال، وكلها تعكس علو كعبه فيه، ومقدرته في هذا العلم، نذكر منها: كتاب "إيضاح المسالك على ألفية الإمام ابن مالك"[3]، وهو شرح على ألفية ابن مالك لم يكمله وصل فيه إلى اسم الإشارة أو الموصول في مجلد كبير غاية في الإتقان كما أشار التنبكتي في النيل[4]، "أرجوزة ألفية مالك"، كتاب "شرح التسهيل" وهو كتاب في علم النحو شرح فيه كتاب التسهيل لابن مالك، كتاب "الغاية القرطاسية في شرح الشُّقراطيسيّة"، وهو شرح على قصيدة أبي محمد بن عبد الله بن يحيى الشقراطيسي في مدح الرسول (ﷺ)، أثبته السخاوي بعنوان "الذخائر القرطاسية في شرح الشقراطيسية" ووافقه البغدادي في ذلك وأضاف عنوانا آخر هو "المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية" كما عند التنبكتي وابن مريم. وكتاب "المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"، وهو شرح للقصيدة الرامزة الشافية في علم العروض والقافية المعروفة بـ"الخزرجية" نسبة لمؤلفها ضياء الدين أبي عبد الله الخزرجي[5].

وشروح ثلاثة لبردة البوصيري وضعه في ثلاثة أحجام على النحو التالي: الأول: "إظهار صدق المودة في شرح البردة" وهو الشرح الأكبر والأكثر تفصيلا، وهو ما سنتناوله بالدراسة لاحقا؛ والثاني: "الشرح الأوسط"؛ والثالث: "الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان البديع والإعراب"، هو الشرح الأصغر على البردة تطرق فيه ابن مرزوق الحفيد إلى إعراب مفردات القصيدة.

---

[1]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 136.

[2]- فلاق محمد، "البحث اللغوي"، ص: 308.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 51. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298.

[4]- التنبكتي، المصدر السابق، ص: 298.

[5]- **عبد الله بن محمد الخزرجي**: هو أبو محمد ضياء الدين عروضي أندلسي نزل بالإسكندرية وتوفي قتيلا عام 626هـ/1228م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق. ج: 4، ص: 124.

3- مكانة قصيدة البردة في فن المديح النبوي:

قبل الخوض في مكانة قصيدة البردة وأهميتها في المديح النبوي، علينا إلقاء نظرة سريعة عليه وعلى مكانة البوصيري[1] فيه، فالمديح النبوي، هو غرض نظم فيه الشعراء في عصر المماليك في مصر، ولونوه بلون جديد، وضمنوه الكثير من الحكم والأمثال التي سارت مسير الشمس، وجرت على الألسنة وحلقت في سماء الروحانيات وصورت شعور صاحبه نحو المقام الكريم مقام الرسول(ﷺ)[2]، وكان لانتشار هذا النوع من الشعر في العصر المملوكي أثره على الشعر العربي في ذلك العصر، وقد تبدى هذا الأثر بوجوه عدة، منها: رسوخه فنا شعريا مستقلا من أغراض الشعر العربي، واحتلاله مساحة واسعة من ساحاته، إلى جانب تأثيره في أغراض الشعر الأخرى، فترك ظلاله على بعض موضوعات الشعر العربي في بعض قصائدها[3].

ولقد استطاع البوصيري أن يبرع في ميدان المدائح، أن ينجح في ربط هذا الغرض من أغراض الشعر به، وهنا يعلق محمد عبد المنعم خفاجي، قائلا: "وكل ذلك جديد لم يطرقه شاعر قبل البوصيري، ذلك الشاعر المبدع الذي برع في هذا الباب حتى استحق أن يسمى مخترع المدائح النبوية"[4]. لقد ابتكر البوصيري هذا اللون من المديح استجابة لداعي نفسه المتعلقة بالرسول الآمين (ﷺ)، وقد أحسن في شعره كل الإحسان، وأصابت الشعراء بعده موجة التقليد، فأخذوا ينظمون في مدائح الرسول تقليدا له[5]. وتعتبر قصيدته "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"[6]

---

[1]- **البوصيري** (**608**-695هـ/**1295**-1213م): الشاعر الصنهاجي حمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية، وأشهر أعماله البردة المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية". ولد ببلدة بوصير من أعمال بني سويف بمصر، انتقل مع أبيه إلى مصر حيث واصل تلقى علوم العربية والأدب. وحفظ القرآن في طفولته، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره، من تلامذته: أبو العباس المرسي وفتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي وغيرهم. عُني بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار الرسول وجامع سيرته، فأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدحه. وترك لنا عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمها ديوانه الشعري. تُوفي بالإسكندرية عن عمر بلغ 87 عامًا. ينظر: المقريزي تقي الدين، **كتاب المقفى الكبير**. تح: محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1991م، ج: 5، ص ص: 661-669.

[2]- خفاجي محمد عبد المنعم، **الحياة الأدبية في مصر العصر المملوكي والعثماني**. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1984م، ص: 146.

[3]- محمد محمود سالم، **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**. دمشق، دار الفكر، ط1، 1996م، ص: 273.

[4]- خفاجي محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 146.

[5]- خفاجي محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 147.

[6]- أطلقت على القصيدة العديد من الأسماء، منها: البراة، الكواكب البدرية في مناقب أشرف البرية. ينظر: الشافعي عثمان بن عمر بن داود، **التحفة في نشر محاسن البردة**. تح وتع: عبد الناصر علي حسين، د.ن.ط، د.ت.ن، ص: 25.

التي اشتهرت باسم "البردة"[1] من أشهر قصائد المديح النبوي وأجملها، بل إنها تعتبر من عيون الشعر العربي، وقد نسج الكثير من الشعراء على منوالها العديد من القصائد. وقد هامَ فيها أهل التصوف فشرحوها عشرات المرات وبلغات مختلفة، وشطَّروها، وخمَّسوها، وسبَّعوها، وعارَضوها، ونظموا على نهجها، وغلوا فيها حتى جعل بعضهم لأبياتها بركة خاصة وشفاء من الأمراض[2].

ولم تكن قصيدته البردة الوحيدة التي كتبها في المديح النبوي، إنما له قصائد عديدة، ومنها: القصيدة "المضرية في مدح خير البرية"، والقصيدة "الخمرية"، وقصيدة "ذخر المعاد"، ولامية في الرد على اليهود والنصارى "المخرج والمردود على النصارى واليهود"، وقصيدة "أم القرى في مدح خير الورى"[3]. وحظيت القصيدة باهتمام ومتابعة كبيرين، فقام العديد بشرحها أو خمسها أو سبعها[4]، وتجاوزت المائة شرح "فقد أحصى بروكلمان من شروحها المخطوطة المحفوظة في مكتبات مكتبات العالم أكثر من مائة شرح، فضلا عما فقد، ومن التشطيرات والتخميسات وما إليها ما يزيد على هذا العدد، أما المعارضات فإنها لا تكاد تحصى"[5]، ونالت هي الأخرى من الشرح

---

[1]- البردة الحقيقية هي لامية كعب بن زهير، والتي تتألف من 58 بيتا، حظيت باهتمام المسلمين لأنها ألقيت بين يدي الرسول، ونالت إعجابه حيث خلع على كعب بردته ومن ثم سميت هذه القصيدة بـ"البردة".

[2]- الهيثمي أحمد بن محمد بن حجر، **العمدة في شرح البردة**. تح وتع: بسام محمد بارود، أبو ظبي، دار الفقيه للنشر والتوزيع، د.ت.ن، ص: 53. مكي محمود علي، **المدائح النبوية**. القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1991م، ص: 109.

[3]- مكي محمود علي، المرجع السابق، ص: 109.

[4]- الشافعي، **التحفة**، ص ص: 32-48.

[5]- مكي محمود علي، المرجع السابق، ص: 119.

مائة، نذكر منها: شرح ابن هشام النحوي[1]، شرح ابن الصائغ[2]، شرح علي بن محمد الشاهرودي[3] وشرح أبي العباس القصار[4] وغيرهم كثر[5].

4- اهتمام ابن مرزوق الحفيد بقصيدة البردة:

لم يكن ابن مرزوق الحفيد ببعيد عن قصيدة البردة للبوصيري، وهي التي ذاع صيتها وتداولتها الألسن في كل مكان، ونظرا لأهميتها وبعدها الديني، اقترب منها خلال وجوده في مصر، وقد رواها أكثر من واحد، سمعها من الشيخ الحافظ شهاب الدين أبي العباس المكي، ابن جماعة الكناني، أبو حفص عمر البلقيني، عمر بن علي ابن الملقن والحافظ زين الدين العراقي، وكذلك أجازه أبو العباس القصار[6] وشمس الدين محمد الغماري[7]، ونتيجة ذلك قدم ابن مرزوق الحفيد الحفيد ثلاث شروح متنوعة في أغراضها وغاياتها، وهي حسب تواريخ إنجازها[8]:

---

[1]- **ابن هشام النحوي (708-761هـ/1308-1359م)**: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الحنبلي، تتلمذ على يد جماعة من العلماء، منهم: ابن المرحل، ابن السراج وابن جماعة وغيرهم. أقبل الناس عليه لعلمه وقدراته، له مؤلفات عديدة منها: التوضيح على الألفية، عمد الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، شرح بانت سعاد وغيرها. ينظر: ابن العماد، المصدر السابق، مج: 8، ص ص: 329-330.

[2]- **ابن الصائغ (708-776هـ/1308-1374م)**: هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي الحنفي النحوي، كان بارعا في الشعر والنثر والنحو، تتلمذ على يد أبي حيان والحجار والدبوسي، من مؤلفاته: التذكرة النحوية، شرح المشارق، المنهج القويم في القران الكريم وغيرها مات قتيلا. ينظر:المصدر نفسه، مج:8، ص ص:427-428.

[3]- **علي بن محمد الشاهرودي (803-875هـ/1400-1470م)**: علي بن محمد بن مسعود بن محمود البسطامي الحدوي الرازي البكري الفخري، من شيوخه: جلال الدين يوسف الأوبهي، ومن تآليفه: ملتقى البحرين وحاشية على الكشاف للزمخشري. ينظر: البغدادي، **هدية العارفين**، مج: 1، ص: 735.

[4]- **أبو العباس القصار:** هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي، علامة محقق عارف بالنحو وغيره، وهو أحد تلاميذ ابن مرزوق الحفيد، له مؤلفات منها: شرح شواهد المقرب وحاشية على الكشاف، كان حيا بعد 790هـ/1388م. ينظر: التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 1، ص: 100.

[5]- للتفاصيل ينظر: الشافعي، **التحفة**، ص ص: 32-48.

[6]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**. تق وتح: فلاق محمد، الجزائر، موفم للنشر، 2011م، ج: 1، ص ص: 49-50.

[7]- ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 42.

[8]- ابن مرزوق الحفيد، **تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة**. تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب الشريف، الدار البيضاء، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 2013م، ص: 31.

- الأول: "إظهار صدق المودة في شرح البردة" وهو الشرح الأكبر والأكثر تفصيلا، وهو ما سنتناوله بالدراسة لاحقا
- الثاني: "الإستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب" وهو الشرح الأوسط، وهو مختصر لشرح البردة.
- الثالث: "تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة"، هو الشرح الأصغر على البردة تطرق فيه ابن مرزوق الحفيد إلى إعراب مفردات القصيدة.

ولابد من الإشارة هنا، إلى وجود لبس في ذكر الشروح الثلاث للبردة، فالمسألة الأولى حسمناها في الفقرة أعلاه، وأعني التسلسل الزمني لإنجاز الشروح، وما يؤكد ذلك ما ذهب إليه ابن مرزوق الحفيد في مقدمة كتابه "تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة"، حين قال: "أما بعد، فقد سألني بعض السادة الإخوة أن ألخص من شرح إظهار صدق المودة في شرح البردة شرحا؛ ليكون هذا التلخيص وسطا بينه وبين المختصر الذي وضعته عليها أولا المسمى بالاستيعاب"[1].

وما ورد من قول لابن مرزوق الحفيد في ما سبق، لا يتوافق لما ذهب إليه فلاق محمد محقق كتاب "إظهار صدق المودة في شرح البردة"، والذي ذكر فيه أن الشروح الثلاث لا تحمل إسما محددا، وبعد ذلك قدم احتمالا من أنه يحمل عنوان "مختصرا"، حين قال: "أصغرها الإستيعاب، وأكبرها إظهار صدق المودة، إضافة إلى الشرح الأوسط الذي لم تذكر له كتب التراجم عنوانا كسابقيه"[2]. ثم يقول: "ومن المحتمل أن يكون الشرح الأوسط مختصرا للشرح الأكبر، فإن عادة المؤلفين في تلك العصور كانت تألف الكتب وتألف مختصراتها بعد ذلك أو حتى شرحها"[3].

وانفرد البلوي في ثبته بذكر اسم شرحه الأوسط "تلخيص صدق المودة في شرح البردة"[4]، في حين نجد أن مترجميه لم يذكروا اسمه، فهذا القرافي لم يذكر بالمطلق وجود شرح ثالث للبردة من قبل ابن مرزوق، يقول: "وإظهار صدق المودة في شرح البردة، ويسمى أيضا صدق المودة، واختصره وسماه الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب"[5]، في حين ذهب ابن مريم في

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **تلخيص إظهار صدق المودة**، ص: 31.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 29.

[3]- المصدر نفسه، ص: 29.

[4]- البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

[5]- القرافي، المصدر السابق، ص: 154.

كتابه البستان إلى ذكر ثلاثة شروح، ولكن من دون ذكر عنوان التلخيص، حين قال: "شروحه ثلاث على البردة الأكبر المسمى إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة استوفى فيه غاية الاستيفاء ضمنه سبعة فنون في كل بيت، والأوسط والأصغر المسمى بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب"[1]. وذات الحديث أشار إليه كل من: التنبكتي والمقري[2]، في حين لم يذكر الكتاني في فهرسه إلا الاستيعاب، حين قال: "وشروح ثلاث على البردة: الأكبر والأوسط والأصغر المسمى بالاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب" [3].

5- كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة:

نال كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة اهتمام وقبول العلماء وطلبة العلم، فضلا عن عامة الناس. ونتيجة ذلك، تناولته الأيادي في مختلف البلدان للاستفادة منه قدر الإمكان. وهذا الكتاب كما صرح ابن مرزوق الحفيد ترجمة عن إعجابه بقصيدة البوصيري التي أراد من خلالها تقديم صورة أدبية ودينية يستطيع القارئ من خلالها استيعاب القيم الجمالية للقصيدة.

أ- وصف المخطوط:

اعتمد المحقق على نسختان منه وبعض الأوراق من نسخة أخرى، والنسختان متوفرتان في المكتبة الوطنية الجزائرية، أولهما المخطوط ذو رقم ح18، والثاني ذو رقم ح2. في حين الأوراق تعود إلى النسخة المغربية المتوفرة في المكتبة الزيدانية. وأشار المحقق إلى أهميتها في إكمال النواقص التي كانت عليها النسختان الجزائريتان، حين قال: "لم أحصل منها إلا على أوراق يسيرة يخص بعضها أول المخطوط وبعضها آخره، دون أن يمنع هذا أنني استفدت منها في إتمام مقدمة الكتاب وخاتمته. فالنسختان السابقتان تنقص كلتيهما ورقة من الأول وورقة من الأخير"[4]. ويرجع تاريخ الانتهاء من تأليفها يرجع إلى عام 810هـ/1407م في مدينة تلمسان، حيث كتب ابن مرزوق

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق ، ص: 210.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص:506. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 429.

[3]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج: 2، ص: 525.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، ج: 1، ص: 13.

الحفيد ذلك في نهاية المخطوط: "وكان الفراغ من تقييد مبيضته يوم الجمعة الثامن عشر من شهر محرم فاتح عام عشرة وثمانمائة، وعرفنا الله المنة فيها بمنة بتلمسان حرسها الله تعالى وأحاطها"[1].

ب- عنوان الكتاب ونسبته لمؤلفه:

كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة لابن مرزوق الحفيد مشهور بين العلماء من أقرانه وطلبة العلم وغيرهم، فقد عرف الكتاب بضخامة حجمه وكثير علمه، إذ أشار إليه من ترجموا لابن مرزوق الحفيد أو كتبوا في هذا المجال. ولا يوجد من بينها من نسبه لسواه، وعليه فإن نسبة الكتاب إليه ثابتة ومحققة. وفيما يخص العنوان، فقد أشارت ذات المصادر إلى المسمى الذي ورد في مقدمة ابن مرزوق التي وضعها للكتاب[2]. وكذلك أشار إلى نسبة الكتاب لابن مرزوق الحفيد صاحب كتاب "إرشاد الساري" شهاب الدين أحمد القسطلاني، عند حيثه عن كتاب ابن مرزوق الحفيد المتجر الربيح[3].

ج- دوافع التأليف:

أشار ابن مرزوق الحفيد في مقدمة الكتاب إلى الدوافع التي حركته من أجل تأليف كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة، والتي يمكن تحديدها بما يلي[4]:

- المكانة التي احتلتها قصيدة البوصيري في العالم الإسلامي، والشهرة التي نالتها شكلت دافعا له لشرحها.
- إعجاب ابن مرزوق الحفيد بقصيدة البوصيري، ورغبته العارمة في التأليف فيها من أجل تذوق النص وتلمس جماليته وبديعيته.
- الدافع التعليمي: إذ سبب طلب التأليف في إعراب وبديع القصيدة أولا كان لهذه العلة.

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 614.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **اظهار صدق المودة**، ج: 1، ص: 29.

[3]- القسطلاني شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب، **إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري**. القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، 1323هـ، ج: 1، ص: 43.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **اظهار صدق المودة**، تح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 30.

د- منهجه:

وهذا الكتاب كما صرح الحفيد هو شرح موسع لقصيدة البردة، وذلك لكي يقرب من يريد أن يتذوق القصيدة من جميع الأوجه، ومن هذا المنطلق ارتكز شرحه على سبع محاور، وهي[1]:

- شرح الغريب من الألفاظ وما يتعلق بتصريفها.
- التفسير في شرح المعنى المقصود الذي ابتغاه الشاعر من تراكيب الجمل.
- ذكر حكم معاني الكلمات إفرادا وتركيبا.
- بيان ذكر وجوه التركيب من وضوح الدلالة على المعنى المراد.
- إظهار بديع التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية.
- إعراب الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها من أجل فهم معاني الأبيات.
- استخدام الإشارات الصوفية بما يمكن أن تكون إشارة ظاهرة للمعنى المذكور.

لم يعتمد الحفيد في إطار المنهجية المتبعة في الكتاب الطريقة التقليدية التي تقوم على أساس تقسيم مادة الكتاب إلى فصول أو أبواب، بل عمد إلى تقسيم أبيات القصيدة في مجموعات، والتي بلغت 33 مجموعة، تضم كل مجموعة منها عددا من الأبيات المرتبطة من ناحية المعنى، المتباينة في أعداد أبياتها، ومجموعة الأبيات هي العنوان، ويندرج تحتها التحليل في المستويات السبع المذكورة سابقا[2].

هـ- مصادر الكتاب:

لقد فرضت أهمية قصيدة البردة للبوصيري على ابن مرزوق الحفيد توظيف أعلى مستوى من الإمكانيات المصدرية التي تعينه في إيضاح الغامض وشرح الغريب وتفسير الصعب مما ورد فيها، وهذا يعني تنوعا في طبيعة المصادر التي اعتمد عليها في شرحه. ومن هنا، نجد تنوعا من حيث النوع والكم كانت الغاية من ورائه هو جعل من يقرأ الشرح يستوعب جمالية وبلاغة ما

[1]- المصدر نفسه، ج: 1، ص: 39.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة**، تح: فلاق محمد، ج: 1، ص ص: 39-40.

كتب البوصيري في البردة. ونظرا للكم الكبير من المصادر التي استخدمت في الشرح، سوف نتطرق إلى ذكر البعض منها، متجاوزين المكرر منها في ما درس من مؤلفات ابن مرزوق[1].

كان القرآن الكريم والحديث النبوي في مقدمة ما اعتمده الحفيد، كما نجد ذكر العديد من المؤلفات التي علم الحديث، مثل: صحيحي البخاري ومسلم، سنن الترمذي وابن ماجة، ومسند أبي يعلى ومسند أحمد. ومؤلفات شروح كتب الحديث من أمثال: كتاب شرح صحيح البخاري لابن بطال، وتفسير ابن عطية الأندلسي وتفسير ابن مخلد، كما اعتمد على معاجم اللغة العربية، مثل: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري والمختار الصحاح. واستعان بمؤلفات عدة في علوم اللغة العربية، مثل: كتاب سيبويه، شرح البردة لأبي العباس القصار، وشرح القصيدة الخزرجية لأبي العباس الشريف الغرناطي ومقامات الحريري وشروح أخرى كثيرة، واستعان أيضا في شرحه بكم كبير من القصائد الشعرية لشعراء عرب كبار، من أمثال: امرؤ القيس، علقمة بن عبدة، المبرد، النابغة الذبياني، الأصمعي، المتنبي، أبو تمام، البحتري، مهيار الديلمي، بشار بن برد وجميل بثينة وغيرهم كثر.

و- القيمة العلمية للكتاب:

إن قيمة كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة من موضوعه أي قصيدة البردة، وكذا من مكانة ابن مرزوق الحفيد العلمية، إذ تمكن من مزاوجة اتجاهين، الروحي والعلمي، وسعى إلى تفسير معاني قصيدة البردة بما يظهر غاية المديح لشخص الرسول محمد (ﷺ) الناشئ عن مشاعر حبه وصدق مودته، والوقوف على إشاراتها الصوفية السامية مع تبيان قيمتها الأدبية. وأعجبني هنا، الرأي الذي أشار إليه محقق الكتاب في بيان قيمة ما قام به ابن مرزوق الحفيد، حين قال: "إن ابن مرزوق في جمعه بين مختلف المذاهب البلاغية واستعراض آراء أعلامها باتجاهاتهم المختلفة، مقارنا في كل ذلك، مستفيدا من الناتج الكلي المتراكم، قد أثبت شخصيته العلمية وأسلوبه، مرسيا طريقته المبتدعة في تذوق النصوص الشعرية والتلذذ بها"[2]. وهذا يعني قدرة الشيخ ابن مرزوق وإمكانياته في امتلاك جميع العالم المجد المجتهد المطلع، وهنا نستعين بما قاله المقري في كتابه نفح

[1]- للتفاصيل عن مصادر الكتاب، ينظر: ج: 2، ص ص: 625-651.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**، تح: فلاق محمد، ج: 1، ص: 43.

الطيب، حين قال: "وسمى الأكبر إظهار صدق المودة في شرح البردة واستوفى فيه غاية الاستيفاء"[1].

والكتاب فوق هذا وذاك، يعد سفرا نفسيا، وإبداعا جميلا من إبداعات علماء المغرب الإسلامي، وفي عنوانه رمزية دقيقة لمضمونه ومغزاه، وإشارة واضحة إلى المقصد الجمالي، والغاية الفنية التي سعى إليها البوصيري في بردته، مما يدل على سعة إطلاع ابن مرزوق، وسلامة ذوقه وعلمه بالشعر واللغة وفنونها وأساليبها، وقواعدها وأسرارها وعناصر جمالها. وكل هذا ساهم في نجاحه في شرح قصيدة البردة بكل اقتدار وإبداع وتمكن.

6- كتاب تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة:

يعتبر البلوي الوحيد الذي انفرد بذكر في ثبته بذكر اسم شرحه الأوسط "تلخيص صدق المودة في شرح البردة"[2] في حين نجد أن مترجميه لم يذكروا اسمه صراحة فقالوا "وله شرح أوسط على البردة". والصحيح هو ما ذكره البلوي باعتباره تلميذا للكفيف ابن عالمنا فالأكيد أن ما دونه من معلومات عن والد أستاذه هي معلومات صحيحة تؤخذ بعين الاعتبار. وحتى محقق الكتاب لم يبذل جهدا في تقديمه بالشكل الذي يساعد على الإحاطة به، على العكس في شرحه وتعليقه على متن الكتاب كان موفقا فيه.

أ- عنوان الكتاب ونسبه للمؤلف:

من خلال مقدمة الكتاب نجد أن مؤلفه ابن مرزوق الحفيد قد أشار إلى اسمه، حين قال: "وسميته تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة"[3]. ولكننا حينما نقلب صفحات التراجم التي ورد فيها ذكر ابن مرزوق، لا نجد إلا خلطا أو اختزالا، إذ اتفق كل من: السخاوي والقرافي وابن مريم، إلى قول موحد وهو: "وإظهار المودة في شرح البردة ويسمى أيضاً صدق المودة واختصره

[1]- المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 429.

[2]- البلوي، المصدر السابق، ص: 293.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **تلخيص إظهار صدق المودة**، ص: 31

وسماه الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب"[1]. في حين أشار إليه كل من التنبكتي والمقري باختصار شديد وبمسمى: "الأوسط"[2]. والوحيد الذي انفرد بذكره هو البلوي كما ذكرناه سابقا.

ب- دوافع تأليف الكتاب:

أراد ابن مرزوق الحفيد من خلال هذا التلخيص تسهيل المهام على كل من يريد الإطلاع على كتابي إظهار صدق المودة في شرح البرد وكتاب الاستيعاب، وهو الدافع الأساس الذي جعله يضع هذا الكتاب، وفي هذا يقول: "أما بعد، فقد سألني بعض السادة الإخوان أن ألخص من شرح إظهار صدق المودة في شرح البردة شرحا، ليكون هذا التلخيص وسطا بينه وبين المختصر الذي وضعته عليها أولا المسمى الاستيعاب"[3].

جـ- منهجه:

لم تختلف المنهجية التي سار عليها ابن مرزوق الحفيد عن منهجيته في كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة، ويعلق أحمد بن عبد الكريم نجيب الشريف محقق الكتاب على الآليات التي اتبعها في وضع كتابه، بالقول: "ومن أحسن ما امتاز به هذا الشرح الماتع حسن التبويب والترتيب، حيث يورد المؤلف البيت من أبيات البردة ويعقبه بشرح واف بالغرض، متميز في فنه، متقدم على صنوه، مستوف لبغية طالبه، فإذا أضفنا إلى ما في التبويب الشرح وترتيبه من أجاده، ما فتح الله به على الشارح من حسن الضبط والرواية وسعة الاطلاع والتبحر في علوم الشرع والآلة المسعفة بالإفادة"[4].

هـ- مصادره:

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 154. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 429.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **تلخيص إظهار صدق المودة**، ص: 31.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **تلخيص إظهار صدق المودة**، ص: 8.

ولكون الكتاب هو اختصار لكتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة فإن المصادر التي اعتمدها في التلخيص هي ذاتها التي استخدمت في الكتاب أعلاه.

و- قيمته العلمية:

أما عن قيمة الكتاب، فهو استكمال لبقية الأعمال التي قدمها ابن مرزوق الحفيد بعمومها، وعلى مستوى شرح نظم البردة للبوصيري، إذ أجاد ابن مرزوق في تقديم الغاية التي أرادها من وراء تأليفه جعله الكتاب الوسط الذي يتمكن من يسعى إلى فهم وإدراك مكنونات القصيدة وتلمس الغايات التي كتبت من أجلها، وهو ما جعل الكتاب يتمتع بقيمة علمية عالية تعكس شخصية ابن مرزوق في ميدان الكتابة وحجم قدراته.

المبحث الثالث: إسهامات ابن مرزوق في علم الحديث

من أكثر العلوم التي قدم لنا ابن مرزوق الحفيد فيها نتاجاً علمياً يستحق الاهتمام والمتابعة والثناء، هي كتاباته في مختلف أقسام علوم الحديث، ومنها ما هو محقق وإنما ما لم يحقق، ومن

خلال هذا المبحث سنقوم بدراسة ما هو محقق، وقبلها سنحاول تقديم دراسة عن أهمية علم الحديث في المغرب الإسلامي فضلا عن ما قدمه لهذا العلم

أولا: أهمية علم الحديث في المغرب الإسلامي:

يقف الحديث الشريف والسنة النبوية المطهرة في مصاف الركائز العظمى للثقافة الإسلامية، من حيث اعتباره المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولذلك ملئت المدونات الإسلامية بعلوم الحديث رواية ودراية، وتخريجا واستنباطا، وتحليلا وتعليلا. إذ جاوزت العلوم الخادمة للنص النبوي مائة علم، وناءت المكتبات بالشروح والتفاسير الخادمة للصحاح والمجاميع والسنن والمعاجم والمستدركات والمستخرجات والزوائد وكتب السيرة والشمائل والخصائص ودلائل ومعالم النبوة، فضلا عن كتب التخريج والتعليل والتصحيح والنسخ ومختلف الحديث وغريبة وبلاغته ولغته[1].

لقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يعتنون في نقل الأخبار وقبولها، ولاسيما إذا شكوا في صدق الناقل لها. فظهر بناء على هذا موضوع العناية بالإسناد، وقيمته في قبول الأخبار أو ردها. وبناء على ذلك، أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده، ونتيجة لذلك ظهر علم الجرح والتعديل، والكلام على الرواة، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الحقيقية، وظهر الكلام في بعض الرواة، لكن على نطاق ضيق، لقلة الرواة المجروحين في أول الأمر[2]. بمرور الوقت، توسع اهتمام العلماء بعلم الحديث، حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية، وكيفية تحميله وأدائه، ومعرفة ناسخه من منسوخه، وغريبه، وغير ذلك من ناحية أخرى. ولكننا نجد أن ذلك كان يتم تناقله من قبل العلماء شفاهاً. ولكن، مع اتساع أرض الإسلام، وتطور الحياة وتشعب المجالات، أصبح لازما على المسلمين المحافظة على السيرة النبوية وأحاديث الرسول الكريم (ﷺ)، ونتيجة ذلك بدأ الاهتمام بعلم الحديث مثل بقية العلوم النقلية الأخرى، مثل: الفقه، الأصول وغيرها، ونضج العلم واستقر الاصطلاح، وغدا علما مستقلا عن باقي العلوم، وإن كان يكملها، وذلك خلال القرن الرابع الهجري. والحديث لغة: الكلام وجمعها

---

[1]- الدمشقي شرف الدين أبو محمد الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، **الخلاصة في معرفة الحديث**. تح وتع: أبو عاصم الشوامي الأثري، القاهرة، الرواد للإعلام والنشر والمكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص ص: 27-28.

[2]- الزهراني محمد بن مطر، **تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري**. الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، ص ص: 25-38.

أحاديث كما أشار إلى ذلك الفيروز أبادي في قاموس المحيط[1]، واصطلاحا: هو أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله وتقريراته وصفاته[2].

والحديث ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي: الصحيح، وهو ما سلم من الطعن في إسناده ومتنه، وفيه متفق عليه؛ الحسن، وهو ما كان إسناده دون الأول في الحفظ؛ أما الضعيف ما ليس واحدا منهما[3]. وكذلك الحديث أنواع بلغت أكثر من ثمانين نوعا، ومن أبرزها: المسند؛ وهو ما اتصل إسناده إلى النبي (ﷺ)، ويسمى أحياناً موصولا. والمتصل، وهو ما اتصل إسناده مرفوعا كان أو موقوفا[4].

ولقد اعتنى المغاربة بصحيح البخاري اعتناء كبيرا، ويذكر ابن مرزوق الخطيب من: "أن أكثر ما كان يقرأ بين يدي السلطان أبي الحسن المريني كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري، فقد واظب على حفظه وروايته في المشاهد"[5]. وكان دخوله إلى المغرب الإسلامي متقدما، فقد نقله أبو الحسن القابسي (ت:403هـ/1012م) إلى إفريقية، ومن أوائل من نقله بعد الرحلة أبو محمد الأصيلي (ت:392هـ/1001م). وتعددت تفاسيره واختلفت مناهجها بين الشرح المختصر والتفسير الواسع، أو التي اهتمت به رواية وسندا، وكذا التي اهتمت بغريبه، أو الجمع بينه وبين غيره، ومن أهم هذه الشروح التي تركت أثرا من بعدها.

ثانيا: مساهمة ابن مرزوق في علم الحديث:

ومثل بقية العلوم النقلية الأخرى، أبدى ابن مرزوق الحفيد اهتماماً بعلم الحديث، يتوافق مع قيمته الفقهية وعلمه الواسع في العلوم التي تخص اللغة العربية، ومن هذا المنطلق، وضع العديد من المؤلفات في هذا المجال، وفي مقدمتها:

---

[1]- الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مج: 1، ص: 164.

[2]- محمد أبو الليث الخيرابادي القاسمي، **تخريج الحديث نشأته ومنهجيته**. ماليزيا، اتحاد بكدبوديوبند، 2004، ص: 11.

[3]- ابن الملقن عمر بن علي ابن النحوي، **التذكرة في علوم الحديث**. تق ض وتع: علي حسن علي عبد الحميد، عمان، دار عمار، ط1، 1988م، ص ص: 13-14.

[4]- المصدرنفسه، ص ص: 14-27

[5]- ابن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح**، ص: 150.

شرح صحيح البخاري، والذي يعتبر من أهم الشروح التي وضعت لهذا الصحيح، والذي سار شرقاً وغرباً، وهو شرح مهم سماه: "المتجر الربيح والمسعى الرجيح[1]، والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح"[2]. وقد أظهر ابن مرزوق الحفيد من خلالها، أنه مسند محدث من الطراز الرفيع، وتميز في شرحه هذا بإجادة اختصار مقاصد البخاري وتبويبه للصحيح، وهي طريقة متميزة، قال عنها: "ومن أهم ما لم يذكروه جمع مقاصد الأبواب من كل كتاب من كتبه الكبيرة ككتاب الصلاة ونحوه، أو من أكثرها من ذلك الكتاب، ثم ينتقل إلى أبواب أخرى تشترك في معنى آخر من ذلك الكتاب كأنه فصل آخر منه، وتبيين المناسبة من تلك الأبواب والفصول ووجه الترتيب في تقديم بعضها على بعض، وغير ذلك من المحاسن[3]. وتتجلى صورة تأثر وأهمية الصحيح في مسيرة ابن مرزوق الحفيد في مقدمة شرحه، حين قال: "وكنت من زمن الشبيبة والكهولة قد من الله علي بالاشتغال به (يقصد صحيح البخاري) فرويته ورويته مدة ودرسته حتى ختمته في سنين عدة؛ وكان يمر بي في مجالس الرواية والإقراء ما أستحسنه بزعمي من الفوائد، وما لم أره لغيري، وأظنه من جميل الفوائد، ولم أوفق حينئذ لتقييد تلك الزوائد الشوارد، ليتجمل بها من أراد نظمها في سلك الدرر"[4].

ومن خلال هذا الكلام، نجد أن ابن مرزوق الحفيد اهتم بصحيح البخاري دراسة وتدريساً ورواية وتحملاً، وهو ما يعني اقتداره وتمكنه من هذا العلم. ونشير هنا، إلى شهادة تلميذه أبي الفرج التلمساني الذي وصف قدرات وإمكانيات أستاذه في علم الحديث، حين قال: "ملازم السنة على نهج محفوظي الأمة من البدع" [5]. وللأسف، لم يتمكن ابن مرزوق الحفيد من إكماله، حيث أتم الجزء الأول منه فقط وبقي الجزء الثاني ناقصا[6]، ومن إضافاته في التعريف بصحيح البخاري، هو

---

[1]- ذكره التنبكتي في نيل الابتهاج وابن مريم في البستان بعنوان: "المتجر الربيح والسعي الرجيح والرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح صحيح البخاري". ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص: 298. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**. تح: حفيظة بلميهوب، الجزائر، دار التنوير، ط1، 2011، ج: 2، ص: 274. القرافي، المصدر السابق، ص: 154.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، ج: 1، ص: 226.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ج: 1، ص: 1.

[5]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 137

[6]- ابن مرزوق الحفيد، **المفاتيح المرزوقية**، تح: مجاهدي صباح، ص: 33.

قيامه بجمع مكرراته ووضعها في مؤلف حمل عنوان: "أنوار الدراري في مكررات البخاري"[1]. ولم تقتصر جهوده في مجال نشر علم الحديث في منطقة المغرب الإسلامي على التعريف بصحيح البخاري فحسب، وإنما نشط في قراءة وتفسير صحيح مسلم وموطأ مالك وسنن الترمذي وأبي داود وغيرهما، وأكد ذلك تلميذه أبو الفرج التلمساني، حين قال:" قرأت عليه التفسير والصحيحين والترميذي وأبا داود والموطأ"[2].

كما ألف رجزان في علم الحديث، وتحديدا في رواية الحديث: الكبير منهما حمل عنوان "الروضة" جمع فيها بين نظم ابن صلاح وأضاف لها ألفيتي ابن ليون والعراقي سماها "روضة الأعلام بعلم أنواع الحديث السام" وجاءت في 3419 بيتا، والرجز الصغير سماه "الحديقة" اختصر في الروضة، وكذلك وضع في علم الحديث كتاب آخر، سماه: "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"[3] وهو كتاب نفيس في الحديث شرح فيه أول حديث من "حلية الأولياء" لأبي نعيم، وهو شرح لحقيقة صفات وخصال أولياء الله ورد فيه عن البدلاء المبتدعين في الدين[4].

وهكذا، نجد أن ابن مرزوق الحفيد ترك بصمته الواضحة على هذا العلم، وكيف لنا أن نقول غير هذا، وهو حفيد خير من كتب في السيرة وخدمها[5]، أعني جده ابن مرزوق الخطيب صاحب كتاب شرح العمدة في الحديث[6]، وكذلك شرح البخاري[7]. لقد كان ابن مرزوق الحفيد الحفيد ملما بعلم الحديث محيطا بكل جوانبه وخباياه، إن صح التعبير، وهو الذي قال فيه التنبكتي

---

[1]- ذكره كل من: القرافي وابن مريم والسخاوي بعنوان "أنواع الدراري في مكررات البخاري". ينظر: القرافي، المصدر السابق، 154. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 211. السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50.

[2]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 137.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 50-51. القرافي، المصدر السابق، ص: 172. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298. الكتاني، المرجع السابق، ج: 1، ص: 525.

[4]- السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص ص: 50-51. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 298.

[5]- أشار ابن الخطيب القسنطيني من أنه درس على يده صحيح البخاري، حين قال: "سمعت منه البخاري وغيره في مجالس". مجالس". ينظر: ابن مريم، االمصدر السابق، ص: 187.

[6]- وهو كتاب جمع فيه بين شرحي تقي الدين ابن دقيق العيد وتاج الدين الفاكهاني. ينظر: ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 314.

[7]- الكتاني يوسف، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**. بيروت، دار لسان العرب، د.ن.ط، د.ت.ن، ج: 1، ص: 573.

ممتدحا إياه: "مع الإحاطة بالحديث وفنونه، وحفظ رواياته ومعرفة متونه، ونظم أنواعه ووصف عيونه، فإليه الرحلة في رواياته، وعليه العمدة في حل مشكلاته"[1]، وقد وصفه تلميذه الثعالبي وأنصف في ذلك حين خاطبه، قائلا: "المحدث الثقة المحقق، بقية المحدثين وإمام الحفظة الأقدمين والمحدثين"[2]. ومن هذا، تتضح لنا قيمة الأثر الذي تركه شيخنا ابن مرزوق في علم الحديث حيث أجاد وأبدع بما للكلمتان من معنى.

ثالثا: كتاب المتجر الربيح[3]:

يعتبر كتاب (المتجر الربيح والمسعى الرجيح، والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح) من الأعمال التي أعطت ابن مرزوق الحفيد مكانة مميزة بين كتاب القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، لاسيما وأنه استطاع أن يترجم كل قدراته العلمية والأدبية والروحية في إيصال الغاية المرجوة التي أرادها البخاري في صحيحة. ومن هنا، يعد الكتاب من بين الأعمال المميزة التي كتبت في ميدان علم الحديث، والتي أظهرت مكانة علماء الغرب الإسلامي وتميزهم فيه.

1. نسخ المخطوط:

اعتمدت حفيظة بلميهوب التي حققت كتاب المتجر الربيح على ثلاث نسخ مخطوطة، علما من أنه الكتاب غير مكتمل، وما تم تحقيقه هو الجزء الثاني منه فقط، وذلك نتيجة فقدان الجزء الأول، وهذه واحدة من المشاكل التي تواجه الباحثين عند دراسة أعمال ابن مرزوق الحفيد

---

[1]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج: 2، ص: 137.

[2]- الثعالبي عبد الرحمن، **غنيمة الوافد**، ص: 115.

[3]- سنشير الى الكتاب بـ "المتجر الربيح" اختصار نظرا لطول عنوانه.

خصوصا، وباقي التراث الحضاري الإسلامي عموما. وهذه النسخ الثلاث متوزعة في ثلاث أماكن[1]:

- النسخة الجزائرية الموجودة في خزانة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في العاصمة الجزائر تحت رقم 113[2]، والتي تتضمن مقدمة الكتاب في جزئه الأول والجزء الثاني منه فقط، أي أنها نسخة غير كاملة. وعدد الأوراق هو 225.
- النسخة السعودية الموجودة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قسم المخطوطات تحت رقم 5976، وهي الجزء الثاني من الكتاب فقط، وكتبت في القرن الحادي عشر الهجري (17م) جعلتها المحققة النسخة الأساسية لكونها أفضل النسخ.
- النسخة المغربية الموجودة في الخزانة العامة في الرباط تحت رقم 572 ك، وعدد أوراقها 210 ورقة، فيها بعض التلف في ورقاتها الخمسة عشر الأولى، إلا أنها جيدة على العموم.

2. صحة عنوان المخطوط ونسبته للمؤلف:

تعتبر مسألة صحة عنوان المخطوط من الأمور الواجب تأكيدها وإثباتها نظرا لأهمية ذلك في عملية تحقيق المخطوط، وعلى ما يبدو أن المحققة كانت محظوظة في أنها حصلت على بقايا أوراق من الجزء الأول للكتاب، وهي مقدمته، وعند ذاك تمكنت من التأكد من صحة العنوان المنسوب إليه، وذلك حين قال ابن مرزوق فيها: "المتجر الربيح والمسعى الرجيح، والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح"[3]. وهناك من كتاب التراجم وغيرهم من أشار صراحة لعنوان الكتاب، وأكد عليه، نذكر منهم: السخاوي، القرافي، ابن مريم، البلوي، التنبكتي والمقري، هؤلاء جميعا أشاروا إلى عنوان الكتاب بـ: "المتجر الربيح والمسعى الرجيح

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح والمسعى الرجيح، والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح**. د وتح: حفيظة بلميهوب، أطروحة دكتوراه غير منشورة، في العلوم الشرعية، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007، ص ص: 140-142.

[2]- نقلت فيما بعد إلى المكتبة الوطنية في الحامة قسم المخطوطات.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 138.

والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح"، واتفقوا أيضا على أنه من الكتب التي لم يكملها ابن مرزوق الحفيد[1].

ومن بين الإشارات التي أكدت على صحة العنوان، ما ورد في كتاب إرشاد الساري إلى شروح صحيح البخاري لشهاب الدين أحمد القسطلاني إلى شرح ابن مرزوق الحفيد لصحيح البخاري، وإن كان ناقصا، وسماه "المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح"[2]. أما عن نسبة الكتاب إلى ابن مرزوق الحفيد، فقد قطعت جميع الكتب التي ذكرت أعلاه على أن مؤلف الكتاب هو ابن مرزوق الحفيد.

3- دوافع تأليفه:

من الطبيعي أن تكون هناك دوافع حركت ابن مرزوق الحفيد إلى شرح كتاب صحيح البخاري، وفي مقدمتها قناعته بأن العلماء قبله لم يوفوه حقه[3].

4- منهجه في تأليف الكتاب:

فيما يخص المنهجية التي اتبعها ابن مرزوق الحفيد في شرحه كتاب صحيح البخاري اعتمد المنهج المبني على توثيق النصوص، وعزو كل قول إلى صاحبه بذكر الكتاب أو مؤلفه، ووضع كلمة (انتهى) بعد القول المنقول. ولما كان ابن مرزوق مسندا محدثا من الطراز الرفيع، وتميز في شرحه هذا بإجادة اختصار مقاصد البخاري وتبويبه للصحيح، وهي طريقة مفردة. كما أفرد التراجم في أوائل الأبواب بتفاسير مفيدة، على اعتبار أن فقه البخاري في تراجمه. والتنبيه على نكت البخاري في تكرار الأحاديث، وأنه ليس تكرارا في الحقيقة، وإنما هو إفادات جديدة في تنويع السند أو الزيادة في الأحكام، أو تبيين إنفراد الراوي وفير ذلك.

كما تم الاعتماد على كتب اللغة ومعاجمها لتبيين دلالة الألفاظ، مثل كتاب الصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده وكتب الإعراب، مثل: كتاب الصفاقسي والشلوبين. ولم يتجاهل

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج:7، ص: 50. القرافي، المصدر السابق، ص: 154. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. البلوي، المصدر السابق، ص: 294. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 507. المقري، المصدر السابق، ج:5، ص: 430.

[2]- القسطلاني، **إرشاد الساري**، ص: 43.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 145.

مسألة هامة في شرحه لكتاب البخاري، وأعني هنا، الإفادة من شروح المغاربة السابقين كابن بطال في شرح البخاري، والقاضي عياض في كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار. وكذلك نلاحظ أن ابن مرزوق الحفيد أدخل المباحث البلاغية في الحديث، ومن ذلك تعليقه على حديث عبادة بن الصامت في البيعة. ولم يقف تميزه عند هذا الحد وإنما عمل على إدخال علم المقاصد في شروح الأحاديث، وهي مسألة مميزة لم يعرض لها كثيرون، ومن ذلك كلامه عن مقاصد الدين والنسل والنفس والمال في حديث البيعة السالف.

ولم يتوقف ابن مرزوق الحفيد عند هذا الحد الإبداعي في المنهجية التي اتبعها في كتابة المتجر الربيح، وإنما أبدى اهتماما بالقضايا العقدية من حيث المسند الحديثي لا الكلامي، وهي مسألة ظاهرة في سلفية الإمام، ومن ذلك تعاليقه العديدة على أحاديث كتاب الإيمان، ومن ذلك كلامه عن تفاضل أهل الإيمان وزيادته ونقصه، مع عدم إغفال المباحث المنطقية الداعمة لآرائه في بعض القضايا اللغوية والعقدية. وهذا دفعه إلى إيراد القضايا الفقهية، وذلك عبر الاستعانة بالكتب المتخصصة بالفقه المالكي مثل:كتاب القاضي عياض وكتاب المازري وكتاب ابن الحاجب، واستعانته بكتب الأصول مثل: كتاب المحصول للفخر الرازي، فضلا عن عرضه لآراء الفقهاء الآخرين مع تركيز على المدونات المالكية كرسالة ابن أبي زيد وواضحة ابن حبيب الأندلسي[1].

5-مصادره:

اعتمد ابن مرزوق على جملة من المصادر ذات العلاقة المباشرة بموضوع الكتاب، وهذه المصادر حينما ننظر فيها نجدها تعكس سعة إطلاعه ومعرفته بكل ما كتب بخصوص ما يدرس. ومن هنا نجد تنوعا في المصادر التي استخدمها في شرح خفايا كتاب صحيح البخاري، ومنها نذكر:

- في علم الحديث، كان كتاب البخاري ذاته أولى مصادره، ومن ثم استعان بكتب أخرى، مثل: صحيح مسلم والموطأ، والنووي، مسند أبي يعلى، شرح ابن بطال، ابن التين، بدر الدين العيني، شرح المهلب بن أبي صفره وكتاب الشفا للقاضي عياض.

[1]- للتفاصيل عن المنهجية التي اتبعها ابن مرزوق في شرح صحيح البخاري ينظر: **المتجر الربيح**، ص: 146-158.

- ومن كتب التفسير، نذكر: تفاسير ابن عطية، الزمخشري، أبو العالية وتفاسير أخرى كثر.
- وفي مجال الفقه، نذكر: المدونة لمالك بن أنس، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شرح الأحكام لابن مرزوق الخطيب، مختصر الحاجب الفرعي.
- في أصول الفقه، اعتمد على كتاب المحصول لابن أبي حاتم الرازي وابن الحاجب الأصلي.
- ومن كتب الأخبار والسي وتراجم الرواة، نذكر: تاريخ البخاري، طبقات ابن سعد، الواقدي، وغيرها من الكتب في هذا المجال.
- كما استعان بأقوال كبار علماء الحديث، من أمثال: ابن حبيب، سحنون، الباجي وابن القصار.
- وذكر أقوال بعض أصحابه من دون أن يذكر أسمائهم.

6- قيمة الكتاب:

إن شرح ابن مرزوق الحفيد لصحيح البخاري يعد واحدا من الشروح التي تفتخر مكتبة الحديث النبوي بها، لما يتضمنه من علم وروعة اللغة وعمق المنهج، والجدل المنطقي، وأدب المناظرة فضلا عما تضمنه من تحقيقات قيمة وفوائد كبيرة لم نجدها عند غيره من الشراح. وقيمة الكتاب وأهميته تستمد من عدة أمور، وهي[1]:

- مكانة ابن مرزوق الحفيد العلمية، فهو من العلماء المبرزين، وحاز على شهرة كبيرة في الأوساط العلمية بحكم كفاءته وما يمتلكه من قدرات علمية. واعترف له القاصي والداني بذلك، ومما قيل بحقه، ما كتبه ابن غازي بعد أن سمع من شيخه أبي محمد الورياجلي عن مناقب ابن مرزوق، حين قال[2]:

فَاتَنِي أَنْ أَرِى الدِّيَارَ بِطَرْفِي فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي

- قيمة الكتاب من خلال مادته العلمية وموضوعه، فهو شرح لأعظم وأصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، أي صحيح البخاري، وهنا نشير إلى ما ذكره عبد العزيز

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 142-143.

[2]- ابن غازي، **الفهرس**، ص: 113.

فيلالي بخصوص أهمية شرحه لصحيح البخاري، حين قال: "في علم الحديث شرح الجامع الصحيح للبخاري المسمى المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصحييح والخلق السميح لم يكمله في أربع مجلدات، قيل عنه لم ير الراؤون مثله"[1].

رابعا: روضة الإعلام بعلم الحديث السامي[2]:

يعتبر كتاب "روضة الإعلام بعلم الحديث السامي" إبداع آخر من إبداعات ابن مرزوق الحفيد في مجال علم الحديث، فهذه الأرجوزة أو المنظومة التي جمع فيها بين عدد من الأعمال الخالدة في هذا الميدان، كانت تجربة أخرى أراد من خلالها أن يظهر باعاً ومكانة لا يدانيها إلا من هم بقامة المتميزين.

1. نسخ المخطوط:

اعتمدت محققة الكتاب البوزيدي سناء[3] في تحقيقها للكتاب على نسخة واحدة فقط ظنا منها أنها نسخة فريدة، وهي النسخة المتوفرة في الخزانة الحسنية بالرباط، وهي مصنفة تحت رقم:8788، وعدد أوراقها بلغ 134 ورقة، ونسخت في شهر شوال من سنة 821هـ/1418م، ناسخها هو أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الشافي القسنطيني دارا القرشي نسبا، نسخها في ربيع الأول سنة 834هـ/1430م من نسخة كتبها المؤلف بيده. ولكن توجد نسخة أخرى للكتاب محفوظة بمكتبة دير الإيسكوريال تحت رقم 1517. وعدد أبياتها الأصلي هو 3419 بيتا وليس 1700 بيت مثلما ذكره التنبكتي ومن نقل عنه، وهو ما ذكر في آخر الكتاب. والنسخة تبدأ بـ:

الحَمْدُ للهِ عَلَى عُظْمَى النِّعَمِ هَدْيِ النَّبِيِّ مُحمدٍ هَدْيٍ أَعَمْ
بَيَّنَ للنَّاسِ الَّذِي قَدْ أَنْـــزَلاَ مِنَ الكِتَابِ بِطَرِيقـــةِ العُلَى
فَلَيْسَ مِن سِوَاهُـــمَا سَبِيلُ إِلَى الهُدَى قَدْ قَالَهُ الرَّسُـــولُ

---

[1]- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 444.

[2]- لابد من التنويه من أننا اعتمدنا في دراسة هذا الكتاب على نسخة المخطوط للكتاب وكذلك أطروحة سناء اليزيدي، وسنشير إليها اختصارا: بروضة الإعلام، فيما سنشير إلى المخطوط بعنوانه الكامل "روضة الإعلام بعلم الحديث السام".

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **روضة الإعلام بعلم الحديث السام**. تق وتح: اليزيدي سناء، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الرباط دار الحديث الحسنية، 2006، ج: 1، ص: 60.

هُمَا الَّلذَانِ لاَ يَضِلُّ مَن تَبِعَ أَمْرَهُمَا وَلاَ يَزِيـــغُ فَاسْتَمِـــعْ[1]

وفي آخر الكتاب تقريظ بأبيات شعرية، للكاتب أبي عثمان سعيد بن موسى العجيسي الشهير بالنسّاخ، كتب يقول:

تَمَّ كِتَـــــابُ رَوْضَةِ الإِعْلَامِ بِعِلْمِ أَحْكَامِ الحَدِيثِ السَّامِ
فِي شِهْرِ شَوَالَ الَّذِي مِن سَنِةِ إِحْدَى وَعَشَرِينَ ثَمَانِي مَئَـــةَ
بُيُوتُـــهَا ثَلاَثَـــــــةُ الآلاَفِ وَنِصفِ أَلفٍ جَاء بِائتلاَفٍ
خَاليـــــةٌ أَلفَاظُهَا مِن حَشْوٍ لِذَا أَتَتْ مِن حُسْنهَا فِي زَهْوٍ
عَلَى يَدِ نَاظِمِهـــــــا السُّنِيِّ نَجْلُ ابن مَرْزُوق التِّلِمْسَانـــي
ثُمَّ العَجِيسِي وَبعضُهُم نَسَـبْ إِلى عَقِيل ثُمَّ قَيْسِيٌّ غَلَـــبْ
قَيْسُهم أَنْسَـــلَ مَروزقَ الأَغَر ثُمتَ مَحمودًا وَيَعلى وَعُمَـــرْ
فَانْسب لمن شِئت تَعِ الصَّوَابَـا وَطالعِ التَّاريخَ تَلْف البَابَـــا
زَادَ عَجِيسةَ فَخَارًا مَنْشَـــــؤُهُ فَنسألُ اللهَ العَظِيم يَكْلَـــؤُهُ
بِجَاهَ سَيِّدِ الوَرَى الجَلِيـــــــلِ مُحمد ذِي الشَّرَفِ الأَثِيـــلِ
صلَّ عَلَيْهِ اللهُ رَبُّ العَالميـــنَ وآلِهِ وَصَحْبِهش وَالتَّابِعيـنَ[2]

والنسخة هذه مكتوبة بخط مغربي واضح، بمداد أسود وبعض الكلمات كتبت بمداد أحمر، ورقها أصفر لا انقطاع أو بياض به، ولكن به خروم في وسطه وعلى الجوانب ولكن الخروم التي في الورق قد أتت على بعض الكلمات والتعليقات أو ما استدركه الناسخ.

2. صحة عنوان المخطوط ونسبه للمؤلف:

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ روضة الإعلام**، و: 1. ينظر: الملحق رقم: (23)، ص: 465.

[2]- المصدر نفسه، و: 65. ينظر: الملحق رقم: (24)، ص: 466.

فيما يخص صحة عنوان المخطوط، كل الأدلة تشير إلى أن عنوانه هو: "روضة الإعلام بعلم الحديث السام"، ومن هذه الدلائل والقرائن، أن المؤلف ذكرها بنفسه في بداية منظومته ونهايته تحديدا في البيت رقم 44:

سَمَّيْتُهُ بِرَوْضَة الأَعْلاَمِ بِعِلْمِ أَنْوَاعِ الحَدِيثِ السَّامِ[1]

كما ذكره في كتابه المنزع "ولقد استوفيت الكلام في هذه الفصول في رجز الروضة والحديقة المنظومين في علم الحديث"[2]، وأشار السخاوي إليه بالقول: "ورجز في علوم الحديث سماه الروضة واختصره في رجز أيضا سماه الحديقة" [3]، وتكرر هذا القول عند كل من القرافي[4]، وابن مريم، والمقري وكذلك ابن هلال السجلماسي، في حين زاد التنبكتي قليلا عليه، حين قال: "ورجزان في علوم الحديث الكبير سماه الروضة جمع فيه بين ألفيتي ابن ليون والعراقي ومختصر الحديقة اختصر فيه ألفية العراقي"[5].

وفيما يخص نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فإننا أيضاً يمكننا بيان صحة النسبة إليه من خلال نفس القرائن والدلائل التي قدمناها من قبل بخصوص صحة عنوان المخطوط هي نفسها التي يمكن أن نثبت بها أن المخطوط يعود إلى ابن مرزوق الحفيد، فقد نسبه إليه مترجموه كابن حجر والسخاوي والتنبكتي، وتلاميذه كالقلصادي والثعالبي وابنه الكفيف وتلامذة ابنه كالبلوي في ثبته، كما نسبه إليه أيضا محمد حبيب الله بن مايابي الجكني الشنقيطي في أرجوزته "إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك" حين أورد إشارات تؤكد نسبة كتاب روضة الإعلام بعلم الحديث السام لابن مرزوق، إذا كتب يقول:

وكم إِمَامٍ نَاصرٍ لماَ اعْتَمَدَ لأَنَّهُ فَيهِ عَلَى الحَـقِّ اسْتَنَـدَ
كَنْجلِ مَرْزُوق فَقَالَ يُبقَى مَا الشَّافِعِيُّ بَيَّن فِيـهِ الحَقَّـا
وَنَجْلُ مَرزوقَ لَهُ نَظْمٌ ذَكَر فيهِ الذِي أَذهبَ ذِكْرَهُ الفِكْرَ

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ روضة الإعلام**، و: 2.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **المنزع النبيل**، ج: 1، ص: 317.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج: 7، ص: 50.

[4]- القرافي، المصدر السابق ، ص: 149. ابن مريم، المصدر السابق، ص: 210. المقري، المصدر السابق، ج: 5، ص: 429. ابن هلال السجلماسي، المصدر السابق، ص: 107.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 506.

ثم عقب على قوله "لهُ نِظْمٌ" بالقول: "وهو شامل لنظمه في علوم الحديث، الكبير منها سماه الروضة، جمع فيها بين ألفيتي ابن ليون والعراقي في ألف وسبعمئة بيت، ومختصر الحديقة اختصر فيه ألفية العراقي"[1]. سبق وأن صححنا الخطأ في القول بأن الحيقة هي اختصار لألفية العراقي بل هي اختصار للروضة كما أكده ناظمها ابن مرزوق الحفيد.

3. دوافع التأليف:

من خلال مقدمة المنظومة يحدد ابن مرزوق الحفيد الدوافع التي حركته لتأليف هذا الكتاب، ويتبين لنا أن الذي حركه خليط من الدوافع ما بين الشخصي والعام، ويمكن تحديدها بما يلي:

- تصريح ابن مرزوق الحفيد من أنه أراد أن يأخذ مكاناً بين أشياخه ممن خدموا هذا العلم بالاجتهاد والتأليف، وفي هذا يقول[2]:

فَبَعْدَ لَأْيٍ لِي بَدَتْ حَلَاوَةٌ طَعَامهم وَأَشْرقَتْ طَلَاوَة
لِبَاسُهم فَمَا اسْتَطَعْتُ صَبْرَا حَتَّى رَكِبْتُ بَعْدَهُمُ ذَا البَحْرِ

- وكذا رغبته تقديم عمل مميز يضعه في مصاف من ساهموا في ترقية علم الحديث إلى المدى الذي يمكن الجميع من فهمه وحفظ أساسياته.

4. منهجه في الكتابة:

كما اعتدنا على الآليات المنهجية التي ينتهجها ابن مرزوق الحفيد في كتاباته، فهو حاضرا في كل ثنايا العمل الذي قدمه، إذ نراه يناقش ويخالف ، ويطرح الآراء والأفكار والرؤى التي يراها مناسبة في فهم وإدراك علوم الحديث وكيفية الاستفادة منها. وفي هذا تقول سناء اليزيدي: "لم يكن ابن مرزوق الحفيد في الروضة، مجرد حاطب ليل يجمع الأقوال ليعرضها علينا مجردة عن أي تدخل منه، بل كان حاضرا طيلة الكتاب يناقش، ويخالف ... ويطرح أفكاره وآراءه الشخصية...

---

[1]- الشنقيطي محمد حبيب الله بن مايابي الجكني، **إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك**. بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط2، 1995، ص: 17.

[2]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ روضة الأعلام**، و: 66.

ويطبع المؤلف بطابعه الخاص المجرد عن الإتباع والتقليد التام" [1]. وبناءا عليه، تتجلى قيمة الكتاب على أنه إضافة لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن العلوم التي تخص الحديث، ولاسيما المنظومات المكتوبة في بحر الرجز.

5. مصادره:

فيما يخص المصادر التي اعتمدها ابن مرزوق الحفيد في إنجاز روضة الإعلام بعلم الحديث السام على أربع كتب أساسية أشار إليه بكل وضوح في مقدمة المخطوط، وهي[2]:

- ألفية العراقي المسماة "التبصرة والتذكرة" لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم الحسين العراقي (ت:806هـ/1403م).
- ألفية ابن ليون وهو أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي (ت:750هـ/1349م).
- مقدمة ابن صلاح المسمى "معرفة أنواع علوم الحديث" لأبي عمرو تقي الدين بن صلاح (ت:643هـ/1245م).
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي.

6. طبيعة المخطوط:

المخطوط الذي نحن بصدد تقديمه هو نظم شعري من بحر الرجز، وهو الأقرب إلى النثر من بقية بحور الشعر الأخرى[3]. ومن العنوان "روضة الأعلام بعلم الحديث السام" يتناول علم الحديث من مختلف الجوانب، أراد من خلاله ابن مرزوق الحفيد خدمة هذا العلم المهم والضروري لكل مسلم. وفي هذا كتب يقول[4]:

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ روضة الأعلام**، ص: 67.

[2]- المصدر نفسه، و: 1.

[3]- اابن مرزوق الحفيد، **روضة الإعلام**، ج: 1، ص: 134.

[4]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ روضة الإعلام**، و: 2.

وَمَا التَّكاثرُ قَصدتُ عُلمـــاء عاَلم غَيبِ الأَرضِ مَع غَيبِ السَّماءِ
فَإنَّني وَاللهِ فِي نَفْسي أَقـــلُّ مِن كُلِّ مَخلـــــوقٌ وَلَيت وَلعَـــلَّ
لَكنَّني قَصدتُ تَحريكَ الهِمِمِ مِن ذِي الفَضَائـــلِ وَسَاداتِ الأُممِ
مِن كُلَّ بَلدةٍ لِكيْ يَـــجردُوا دَاري مَجَـــد مِنهُ قِدمـــا سَعِـــدُوا

7. أهمية المخطوط:

جاء تأليف روضة الأعلام بعلم الحديث السام في مرحلة بلغ فيها ابن مرزوق الحفيد مرحلة النضوج الفكري واكتمال المعارف، حسبما ذهبت إليه سناء اليزيدي[1]. وهذا يدل على أن الدراية والثقة في القدرات والإمكانيات جعلت ابن مرزوق الحفيد يقدم لنا عمل ذا مستوى عال.

وعلينا، أن نتذكر أن رجز الروضة هو نظم شعري له غاية تعليمية، وعليه فهو يخلو من العواطف والأخيلة، ويقتصر على الأفكار والمعلومات والحقائق العلمية المجردة. وهي الأشعار التى تهدف إلى تعليم الناس وتشتمل على المضامين الأخلاقية، الدينية، الفلسفية، أو التعليمية عموماً، وهي التي تجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطه[2].

خلاصة الفصل، من خلال هذا الفصل التي تضمن دراسة كتب ابن مرزوق والتي وقعت بين يدي، والتي تم تحقيقها من قبل باحثين أكاديميين، نجد أن هؤلاء جميعا كانوا جد مهتمين لإبراز المزايا والفوائد التي تضمنتها كتبه، مؤكدين على قدرة ابن مرزوق الحفيد في الإلمام بالمواضيع التي درسها وألف فيها، وهذا حسبما أرى تأكيد على أن ما ألفه ابن مرزوق الحفيد يستحق الاحترام والتقدير، فهو ذو فائدة عظيمة، لذا نجد أن البعض من مؤلفاته قد حققت لمرتين أو أكثر، مما يدل على قيمتها العلمية ونبوغ صاحبها لذا قيد الله له من عمل ويعمل على البحث والتنقيب عن مؤلفاته لنفض الغبار عنها كي تعم الفائدة الجميع، وهو الذي طلب من كل من يقرأ عمله بالدعاء له بالرحمة، كما جاء في كتابه المقنع الشافي:

وَكُلُّ مَنْ نَظَرَ فِي هَذَا الكِتَابِ قَصْدَ الْتِمَاسِ النَّفْعِ وَالأَمْرِ الَصَّوَابَ
وأَسئلُ النّاظِـــــرَ فِيهِ كُلَّمَا نَظَرَ أَنْ يَقُـــــولَ يَا رَب إِرْحَـــمْ

---

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **روضة الإعلام**، د وتح: اليزيدي سناء، ج: 1، ص: 66.

[2]- للتفاصيل عن الشعر التعليمي من حيث مراحل تطوره واهم سماته، ينظر: الحلبوني خالد، "الشعر التعليمي (بداياته، تطوره، سماته)". مجلة: جامعة دمشق، ع: 3-4، مج: 22، السنة 2006، دمشق، ص ص: 85-101.

نَاظِـــمَ هَذَا والَّذِينَ سَلَفُـــوا لَهُ وَنَسْلُـــهُ الَّذِيـــنَ خَلَفُـــوا
وَحَسْبُـــنَا اللهُ تَعَالَى وَكَفَـــى ثُمَّ سَلاَمُـــهُ عَلَى مَـنْ اصْطَفَـــى[1]

[1]- ابن مرزوق الحفيد، **مخ المقنع الشافي**، و: 5.

الخاتمة

من خلال دراستنا للموضوع "**ابن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني وآثاره**" تمكنا من التوصل إلى بعض الاستنتاجات التي أفرزها العمل من البداية والنهاية، وكان بعضها خلاصة أفكار ناقشناها، وإن لم تجد لها مكانا في ثنايا البحث، ويمكن إدراجها بما يلي:

1. إن الفترة التي قضاها ابن مرزوق الحفيد في كنف الدولة الزيانية عرفت ضعفا سياسيا، وهذا ناتج عن الخلافات والصراع على السلطة الذي نخر جسد البيت الزياني من الداخل، وهو ما أضعفها، بطبيعة الحال في مواجهة التحديات الخارجية. وهذا الضعف والتراجع السياسي كثيرا ما جعل سلطة الزيانيين تنحصر في مدينة تلمسان فقط، وهذا يعني انحصار تأثير السلطة عن باقي مناطق الدولة، وهو ما أدى إلى تنامي واتساع القيم القبلية خارج حدودها -أي مدينة تلمسان-، وهذا الحال ساهم في إضعاف بنية المجتمع في منطقة المغرب الأوسط.
2. كما شهدت منطقة المغرب الأوسط تنوعا سكانيا نتيجة عوامل اقتصادية وسياسية، وقد حقق هذا التنوع إضافات في صالح المجتمع، إذ ساهم الاندماج والتزاوج بين فئات المجتمع المختلفة في خلق أرضية سمحت بالتطور والارتقاء، واكتسب المجتمع التلمساني بفضلها ثقافة واسعة ورقيا حضاريا أخرجه من طور البداوة إلى طور الحضارة.
3. ساهمت ظاهرة التنافس الثقافي بين الدول الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي، في بلورة صورة حضارية دلت على الرقي والتطور الذي شمل مفاصل الحياة، خاصة ما تمتعت بها منطقة المغرب الأوسط عموما، وتلمسان تحديدا، بالرغم من الظروف السياسية الصعبة التي كانت تحيط بالمنطقة. وهذا ساعد على رقي الثقافة والحضارة في منطقة المغرب الإسلامي وازدهارها. وشهدت تلمسان تميزا فكريا وثقافيا خلال القرن الثامن الهجري (14م) والذي استمر حتى القرن التاسع الهجري (15م)، ويجمع الكثير على أن هذا القرن هو من أخصب فترات الدولة الزيانية من حيث الرقي والسمو الثقافي، وهذا ما جعل للعلم والثقافة والفكر مكانة وأهمية في المجتمع، فكان من الطبيعي أن يتفاعل ابن مرزوق الحفيد معها، ويستجيب للتحديات ويحقق ما سعى إليه في التطور الفكري والعلمي، وكان عالمنا الحفيد في حالة إبداع وتميز مستمر وذلك

على الرغم مما شهدته المنطقة من حالة عدم الاستقرار السياسي وتنامي النزاعات والصراعات التي شهدتها المنطقة.

4. بروز مراكز حضارية وفكرية في المغرب الإسلامي ونجاحها في المحافظة على ديمومة المسيرة العلمية والفكرية والحضارية في منطقة المغرب الإسلامي، وكانت تلمسان تتمتع بمكانتها كمركز علم واستقطاب للكثير من علماء المغرب الإسلامي والأندلس، وحتى المشرق الإسلامي، وهذا التميز والاستقطاب لم يأت من فراغ، وإنما نتيجة الجهود التي بذلها علمائها وتنوع علومهم، ومن بين هؤلاء يبرز شيخنا ابن مرزوق الحفيد. ويتجلى قيمة مدينة تلمسان وأهميتها في المغرب الإسلامي، ما كتبه القلصادي بهذا الخصوص، حين كتب قائلا: "ثم توجهنا إلى المقصود بالذات، المخصوصة بأكمل الصفات: تلمسان، يالها من شأن، ذات المحاسن الفائقة...وأدركت فيها كثيرا من العلماء، والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان، والمشهود لهم بالفصاحة والبيان".

5. تشجيع ملوك بني زيان للنشاط العلمي واستقطاب العلماء ودعمهم، وهو ما جعل حاضرت دولتهم مدينة تلمسان تشهد ازدهار حضتريا وفكريا وتطور الحياة العلمية عبر كثرة مؤسساتها العلمية على اختلاف أنواعها.

6. بروز البيت المرازقة كواحد من أبرز البيوتات العلمية في الفترة المحصورة ما بين النصف الثاني من القرن الثامن والقرن التاسع الهجريين، إذ ظهرت أجيال متواصلة غير منقطعة من نوابغ هذا البيت تداخلت في مشوارها العلمي الجد ابن مررزوق الخطيب والابنين أبو العباس أحمد (والد الحفيد) أبو الطاهر، ومن تم الحفيد محمد بن مرزوق، وهو شيخنا الذي ندرسه، وولده الكفيفوبعدها ابنه ابن مرزوق حفيد الحفيد، استطاعوا الحفاظ على قيمة بيت المرازقة من ناحية الوجاهة والشرف ورسوخ العلم، فكانت مساهمتهم في الحياة الفكرية والعلمية ذات أثر وتأثير، وقد جدَّ هؤلاء في طلبهم للعلم والمعرفة بدءاً من تلمسان وانطلقوا إلى حواضر بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين يستزيدون منها.

7. كان الشيخ ابن مرزوق الحفيد مثال للعالم الخلوق المتخلق، إذ كان يتوفر على صفات عالية تدل على النبوغ والعبقرية والملكات الفكرية الحادة والذهن الثاقب وعلو الشأن، وأنه كان على هامش كبير من التواضع وحسن الخلق، وجمال الطبع وأنس المعاصرة وعلو الهمة، فهو الذي يخشى الله عز وجل ويذود عن الدين والمحافظة عليه فضلا عن التواضع وعدم التكبر والحلم والاحتمال، وغيرها من الصفات تعكس قيمته الإنسانية وترغب الناس فيه، وتقتربهم إليه أكثر فأكثر. وبهذا غدا نموذجا لفضائل الأعمال والصورة المثلى للعالم الحقيقي، الذي لا غرض له من العلم إلا خدمة الناس والتقرب به زلفى إلى الله عز وجل ليس أكثر.
8. ومن خلال هذا البحث اتضح لنا أن الشيخ ابن مرزوق الحفيد لم يشغل مناصب أو وظائف سياسية، وهذا راجع إلى رغبته في التحصيل العلمي ونشره في مجتمعه عن طريق التدريس والافتاء والتأليف فضلا عن الإمامة والخطابة. وهذا لم يكن يعني أنه منبوذ أو مكروه من جانب السلطة ورجالاتها، وإنما على العكس من ذلك، إذ كانت سمعته يعلم بها القاصي والداني، فهو فضلا عن علمه ومعارفه وشهرته، فهو ينتمي إلى أسرة تعتبر من أكبر بيوتات العلمية في تلمسان خلال العهد الزياني، وخير دليل على ذلك مراسيم دفنه بعد وفاته، إذ كان يتقدم جنازته السلطان بنفسه وكبار موظفي البلاط الزياني وعلية القوم.
9. إجماع معاصريه على قيمته العلمية ومكانته المتميزة في ميدان العلوم والمعارف، وهذا التميز لم يقتصر على مدينته تلمسان فحسب، وإنما في مدن المغرب الإسلامي، وهنا نعيد استذكار ما قاله أحد أنجب تلاميذه وهو عبد الرحمن الثعالبي، حين قال: "وكان من أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية".
10. تمتع ابن مرزوق الحفيد بمكانة علمية كبيرة من جانب معاصريه وطلبته ومترجميه وحتى كتاب المراجع الذين درسوا حياته ومؤلفاته، ويظهر لنا أن الشيخ ابن مرزوق الحفيد لم يكن مجرد كاتب أو عالم برز في مجال من مجالات العلوم فحسب، وإنما هو فعلا كان نجما لامعا في سماء العلم والمعرفة العربية الاسلامية، وأنه علامة فاصلة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

11. تبين لنا أن ابن مرزوق الحفيد عرف بشتى الألقاب والصفات لتعدد تخصصاته وتنوع مجالات علمه. حيث أثبت تمكنه من العلوم والمعارف التي ألف فيها، فهو العروضي المتمكن، يجاري بعلمه الرواد في علم العروض، وهو الفقيه المرجع الذي يقصده الناس بالنوازل من أجل معرفة آرائه، وهو المحدث الجهبذ الذي لا يمكن تجاهل تفسيراته، وغيرها من حالات التميز التي عرف بها.
12. حافظ ابن مرزوق الحفيد على تقاليد بيت المرازقة، وساهم في حمل لواء التميز الذي عرفت به الحاضرة تلمسان خلال فترة حياته، وهذا التميز الذي جعل تلمسان ذات تأثير كبيرا على المحيط المغاربي خاصة، والعالم الاسلامي بعمومه، لأن ابن مرزوق انتقل بتأثيره إلى خارج حدود المغرب الاسلامي، حيث ذاع صيته في أهم مراكز العلم والمعارف مثل مصر والحجاز وغيرها من مناطق المشرق الإسلامي.
13. ساهمت الرحلة في طلب العلم في تكامل شخصية ابن مرزوق الحفيد العلمية، فهو لم يتوانى أو يتقاعس عن الانتقال والسفر إلى أي مكان، إذا ما سمع بوجود عالم متميز في مجال من مجالات العلوم، ونتيجة ذلك تمكن من امتلاك ناصية العلوم ، ودليل ذلك الكم الكبير من الإجازات التي تحصل عليها خلال رحلاته، فكانت الرحلة في حياته ذات شقين التأثير والتأثر، ونتيجة لذلك تمكن من المحافظة على التميز والنجاح، وأن يكون في مصاف العلماء الكبار الذين حفظوا الدين والعلم وأفادوا الأمة.
14. سجلت المسيرة لابن مرزوق الحفيد المسعى الجاد في طلب العلم والرحلة من أجله لإدراكه القيم السامية لهذه المهمة، كما أظهر تفوقه في هذه المهمة على أحسن وجه.
15. تنوع مؤلفاته والتي امتازت بدقتها ورصانتها العلمية والقيمة العالية من حيث الفائدة التي يقدمها للعلماء وطلبة العلماء في عهده ومن بعده أيضا، وهذا ما جعل هؤلاء ينكبون على مؤلفاته نهما لأهميتها وقيمتها، فهو لم يترك ميدانا من ميادين العلوم إلا وطرق بابه، فهو المحقق في العلوم العقلية والنقلية، فنجده مبرزا في التفسير، وبذات الصورة في الفقه والحديث، وعالما في المنطق، وغيرها من المجالات، وغزارة انتاجه على الرغم من الظروف السياسية التي سادة عصره، جعلته يثري المكتبة المغاربية،

ولحد هذه اللحظة، ولا يمكن الاستغناء عنها، في مختلف المجالات، إلا اننا يجب أن نعمل على تقديمها بشكل مناسب تجنبا للاندثار نهائيا.

16. لم يكن تميزه مقتصرا على مجال التأليف وإنما كان أستاذاً ومدرساً بارعا مر من تحت يديه المئات من الطلبة الذين تميزوا فيما بعد في مجالات عدة، وكانوا من أعلام القرن التاسع الهجري، وهم أيضا تأثروا بنهجه وفكره، فكان لهم ذات الدور والتميز الذي كان عليه شيخهم ابن مرزوق الحفيد. وهذا الاهتمام والمتابعة من جانب طلبة العلم ما هو إلا دليل على قيمته العلمية وطريقته المثلى في التدريس وتنوع مصادره وعلومه، وهو من يتنافس الطلبة على دروسه، للاستزادة منه، كيف لا، وهو العالم المتقن، الواسع الاطلاع، كثير المعارف، عميق الفكر، الواضح الشخصية فيما كتب، فكانت الدنيا هي التي تسعى إليه لا هو من يسعى إليها.

17. اختط ابن مرزوق الحفيد لنفسه منهجا علميا ثابتا، يتنوع وفق معطيات العلم الذي يكتب فيه، حينما يحدد الموضوع أو ما يريد بحثه من مسائل، والغاية من وراء ذلك، ثم يجمع مادته اللازمة، فإن كتبه جاءت مقسمة، مرتبة حافلة بأقوال أهل العلم في كل مسألة، مع ذكر قائلها، والمصدر الذي استقاه منه. وأراد من خلال ذلك، تحقيق فكرة حتمية الإفادة وتحقيق المرام لمن يطلع على كتبه ومن أراد يتفقه في العلم وصناعة الكلام. ومن هنا نجده ينوع في الآليات والوسائل المنهجية في مؤلفاته، حسبما يفترض ذلك التغيير والتنويع. فهو لم يقف جامد متسمرا أمام سياق واحد من الآليات الكتابية والتوظيفات المنهجية، وإنما كان يتنقل وفق معطيات العمل وما يطرأ من تغير أثناء مرحلة الانجاز، وهو ما وضعه في خانة التميز والبروز في ميادين العلم والمعارف.

18. امتازت كتابات ابن مرزوق الحفيد بسمة مشتركة هي حسن استخدام اللغة العربية مما جعله يحافظ لها على قيمتها كلغة علم ودين لا تدانيها أي لغة اخرى، ففي الكتب التي تخص الحديث النبوي الشريف تجده يستخدم اللغة التي تسهل عملية الفهم بما يحافظ على قيمة هذا العلم، فهي مصبوغة بصبغة ونكهة خاصة بما في هذا العلم من أهمية دينية وتأثير إيماني في شخص المتلقي، فهو يستخدم ألفاظ

وعبارات مناسبة للموضوع. وهذا يثبت لنا، أن تمكن ابن مرزوق الحفيد في علوم اللغة العربية ساهم بشكل كبير في بروزه وسطوعه في ميدان العلم.

19. ومن الأمور التي خرجنا بها من خلال صفحات هذا البحث القناعة من أن التميز الفكري والثقافي لم يكن ليتحقق لولا الرصيد الكبير والمتنوع من المصادر التي اعتمد عليها في مؤلفاته بما كان يقدمه من آراء وأفكار، وهو ما جعلنا عاجزين في احصاء تلكم الآلاف المؤلفة من المصادر ذات التنوع النوعي، وكان لهذا الأمر أثره في التميز والابداع الذي كان عليه عالمنا.

امتاز ابن مرزوق الحفيد بقدرته على توظيف آراء العلماء ونصوصهم في كتاباته بما يدعم الآراء التي يريدها ويثبتها، ولم يكتف عند هذا الحد، بل انتقد العلماء واستدرك عليهم وأيد هذا الرأي وعارض ذاك من دونما تعصب أو تزمت أو تجريح. هذا ما جعله قبلة لطلب العلم من كل مكان، فهو لم يعول على صيت أسرته العلمي فقط بل درس واجتهد في طلب العلم دون كلل وارتحل من أجل تحقيق غايته، فكان لعلمه وتواضعه وفطنته دور كبير في نبوغه وإبداعه.

الملاحق

الملحق: رقم (1)

الحكام الزيانيين الذين عاصرهم ابن مرزوق الحفيد

ت	الحاكم	فترة الحكم
1	أبو حمو موسى الثاني	760-791هـ/ 1359-1389م
2	أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني	791-795هـ/ 1389-1393م
3	أبو ثابت بن تاشفين	795هـ/ 1393م
4	أبو الحجاج	795- 796هـ/ 1393- 1394م
5	أبو زيان محمد الثاني	796-801هـ/ 1394-1398م
6	أبو محمد عبد الله الأول	801-804هـ/ 1398-1402م
7	أبو عبد الله محمد الأول	804-813هـ/ 1402-1411م
8	عبد الرحمن الثالث	813-814هـ/ 1410-1411م
9	السعيد بن أبي حمو موسى الثاني	814هـ/1411م
10	أبو مالك عبد الواحد	814-827هـ/ 1411-1424م
11	محمد الثاني	827-831هـ/ 1424-1428م
12	أبو مالك عبد الواحد	831-834هـ/ 1428-1431م
13	أبو العباس احمد العاقل	834-866هـ/ 1431-1461م

الملحق رقم: (02)

ضريح الشيخ ابن مرزوق الحفيد بالزاوية الجنوبية الغربية من الجامع الكبير وشاهد قبره

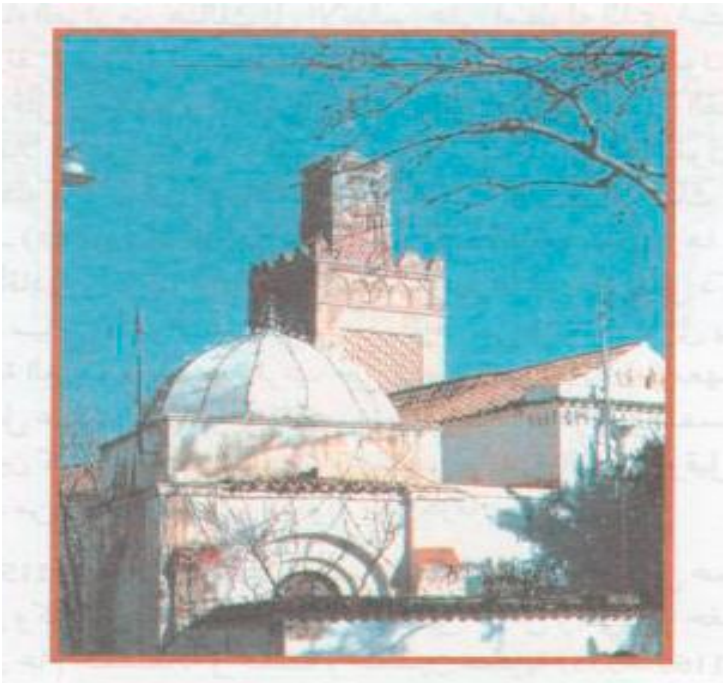

الملحق رقم: (03)

شاهد قبور ابن مرزوق الحفيد وابن مرزوق جد الجد وقاسم بن سعيد العقباني

الملحق رقم: (04)

شجرة نسب المرازقة

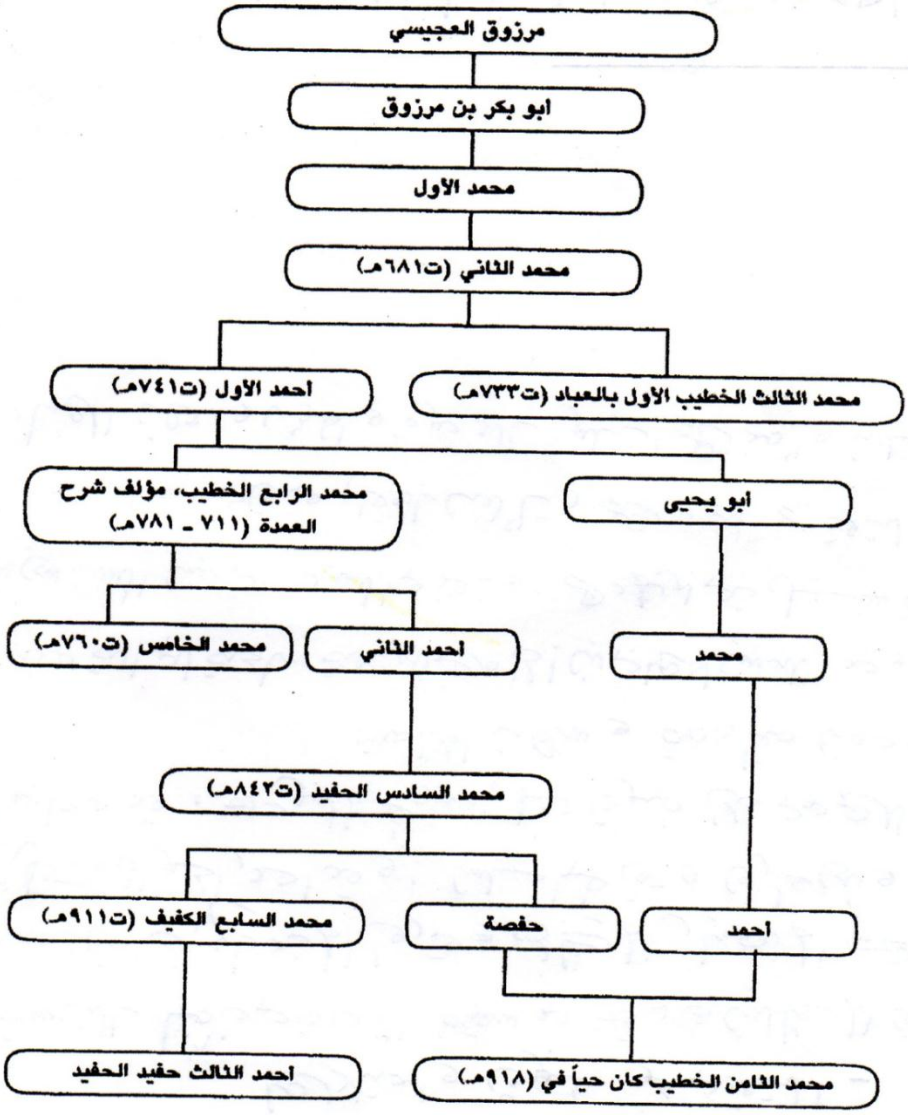

الملحق رقم: (05)

الورقة الأولى من مخطوط "المقنع الشافي"

قسم المخطوطات الحامة بالمكتبة الوطنية، الجزائر

الملحق رقم: (06)

الورقة الأخيرة من مخطوط "المقنع الشافي"

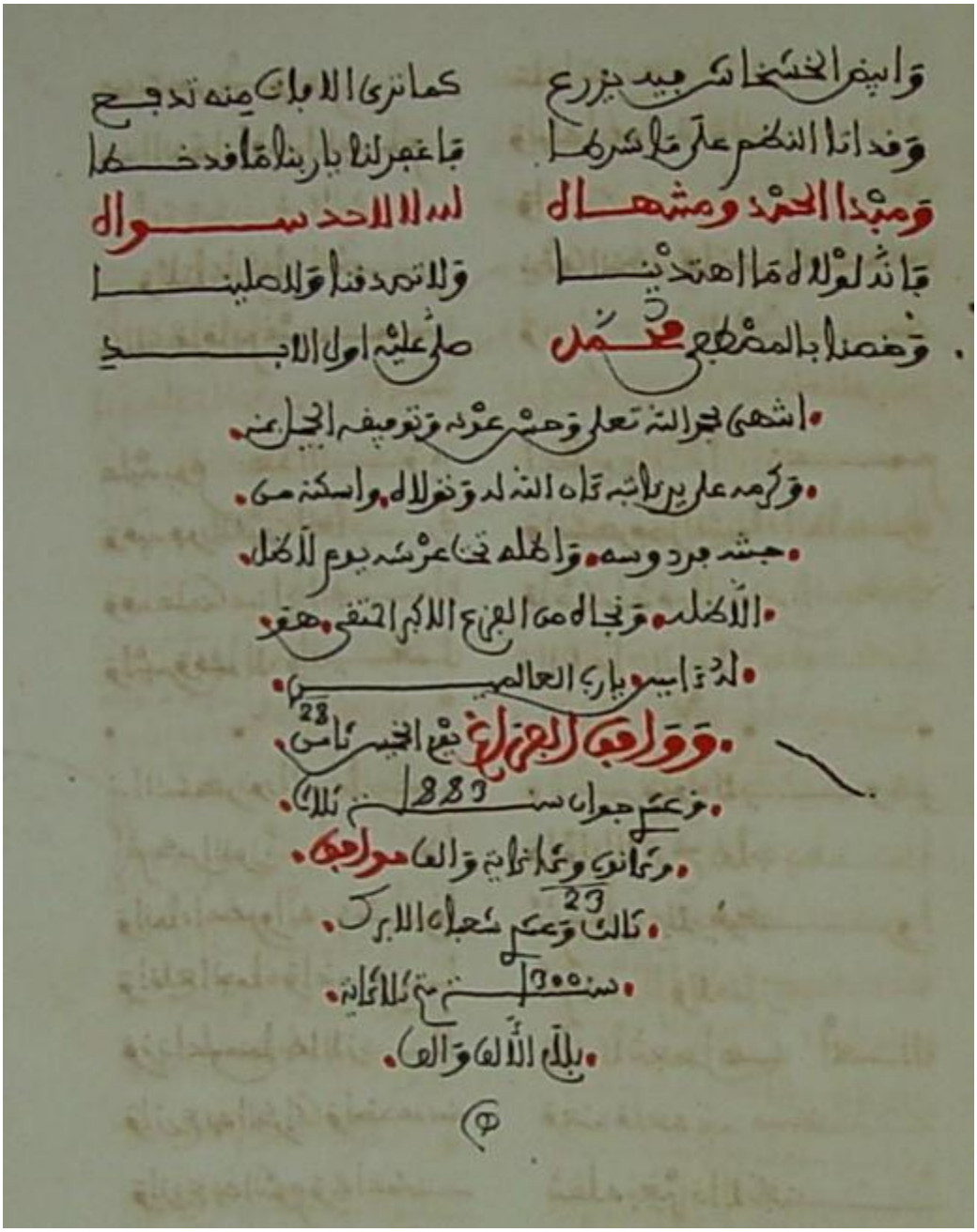

قسم المخطوطات الحامة بالمكتبة الوطنية، الجزائر

الملحق رقم: (07)

الورقة الثانية من مخطوط "قصائد في علم الفلما" وهي بداية الأرجوزة

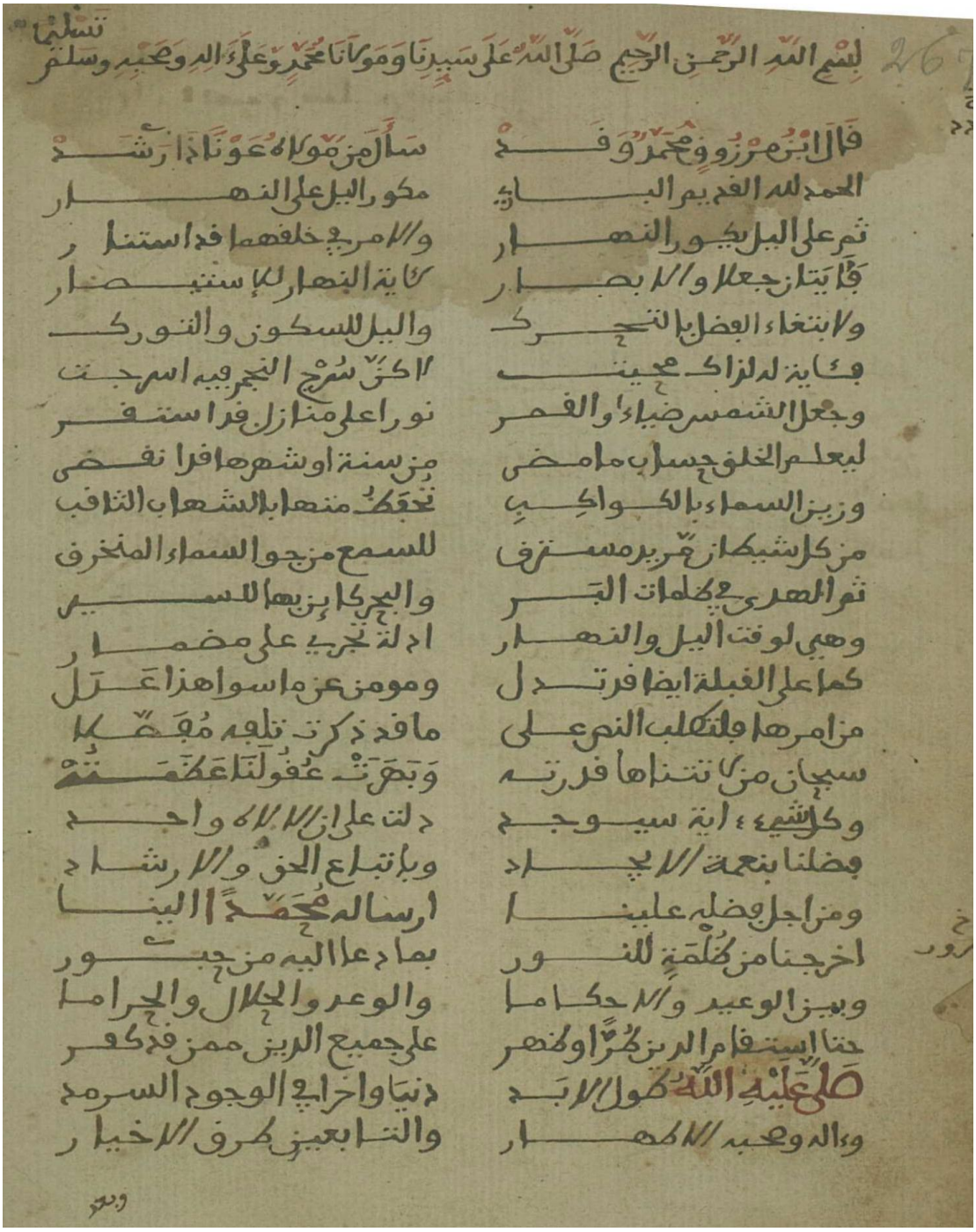

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

قال ابن مرزوق محمد وفقه ... سأل من مولاه عونا ذا رشد
الحمد لله العزيز الباري ... مكور الليل على النهار
ثم على الليل يكور النهار ... والأمر في خلقهما قد استمر
فآيتان جعلا والابصار ... كاية النهار للاستبصار
والابتغاء الفضل بالتحرك ... والليل للسكون والتورك
فكاية لذاك محيت ... اكن سرج النجم فيه اسرجت
وجعل الشمس ضياء والقمر ... نورا على منازل قدر استقر
ليعلم الخلق حساب ما مضى ... من سنة او شهرها فرا نقضى
وزين السماء بالكواكب ... تحفظ منها بالشهاب الثاقب
من كل شيطان مريد مسترق ... للسمع من جو السماء المنخرق
ثم الهدى في ظلمات البر ... والبحر كاين بها للسير
وهي لوقت الليل والنهار ... ادلة تجري على مضمار
كما على القبلة ايضا فرتدل ... ومومن عن ما سواها عتزل
من امرها فلتكلب النص على ... ما قد ذكرت تلفه مفصلا
سبحان من لا تنتهي قدرته ... وتحقرت عقولنا عظمته
وكل شيء اية سيوجد ... دلت على ان الاله واحد
فضلنا بنعمة الايجاد ... وباتباع الحق والارشاد
ومن اجل فضله علينا ... ارساله محمدا الينا
اخرجنا من ظلمة للنور ... بما دعا اليه من جبور
وبين الوعد والوعيد والاحكاما ... والوعد والحلال والحراما
حتى استقام الدين ممن قد كفر ... على جميع الدين ممن قد ذكر
صلى عليه الله كول الابد ... دنيا واخرا في الوجود السرمد
وآله وصحبه الاطهار ... والتابعين لهم على الاخيار

قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (08)

الورقة الأخيرة من مخطوط "قصائد في علم الفلما"

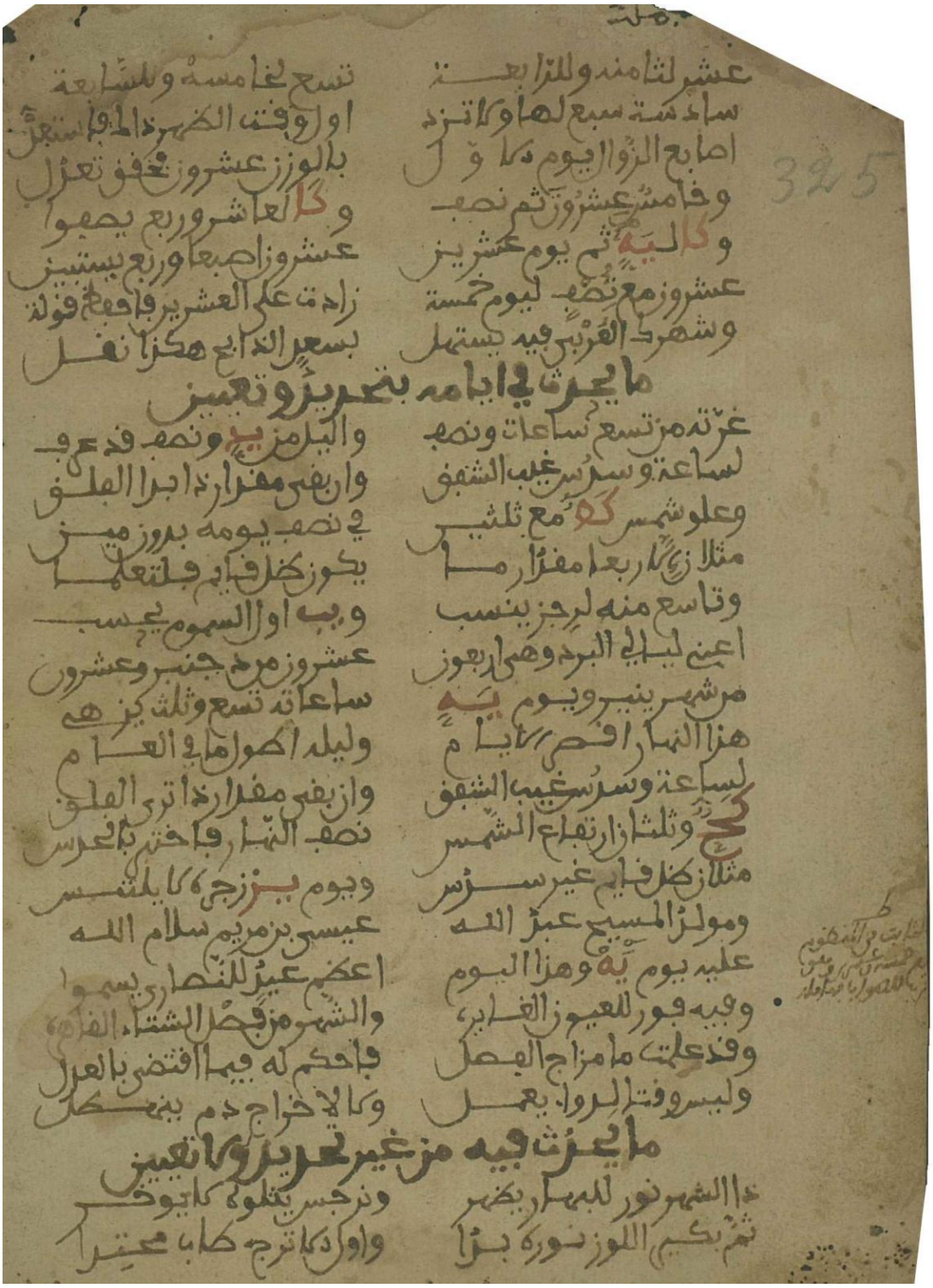

قسم المخطوطات الكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (09)

الورقة الأولى من مخطوط "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل"

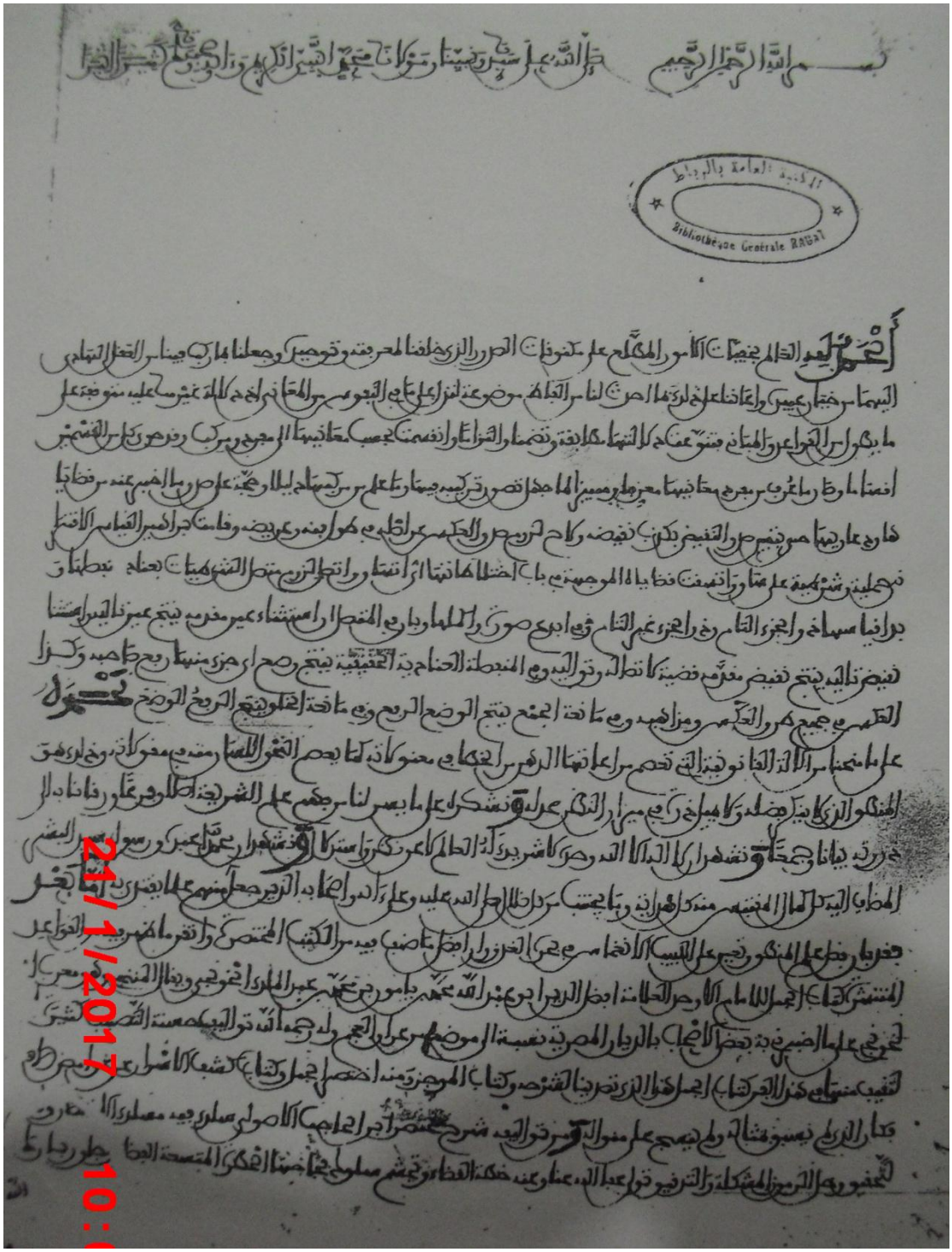

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (10)

الورقة الأخيرة من مخطوط "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل" مبتور الآخر

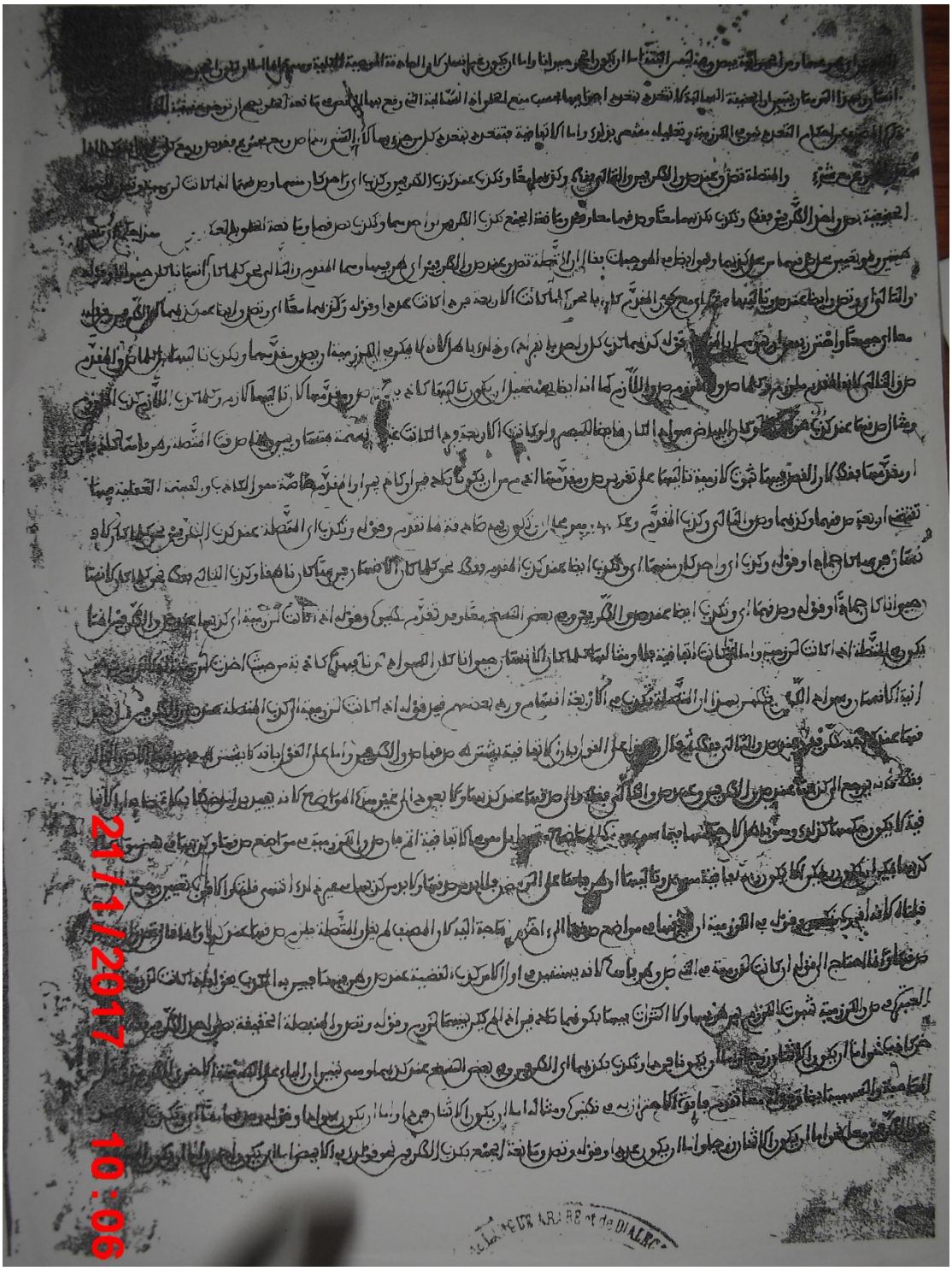

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (11)

الورقة الأولى من مخطوط "كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل"

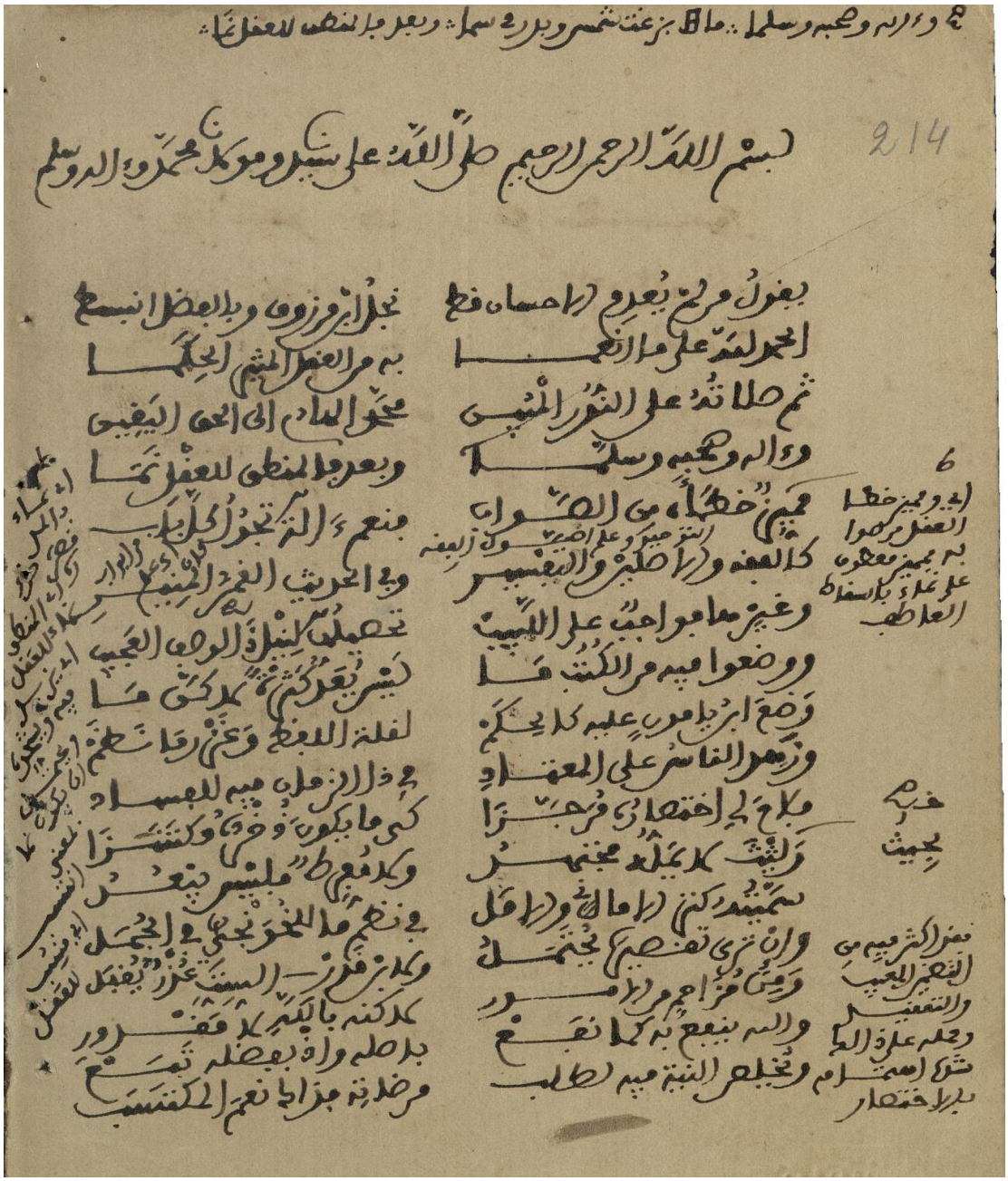

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (12)

الورقة الأخيرة من مخطوط "كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي من جمل"

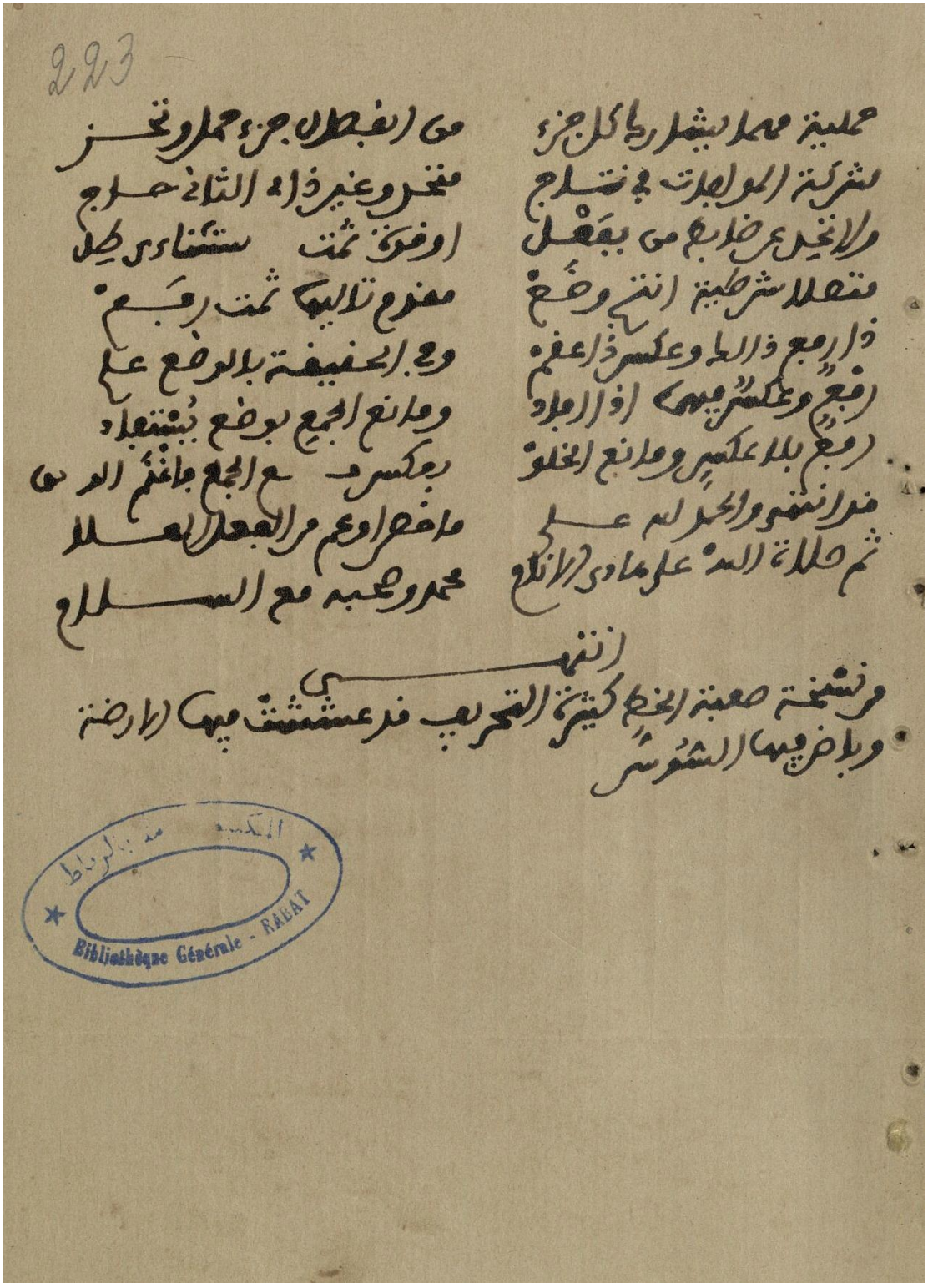

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (13)

الورقة الأولى من مخطوط "تقييد شرح فرائض خليل"

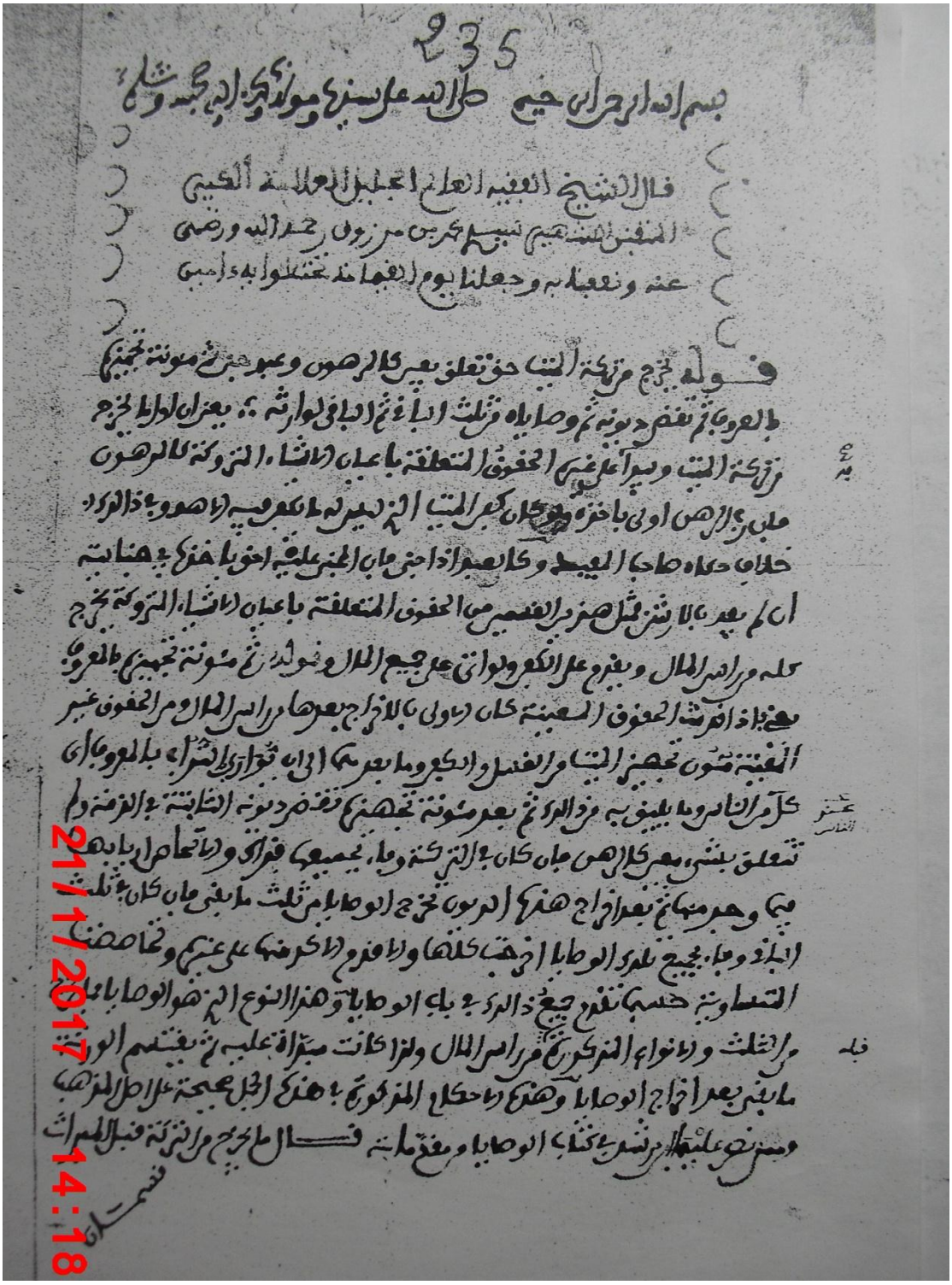

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (14)

الورقة الأخيرة من مخطوط "تقييد شرح فرائض خليل"

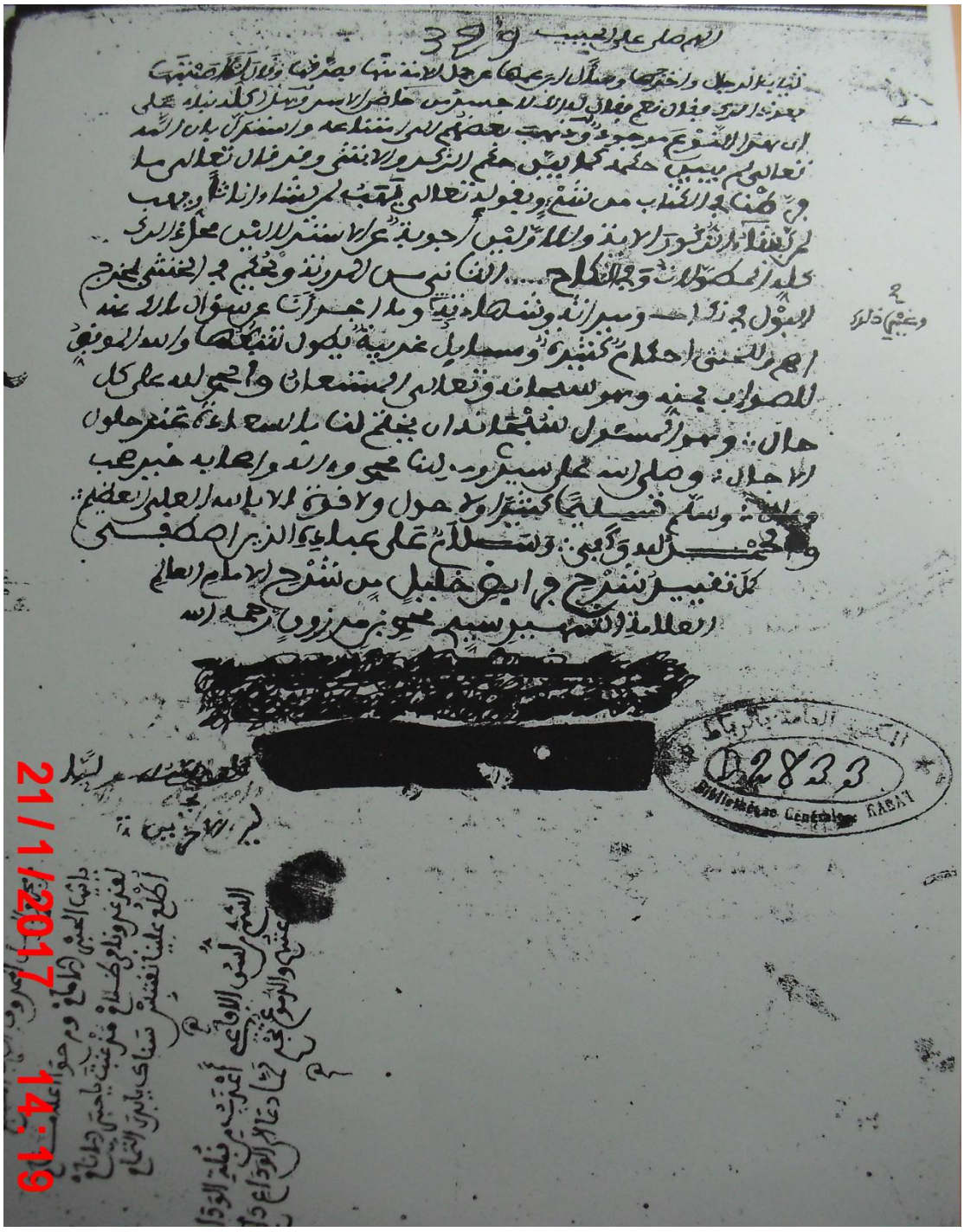

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (15)

الورقة الأولى من مخطوط "الحديقة"

قسم المخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط

الملحق رقم: (16)

الورقة الأخيرة من مخطوط "الحديقة"

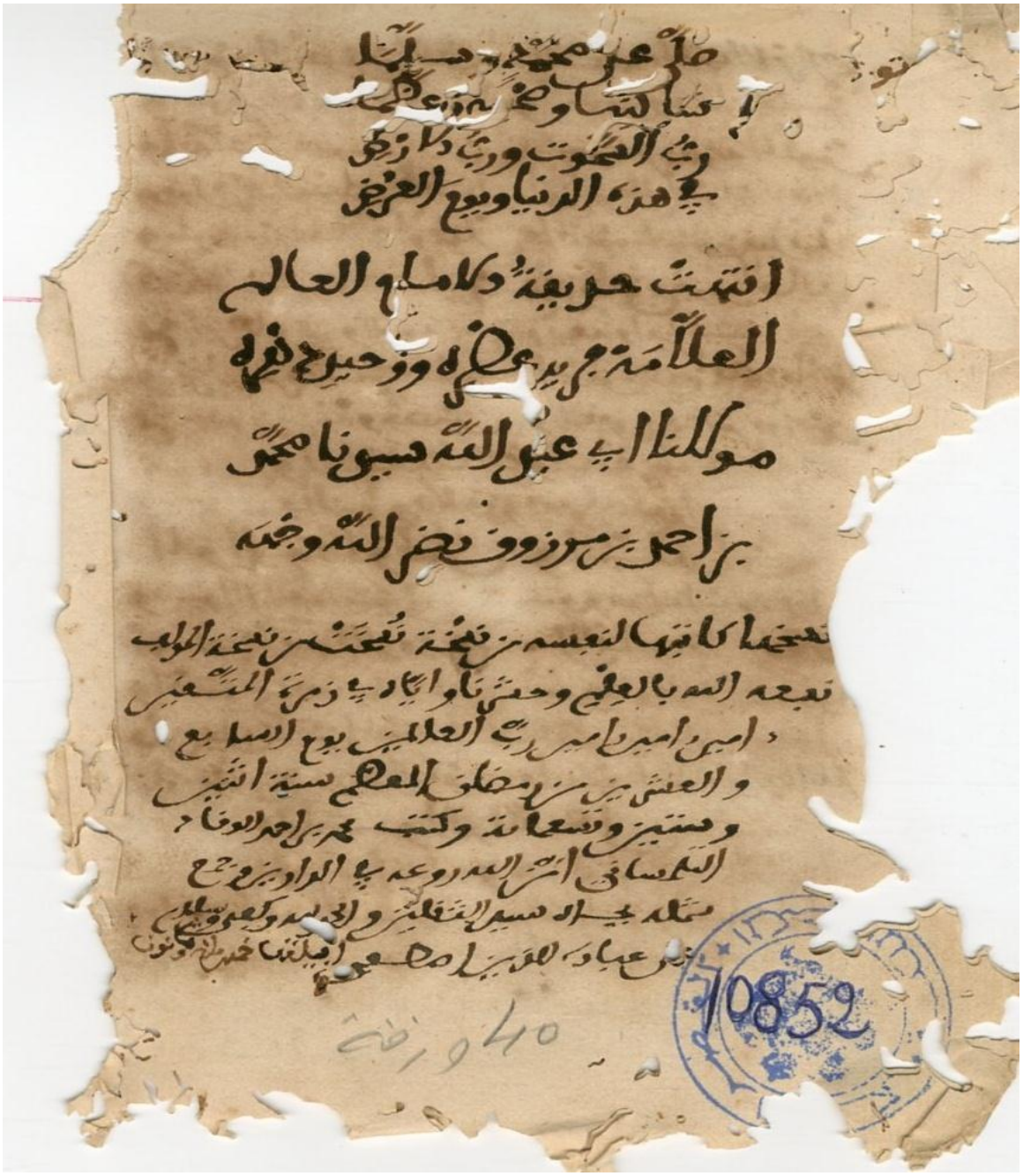

قسم المخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط

الملحق رقم: (17)

الورقة الأولى من مخطوط "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"

قسم المخطوطات جامعة المدينة المنورة المملكة العربية السعودية

الملحق رقم: (18)

الورقة الأخيرة من مخطوط "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"

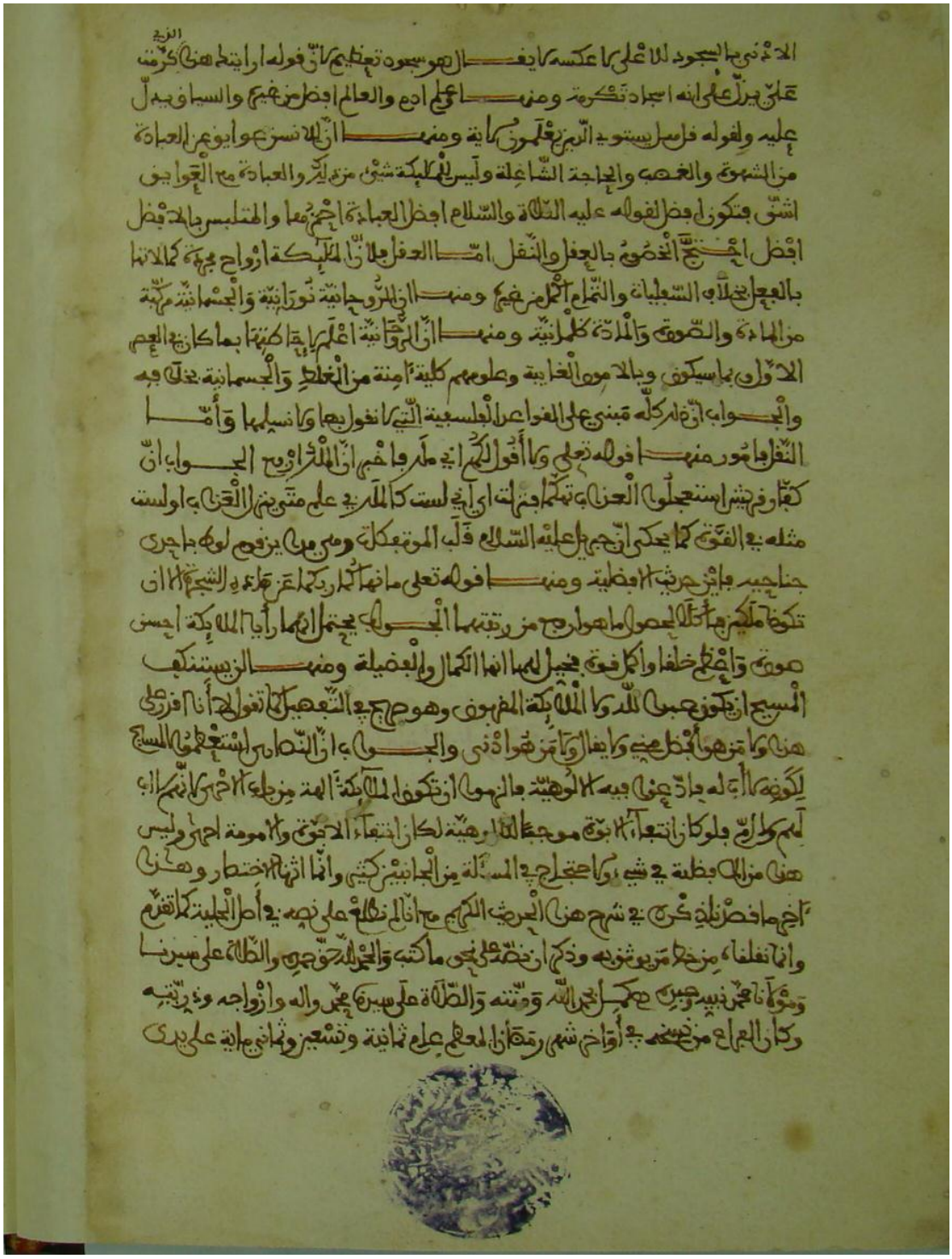

قسم المخطوطات جامعة المدينة المنورة المملكة العربية السعودية

الملحق رقم: (19)

الورقة الأولى من مخطوط "عقيدة أهل التوحيد"

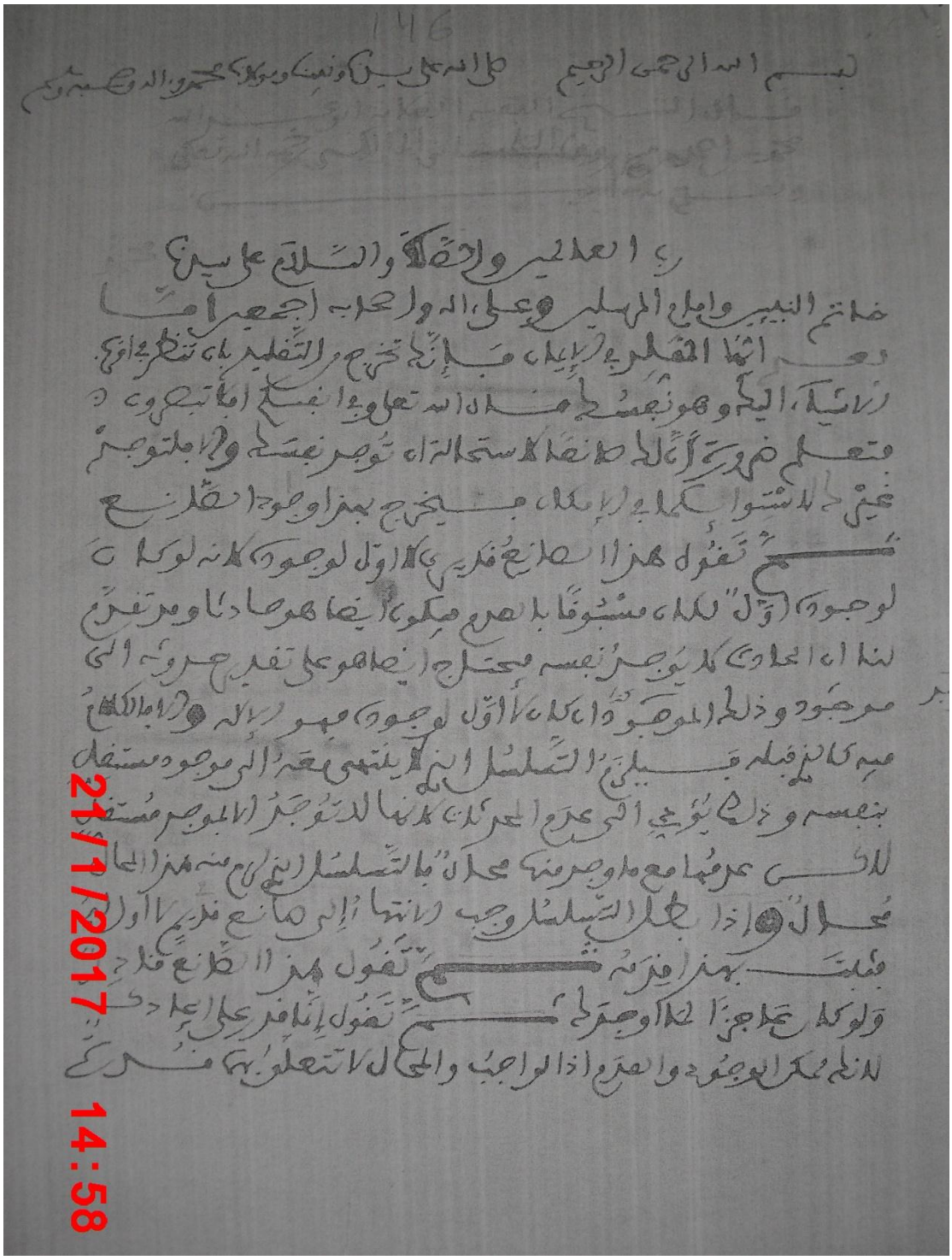

قسم المخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط

الملحق رقم: (20)

الورقة الأخيرة من مخطوط "عقيدة أهل التوحيد"

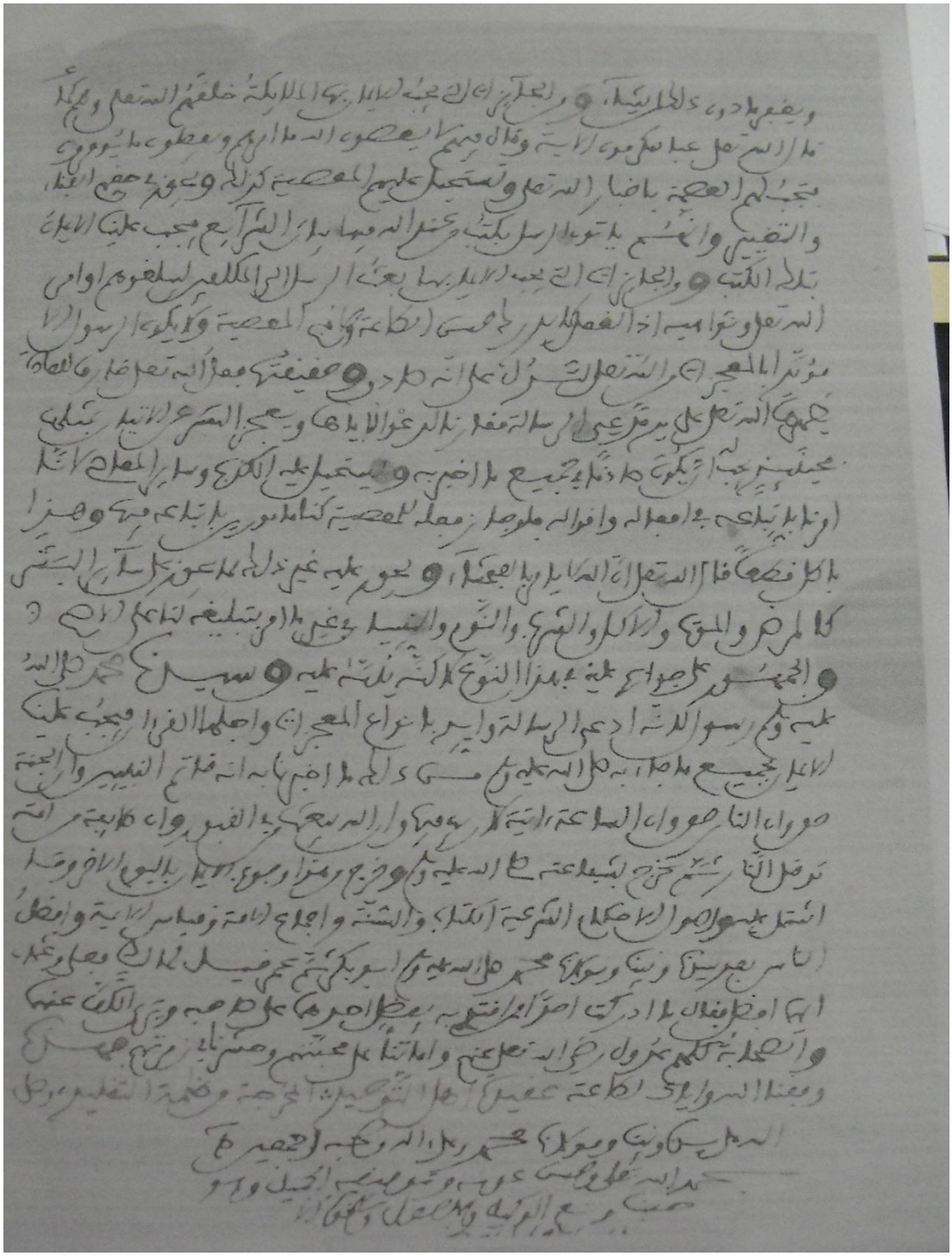

قسم المخطوطات الزانة الحسنية بالرباط

الملحق رقم: (21)

الورقة الأولى من مخطوط "إنتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة"

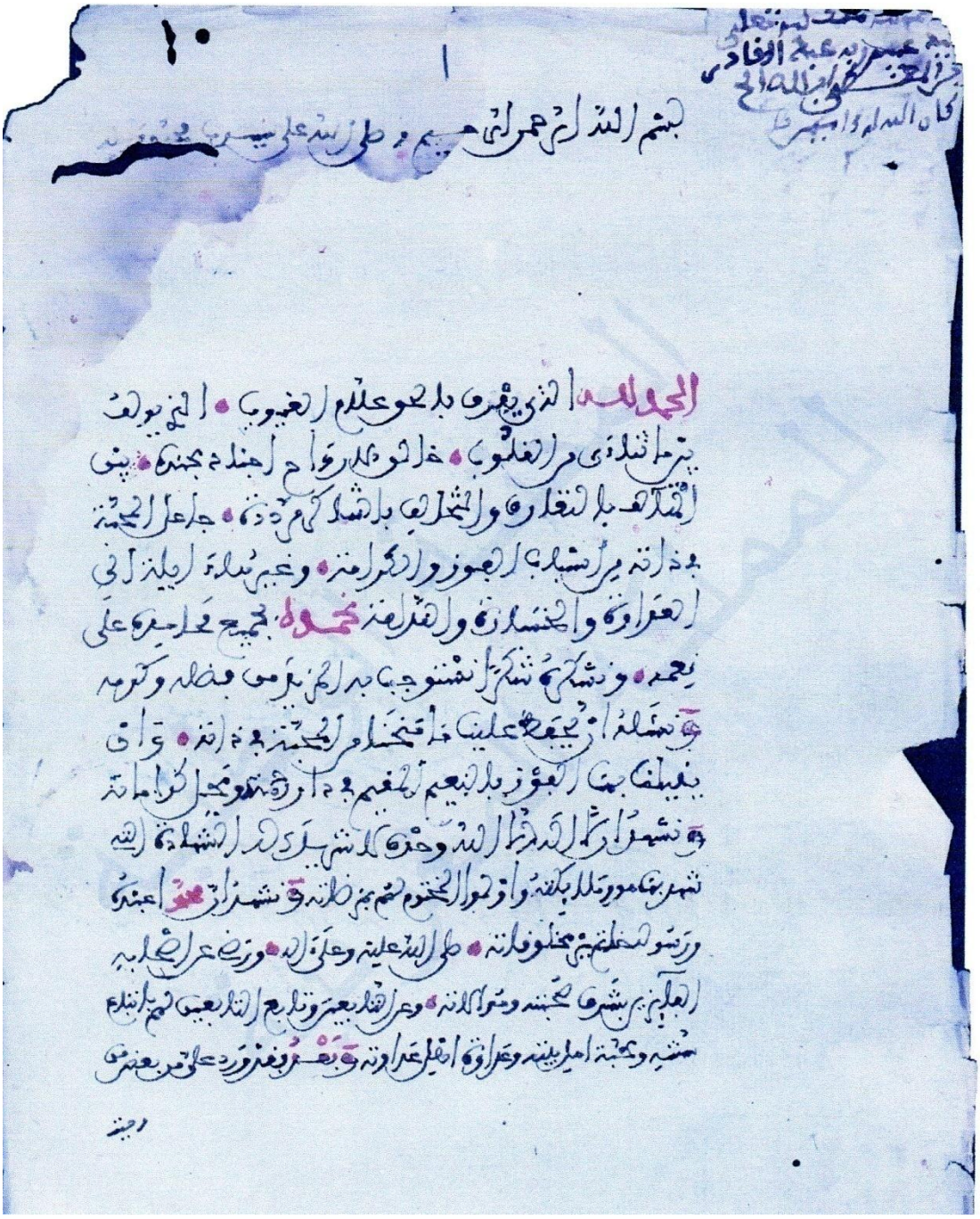

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم: (22)

الورقة الأخيرة من مخطوط "إنتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة"

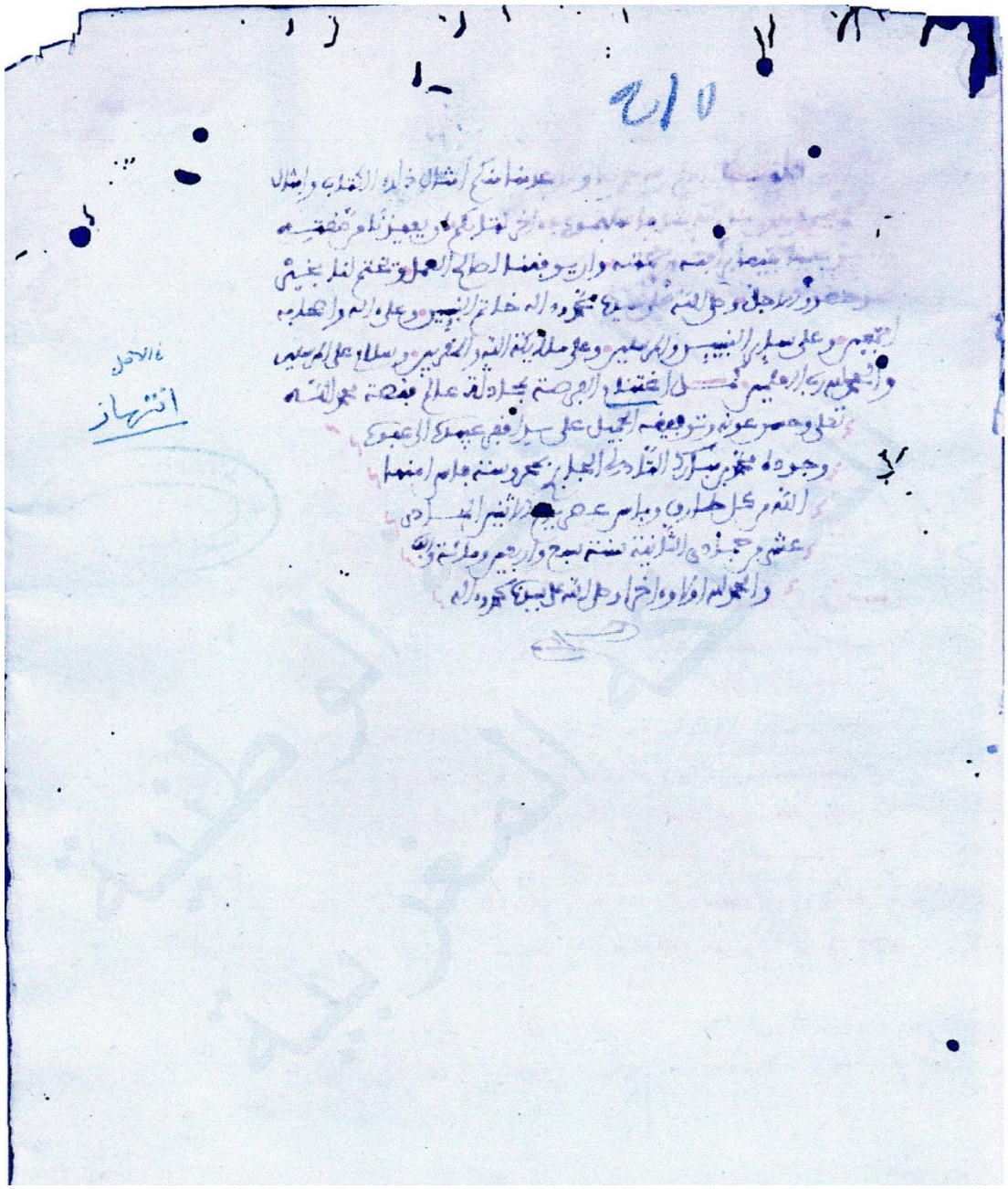

قسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط

الملحق رقم(23)

الورقة الأولى من مخطوط "روضة الإعلام بعلم أنواع الحديث السامي"

قسم المخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط

الملحق رقم: (24)

الورقة الأخيرة من مخطوط "روضة الإعلام بعلم أنواع الحديث السامي"

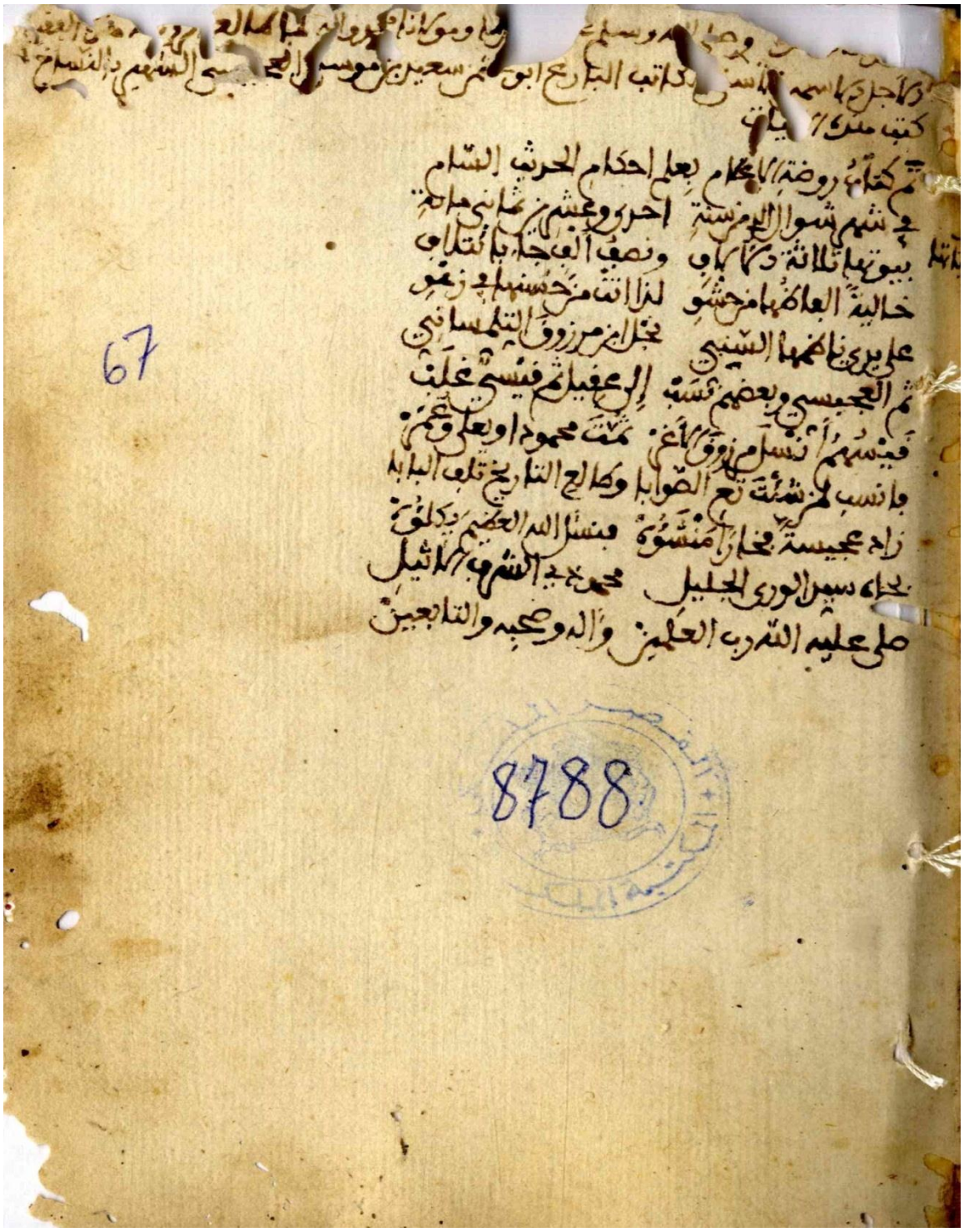

قسم المخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط

ثبت

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر:

أ. المصادر المخطوطة

I. مؤلفات ابن مرزوق الحفيد التلمساني (ت: 842هـ/1438م):

الجزائر، قسم المخطوطات الحامة بالمكتبة الوطنية:

1- أرجوزة في الميقات. تحت رقم: 2165، 38 ورقة.

2- نوازل ابن مرزوق. تحت رقم: 1342، 41 ورقة مبتور الآخر.

مخطوطات المملكة المغربية:

مخطوطات المكتبة الوطنية الرباط:

3- اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة تحت رقم: ك 429، 296 ورقة.

4- تقييد شرح فرائض خليل، ضمن مجموع تحت رقم: د 2833 (و235– و329).

5- قصائد في علم الألفا ضمن مجموع تحت رقم: ج 910 (و266- و325)، 30 ورقة.

6- كنز الأماني والأمل في نظم ما للخُونجي من جمل ضمن مجموع تحت رقم: 3236د (و214-و223)، 10 ورقات.

7- نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل تحت رقم: 460 د، 79 ورقة مبتور الآخر.

مخطوطات الخزانة الحسنية بالقصر الملكي الرباط:

8- الحديقة ضمن مجموع يحمل رقم: 1082، 13 ورقة.

9- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد تحت رقم: 12080، 6 ورقات.

مخطوطات خزانة المحفوظات تطوان:

10- فرائض ابن مرزوق ضمن مجموع يحمل رقم: 893 (و68-و79)، 48 ورقة.

مخطوطات المملكة العربية السعودية:

11- نور اليقين في ذكر أولياء الله المتقين. تحت رقم: 80/135، 26 ورقة.

ب- مخطوطات أخرى:

12- ابن مرزوق الكفيف، **إجازة ابن مرزوق لابن غازي المكناسي**. ضمن مجموع يحمل رقم: 13446(و127ب-و136أ)، الخزانة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 9ورقات.

13- القسطلاني شهاب الدين أبو العباس أحمد، **مخ مشارق الأنوار المضيئة في مدح خير البرية**. رقم: د 2134، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الرباط، المملكة المغربية.

14- مجموعة فقهاء، **أجوبة العلماء في نوازل من أبواب الفقه من المعيار**. تحت رقم: 134 د، المكتبة الوطنية الرباط، المملكة المغربية، 465 ورقة.

15- مجهول، **طبقات المالكية**. تحت رقم: 3928د، المكتبة الوطنية الرباط، المملكة المغربية، 460 ورقة.

ج- مصادر ابن مرزوق الحفيد المحققة:

16- ابن مرزوق الحفيد التلمساني، **إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم لمحمد المراكشي الأكمه** (739-807هـ) ويليه **إسماع الصم في إثبات الشرف للأم لمحمد بن مرزوق الحفيد** (766-824هـ). د وتح: لحلو مريم، وجدة، مطبعة الشرق، ط2، 2006.

17- // // // ، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**. تح: محمد فلاق، الجزائر، موفم للنشر، ط1، 2011م، ج: 1.

18- // // // ، **إظهار صدق المودة في شرح البردة**. د وتح: الطاهر بن علي، جامعة تلمسان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تلمسان،

19- // // // ، **إغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة**. د وتح: سقساق أحمد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المالك السعدي، تطوان،2008/2007م.

20- // // // ، **تلخيص إظهار صدق المودة في شرح البردة**. تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب الشريف، الدار البيضاء، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط:1، 2013.

21- // // //، **روضة الإعلام بعلم الحديث السام**. تق وتح: اليزيدي سناء، أطروحة دكتوراه الوطنية غير منشورة، إ: محمد الراوندي، الرباط، دار الحديث الحسنية، 1427هـ/2006.

22– // // // ، **المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح**، د وتح: حفيظة بلميهوب، د.م، دار التنوير، ط1، 2010م، ج: 1.

23– // // // ، **المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**. تح: صباح مجاهدي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إ: جامعة وهران أحمد بن بلة، 2014.

24– // // // ، **المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل**. در وتح: جيلالي عشير وآخرين، الجزائر، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، ط1، 2012م، ج: 1.

II. المصادر المطبوعة:

25– ابن الأثير أبو الحسن الشيبان، **الكامل في التاريخ**. لبنان، دار الكتاب العربي، ط6، د.ت.ن، ج: 8.

26– الآجري أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله، **أخلاق العلماء**. مر وتص وتع: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض، دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1978، ص: 66.

27– ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**. الرباط، المطبعة الملكية، ط1، 1962.

28– الإدريسي أو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف، (ت:559هـ/1166م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.ن، مج: 1.

29– ابن الأزرق أبو عبد الله، **بدائع السلك في طبائع الملك**. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ج: 2.

30– الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج: 1.

31– الإفراني محمد، **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل**. تح: محمد العمري، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1997م.

32– البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، **الفقيه والمتفقه**. تح: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، مج: 2.

33– // // // ، **هدية العارفين**. لعنوان الكتاب بجزئه الأول وهو "تفسير سورة الإخلاص"، ينظر: المصدر السابق، ج: 2.

34– البكري أبو عبيد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ب.ت.ن.

35– البلوي أبو جعفر محمد بن علي الوادي آشي(ت: 938هـ/1531م)، **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي**. د وتح: عبد الله العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983م.

36– التنبكتي أحمد بابا (ت:1036هـ/1627م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**. تح: محمد مطيع، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2000م.

37– // // // ، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ج: 1.

38– التنسي محمد بن عبد الله (ت:889هـ/1484م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**. تح وتع: محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم، 2001م.

39– الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن، **رحلة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي**. تح: محمد شايب شريف، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والمعلومات، ط1، 2005م.

40– الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي، **أسرار البلاغة**. تع: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني للنشر، ط1، 1991م.

41– الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**. تص: على محمد الضباع، بيروت، دار الكتاب العلمية، د.ت.ن، ج: 1.

42– الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي الشافعي، **غاية النهاية في طبقات القراء**. تح: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ج: 2.

43– الجزئاني علي، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**. تح: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1991.

44- الجويني أبو المعالي عبد الملك (478هـ/1085م)، ، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تح وتع وتقدم: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1950م.

45- الحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. تص وتع: محمد شرف الدين يالتقايا، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، مج: 1.

46- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد (ت:852هـ/1448م)، **إنباء الغمر بأنباء العمر**. تح وتع: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 1972م، ج: 2.

47- // // // ، **تهذيب التهذيب**. حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1327هـ، ج: 12.

48-// // // ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. د.ت.ن، السفر: الأول، الثالث، الرابع.

49- // // // ، **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس**. تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1994م، مج: 3.

50- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: 456هـ/1063م)، **جمهرة أنساب العرب**. تع تح: عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط5، 1962م.

51- الحطاب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المغربي، **مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل**. نواكشوط، دار رضوان للنشر، 2010م، مج: 1.

52- أبو حمو موسى، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**. الجزائر، د.د.ن، د.ت.ن.

53- الحموي ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي (ت:627هـ/1229م)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**. تح: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1993م، ج: 2.

54- الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تح: إحسان حقي، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

55– ابن حنبل أحمد، **المسند**. تح: شعيب الأرنؤوط، تح وتخ وتع: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م، ج: 2.

56– ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد، **الإحاطة في أخبار غرناطة**. مر وتق وتع: بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الأمل للدراسات، 2009م، ق: 2. تح محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1975م، مج: 3.

57– ابن خلدون خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت:808هـ/1406م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ج: 7.

58– // // //، **المقدمة**. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

59– ابن خلدون يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت:780هـ/1378م)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**. الجزائر، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، ط1، 1903م، مج: 1.

60– الدارقطني علي بن عمر (ت:385هـ/995م)، **سنن الدارقطني**. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001، ج: 3.

61– الدمشقي شرف الدين أبو محمد الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، **الخلاصة في معرفة الحديث**. تح وتع: أبو عاصم الشوامي الأثري، القاهرة، الرواد للإعلام والنشر والمكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

62– ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**. لبنان، دار السيرة، تونس، مؤسسة سعيدان، ط3، 1993م.

63– الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:606هـ/1209م)، **المحصول في علم أصول الفقه**. تح: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، 1400هـ، ج: 1.

64- الراعي شمس الدين محمد بن محمد الأندلسي (ت:853هـ/1449م)، **إنتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك**. بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1981م.

65- ابن رجب الحنبلي (ت: 795هـ/1392م)، **بيان فضل علم السلف على علم الخلف**. تح وتع: محمد بن ناصر العجمي، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط 2، 1406هـ.

66- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي (ت: 595هـ/1198م)، **فتاوى ابن رشد**. تق وتح وجمع وتع: المختار بن الطاهر التليلي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1987م، س: 1.

67- الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت: 894هـ/1489م)، **شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية**. ق: 2، تح: محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1993، ق: 2.

68- // // //، **فهرست الرصاع**. تح وتع: محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، ط1، 1967م.

69- الزركشي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي(ت:794هـ/1391م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**. تح وتق: الحسين اليعقوبي وآخرون، تونس، المكتبة العتيقة، ط1، 1998م.

70- ابن الزيات التادلي (ت:627هـ/1230م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**. تح: أحمد توفيق، الرباط، كلية الآداب، ط2، 1997م.

71- زيدان عبد الرحمن، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**. تق وتح: عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة إديال، ط1، 1993م.

72- السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي(ت:771هـ/1370م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.ن، ج: 8.

73- السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ/1496م)، **فتح المغيب بشرح ألفية الحديث**. د وتح:

74– // // // ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. بيروت، دار الجيل، ط1، د.ت.ن، ج: 7.

75– السراج الوزير محمد بن محمد الأندلسي (ت:1149هـ/1763م)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**. مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1287هـ.

76– السطى أبو عبد الله محمد بن سليمان (ت: 750هـ/1349م)، **شرح مختصر الحوفي**. د وتح: يحي بوعرورو، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1430هـ/2009م.

77– السنوسي أبو عبد الله محمد بن يوسف التلمساني (ت:895هـ/1489م)، **شرح أم البراهين**. د.م.ن، مطبعة الاستقامة، ط1، 1351هـ.

78– ابن سينا أبو علي (ت:427هـ/1035م)، **الإشارات والتنبيهات**. شر: نصير الدين الطوسي، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط3، د. ت.ن، ق: 1.

79– السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن (ت:911هـ/1505م)، **المنجم في المعجم (معجم شيوخ السيوطي)**. د وتح: ابراهيم باجس عبد المجيد، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1995م.

80– // // //، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1384هـ/1964م، ج: 1.

81– // // //، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**. تح: محمد أبو الفض إبراهيم، القاهرة، ط1، 1967م، ج: 1.

82– الشافعي عثمان بن عمر بن داود، **التحفة في نشر محاسن البردة**. تح وتع: عبد الناصر علي حسين، د.ن.ط، د.ت.ن.

83– شاهين زين الدين عبد الباسط بن خليل الظاهري الحنفي، **نيل الأمل في ذيل الدول**. تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2002م، ق: 6.

84– الشريف التلمساني محمد بن أحمد الحسني، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة**. در وتح: محمد علي فركوس، بيروت، المكتبة المكية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

85- الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، **القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط**. تح تق: سعيدوني ناصر الدين. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

86- الشهرزوري أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت:643هـ/1245م)، **علوم الحديث لابن صلاح**. تح وشر: نور الدين عتر، د.ط، د.ت.ن.

87- الشوكاني محمد بن علي (ت:1250هـ/1834م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، د.ت.ن، ج: 2.

88- ابن عباد الصاحب أبو القاسم إسماعيل (ت:385هـ/995م)، **الإقناع في العروض وتخريج القوافي**. تح: محمد حسن آل ياسين، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.ن.

89- ابن عبد البر أبو عمر يوسف (ت:463هـ/1071م)، **جامع بيان العلم وفضله**. تح: أبو الأشبال الزهيري، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1994م.

90- العبدري محمد البلنسي(ت بعد:720هـ/1320م)، **الرحلة المغربية**. تق: سعد بوفلاقة، بونة، بونة للبحوث والدراسات، 2007م.

91- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. تح: ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال. لبنان، دار الثقافة، ط5، 1980م، ج: 2.

92- ابن عرفة محمد الورغمي التونسي (ت:803هـ/1400م)، **المختصر الفقهي**. تص وتن تع: حافظ عبد الرحمن محمد خير، دبي، مؤسسة خلف أحمد الحبتور، ط1، 2014م، ج: 10.

93- العروضي أحمد بن محمد أبو الحسن (ت:342هـ/953م)، **الجامع في العروض والقوافي**. تح: زهير غازي زاهد وهلال ناجي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1996م.

94- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى(ت:749هـ/1348مم)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع: ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب**. تح: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 2002م.

95- ابن غازي محمد بن أحمد العثماني المكناسي(ت:919هـ/1513م)، **مختصر خليل ومعه شفاء الغليل في حل مقفل خليل**. د وتح: أحمد عبد الكريم نجيب، القاهرة، نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 2008م، ج: 1.

96– الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت:713هـ/1314م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**. تح: رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م.

97– الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت:505هـ/1111مم)، **إحياء علوم الدين**. تق: بدوي طبانه، مكتبة كرياطه فوترا، د.ت.ن، ج: 1.

98– // // //، **القسطاس المستقيم الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن**. تع: محمود بيجو، دمشق، المكتبة العلمية، 1994م.

99– ابن الغزي شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن، **ديوان الإسلام**. تح: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م، ج: 4.

100– الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ج: 3.

101– ابن فرحون إبراهيم بن علي المالكي(ت:799هـ/1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تح: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، د.ت.ن، ج: 2.

102– الفرضي أبو حطيم عبد الله بن إبراهيم الخبري، **كتاب التلخيص في علم الفرائض**. تح: ناصر بن فنخير الفريدي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1415هـ، ج: 1.

103– الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت:817هـ/1415م)، **القاموس المحيط**. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، د.ت.ن.

104– ابن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت:1025هـ/1616م)، **درة الحجال في غرة أسماء الرجال**. تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.

105– // // //، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام يمدينة فاس**. الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973.

106– القرافي بدر الدين محمد بن يحي بن عمر (ت:1008هـ/1599م)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**. تح: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004.

107– القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي(ت:739هـ/1338م)، **التلخيص فيي علوم البلاغة وهو تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي**. تح وش: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009م.

108– القزويني زكرياء بن محمد بن محمود (ت:682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**. دار صادر، بيروت، د.ت.ن.

109– القلصادي أبو الحسن علي (ت:891هـ/1487م)، **رحلة القلصادي**. د وتح: محمد أبو الأجفان، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2011.

110– القلقشندي شهاب الدين بن علي (ت:821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915م، ج: 5.

111– ابن قنفذ أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني(ت:810هـ/1404م)، **أنس الفقير وعز الحقير**. تص: محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م.

112– ابن القيم الجوزية شمس الدين (ت:751هـ/1350م)، **أحكام أهل الذمة**. تح وتع: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، الدمام، رمادي للنشر، ط1، 1997.

113– ابن كثير أبو الفداء الدمشقي (ت:774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**. بيروت، مكتبة المعارف، ط7، 1988م، ج: 13.

114– ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (ت:273هـ/886م)، **سنن ابن ماجة**. تح: محمد فواد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1975م، ج: 2.

115– المازوني يحي بن موسى التلمساني (ت:883هـ/1478م)، **الدرر المكنونة المكنونة في نوازل مازونة**، در وتح: قندوز ماحي، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، 2012م، ج: 1.

116– ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، **تاج اللغة وصحاح العربية**. تح وتق: عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، دار المأمون للتراث، ط1، 1982م.

117- المالكي إبراهيم بن أحمد المارغني الزيتوني، **طالع البشرى على العقيدة الصغرى**. إ: نزار حمادي، تونس د.م.ن، 2012م.

118- المجاري أبو عبد الله محمد الأندلسي (ت:862هـ/1457م)، **برنامج المجاري**. تح: محمد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1982م، ع ص: 134.

119- المجلدي أحمد سعيد، **كتاب التيسير في أحكام التسعير**. تق وتح: موسى لقبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.ط.

120- المراكشي عبد الواحد (ت:647هـ/1250م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. تح: محمد سعيد العريان، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2012م.

121- ابن مرزوق الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني (ت:781هـ/1379م)، **المناقب المرزوقية**. تح: سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط1، 2008م.

122- // // //، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**. تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود أبا عياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

123- ابن مريم محمد بن محمد أبي أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني (توفي قبل 1028هـ/1618م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**. مر: محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ط1، 1908م.

124- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت:346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تح: محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط4، 1964م، ج: 1.

125- المشرفي عبد القادر الجزائري، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**. تح وتق: محمد بن عبد الكريم، د.ت.ن.

126- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت:1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968م، ج: 5، 7.

127– // // //، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح وتع: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة فضالة، 1939م، ج:1.

128– المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت:845هـ/1442م)، **اتعاظ الحنفا**. تح: محمد حلمي أحمد، مصر، مكتبة إحياء مطالع الأهرام، 1390هـ/1971م، ج: 2.

129– // // //، **كتاب المقفى الكبير**. تح: محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1991م، ج: 5.

130– // // //، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**. تح وتع: محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2002م، مج: 1، مج: 3.

131– ابن الملقن عمر بن علي ابن النحوي (ت:804هـ/1401م)، **التذكرة في علوم الحديث**. تق ض وتع: علي حسن علي عبد الحميد، عمان، دار عمار، ط1، 1988م.

132– النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت:733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تح وتع: مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ط، د.ت.ن.

133– الهيثمي أحمد بن محمد بن حجر(ت:973هـ/1565م)، **العمدة في شرح البردة**. تح وتع: بسام محمد بارود، أبو ظبي، دار الفقيه للنشر والتوزيع، د.ت.ن.

134– الوادي آشي شمس الدين محمد بن جابر التونسي (ت:749هـ/1348م)، **برنامج ابن جابر الوادي آشي**. تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، تونس، جامعة أم القرى، 1981م.

135– الوزان الحسن بن محمد الفاسي (ت:957هـ/1550م)، **وصف إفريقيا**. تر: محمد حجي ومحمد الأخضري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج: 2.

136– الونشريسي أحمد بن يحي (ت:914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**. خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ج: 8.

137– // // //، **وفيات الونشريسي**. تح: محمد بن يوسف القاضي، القاهرة، شركة نوابغ الفكر، ط1، 2009م.

138– اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح الكاتب (ت:284هـ/897م)، **كتاب البلدان**. ليدن، مطبعة بريل، 1890م.

ثانيا: المراجع:

1. المراجع العربية:

139- أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**. لبنان، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت.ن.

140- أحمدي عبد الإله بن سلمان بن سالم، **المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد بن حنبل في العقيدة جمه ودراسة وتحقيق**. الرياض، دار طيبة، ط1، 1991م، ج: 12.

141- الألباني محمد ناصر الدين، **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**. الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.

142- إميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م.

143- بدوي عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977م.

144- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681هـ/1235-1282م**. قسنطينة، الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

145- البنا أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات**. تح وتق: شعبان محمد إسماعيل، بيروت، القاهرة، عالم المعرفة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1987م، ج: 1.

146- بن قربة صالح وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**. الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007م.

147- بن قربة صالح، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامية إلى سقوط دولة بني حماد**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

148- بوتشيش ابراهيم القادري، **تاريخ الغرب الاسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1994م.

149- بوزياني الدراجي، **أدباء وشعراء من تلمسان**، الجزائر، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م، ج: 1.

150– // // //، **القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها**. الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ج: 1.

151– بوعمامة فاطمة، **اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري الموافق لـ4–15م**. الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011م.

152– بوعياد محمود، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط**. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

153– تحسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**. الكويت، عالم المعرفة، ط1، 1989م.

154– الترغي عبد الله المرابط، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: منهجيتها– تطورها – قيمتها العلمية**. تطوان، جامعة عبد المالك السعدي، ط1، 1999م.

155– التهانوي محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تح: رفيق العجم وعلي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1996م، ج: 1.

156– التونجي محمد، **المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات**. د.م.ن، عالم الكتب، د.ت.ن.

157– الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ الجزائر**. دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965م، ج: 2.

158– حاتم صالح الضامن، **علم اللغة**. بغداد، بيت الحكمة، د.ت.ن.

159– حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**. موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

160– // // //، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**. الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2011، ج: 2.

161– حجي محمد، **نظرات في النوازل الفقهية**. الرباط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1999م.

162– حركات إبراهيم، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م – الشرعيات والعقائد–**. الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 2001م، ج: 2.

163– حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية**. الجزائر، منشورات الحضارة، 2009م، ج: 2.

164– حميش عبد الحق، **سير أعلام تلمسان**. المسيلة، دار التوفيقية، ط1، 2011م.

165– الخطابي محمد العربي، **علم المواقيت أصوله ومناهجه**. د.م.ن، 1986م.

166– الخفاجي محمد عبد المنعم، **الحياة الأدبية في مصر العصر المملوكي والعثماني**، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، 1984م.

167– الخن مصطفى وآخرون، **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي**. دمشق، دار القلم، ط4، 1992م، ج: 1.

168– دخان عبد العزيز الصغير، **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان وإمامها وبركتها (ت:895هـ) وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف**. دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، ط1، 2011م.

169– دغلي محمد سعيد، **الحياة الإجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب المغربي والأندلسي**. بيروت، دار أسامة، ط1، 1984م.

170– دهينة عطاء الله، **التاريخ السياسي لدولة بني زيان في كتاب: الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ج: 3.

171– ذهبي محمد حسين، **التفسير والمفسرون**. القاهرة، مكتبة وهبة، 1995م، ج: 1.

172– رزوق محمد، **دراسات في تاريخ المغرب**، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ط1، 1991م.

173– زرزور عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**. عمان، دار الإعلام، ط1، 2005م.

174– الزهراني محمد بن مطر، **تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري**. الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1996م.

175– سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**. بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1998م، ج: 1.

176– // // //، **تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري**. الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ج: 2.

177– سلمان عبد العزيز المحمد، **الكنوز الملية في الفرائض الجلية**. د.م.ن، د.ت.ن.

178– سليمان الطيب، **موسوعة القبائل العربية**. مصر، دار الفكر العربي، ط2، 1418هـ/ 1997م، مج: 1، ج: 2.

179– السيد سالم عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م.

180– الشمري مهدي صالح سلطان، **في المصطلح ولغة العلم**. بغداد، كلية الآداب، 2012م.

181– الشنقيطي محمد حبيب الله بن مايابي الجكني، **إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك**. بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط2، 1995م.

182– شهبة محمد بن محمد، **أعلام المحدثين**. القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، د.ت.ن.

183– الصويني حسن، **ابن مرزوق الحفيد حياته وفكره**. الرباط، 2006م.

184– ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات الجزائر– المغرب الأقصى– موريتانيا– السودان**. القاهرة، دار المعارف، ط1، د.ت.ن.

185– الطاهر الحبيب، **الفقه المالكي وأدلته**. بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط5، 2007م، ج: 4.

186– الطرهوني محمد بن رزق، **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**. دار ابن حزم، الدمام، ط1، 1426هـ، ج: 1.

187– طريف يوسف بن علي، **تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة مناهجه ومصنفاته**. الرياض، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

188– عاشور محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، 1970م.

189– عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب العربي (422–462هـ/ 642–1070م)**. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ط1، 2001م.

190– عبد العزيز المحمد السلمان، **الأسئلة والأجوبة الفقهية المقرونة بالأدلة الشرعية**. د.م.ن، ط14، 1425هـ، ج: 5.

191– عبد العليم رزق محمد، **أعلام المالكية من أهل البيت**. الكويت، دار المبرة، ط1، 2011م.

192– عبد الله محمد بن عبد العزيز، **الوقف في الفكر الاسلامي**. الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، 1996م، ج: 1.

193– عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**. مكتبة الدعوة الإسلامية، د.ت.ن.

194– عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**. وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

195– عبدلي لخضر، **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان 633–962هـ/ 1236–1554م**. دار الأوطان، ط1، 2011م.

196– عسيلان عبد الله بن عبد الرحيم، **تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل**. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1994م.

197– علي بن محمد بن سعيد الزهراني، **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**. مكتبة الملك فهد للنشر، أم القرى، ط1، 1416هـ.

198– علي محمد إبراهيم، **إصطلاح المذهب عند المالكية**. دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2000م.

199– علياني علي بن نفيع ، **عقيدة الإمام الأزهري صاحب كتاب تهذيب اللغة**. الرياض، دار الوطن، ط1، 1997م.

200– عمراني محمد، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغاربي بين النصف الثاني من القرن 9–13هـ ونهاية 15–19م**. دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2015م.

201– الغلاوي محمد النابغة بن عمر، **بوطليحية**. تح ود: يحي بن البراء، بيروت، المكتبة المكية، ط2، 2004م.

202– فتحة محمد، **النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 الى 9هـ/12–15م)**، الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني، 1999م.

203– فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**. الرياض، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ.

204– فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**. القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، 2002م.

205– الفوز البغدادي محمد أمين السويدي، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**.بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1989م.

206– فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**. الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2000، ج: 2.

207– الفيلالي عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**. القاهرة، شركة ناس للطباعة، ط1، 2006م، ج: 3.

208– قريان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**. الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

209– قندوز ماحي، **فَتاوى أبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد التلمساني (ت:842هـ/1439م) جمع وتحقيق**. الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، 2015م.

210– الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس**. تح وتد: حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط2، 2014م، مج: 3.

211– الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. تح: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982م، ج: 1.

212– // // // ، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**. تح: عبد الله الخالدي، لبنان، دار الأرقم بن الأرقم، ط2، د.ت.ن، ج: 1.

213– الكتاني يوسف، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**. بيروت، دار لسان العرب، د.ن.ط، د.ت.ن، ج: 1.

214– كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

215– الكيلاني ماجد عرسان، **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية**. دمشق، دار ابن كثير ومكتبة دار التراث، ط2.

216– لزغم فوزية، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518–1830م)**، الجزائر، دار سنجاق الدين للكتاب، ط1، 2010م.

217– محمد أبو الليث الخيرأبادي القاسمي، **تخريج الحديث نشأته ومنهجيته**. ماليزيا، إتحاد بكدبوديوبند، 2004م.

218– محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**. عمان، دار عمار، ط1، 2001م.

219– محمد سالم محيسن، **القراءات وأثرها في علوم العربية**. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1984، ج: 12.

220– محمد سعد فارس المهدي، **إرهاصات لميلاد أمة**. القاهرة، دار نهضة مصر للنشر، ط1، 2012.

221– محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، 1972، ج: 4.

222– محمد محمود سالم، **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**. دمشق، دار الفكر، ط1، 1996.

223– محمود فهمي حجازي، **أسس علم اللغة العربية**. القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 2003.

224– المداني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1984م.

225– مصطفى أبو ضيف، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524–876هـ/1130–1471م)**. الدار البيضاء: ط1، 1982.

226– مكي محمود علي، **المدائح النبوية**. القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1991.

227– منجد صلاح الدين، **قواعد تحقيق المخطوطات**. بيروت، دار الكتاب الجديد، ط7، 1987م.

228– منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**. المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج: 1

229– الميلي محمد بن مبارك، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تق وتص: محمد ميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت ن، ج: 2، ع ص: 178.

230– الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الدولة المرينية**، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج: 3.

231– نبهان كمال عرفات، **عبقرية التأليف العربي: علاقات النصوص والاتصال العلمي**. الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2015.

232– نبهان محمد فاروق، **الفكر الخلدوني من خلال المقدمة**. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998.

233– نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، **علم القراءات نشأته– أطواره– آثره في العلوم الشرعية**، ط:1، الرياض، مكتبة التوبة، 2000.

234– نصر الدين بن داود، **الحياة الثقافية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**. تلمسان، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

235– نواف عبد العزيز الحجمة، **رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن**. لبنان، دار السويدي للنشر، ط1، 2002.

236– بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995، ج: 2.

237– بوعزيز يحي، **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**. الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

2_المراجع المعربة:

238– روزنتال فرنتز، **مناهج العلماء المسلمين**. تعر: أنيس فريحة ، بيروت، دار الثقافة، 1961.

239– ريشر نيقولا، **تاريخ علم المنطق عند العرب مراحله مدارسه وسجل شامل بفلاسفة المنطق ومؤلفاتهم**. تر وتع: محمد مهران، باريس، منشورات أسمار، د.ت.ن.

240– مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى**. تر: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991.

241– مارمول كاربخال، **إفريقيا**. تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، دار نشر المعرفة، 1989م، ج: 2.

المقالات:

242– أبو البصل عبد الناصر موسى، "المدخل إلى فقه النوازل". ضمن أعمال ندوة النوازل الفقهية وأثرها الفتوى والاجتهاد، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2001.

243– بشاري لطيفة، "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد". مجلة عصور الجديدة، ع 7–8، خريف– شتاء 2013/2012، وهران.

244– بلقراد محمد، "تلمسان". الجزائر، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975.

245– بلميهوب حفيظة، "ابن مرزوق الحفيد وكتابه المتجر **الربيح** في شرح الجامع الصحيح للبخاري". مجلة السيرة النبوية، الرباط، ع: 7، السنة 2012.

246– بن علي الطاهر، "مضامين شروح البردة". مجلة الفكر الجزائري، ع: 5، أفريل 2013، تلمسان.

247– بن علي الطاهر، "من الأعلام الرواد في الفكر والأدب الجزائري العلامة ابن مرزوق الحفيد". مجلة التراث، ع: 5، مارس 2013، الجلفة.

248– بن معمر محمد، "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارات المرابطية". الجزائر، مجلة حولية المؤرخ، ع: 3–4، 2005م.

249– // // // ، "صناعة الورق وتجارته في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق". المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع: 12، جانفي 2015م.

250– بوباية عبد القادر، "إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م)". مجلة عصور الجديدة، ع: 2، السنة 2011م، وهران.

251– // // // ، "الروابط العلمية بين بجاية وتلمسان من خلال كتاب البستان لابن مريم المديوني". مجلة عصور الجديدة، ع: 7-8، خريف– شتاء 2013/2012م، وهران.

252– بورملة خديجة، "النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط (دراسة نماذج بعض المدن من خلال كتابات الجغرافيين)". مجلة عصور الجديدة، ع: 23، أوت 2016م، وهران، ص ص: 133-140.

253– بوزيدي سليم،"جماليات التوازي في التراكيب الشعرية عند أبي حمو موسى الزياني". مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع: 9، السنة 2013م، بسكرة.

254– بوسلاح بوسلاح، "المدارس العلمية بتلمسان على عهد بني زيان: اشعاع فكري وحضاري"، مجلة عصور الجديدة، ع: 2، السنة 2011م، وهران،

255– بوعزيز يحي، "المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية 1975م، الجزائر.

256– بونابي الطاهر، "خطاب الشرف في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط: مقاربة في مستوياته ضمن النوازل والمناقب والتاريخ". في كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، قسنطينة، دار البهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011م.

257– حاجيات عبد الحميد، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان". الجزائر، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975م.

258– // // // ، "تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط". مجلة عصور الجديدة، ع: 2، السنة 2011، وهران، ص ص: 38-40.

259– // // // ، "دور بني عامر في تاريخ الغرب الجزائري أيام الدولة الزيانية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 3-4، سنة 2001، تلمسان،

260– حركات إبراهيم، "الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975م، الجزائر.

261– حلبوني خالد، "الشعر التعليمي (بداياته، تطوره، سماته)". مجلة جامعة دمشق، ع: 3–4، مج: 22، السنة 2006م، دمشق.

262– زكريا مفدي، "النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975م، الجزائر، و و: 163–194.

263– صغير عبد المجيد، "تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي". مجلة العلم والفكر العلمي بالغرب الاسلامي

264– طول فتحي، "منهج التحليل العلمي للظواهر الطبيعية عند ابن مرزوق الحفيد". مجلة الفكر الجزائري، ع: 5، أفريل 2013م، تلمسان.

265– علي أحمد، "اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى". مجلة دراسات تاريخية، ع: 57–58، السنة 17، سبتمبر– ديسمبر 1996م، دمشق.

266– فلاق محمد، "البحث اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد التلمساني في مخطوط (اظهار صدق المودة في شرح البردة)". مجلة الممارسات اللغوية، ع: 3، السنة 2011م، تيزي وزو.

267– فيلالي عبد العزيز، "الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة". مجلة أفكار وآفاق، ع: 3، السنة: 2012م، الجزائر.

268– لواتي دلال، "نوازل المغرب الأوسط ملاحظات منهجية حول التطور الكمي للإفتاء خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين". في كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، قسنطينة، دار البهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011م.

269– موساوي أحمد، "الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني: رحلة السلطان رحلة الشعر"، مجلة الآداب واللغات، ع: 7، ماي 2008م، ورقلة، و و: 88–89.

المعاجم والموسوعات:

270– الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج: 4.

271– عبد الرحمن بدوي، **موسوعة الفلسفة**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج: 1.

272– فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**. تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ج: 5، ص:417.

273– كحالة رضا عمر، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1957.

274– كحالة رضا عمر، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. لبنان، دار العلم للملايين، ط1، 1388هـ/1968م، ج: 3.

275– ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**. بيروت، دار صادر ، د.ت.ن، مج: 11.

276– نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**. بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980.

277– هوتسما وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، القاهرة، كتاب الشعب، د.ت.ن، مج: 6.

المذكرات والأطاريح:

278– باقة رشيد، **نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي– جمعا ودراسة وتحليلا–**. مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية والاسلامية، جامعة باتنة، 2013/2012م.

279– بكاي عبد المالك، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7–10هـ/13–16م**. أطروحة دكتوراه غير منشورة في تارخ المغرب الاسلامي، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2014/2013م.

280– بكاي هوارية، **العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا**. مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007م.

281– بلعرج عبد الرحمن، **العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك**، أطروحة ماجستير غير منشور تاريخ المغرب الاسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007.

282– بلفرح عبد الرحمان، **ابن قنفذ القسنطيني حياته وآثاره 740–810هـ/1339–1407م**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007م.

283– بن داود نصر الدين، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، إش: بن معمر محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2010/2009.

284– بن سهلة ثاني سيدي محمد، **المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر: تلمسان أنموذجا**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013.

285– بن فريحة عبد المالك، **القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015/2014.

286– بوحسون عبد القادر، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633–963هـ/1235–1554م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007.

287– بوشقيف محمد، **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14–15م)**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011/2010.

288– بوعنيني سهام، **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009/2008.

289– جراح بن نايف الفضلي، **كتاب اليواقيت في علم المواقيت للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت:684هـ) دراسة وتحقيق**. رسالة ماجستير غير منشورة في الفقه، قسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1428هـ.

290– خالدي رشيد، **دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م**. مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة تلمسان، 2011/2010م.

291– سكاكو مريم، **مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع (14–15م)**. مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2012/2011م.

292– عمارة سيدي محمد، **هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012م.

293– عمارة فاطمة الزهراء، **المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8–9هـ/14–15م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، إش: بن معمر محمد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010/2009م.

294– قويدر عباس، **الحياة الثقافية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010/2009م

295– كرزون أنس أحمد، **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1995/1994م.

296– كرطالي أمين، **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9–10هـ/15–16م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م.

297– لزغم فوزية، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، إش: بن معمر محمد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م.

298– مهتاري زرفة فائزة، **أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري –دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج–**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2006/2005م.

299– نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7–10هـ/13–16م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، إش: عبدلي لخضر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013م.

300– هلال إبراهيم بن أحمد السجلماسي، **فهرسة ابن هلال السجلماسي**. تق وتح: محمد بن الأزرق، أطروحة لنيل دبلوم الراسات المعمقة، رسالة غير منشورة، إش: محمد الراوندي، الرباط، دار الحديث الحسنية للدراسات الاسلامية العليا، 2002/2001م.

301– واعظ نويوة، **أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580–633هـ/1184–1235م**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والجغرافية، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2007/2008م.

الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنيت):

302– سليمان بن الحسن القراري، "الشرف من جهة الأم بين النفي والإثبات".
http: www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-109359.htm

المراجع الأجنبية:

303– BARGES J.J.L L'abbé, **Complément de l'Histoire des Beni-Zeiyan Rois de Tlemcen**. Paris, Ernest Leroux, Librairie-Editeur, E^{d} n^{0}: 1, 1852.

304– HAMET Ismaël, **Histoire du Maghreb**. Paris, France : E[d] Ernest Peroux, 1923.

305– Mercier Ernest, **L'Etablissement des Arabes dans L'Afrique Septentrionales selon les Documents fournis par Les Auteurs Arabes**. Constantine, L.Marle Libraire- Editeur. Paris, Challamel Libraire- Editeur.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... **أ– ص**

مدخل: مدينة تلمسان حاضرة دولة ومدينة علم.....2

الباب الأول: عصر ابن مرزوق الحفيد وحياته

الفصل الأول: عصر ابن مرزوق الحفيد.....18

المبحث الأول: الحياة السياسية.....19

أولا: معالم الصراع والتنافس بين دول المغرب الإسلامي.....20

ثانياً: أبو حمو الثاني وإعادة إحياء الدولة الزيانية.....25

ثالثا: أبو تاشفين وعودة الهيمنة المرينية.....29

رابعا: أبو زيان محمد الثاني (796–801هـ/1394–1398م).....31

خامسا: أبو محمد عبد الله الأول (801–804هـ/1398–1402م).....33

سادسا: أبو عبد الله محمد الثالث (804–813هـ/1402–1411م) 34

سابعا: أبو مالك عبد الواحد (814–827هـ/1411–1424م) 35

ثامنا: أبو عبد الله محمد الرابع.....36

تاسعا: أبو العباس أحمد العاقل (834–866هـ/1430–1452م).....37

المبحث الثاني:الحياة الاجتماعية.....40

أولا: التركيبة الاجتماعية لسكان المغرب الأوسط.....41

ثانيا: المجتمع الزياني وعلاقته بالسلطة.....58

المبحث الثالث: الحياة الفكرية والعلمية.....**63**

أولاً: اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء.....64

ثانيا: عصر ابن مرزوق بين القوة والضعف.....69

ثالثا: دور التعليم في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية.....72

الفصل الثاني: السيرة الذاتية لابن مرزوق الحفيد.....89

المبحث الأول: المولد والنشأة..... 90
أولا: اسمه وكنيته ونسبه وشهرته.....90
ثانيا: مولده.....93
ثالثا: نشأته.....94
رابعا: صفاته وأخلاقه.....96
خامسا: مذهبه.....104
سادسا: وفاته.....104
المبحث الثاني: أسرته وأعلامها.....107
أولاً: البيوتات العلمية في المغرب الأوسط ودورها السياسي والاجتماعي.....108
ثانيا: أصل المرازقة.....109
ثالثا: الاستقرار في مدينة تلمسان.....110
رابعا: تأسيس بيت المرازقة في تلمسان وأبرز أعلامه.....111
المبحث الثالث: وظائفه.....123
أولاً: مكانة العالم في منظومة الدولة.....123
ثانيا: ابتعاد ابن مرزوق الحفيد عن المناصب الرسمية.....126
ثالثا: طبيعة مهام ووظائف ابن مرزوق.....131
المبحث الرابع: مكانته العلمية.....139
أولا: ألقابه.....139
ثانيا: آراء العلماء المعاصرين له.....140
ثالثا: آراء طلبته.....145
رابعا: رأي أصحاب كتب التراجم.....147
خامسا: آراء كتاب المراجع في ابن مرزوق الحفيد.....149
الفصل الثالث: السيرة العلمية لابن مرزوق الحفيد.....156

المبحث الأول: مصادر ثقافته.....157
أولاً: أهمية العلم في حياة الإنسان المسلم.....157
ثانيا: ابن مرزوق الحفيد وطلب العلم.....159
ثالثا: الرحلة العلمية وأثرها على حياة ابن مرزوق الحفيد.....160
المبحث الثاني: شيوخه.....174
أولاً: شيوخه في تلمسان.....174
ثانيا: شيوخه في تونس.....181
ثالثا: شيوخه في فاس.....179
رابعا: شيوخه في مصر.....184
خامسا: شيوخه في مكة المكرمة.....196
سابعا: شيوخه من الأندلس.....200
المبحث الثالث: برنامج تدريسه وأبرز تلامذته.....204
أولا: برنامج تدريس ابن مرزوق الحفيد.....204
ثانيا: أبرز تلاميذه.....210

الباب الثاني: دراسة في آثار ابن مرزوق الحفيد

الفصل الرابع: مجالات التأليف لدى ابن مرزوق الحفيد.....226

المبحث الأول: مجالات التأليف عند ابن مرزوق الحفيد.....227
أولا: تنوع مجالات تأليفه.....229
ثانيا: تميزه في بعض العلوم.....238
ثالثا: مؤلفاته.....247
المبحث الثاني:منهجه وأسلوبه في الكتابة.....261
أولا: منهجه في الكتابة.....262

ثانيا: الأسلوب والبناء اللغوي عند ابن مرزوق الحفيد.....269

المبحث الثالث: مصادره.....275

أولا: قدرة ابن مرزوق على توظيف المصادر وإثراء مؤلفاته.....275

ثانيا: أسانيده في مصادره.....277

ثالثا: طبيعة مصادره ومجالاتها.....286

الفصل الخامس: آثار ابن مرزوق الحفيد المخطوطة.....293

المبحث الأول: كتاباته في العلوم العقلية 294

أولاً: أرجوزة "المِقْنِعُ الشَّافِي" في علم المقيات..... 294

ثانيا: كتاباته في علم المنطق..... 306

المبحث الثاني: كتاب الفرائض في شرح فرائض خليل..... 326

أولا: أهمية علم الفرائض في حياة المسلمين..... 326

ثانيا: كتاب تقييد شرح فرائض خليل..... 328

المبحث الثالث: مؤلفاته في علم الحديث..... 336

أولا: أرجوزة الحديقة..... 336

ثانيا: كتاب نور اليقين في شرح حديث أولياء الله الصالحين..... 345

المبحث الرابع: التأليف في علم العقيدة..... 355

أولا: علم العقيدة..... 355

ثانيا: كتاب عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد.....357

الفصل السادس: نماذج من كتابات ابن مرزوق الحفيد المطبوعة.....368

المبحث الأول: تآليف ابن مرزوق الفقهية.....369

أولا: علم الفقه من مجالات تميز ابن مرزوق الحفيد.....369

ثانيا: كتاب المنزع النبيل في شرح مختصر خليل.....371

ثالثا: كتاب انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة.....378
رابعا: تميزه في فقه النوازل.....385
المبحث الثاني: مؤلفاته اللغوية..... 396
أولا: بروزه في علمي العروض والقافية.....396
ثانيا: مساهمته في علوم اللغة العربية.....402
المبحث الثالث: إسهامات ابن مرزوق في علم الحديث..... 418
أولا: أهمية علم الحديث في المغرب الإسلامي..... 418
ثانيا: مساهمة ابن مرزوق في علم الحديث..... 420
ثالثا: كتاب المتجر الربيح..... 423
رابعا: روضة الإعلام بعلم الحديث السامي..... 428
الخاتمة.....436
الملاحق.....443
ثبت المصادر والمراجع.....467
فهرس الموضوعات.....499

ملخص

يتمحور موضوع الأطروحة حول شخصية واحد من ابرز علماء المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط تحديدا، وهو سليل عائلة عرفت بالعلم والورع والإبداع العلمي، واعني هنا ابن مرزوق الحفيد الذي عاش خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(766-842ه/ 1364-1438م)، وهو أحد أكابر علماء العصر الوسيط في المغرب الإسلامي ككل، عرف عنه من انه كان ذا طبع موهوب وأدب مكسوب لم تتوفر مزاياه لغيره. وقد انصب العمل في هذه الدراسة على إبراز أثر المؤهلات العلمية والفكرية التي تمتع بها عالمنا على الحياة الثقافية والعلمية في منطقة المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة، وما مدى مساهمته في ديمومة حالة الازدهار الحضاري خلال فترة حياته، ومن خلال ما سبق، اتضح لنا أن شخصية ابن مرزوق الحفيد جعلته محل استقطاب وإقبال من قبل الآخرين، فهو يذكر في كل مجال من مجالات العلم النقلي والعقلي، فلم يكن عالما أحاديا، وإنما متشعب العلوم والمعارف. وتظهر لنا الدراسة من أن الشيخ ابن مرزوق الحفيد لم يكن مجرد كاتب أو عالم برز في مجال من مجالات العلوم فحسب، وإنما هو فعلا كان نجما لامعا في سماء العلم والمعرفة العربية الإسلامية، وأنه علامة فاصلة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط. ونتيجة هذا، حافظ ابن مرزوق الحفيد على تقاليد بيت المرازقة، وساهم في حمل لواء التميز الذي عرفت به الحاضرة تلمسان خلال فترة حياته، لاسيما وانه اختط لنفسه منهجا علميا ثابتاً، يتنوع وفق معطيات العلم الذي يكتب فيه. والذي يعتمد حسن استخدام اللغة العربية وتوظيفه لآراء العلماء في كتاباته. ونتيجة كل هذا عد ابن مرزوق الحفيد ظاهرة علمية سبق عصرها ان صح التعبير.

الكلمات المفتاحية:

ابن مرزوق؛ الحفيد التلمساني؛ المرازقة؛ تلمسان؛ التأليف؛ التعليم؛ الدولة الزيانية ؛ المخطوطات؛ الرحلة العلمية؛ النوازل.

نوقشت يوم 15 نوفمبر 2017